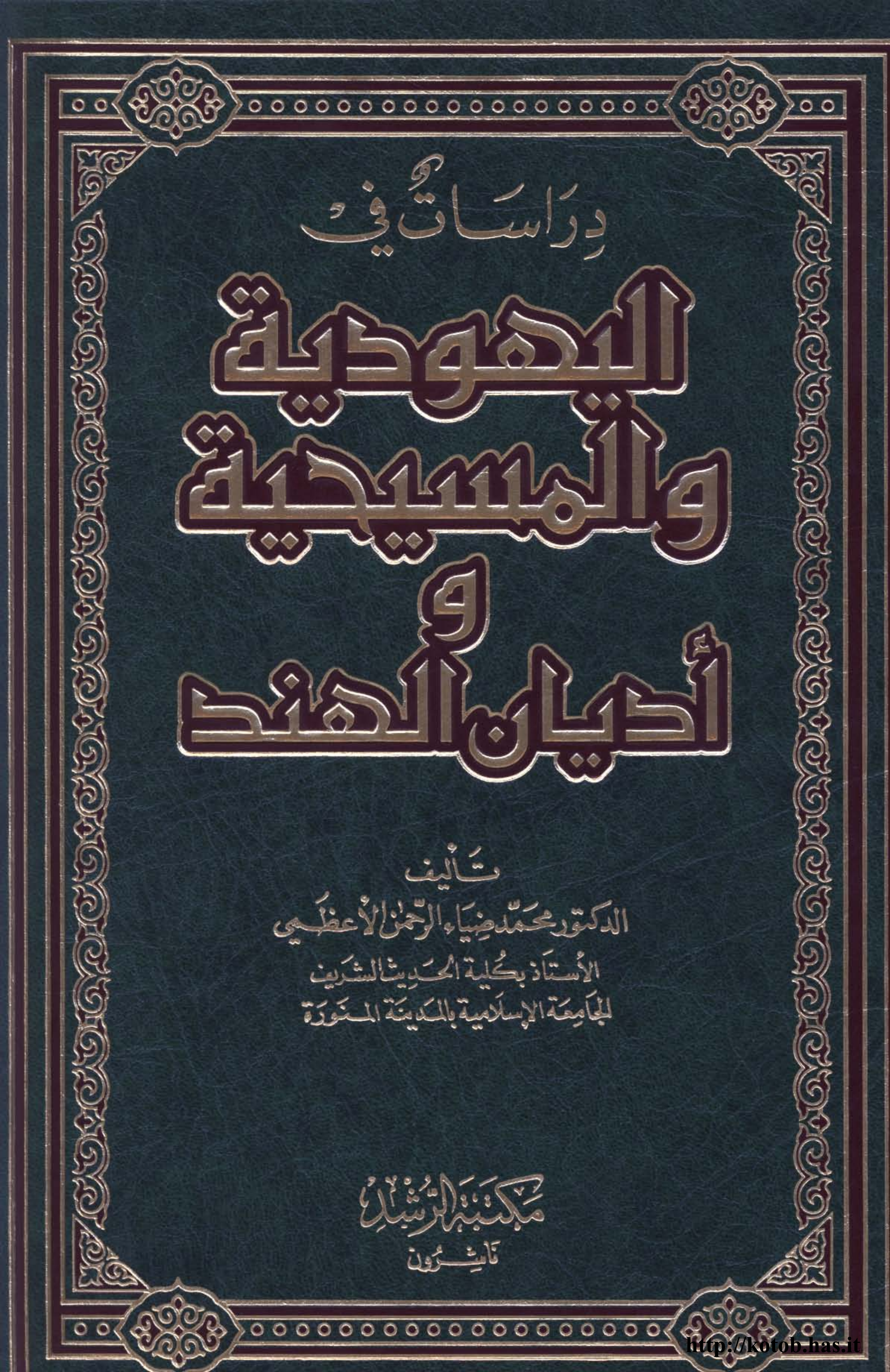
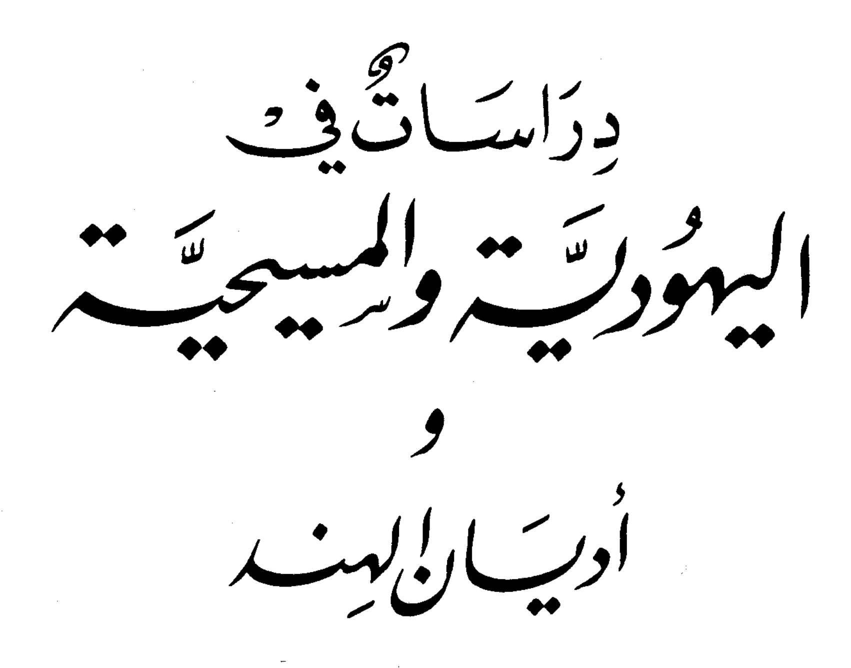

دراسات في
اليهودية والمسيحية وأديان الهند
تأليف
الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
الأستاذ بكلية الحديث الشريف
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
مكتبة الرشد
ناشرون
http://kotob.has.it


بسم الله الرحمن الرحيم




تأليف

الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي

الأستاذ بكلية الحديث الشريف

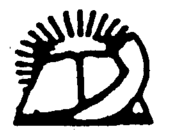
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مكتبة الرشد

ناشرون

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



**مكتبة الرشد ناشرون**

**المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ شارع الأمير عبدالله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)**

**ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١**

**Email: alrushd@alrushdryh.com**

**Website: WWW. rushd.com**

---

* **فرع طريق الملك فهد ـ الرياض ـ غرب وزارة البلدية والقروية ـ هاتف ٢٠٥١٨٣٠**
* **فرع مكة المكرمة ـ هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦**
* **فرع المدينة المنورة ـ شارع أبي ذر الغفاري ـ هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ ـ ٨٣٨٣٤٢٧**
* **فرع جدة ـ ميدان الطائرة ـ هاتف ٦٧٧٦٣٣١**
* **فرع القصيم ـ بريدة طريق المدينة ـ هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨**
* **فرع أبها ـ شارع الملك فيصل ـ هاتف ٢٣١٧٣٠٧**
* **فرع الدمام ـ شارع ابن خلدون ـ هاتف ٨٢٨٢١٧٥**

**وكلاؤنا في الخارج**

**القاهرة**: مكتبة الرشد / ت ٢٧٤٤٦٠٥

**الكويت**: مكتبة الرشد / ت ٢٦١٢٣٤٧

**بيروت**: دار ابن حزم هاتف ٧٠١٩٧٤

**المغرب**: الدار البيضاء / مكتبة العلم / ت ٣٠٣٦٠٩

**تونس**: دار الكتب المشرقية / ت ٨٩٠٨٨٩

**اليمن ـ صنعاء**: دار الآثار / ت ٦٠٣٧٥٦

**الأردن** ـ دار الفكر هاتف ٤٦٥٤٧٦١

**البحرين** ـ مكتبة الغرباء هاتف ٩٥٧٨٢٣ ـ ٩٤٥٧٣٣

**الإمارات ـ الشارقة** ـ مكتبة الصحابة هاتف ٥٦٣٣٥٧٥

**سوريا ـ دمشق** ـ دار الفكر هاتف ٢٢١١١٦

**قطر** ـ مكتبة ابن القيم هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فهذه الطبعة الثانية لكتابيَّ:

**١- «اليهودية والمسيحية».**

**٢- «فصول في أديان الهند».**

وجعلتهما في مجلد واحد لوحدة مجالهما، ولحاجة قارئ أحدِهما إلى الآخر. وقد أضفت إليهما إضافات مهمة. أرجو أن ينال هذا الكتاب استحسان المهتمين بدارسة تاريخ الأديان والشعوب.

وكلما يقرأ المسلم صفحةً من صفحات هذا الكتاب يشعر بعظمة دين الله الحنيف، ويشكر الله سبحانه وتعالى أن هداه للإسلام، ويسجد لله القائل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

وكم أكون سعيدًا إن كان جهدي المتواضع هذا سببًا في إنـارة الطريق لمن لا يزال بعيدًا عن هدى الله ورسوله، ويعيش مضطـرب القلب والضمير، فعسى أن يكون من المهتدين. سائلاً الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، فإنـه نعـم المولى ونعـم النصير. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

حرر في ١٠/١٠/١٤٢١هـ
بالمدينة المنورة

المؤلف
الدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي
عفـا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم الكتاب

## بقلم أبي الحسن علي الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد النبي الأمي الأمين، الذي خُصّ بكتاب تكفل الله بحفظه وصيانته من تحريف المحرفين، وعبث العابثين، وبدين ضمن الله ببقائه على أصالته ونقائه إلى يوم الدين، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

أما بعد، فكما أن للشعوب والسلالات، والمجتمعات والحضارات، والفلسفات والنظم، رحلة طويلة في مسيرة الحياة الطويلة الأمد، الفسيحة المدى تتعرض في فترات زمنية لحوادث حاسمة، وقوات جائمة، وتحولات مصيرية وأدوار انتقالية وعوامل قوية، تتفاعل معها وتنصهر في بوتقتها، وقيادات وحكومات تخضعها لأغراضها السياسية تارة، والشخصية أخرى، وتترك طابعها القويّ الواضح عليها، ورواسب عميقة الجذور، ثابتة القرار في أعماق تفكيرها، وآفاق فلسفتها، وتتعرض كذلك لمؤامرات دقيقة قد لا يهتدي المؤرخون الباحثون إلى مخططيها الأصليين، وأصحاب الفكرة الأولى فيها، فيخرج من كل ذلك مزيجٌ غامض التركيب، متداخل الأجزاء والأصول، لا يسهل تحليله وإفراز العناصر المتركبة فيه، في معمل كيمياوي أمين، وعملية تحليلية متقنة، ويسمى هذا

المزيج السلالي، أو الإفراز الحضاري، أو النظام الاجتماعي، أو المدرسة الفكرية وحدة سلالية، أو حضارة ذات شخصية متميزة، أو فلسفة قائمة بذاتها، وإنما هي كلها مجموعات وحدات كثيرة العدد، قد تكون متناقضة متناحرة، قد خلط بعضها مع بعض، وسحقتها يد الاضطرار والاضطهاد أو السياسة، في صيدلية المصالح المشتركة، أو الانتصارات والانهزامات التي لا ضمير لها ولا رحمة عندها، ولَنَظرةٌ فاحصةٌ في تاريخ السلالات البشرية، والحضارات الشهيرة، والفلسفات السائدة، وأخلاق الأمم والأقطار، تبرهن على صدق ما قلناه.

كذلك للديانات التي قامت بدورها الإيجابي في فترة من الزمن، وأدّت رسالتها في محيط خاص اختير له، ولم تكن عالمية ولا خالدة، ولا رسالة السماء الأخيرة رحلة قد تكون أطول من رحلات كثير من الحضارات والمجتمعات والنظم والفلسفات، وأدقّ منها وأكثر تعقداً، لارتباط العقيدة والعاطفة بها ارتباطاً قوياً، ولعمومها بين الطبقات البشرية المختلفة، والمستويات العقلية المتفاوتة، وتخطّيها للحدود الجغرافية، والفوارق الجنسية، ولأنها تكون في كثير من الأحيان أقوى وأقدر على استجلاب دوافع التأييد والتعزيز، والسيطرة على النفوس والعقول، وإثارة الإخلاص والحماس، والوفاء والاستماتة في سبيل العقيدة والمبدأ، وتصبح أعظم طاقة عسكرية، وأمضى سلاح حربي، وأنجع وسيلة للاستيلاء وقيادة الشعوب الوادعة البريئة، وسوق القطعان البشرية، فيحرص الملوك والعقلاء -الذين يزِنون كل حقيقة بميزان النفع والضرر، ويقيسونها بمقياس الفائدة

السياسية، والقوة العسكرية- على استخدام هذه الطاقة الهائلة والمحترمة في وقت واحد -وما أعظم اجتماع الهول والاحترام- لبسط نفوذهم وتعميقه وتثبيته، فيدينون بهذه الديانة ويتحمسون، فيكون هناك تفاعل وتعاط بين السياسة والديانة، أو بين العرش والكنيسة، يصعب الحكم فيه على مدى التأثير والتأثر، وتحديد الرابح والخاسر، وتعيين مقدار التنازل عن العقائد الأساسية والأهداف الرئيسية في هذه المساومة المادية، أو التفاهم المغرض.

وكذلك قد توكل هذه الديانات إلى ضمائر حاملي تراثها وشارحي شريعتها ومدى شعورهم بالأمانة والدقة، والمسئولية أمام الله، واحتفاظهم بروحها وجوهرها، وتضحيتهم، وتتفانيهم في سبيل بقائها على أصالتها، ونقائها، إلى تأثير البلاد والأقطار التي تمر بها وتعبرها هذه الديانات في رحلتها الاضطرارية أحياناً، والطوعية أحياناً أخرى، وتحتكّ بديانات جاهلية قديمة ووثنيات زاهية راقية، فيكون لك ذلك تأثير عميق في عقلية هذه الديانات، وفي عاداتها وأعرافها تقتبس منها الكثير، وتتأثر به من حيث تشعر، ومن حيث لا تشعر، ثم تكون هنالك ردود فعل، ومحاولات لردّ هذه الديانات المنحرفة أو المحرفة إلى أصلها القديم وإلى ما تركها عليه حاملو رسالتها والداعون إليها، إذا كان لهم تاريخ محفوظ وأثارة من علم، ويرجع ذلك إلى وجود المصلحين الغيارى على هذا الدين، والمجددين لروحها وجوهرها، والعقيدة الصافية الأولى والتعاليم النبوية الأصيلة، فقد يندر

وجودهم في ملة وديانة، وقد يكثر -وهو القليل النادر- في غيرها[1].

إن الذين تعرضوا لموضوع قصة رحلات الشعوب والأمم، والمجتمعات والحضارات، والنظم والفلسفات، كثير، مثل «ليكي» (W.E.H. LECKEY) صاحب «تاريخ الأخلاق الأوربية» (HISTORY OF THE EUROPEAN MORALS) و«ليبون» (DR. GUSTAVE LEBON) صاحب «تاريخ حضارة الهند» (LES CIVILIZATIONS DE L,INDE) و«حضارت العرب» (LES CIVILIZATIONS DE L,ARABE) و«جبون» (GIBBON) صاحب «تاريخ انحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»

(DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE)

و«بريفالت» (BRIFFAULT) صاحب كتاب «الإنسانية في التكوين» (THE MAKING OF HUMANITY) وهذه أسماء قليلة على سبيل المثال من قائمة طويلة من الكتب في هذا الموضوع.

ولكن تاريخ الديانات التطوري وقصة رحلاتها الزمنية والمكانية والعقائدية والعملية، وقصة تفاعلها مع العوامل النفسية الداخلية، والحوادث التاريخية الخارجية، موضوع دقيق، شاق مضن، وجاف بعض الجفاف، إذا قيس إلى الموضوع الأول، وإن الباحث في ذلك يحتاج إلى الإلمام بعدة لغات، وقوة الاحتمال على مطالعة الأسفار الدينية، والكتب

(١) ليرجع للتفصيل إلى ما قاله صاحب التقديم في مقدمة الجزء الأول من سلسلة كتب «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» بعنوان: «الحاجة إلى الإصلاح والتجديد والبعث الجديد»، ص (١٣-٣٢)، الطبعة السادسة، دار القلم، الكويت.

العتيقة، والبحوث الكلامية الجدلية. لذلك قلّ المتناولون لهذا الموضوع بالبحث والدراسة، خصوصاً في هذا الزمان الذي قد تهيأ للتأمل فيه، والإقبال عليه لشيوع موضوع الدراسات المقارنة في موضوعات شتى في الجامعات الغربية والشرقية، ولظهور مصادر دينية تاريخية لم تر ضوء الشمس قروناً عديدة، ولكن ذلك يحتاج كما قلنا إلى التنوع الثقافي، وسعة الصدر، وقوة الصبر، وإجهاد النفس والعين.

ومن دواعي السرور أن أخانا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي من أساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قد اختار هذا الموضوع الهامّ، وقام برحلة طويلة مضنية في مصادر تاريخ الديانات وأصولها الأصيلة، واستعرضها استعراضاً دقيقاً في ضوء التاريخ والكتب العتيقة، ومؤلفات رؤساء طوائف هذه الديانات وزعمائها الدينيين والمؤرخين الأوربيين، فبحث في هذا الجزء -الذي أتشرف بالتقديم له- عن «**اليهودية والمسيحية**» ، وتاريخ تطورهما، والتحولات التي طرأت عليهما، تحت ضغط عوامل سلالية وحضارية، وجغرافية وسياسية، وكيف تفاعلت معها، وقد بدأ بحثه بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وواصل سيره العلمي والتحقيقي إلى نشوء المسيحية، وتطورها وانقسامها إلى طوائف وفرق، واختلاف العقائد والتقاليد فيها، وما نشأ فيها من حركات إصلاحية وانتقادية، واحتوى الكتاب على فصول واسعة متنوعة تتعلق بموجات الهجرة للسلالة السامية، ومناطق سلالات أخرى، والطرق التي اختارها سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة

والسلام- ووضع مصر في عهده، ومَن هو الذبيح، وهجرة سيدنا يعقوب -عليه السلام- وأولاده إلى مصر، ومدى إقامتهم فيها، وظهور سيدنا موسى -عليه السلام-.

ثم الكلام الطويل الدسم على كتب العهد القديم وأسفار الأنبياء، وكيف تمت كتابة التوراة، وما طرأ عليها من حوادث وفقدها، ثم العثور عليها وتراجمها، وكذلك بحث شائق في التلمود وتعليماته وبروتوكولات الصهيون.

وجاء إلى دور المسيح فألقى أضواء علمية قوية على دعوته وأسباب معارضة اليهود له، وقصة محاكمته، وإلى ما آل إليه وضع أتباعه بعده، وكيف كان بدء التحولات الجذرية في تعليمات المسيح وأسبابها، وماذا يقول القرآن عن سيدنا المسيح عليه السلام ثم بحث بحثاً مستفيضاً عن بولس الراهب الذي هو قائد المسيحية وواضعها في العهود التي تلت المسيح -عليه السلام- ثم دور القسطنطين في سبك المسيحية سبكاً رومانياً يونانياً، ثم تكلم عن الأناجيل الأربعة كلام خبير دارس، وتعرض للأناجيل المرفوضة، وأبدى وجهة نظر الإسلام في الإنجيل، وبحث عن إنجيل برناباس كمؤرخ محائد، واعتمد على الوثائق التاريخية والبحوث المتعارضة في ذلك، وعرف «بأريوس» وما قام به من دوري ثوري إصلاحي، إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب من البحوث القيمة والمعلومات الكثيرة الدسمة.

إنها بداية تستحق التقدير والشكر والاعتراف في دراسة مقارنة للديانات القديمة تاريخياً وتركيبياً وتطورياً، والبحث العلمي والدراسات

المخلصة لا تعرف الكلمة الأخيرة ولا تدعي الانتهاء إلى النتائج النهائية الحتمية التي لا يتسع المجال لنقاشها والإضافة إليها، ولكنها على كل حال مشجعة وحافزة إلى المطالعة والتأمل والعناية بالموضوع.

هذا ما أدت إليه إجالة النظر في هذا الكتاب الضخم على تشتت بال، وتزاحم أشغال، وقرب رحلة خارجية طويلة.

وبما أن مؤلف الكتاب من المسلمين المهتدين الذين ولدوا ونشأوا في الهند -مهد الديانات القديمة والفلسفات العميقة- قد شرح الله صدره للإسلام وهداه للإيمان، كنا نرجو أن يتفرغ للبحث في الديانات الهندية القديمة،والدراسة المقارنة التي قلّت فيها المصادر التاريخية، ووسائل الاطلاع عليها في اللغة العربية، فيكون بذلك قد أتحف قراء العربية بمعلومات طريفة قيّمة عن هذه الديانات وعن نشوئها وتطورها، واندثار كثير منها، فيقوم بدور دعوي علمي قد قام به قبله المسلم المهتدي الموفق الشيخ عبيد الله الفائلي[1] (المتوفى ١٣١٠هـ) صاحب كتاب «تحفة الهند» العظيم الذي هدى الله به خلقاً كثيراً من عباده ورجالاً ذوي شأن من الوثنيين والبراهمة في الهند، كسميه الشيخ عبيد الله السندي، فيكون في ذلك خير كثير، ولكنه أرجأ ذلك إلى الجزء الثاني من الكتاب الذي سيكون خاصاً بهذا الموضوع، والذي وعد به في مقدمته لهذا الكتاب[2]،

(١) ليرجع إلى ترجمته في الجزء الثامن من «نزهة الخواطر» للعلامة السيد عبد الحي الحسني، طبع دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد. الهند.

(٢) قد تم تأليفه -بحمد الله وتوفيقه- وهو الجزء الثاني في هذا الكتاب.

حقق الله نيته وأمنيته ونفع به من أراد به خيراً، وأدركه التوفيـق الإلهـي في شبه القارة الهندية العريقة الممعنة في الوثنيات والفلسفات الملتويـة المعقـدة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

**أبو الحسن علي الحسني الندوي**

دارة الشيخ علم الله الحسني
رائي بريلي - الهند

٢٦ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ
٢٠/١٢/١٩٨٤ م.

## قصة هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين. أما بعد:

فإن لهذا الكتاب قصة؛ أرى من حق القارئ على أن أشير إليها بإيجاز، وهي أنه لما هداني الله تعالى للإسلام الحنيف، جرتْ مناظرات ومناقشات بيني وبين رهط من علماء الهندوس حول الدين الذي اخترته، ومقارنته بغيره من الأديان والمعتقدات، تلك المناظرات والمناقشات التي جدّوا فيها أيما جدّ ليثنوني عن الإسلام، ويصدوني عن سبيل الله، ولكن الله تعالى جده، وتبارك أسماؤه، كما منّ عليّ بالهداية للإسلام مَنَّ علي بالثبات عليه أمام هذه العاصفة. فلم تزدني مناظرات علمائهم ومناقشاتهم إلا يقيناً في إيماني وعقيدتي، واستمساكاً بالعروة الوثقى لا انفصام لها، واطمئناناً في حياتي، فضلاً من الله.

وكنتُ قد قطعتُ على نفسي عهداً بأن أؤلف كتاباً وافياً عن هذه الديانات، والمعتقدات لتتبين عظمة الإسلام، وإن كانت لا تحتاج إلى تبيين.

ومنذ ذلك الوقت استقرت في نفسي فكرة دراسة الأديان والمعتقدات، ومقارنتها بالإسلام، فلم تزل تشغل بالي، بل لا أعدو الحق إن قلت: إنها لم تفارقني لحظة من لحظات حياتي، فكنت أجمع المصادر والمراجع من كتب أهل الكتاب والمجوس، وأديم النظر فيها راجياً أن ألقي دلوي في الدلاء، وأسهم مع مَن أسهم في هذا الميدان مؤملاً أن يكون في عملي نفع لي وللمسلمين عامة، ولمن يعتنق الإسلام خاصة وتصادفه ظروف مثل ظروفي.

وإني أحمد الله الذي ثبّت قلبي علـى الإسـلام، ووفقـني لإنجـاز الوعـد بإكمال هذا الموضوع بعد مضيّ أكثر من ربع قرن. أسأله سبحانه وتعـالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين،
والحمد لله رب العالمين.

حرر بالمدينة النبوية
في ١٠ رمضان ١٤٠٤هـ.

**المؤلف**
عفا الله عنه.

# مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فقد اهتم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بذكر الأديان إجمالاً وتفصيلاً فقال بالإجمال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[3].

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أن الخالق عز وجل لم يترك الإنسان بعد خلقه بلا عقل ولا دين، كما أنه سبحانه وتعالى جعل الاعتراف بالربوبية في فطرة البشر، فكلما انحرف الإنسان عن خطّه المستقيم، وطرح رداء الدين اقتضت الحكمة الإلهية أن ترسل الرسل بعضهم إثر بعض، لئلا

---

(١) سورة فاطر آية (٢٤).

(٢) سورة يونس آية (٤٧).

(٣) سورة الإسراء آية (١٥).

يطول أمد الانتظار ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ (١) أي بعضهم إثر بعض.

وأما بالتفصيل فإن ثلث القرآن بالتقريب يشتمل على قصص الأديان الأخرى مثل اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وبيان انحراف هؤلاء عن الطريق المستقيم، فنجد في هذا البيان أن القرآن يذكر الأسفار المقدسة التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء السابقين، وكيفية مواجهة الكفار والمشركين لأنبيائه، وحدوث صراع دائم بين الحق والباطل، وبين الخير والشر.

وقد ذكر القرآن الكريم ستة أديان في آية واحدة وهي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢).

كما أوضح القرآن الكريم الأصول للأديان الأخرى وهي باختصار:

**الأول:** يقرر القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى بعث لكل أمة نبياً ورسولاً لإقامة الحجة عليهم.

**الثاني:** الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين والكتب المنزلة عليهم واجب على كل مسلم.

**الثالث:** وقع التحريف والتغيير في جميع الأديان السابقة على الإسلام ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ

---

(١) سورة المؤمنون آية (٤٤).

(٢) سورة الحج آية (١٧).

ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[١].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٢].

**الرابع:** يقارن القرآن الكريم بين التوحيد، وتعدد الآلهة، فيندد بوجود الآلهة الكثيرة ويجعلهم سبباً لفساد العالم.

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣].

**الخامس:** القرآن الكريم يدعو إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وفيه إشارة جلية إلى معرفة الأديان الأخرى، ومقارنتها بغيرها لتكون المجادلة مع أهل الأديان بالعلم والأسس والمبادئ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[٤].

**السادس:** القرآن الكريم يقارن بين الخالق والمخلوق، ويستخف بمن يسوي بين الخالق والمخلوق ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا

(١) سورة البقرة آية (٧٥).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٧٩).

(٣) سورة الأنبياء آية (٢٢).

(٤) سورة العنكبوت آية (٤٦).

تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

**السابع:** القرآن يعلن بأن الإسلام هو دين الحق ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[2].

ويبين أن الله أكمل هذا الدين، ولن يستطيع أحد أن يحرفه أو يغيره بالزيادة والنقصان ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[3].

بخلاف الأديان السماوية الأخرى قبل الإسلام، فإنها كلها حُرِّفت وتغيرت وتبدلت.

وهذه بعض خصوصيات هذا الدين. وبناء على هذه التوجيهات الربّانية بدأ المسلمون يدرسون الأديان الأخرى دراسة موضوعية منذ فجر الإسلام.

## علم الأديان:

علم الأديان يشتمل على ثلاثة مباحث:

**الأول:** تاريخ الأديان: يدرس في هذا القسم تاريخ نشأة الدين وتطوره وتأثيره في المجتمع الإنساني.

وهنا يمتاز الإسلام باستعمال الإسناد منذ فجر تاريخه في ذكر الأحكام

---

(١) سورة النحل آية (١٧).

(٢) سورة آل عمران آية (١٩).

(٣) سورة المائدة آية (٣).

والشرائع التي ورثها المسلمون عن رسول الله ﷺ جيلاً بعد جيل، فالإسلام الذي وصل إلينا في عقيدته وأحكامه، هو الإسلام نفسه الذي كان على عهد صاحب الشريعة ﷺ، بينما لا نجد للأديان السابقة سنداً متصلاً إلى أصحابها. فكتاب اليهود -وهو التوراة بجميع أقسامها- ليس له سند متصل من عزرا الكاهن الذي استطاع إعادة كتابة التوراة بعد غارة بختنصر إلى نبي الله موسى عليه السلام، وبينهما أكثر من سبعة قرون، إذ يؤكد مؤرخو النصارى أن عزرا الكاهن كان في حدود عام ٤٥٨ قبل الميلاد، وموسى عليه السلام في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وإذا نظرنا إلى كتب النصارى فإننا نكتفي بأن نقول: إن كتبهم ألفها رجال معروفون بأسمائهم وعصورهم، وأقرب كتاب بعهد المسيح عليه السلام هو كتاب مرقس الذي ألفه في حدود ٦٥ إلى ٧٠ م، ولم تشتهر هذه الكتب عند النصارى إلا في القرن الثاني الميلادي على لسان أرينوس في عام ٢٠٠م وكليمنكس ٢١٦م، وأول من ذكر كتاباً فيه سيرة المسيح عليه السلام هو «بابياس» أحد المؤرخين في القرن الثاني، ويؤكد «ويل ديورانت» في كتابه قصة الحضارة[1] أن الكُتّاب الذين عاشوا في نهاية القرن الأول لم ينقلوا قطّ من هذه الأناجيل المعروفة.

وعلاوة على ذلك فإن الكتّاب لم يكونوا عالمين باللغة التي تكلم بها المسيح عليه السلام وهي السريانية، فمعظم هؤلاء كتبوا أناجيلهم باليونانية، ثم ترجمت منها إلى اللاتينية، ومنها إلى لغات العالم الأخرى، والمترجمون

---

(١) قصة الحضارة (٢٦٧/١١).

لا يزالون مجهولين. هذا ما يتعلق بكتب أهل الكتاب.

وأما كتب المجوس من الهندوس، والبوذيين، وعُبّاد النار من الفرس وغيرهم فأمرهم أدهى وأمرّ.

ويكفي أن نقول: إن تعاليم كانت تنقل شفوياً لأكثر من ثلاثة قرون، وفي القرن الثاني قبل الميلاد اعتنق ملك الهند «أشوكا» (ASHOK) الديانة البوذية فأمر بتدوين تعاليمه على اللوحات. ونصبها على الأماكن المختلفة، ومن هذه اللوحات التي وجدت في الحفريات عرفنا من هو بوذا، وما هي تعاليمه؟

وباختصار أستطيع أن أقول بكل تأكيد: إن هذه الأديان لم تصل إلينا كما أراد أصحابها بأسانيد متسلسلة كما وصل إلينا الإسلام.

**الثاني**: فلسفة الأديان: يعنون بها الأسس والمبادئ التي يستند إليها الدين من عقيدة وشريعة، وأخلاق ومعاملات، ومن أهم المباحث في هذا القسم: مسائل ما وراء الطبيعة التي تسمى على لسان الدين: موضوع الألوهية: أو اللاهوتية.

**الثالث**: مقارنة الأديان: يدرس في هذا القسم الخصائص والمميزات لكل دين لغرض المقارنة فيما بينها.

**التصنيف في الأديان:**

للعلماء طريقان في التصنيف في الأديان:

**الأول**: التصنيف في الأديان من حيث الوضع، فقالوا: الأديان على قسمين: قسم سماوي، كالإسلام، والنصرانية، واليهودية، وقسم غير

سماوي كالهندوسية، والبوذية، والزرادشتية، والصينية.

**الثاني**: التصنيف من حيث الجغرافيا. فجعلوا الإسلام، والنصرانية والبوذية أدياناً عالمية، بينما جعلوا اليهودية، والهندوسية، وبعض الأديان الشرقية أدياناً قومية، أو أدياناً شعبية.

ونسجل هنا اعتراضنا على من جعل النصرانية ديناً عالمياً، لأن دعوة المسيح عليه السلام كانت لليهود خاصة، وأن المسيح عليه السلام ما جاء إلا لإكمال شريعة موسى عليه السلام كما يقول متى في كتابه المسمى بالإنجيل على لسان المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل».

يقول سعد بن منصور كمونة اليهودي -وهو من رجال القرن السابع الهجري- في كتابه «تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث»: «تفسير أحكام التوراة كإباحة لحم الخنزير، وترك الختان، والغسل مروي عن الحواريين لا عن السيد المسيح، فإنه لم يزل متمسكاً بأحكامها إلى أن قبض عليه اليهود.» ثم قال: «وأكثر هذه الأحكام كانت على رأي بولس الرسول» انتهى.

لأنه لما فشل بولس في إقناع المسيح في حوض البحر الأبيض المتوسط، توجه إلى البلاد الشمالية الغربية من إنطاكيا التي هي في شمال سوريا، فميسا، إلى مكدونية، من البلاد الأوربية، وأحدث في المسيحية فكرة جديدة وهي -عالمية المسيحية- بينما كانت دعوة المسيح قاصرة على الأوساط اليهودية فقط. لذا نرى المسيحيين لما عيّرهم بعض اليهود بالمسيحية لم يرضوا بهذه النسبة لأنهم كانوا يرون أنفسهم من اليهودية.

يقول «بطرس» مخاطباً لهم في رسالته الأولى[1]: «وإن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم». وقد أكد غير واحد من العلماء أن المسيحية كانت تعتبر فرقة من اليهود في حدود عام السبعين الميلادي، وكانت تسمى النصرانية.

يقول شارل جنيبر في كتابه: المسيحية ونشأتها وتطورها: «إن المسيحية حركة يهودية، وهي تبدو أولاً على وجه التخصيص، كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود، ولا مكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودي، وقد بدأت بهذه الحركة وقد قال المسيح ﷺ كما يقول متى في كتابه الإنجيل: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» [2].

وفي إنجيل برنابا: وقد أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء.

وأما القرآن فيشير إلى هذه الحقيقة في أكثر من آية، منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦ ﴾ [4].

---

(١) (١٦/٤).

(٢) متى (٢٤/١٥).

(٣) سورة آل عمران آية (٤٩).

(٤) سورة الصف آية (٦).

وأخيراً انظروا ما قاله المؤرخ «حبيب سعيد» المتعصب للمسيحية في كتابه «أديان العالم»: «إن الإنجيل في جوهره رسالة جامعة شاملة ليس فيها ما يقتصر فقط على أمة واحدة أو جنس واحد، أو طبقة واحدة من الناس، ولم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالتْ، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنتْ إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية، وعرف أنها لليهودي، والأممي، والبربري، واليوناني، والذكر، والأنثى دون تفريق أو تمييز».

وهو رأي «وليم باتون» أيضاً في كتابه «أديان العالم الكبرى» فكل هؤلاء قد اعترفوا بأن بولس اليهودي: هو الذي جعل النصرانية ديناً عالمياً، وأخرجها من كونها واحدة من فرق اليهود لئلا يتشتت شملهم وتتفرق وحدتهم، ولذلك عجز بولس من إتيان أدلة قاطعة من كلام المسيح عليه السلام على ما ذهب إليه، لذا فمن حقنا أن نقول: إن عالمية النصرانية من بدع بولس وخرافاته، لأنه لم يدخل في النصرانية إلا لإفسادها من داخلها كما هو معلوم.

## مصادر الأديان:

ذهب العلماء في معرفة مصدر الدين إلى رأيين مختلفين:

**الأول:** أن مصدر الدين هو الإنسان نفسه، كما ادعى «البوذا» بأنه كشف أسرار الكون، وحقيقة الموت، والحياة -على حد زعمه- بتأمله الذاتي. وإلى هذا المذهب يدعو في العصر الحاضر «مهاريشي» [1] في

(١) والمهاريشي هو: ماهيش حوكي (MAHESH JOGI) يعيش في أمريكا، وقد أنشأ =

الولايات المتحدة، وأوربا. وهذا الرجل متأثر إلى حد كبير بالفكرة الويدانتية التي تعتبر أقدم مصدر لمعرفة عقيدة وحدة الوجود، وهي أن هذا العالم وحده هو الحق، وأن الإله هو مجموعة أجزائه غير مفارق للعالم إذ جوهرهما واحد، وهو اللاهوتية، وإذا كنا نرى فيه ذوات ناسوتية فما هي إلا خدعة عين يسميها فلاسفة الهنود (مايا).

ولا بأس أن نقف هنا وقفة سريعة لمعرفة كتاب «ويدانت» فنقول: يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس، وهو صغير في حجمه كبير في تأثيره في الفكر الهندي الفلسفي، وقد اختلف المحققون في زمن تأليفه، ثم اتفقت كلمتهم على أنه ظهر في الفترة ما بين بوذا، في القرن السادس قبل الميلاد، والمسيح عليه السلام لأن مؤلفه ينتقد كثيراً تعاليم بوذا الإلحادية.

---

= مذهباً جديداً أطلق عليه «علم الذكاء الخلاق» وقد تمكن بشدة دهائه جمع عدد كبير من الأمريكيين والأوربيين حوله كما استطاع إنشاء جامعة كبيرة في ولاية كاليفورنيا سماها (جامعة المهاريشي العالمية) عام ١٩٧١م لنشر مبادئه الهدامة، وقد تقدم إلى بعض الدول الإسلامية والعربية فتح جامعة مهاريشيّة فيها، وعند ما كنتُ في رابطة العالم الإسلامي كلفتُ بوضع تقرير شامل عنه، وبناء عليه تم اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع دعوته في العالمين الإسلامي والعربي. والحمد لله على ذلك.
يقول هذا الرجل: إن اللإنسان بتفكيره العميق وبمشاهدته للظواهر الطبيعية يستطيع الوصول إلى الحقيقة المقدسة التي قد لا تظهر للعيون القاصرة، وقد طرد هذا الرجل من أمريكا في الآونة الأخيرة بتهمة الغش والغبن، ولا يزال مصيره مجهولاً.

وفي الكتاب أربعة أبواب وستة عشر فصلاً:

**الباب الأول:** يتحدث عن عبادة برهما (أي الخالق) وطريقتها.

**والباب الثاني:** يشتمل على مسائل وحدة الوجود والرد على المبادئ البوذية والجينية.

**والباب الثالث:** يبين طريقة حصول النجاة وهي طريقة العبودية الكاملة التي تسمى عند المتصوفين: الفناء الكامل.

**والباب الرابع:** يوضح جزاء المجتهد في العبادة وهو الاتحاد بالروح العلياء. لأن «ويدانت» يعترف بثلاثة أصول هي:

١- الروح أزلية قديمة.

٢- الكون هو الإله.

٣- الخدعة مستورة وراء الحقائق.

وأعود إلى موضوعي فأقول: كان الفيلسوف الصيني الكنفشيوس يدعو إلى فكرة التأمل الذاتي في القرن الخامس قبل الميلاد (٥٥١-٤٧٩) ويمنع أصحابه أن ينظروا في الكتب الدينية، فكانت أفكاره تمثل نزعة فلسفية إنسانية، ولم يكن أساس تعاليمه على أي كائن أعلى، ويقولون: إنه زجر أحد تلاميذه لأنه كان يفكر في الموت وقال له: إذا كنت لا تعرف الحياة فماذا تعرف عن الموت؟

ولذا نرى أن الجماهير من أبناء هذه النحل وقعوا في كثير من الأوهام والخرافات. ونتيجة لذلك ظهرت الوثنية في المجتمعات التي اعتمدت على محض العقل والفكر في معرفة مصير الكون وحقيقة الحياة. فبدأ الناس

يعبدون المظاهر الطبيعية كالأشجار، والأنهار، والأحجار، والقوى الخفية كالأرواح، والملائكة والجن..

**الثاني**: أن الوحي هو مصدر الدين: يؤكد أصحاب هذا الرأي أن الدين وحي من عند الله، وأن الإنسان الأول قد عرف فكرة الدين، ودان بالتوحيد عن طريق الوحي الإلهي. فإن العقل قاصر عن إدراك حقائق ما وراء الطبيعة.

وإلى هذا الرأي يذهب جميع أصحاب الأديان السماوية، وقد ذهب جماعة من المسلمين وهم المعتزلة إلى القول بأن العقل يدرك الحسن والقبح، والخير والشر بدون حاجة إلى وحي، ولكنهم لم يدّعوا كفاية المدركات العقلية لتنظيم المجتمعات البشرية، بل قالوا بضرورة الوحي للتأكد من صحة تلك المدركات العقلية.

وهي نظرية التوحيد الفكري البدائي. وقد أثبتت الدراسات الأثرية أن عقيدة التوحيد والإيمان بالإله الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في المجتمعات البشرية، وما الوثنيات إلا أعراض طارئة وأمراض عقلية متخلفة.

فقد أثبت «لانج» (LANGE) اعتماداً على الدراسات الانترولوجية التي قام «هوايت» و «ت. هـ. مان» وجود عقيدة الإله الأكبر عند القبائل الإفريقية البدوية كالبوشمان، والهوتنتوت، والزولو، وعند قبائل استراليا الجنوبية والشرقية، وعند بعض قبائل الهنود الأمريكيين، وهي قبائل تمثل أشد القبائل بداوة، وأقربها إلى الحالة الأولى التي كانت عليها الإنسانية قبل أن تتأثر بالبيئة، والاجتماع، كما أثبت شريدر (SCHROEDER)

وجود فكرة التوحيد عند الأجناس الآرية القديمة، كمـا أثبتـها بروكلمـان (BROCHELMAN) عند الساميين قبـل الإسـلام، وقـد ادعـى «شميـدت» (SCHEMIDET) أن فكرة الإله الأعظم توجد عند جميع الشـعوب الذيـن يعدون من أقدم الأجناس البشرية.

## دراسات الأديان عند المسلمين

ويظهر من فهرست ابن النديم أن أول بعثة علمية خرجت من جزيرة العرب لدراسة الأديان الأخرى خرجت في أواخر القرن الثاني في عهد يحيى بن خالد البرمكي، وزير الدولة العباسية، فقد بعث رجلاً إلى الهند، وأمره أن يكتب له عن أديانها وأساطيرها. وأن الكتاب الذي ألفه هذا الرجل وقدمه إلى يحيى بن خالد البرمكي وصل إلى ابن النديم بخط يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى سنة ٢٥٢هـ. وفيه أحوال الهند، وعادات الهندوس، وعدد آلهتهم، وطريقة عبادتهم، وأوضاع معابدهم وما إلى ذلك.

يقول ابن النديم في الفن الثاني من المقالة التاسعة في فهرسته: «نسختُ هذا الكتاب من كتابٍ يومَ الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين، لا أدري الحكاية التي في هذا الكتاب لمن هي؟ إلا أني رأيته بخط يعقوب بن إسحاق الكندي حرفاً حرفاً، وكانت تحت هذه الترجمة ما هذه حكايته بلفظ كاتبه: حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث رجلاً إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم، وأن يكتب له أديانهم، فكتب له هذا الكتاب».

قال محمد بن إسحاق: «الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرمكة[1]». ثم يذكر أحوال المعابد، وأسماء الأصنام

(١) الفهرست ص (٤٨٤) وسبب اهتمام البرامكة بأديان الهند لعله يعود إلى أن جدهم كان بوذياً، بل وكان من سدنة المعابد البوذية في تركستان، فإن كلمة «البرامكة» أصلها في السنسكرتية «برمكوها» ومعناها رئيس المعابد.

عبادة الهندوس للآلهتهم، ثم تصورهم عن الله تبارك وتعالى وما إلى ذلك بشيء من التفصيل. هذا ما يتعلق بأديان الهند وأهله.

ثم ذكر في المقالة الخامسة -وهي عن المتكلمين والمعتزلة- الحسن بن أيوب، وقال عنه ما يأتي: «وله كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم وتثبيت النبوة»(١).

ومن هنا ينكشف خطأ العالم السويسري «آدم متز» في كتابه: «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع» (٢) حيث يقول: «إن المسلمين تأخروا في دراسة الأديان الأخرى إلى القرن الرابع» وفيه تحامل على المسلمين، وتجاهل بتاريخهم، وقد تبعه بعض الكتاب المسلمين، وصوروا المسلمين جهلة بالأديان الأخرى، والحق أنهم هم الجاهلون بتاريخ الإسلام والمسلمين.

وأما القرن الرابع فقد ازدهر فيه هذا العلم، وترعرع عند المسلمين وكثير فيهم الكُتّاب، والمؤلفون وإليكم أشهرهم على ترتيب وفياتهم:

١- النوبختي (ت ٣١٠هـ).

وهو الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي، صاحب كتاب «فرق الشيعة». يظهر أنه فارسي الأصل، استوطن بغداد، وكان على عقيدة المعتزلة والشيعة، وله كتاب «الآراء والديانات» ولم يتمه، وكتاب آخر هو «الرد على أصحاب التناسخ».

---

(١) (٢٤٦).

(٢) (٣٨٤/١).

٢- المسعودي (ت ٣٤٦هـ).

وهو علي بن الحسين بن علي من ذرية عبد الله بن مسعود، مؤرخ، ورحالة، وبحاثة، من أهل بغداد، وكان معتزلياً، له «المقالات في أصول الديانات» و «المسائل والملل في المذاهب والنحل».

٣- المسبحي (ت٤٢٠هـ).

وهو محمد بن عبد الله بن أحمد المسبحي أصله من حران، عالم بالأدب والتاريخ، وكانت له يد طولى في معرفة الأديان. له: «درك البغية في وصف الأديان والعبادات».

٤- أبو منصور البغدادي (ت٤٢٩هـ).

وهو عبد القاهر البغدادي التميمي الاسفرائيني. كان من أئمة الأصول، له «الفرق بين الفرق» (مطبوع) وكتابه في الأديان «الملل والنحل» لا ندري عنه شيئاً.

٥- البيروني (ت ٤٤٠هـ).

وهو محمد بن أحمد أبو ريحان الخورازمي، أقام في الهند بضع سنوات، واطلع خلالها على كتب الهندوس، وعاداتهم وعقائدهم، فألف كتابه الشهير «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» وهو مطبوع.

يقل «آدم متز»: وجعله كتابه حكاية لمذاهب الهند على وجهها، لا كتاب حجاج وجدل، ولذلك لم يناقض الخصوم، ولم يتخرج من حكاية كلامهم وأد بائن الحق[1].

---

(١) (٣٨٥/٢).

٦- ابن حزم (ت٤٥٦هـ).

وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، إمام الظاهرية ومحدث الأندلس، وقف على كتب كثيرة في الديانات والملل، ورأى أن البعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليط والشغب، مما جعله ينظر فيها. حتى استطاع أن يؤلف أشهر كتاب في الإسلام في بيان زيغ اليهود والنصارى والصابئة والمجوسية وهو «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وهو مطبوع أيضاً.

٧- الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ).

وهو محمد بن عبد الكريم أبو الفتح المعروف بالشهرستاني أحد فلاسفة الإسلام وإمام في علم الكلام والأديان، ويظهر أنه ألف كتابه المعروف «الملل والنحل» بعد أن وقف على كتب كثيرة في الموضوع كما يبدو من كلامه في مقدمة كتابه إذ يقول فيها: «فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم، من أرباب الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون. عبرة لمن استبصر، واستبصاراً لمن اعتبر» بحق يعتبر كتابه دائرة معارف لمعرفة الأديان والفرق. والكتاب مطبوع مع كتاب ابن حزم كما طبع أيضاً بتحقيق محمد سيد كيلاني.

٨- أبو عبيدة الخزرجي (ت ٥٨٢هـ).

وهو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري

الخزرجي فقيه الأندلس مؤلف كتاب «بين المسيحية والإسلام».

وذلك أنه لما قضى الله على قرطبة بأيدي المسلمين واندثر ملكها وتفرق أهلها، بدأ بعض القساوسة يشككون المسلمين في عقيدتهم وسلكهم، وتجرأ القسيس «حنا مقار» أن يدعو أبا عبيدة الخزرجي أحد أعلام المسلمين للدخول في المسيحية، فردّ عليه أبو عبيدة مفنداً مزاعمه، وشارحاً له ما حرفوه من دين الله، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد شامة.

ومن الموضوعات التي دار حولها النقاش هي:

التثليث عند النصارى. وصلب المسيح. ومشكلة الخطيئة الأولى. ومعجزات المسيح عليه السلام. ومعجزات الحواريين. وطبيعة المسيح. وخوارق العادات التي تظهر في الكنائس. والشرائع في التوراة والإنجيل. والطلاق في المسيحية. وتعدد الزوجات في اليهودية والمسيحية والإسلام. والقتال في الأديان الثلاثة. وتحريف التوراة والإنجيل. والجزاء الأخروي في الأديان الثلاثة وغيرها.

٩- ابن تيمية ( ت٧٢٨هـ).

وهو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني مؤلف كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» من أوسع الكتب الإسلامية في الرد على افتراءات النصارى على دين المسيح عليه السلام. مطبوع.

١٠- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

وهو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي

المشهور بابن قيم الجوزية. مؤلف كتاب «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» وطبع هذا الكتاب من قبل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ثم توالت وتتابعت حركة التأليف في الأديان والفرق عند المسلمين طوال قرون عدة. وكان لعلماء المسلمين في الهند جهود طيبة في تفنيد مزعم أعداء الإسلام من الهندوس والنصارى على حد سواء، ففي الرد على النصارى كتب الشيخ رحمت الله بن خليل الله الكيرانوي (ت ١٣٠٨هـ) كتاب المشهور «إظهار الحق لبيان تحريف اليهود والنصارى في كتبهم المنزلة». وقد لقي هذا الكتاب إقبالاً لا نظير له في الكتب الإسلامية التي تعالج هذا الموضوع، فترجم إلى أكثر لغات العالم.

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا في مقدمة «إظهار الحق»: «ألفه الشيخ رحمة الله باللغة العربية في مدينة القسطنطينية بتركيا سنة ١٢٨١هـ ثم ترجم إلى اللغات التركية باسم «إبراز الحق» ثم قامت الحكومة العثمانية بترجمته إلى شتى اللغات الأوربية -الإنجليزية والفرنسية وغيرهما- وقد طبع في مصر كثيراً، ومن تلك الطبعات: طبعة سنة ١٢٩٤هـ، وسنة ١٣٠٥ هـأ وسنة ١٣١٦هـ وسنة ١٣٠٩هـ وسنة ١٣١٧هـ وترجمه الأستاذ سليم الله إلى اللغة الأردية، ولكن لم يطبع حتى الآن، وترجمه الشيخ غلام الرانديري إلى اللغة الكجراتية -الهندية- وترجمه أحد العلماء من الكجراتية إلى الإنجليزية» انتهى.

وأخيراً ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الأردية وعلق عليه الشيخ محمد تقي العثماني ابن الشيخ محمد شفيع رحمه الله.

وقد اعترف العلماء المسيحيون بالمادة العلمية التي يحتوي عليها هذا الكتاب. وكان للعلماء المسلمين الهنود الآخرين جهود موفقة ومثمرة أيضاً في الرد على الهندوسية والبوذية والنصرانية. فإن القرن الثامن عشر الميلادي بسط فيه الاستعمار البريطاني حكمه على الهند بمساندة بعض الولاة من الهندوس والسيخ على أنقاض الحكم الإسلامي المغولي. حتى كأن الإسلام وقع في قفص الاتهام، فهاجمه الهندوس من جانب، والإنجليز من جانب، وفي هذه الفترة ظهر من الهندوس زعماء مصلحون -على حدّ تعبيرهم- وكان أشدهم خطراً على الإسلام والمسلمين «ديانند سارسوتي» (١٨٣٤-١٨٧٧م) مؤسس جماعة آريا سماج، وألف كتابه الخطير «ستيارتها بركاش» يعني «نور الحق» الذي طبع أول مرة عام (١٨٧٤م) وهاجم فيه الإسلام بكل شدة وعنف، وتعصب له رجال من «آريا سماج» فترجموه إلى شتى اللغات الهندية والعالمية. ومعلوم أن الهند وحدها فيها أكثر من أربع عشرة لغة، فانتشر هذا الكتاب المسموم في أنحاء الهند، وكاد المسلمون يستسلمون لليأس لولا أدركتهم رحمة من ربهم، فقيض الله في أوائل القرن العشرين الميلادي الشيخ ثناء الله الأمرتسري من كبار زعماء أهل الحديث ورئيسهم، فأطلق عنان قلمه، وألف سلسلة من الكتب في الرد على الهندوسية والنصرانية. وكان أشهرها كتابه «حق بركاش» في الرد على كتاب «ديانند». أوضح فيه جهل ديانند وتحريفه لكتاب الله، وتعصبه الأعمى للثقافة الآرية كما ردّ على النصارى ببعض كتبه مثل (الإسلام والمسيحية) و (تقابل ثلاثة) وغيرها وأعلن يطلب من يناظره في

الإسلام والأديان الأخرى، وما زال على هذا إلى أن توفي عام ١٩٤٨م رحمه الله رحمة واسعة.

وإن ننسى فلا ننسى هنا ما قام به الشيخ إمام الدين رام نكري رحمه الله فقد عكف على كتابة الردود على الهندوسية والبوذية طيلة حياته بالأردية والهندية، وتأثر بكتبه كثير من الشباب الهندوس، فمنهم من هداه الله إلى الإسلام، وقد توفي رحمه الله عام (١٩٨٤م) وترك وراءه أكثر من عشرين مؤلفاً في الرد على الأديان الباطلة.

وهناك أمر أحب أن أشير إليه وهو أن الكُتّاب الهندوس لهم بعض العذر في سوء فهمهم للإسلام، لأن المسلمين رغم حكمهم للهند طوال ثمانية قرون لم يتوجهوا إلى ترجمة الكتب الإسلامية باللغة الهندوسية، بله السنسكريتية التي تعتبر إحدى أمهات اللغات، وفيها كتب الهندوس فأكثر الكتاب منهم (أي من الهندوس) في معرفتهم للإسلام يعتمدون أساساً على كتب المستشرقين الذين أساءوا إلى الإسلام، كما هو معلوم لدى الجميع، ثم على كتب الشيعة لأن الذين اشتهروا في الهند بالكتابة عن الإسلام باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية وغيرها أكثرهم من الشيعة.

وأوضح ذلك بمثال فإن في مكتبتي أكبر كتاب بالهندية لمعرفة أديان العالم (وشّيو دَهرْمَا) مؤلفه البروفسور (بهاري لال ورما). والباب الخامس من هذا الكتاب عن الإسلام. وبعد الرجوع إلى المصادر التي اقتبس منها المؤلف معلوماته عن الإسلام لم أجد مصدراً موثوقاً به ألفه أحد من المسلمين.

ولا مانع أن أسرد للقراء هذه المصادر للوقوف على حقيقة الوضع:

أولاً: إسلام دهرم كي روب ريكها: أي خطوط عريضة حول الإسلام. للمؤلف: (راهول سنسكرتايان) الهندوسي.

ثانياً: أعياد الإسلام. للمؤلف: (ماهيش برشاد) الهندوسي.

ثالثاً: ستيارتها بركاش. للمؤلف: (ديانند) وقد مر ذكره.

رابعاً: ترجمة معاني القرآن. لمحمد علي القادياني (اللاهوري).

خامساً: MOHAMMED THE PROFET OF DESERT للمؤلف (ك. ايل. كويا).

سادساً: PHILACHFI OF QURA-AN للمؤلف: (جي سروار).

سابعاً: NATION OF ISLAM للمؤلف: مرزا نادر بيك الشيعي.

ثامناً: الإسلام. المؤلفة الآنسة: (ايني باسنت).

تاسعاً: ISLAMIC CULTURE المؤلف: (أي. أي. فيض الشيعي).

هذه هي المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في الكتابة عن الإسلام، فماذا كان يرجى من المسكين أن يكتب عن الإسلام غير ما كتبه؟ ولكن كتابه هذا طبع إلى الآن عدة مرات واشتهر بين العامة والخاصة.

وعليه فإن الضرورة كانت وما زالت تقتضي على المسلمين بكل إلحاح أن يقوموا بتأليف كتاب موسوعي عن الإسلام معتمدين على مصادر موثوق بها ليكون بأيدي غير المسلمين عامة والمؤلفين منهم خاصة. أسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً لخدمة الإسلام والمسلمين، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

حرر بالمدينة المنورة. **المؤلف**

١٠ رمضان ١٤٠٤هـ. عفا الله عنه.



# اليهودية

# تاريخ اليهود

تعتبر أرض فلسطين وما يجاورها شرقاً وشمالاً من أخصب الأراضي الغنية بالخيرات الزراعية والمعدنية منذ العصور القديمة. واصطلح الإنجليز أن يطلقوا على هذه المنطقة «الهلال الخصيب» وهي تشتمل على سوريا، ولبنان، وفلسطين، وشرقي الأردن، والعراق، والبعض يدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن «الهلال».

ولما أخذ الجفاف ينتشر في المناطق الصحراوية اضطر الإنسان والحيوان إلى الهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة.

وأقدم هجرة حفظها التاريخ هي هجرة سكان الجزيرة العربية من الكنعانيين.

**الكنعانيون وأصلهم:**

وهم من ذرية كنعان بن حام بن نوح ﷺ وقد نسب إليه سكان الجزيرة العربية، وهم في أدق التقدير هاجروا إلى أرض فلسطين في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد. واستوطنوا في وسط فلسطين، وباسمهم سميت «أرض كنعان» وهو الاسم الذي يكثر وروده في التوراة. وإليهم يرجع الفضل في تأسيس حضارة فلسطين القديمة. وكانت المستوطنات الكنعانية منقسمة إلى دويلات صغيرة محصنة على غرار دويلات المدن في جنوبي العراق. وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها، فاضطرت بعضها إلى التمركز في سفوح جبال لبنان. هكذا نشأت أهم

المدن الكنعانية في سفوح الجبال على السواحل. وقد سمى اليونانيون مجموعة هذه المدن البحرية التي كانوا على اتصال بها «فينقيا»، (PHOINIX) [١] ومعناه «أرجواني أحمر» .

وظل الفينيقيون متصلين بالكنعانيين حتى عهد الرومان، ويرى «غستاف لوبون» أن قبيلة غير سامية هاجرت من جزيرة «إقريطش» من اليونان تعرف باسم الفلسطين، وملكت الساحل (الجنوبي) في أرض فلسطين[٢].

النشأة الأولى لمدينة القدس كانت على أيدي العرب اليبوسيين الذين وصلوا إلى موقع القدس في موجة انتقال بشري من شبه الجزيرة العربية في حدود عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد.

وقد أثبت علماء الآثار بعد الحفريات والتنقيب، بعد دراسة بعض الآثار من حصون المدينة أنها أنشئت عام ١٨٠٠ قبل الميلاد، أي قبل غزوة العبرانيين لها قرابة ٨٠٠ قبل الميلاد.

والقبائل التي يكثر ذكرها في التوراة المزعومة منهم العماليق، وهم من العرب الخلص، وأنهم سكنوا فلسطين الوسطى والجنوبية قبل وصول العبرانيين إليها. وأما التراث الإسرائيلي فينص على أنهم من ذرية عيسو ابن إسحاق من زوجته رفقة.

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ص (١٩).

(٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص (٢١) هكذا اسم القبيلة بالطاء بينما يكتب بالتاء «فلستين».

وبعد عهد يشوع تمكن الإسرائيليون الوافدون من خارج فلسطين من الاستيلاء على «غزة»، و«عقرون» [١]، ولكن عاد الفلسطينيون فأوقعوا هزائم شديدة بالإسرائيليين في أواخر عهد القضاة، واستولوا على تابوت العهد، وبقي الإسرائيليون تحت حكمهم أربعين سنة حتى ظهر شمسون، فحارب الفلستينيين. وفي عهد صموئيل استرجع الإسرائيليون المدن الساحلية التي استولى عليها الفلستينيون، وكانت الحرب بينهم دولاً حتى تقلد الحكم نبي الله الملك داود عليه السلام خلفاً لشاول، فاستطاع أن يسترد تابوت العهد من أهل فلسطين.

وأقدم ذكر للفلسطينيين هو ما ورد في النصوص المصرية والأشورية، فقد سميت بلادهم باسم (PALASTU) أو (PILISTU) وهو نفس الاصطلاح اليوناني (PHILISTIA)، كما وقف علماء الآثار على معلومات وافية عن الفلستينيين في الكتابات والنقوش التي سجلها رعمسيس الثالث على جداران معبد «آمون» [٢]، وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات وهي: عمون في الشمال، ومؤاب في الوسط، وأدوم في الجنوب، ونُسِب هؤلاء إلى آرام بن سام ابن نوح. كما جاء في سفر التكوين في الإصحاحَ العاشر، الفقرة الثانية والعشرين.

---

(١) القضاة (١/١٨).

(٢) انظر: العرب واليهود في التاريخ ص (١٠٥).

ومن المرجح أن اشتقاق كلمة «إرم» الواردة في القرآن الكريم هو من اسمهم، لأن هؤلاء سرعان ما تحولوا من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية وأن خصب موقعهم ساعدهم على هذا التحول.

هذه هي القبائل التي كانت تسكن فلسطين وما حولها باختصار[1].

والإسرائيليون منذ ١٩٦٧ م بدأوا بالتنقيب، وإجراء الحفريات في محيط القدس، وخصوصاً أسفل قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، بحثاً عن الهيكل المزعوم، ولكنهم يئسوا من وجود الهيكل المزعوم، بل وقد وجدوا آثاراً وشواهد تؤكد عروبة المدينة، وتنفي أية صلة بالعبرانيين، وإن كان شيء من آثارهم فقد انتهت بعد حروب البابليين والإيرانيين، ولم يبق شيء من الآثار الإسرائيلية. وخاصة بعد حرب «طيطس» بل وقد أقام مكانه معبداً عظيماً لأحد آلهته، وغير اسم أورشليم إلى «إيليا» .

وأما المسجد الأقصى الذي هو مسرى خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد رسول الله ﷺ فجاء في حديث صحيح رواه البخاري[2] من حديث أبي ذر ﵁ قال: قلت: يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة...

---

(١) ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تاريخ أرض القرآن للسيد سليمان الندوي، والعرب واليهود في التاريخ للدكتور أحمد سوسة، واليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغستاف لوبون.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب (٦/٤٠٧).

ذكر الأزرقي وغيره روايات كثيرة في بناء المسجد الحرام منها أنه من بناء آدم. فمن الجائز أن يكون أحد أبنائه وضع أساس المسجد الأقصى بعد أربعين سنة من أساس بيت الله الحرام.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) فالآيتان تدلان على أنه كان للبيت مكان معروف سابق على بناء إبراهيم، وقد صح عن ابن عباس أنه قال: القواعد التي رفعها إبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك. ذكره ابن كثير في تفسيره.

وقوله تعالى في دعاء إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ (٣) فيه دلالة واضحة على كون البيت في هذا الوادي غير ذي زرع كان موجوداً قبل رفع قواعده، لأن رفع القواعد كان في أسفاره القادمة بعد أن بلغ إسماعيل رشده، وكان دعاؤه عندما كان إسماعيل رضيعاً، وتركه وأمه هاجر في واد غير ذي

---

(١) سورة الحج (٢٦).

(٢) سورة البقرة (١٢٧).

(٣) سورة إبراهيم (٣٧).

زرع بحكم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

ومن المعروف أن الأنبياء السابقين على إبراهيم مثل نوح وغيره كانت لهم بيوت للعبادة.

وبهذا يكون إبراهيم هو مجدد البيت لا مؤسسه.

وما نسب إلى داود عليه السلام من بناء مسجد بيت المقدس فهو تجديد، لأنه بعد مرور الزمان مُحِيَتْ آثاره، وامتلك الناس أرضه، فاشتراه داود عليه السلام وجدد بناءه، وأكمله ابنه سليمان عليه السلام، ونبينا ﷺ هو وارث الأنبياء جميعاً لأنه خاتم النبيين، وأسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فاستحق أن يكون الأقصى ملكاً لأمته إلى يوم القيامة.

ومسجد بيت المقدس سماه القرآن الكريم بالمسجد الأقصى، و لم يسبق له هذه التسمية في التراث الإسرائيلي القديم، وفيه إعجاز للقرآن الكريم، إذ لم يكن في ذلك الوقت المسجد النبوي الشريف الذي لأجله وُصِف مسجد بيت المقدس بالأقصى، وهو بمعنى الأبعد من الحرم المكي الشريف، وفيه إشارة إلى تأسيس حرم آخر يكون أقرب إلى المسجد الحرام من مسجد بيت المقدس، وبهذا ثبت حق المسلمين على المسجد الأقصى وما حوله من الأراضي المباركة التي قال الله عز وجل فيها:

(١) سورة آل عمران (٩٦).

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [(١)] والمسجد الأقصى من المساجد الثلاثة التي يشرع شدّ الرحال إليها كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

والمسجد الأقصى المبارك الموجود حالياً يعود فضل بنائه إلى الخليفة المسلم عبد الملك بن مروان، فإنه في عام ٦٦ هـ أمر ببناء قبة الصخرة وعمارة المسجد الأقصى، وكان الفراغ من بنائهما عام ٧٣هـ.

وبهذا ثبتت عروبة المدينة المقدسة وإسلامية المسجد الأقصى المبارك، ودعوى اليهود بأن المسجد الأقصى المبارك بني على هيكل سليمان لم تثبت أبداً في التنقيبات الجارية من قبل اليهود أنفسهم.

---

(١) سورة الإسراء (١).

# إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء

وهو من أولي العزم من الأنبياء، لقد أفاض القرآن الكريم في ذكره في مواضع عدة ابتداء من دعوته، وابتلائه، وبنائه الكعبة المشرفة، وغيره من الأعمال الجليلة التي قام بها إبراهيم عليه السلام.

وأما كتب اليهود فيعتبر سفر التكوين في سيرة إبراهيم من أقدم المصادر التاريخية والدينية، فأثبت أنه ولد في مدينة «أور» [١] إحدى مدن الكلدانية التي كانت تقع في الأرض ما بين النهرين جنوبي «بابل» في المنطقة التي نسميها اليوم بالعراق، وهي مدينة قديمة أنشئت منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وقد سكنها السومريون ثم العيلاميون ثم البابليون ثم الكلدانيون[٢] ويصل نسبه الشريف إلى نبي الله نوح عليه السلام، فهو إبراهيم بن تارح بن ناهور بن سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن صالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح ... بعد ٩٩٢ سنة من نوح.

وكان قومه وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم، ولا سيما القمر الذي كانوا يعبدونه إلهاً، ويسمونه «ننار» ويعدون أن له زوجة يسمونها

---

(١) التكوين (١١/٢٨). هذه هي الرواية المشهورة في مولد إبراهيم عليه السلام . وقال الآخرون: إنه ولد في بلدة «أوروك»، وفي رواية أخرى أن مدينة «كوثا» كانت مسقط رأسه، وبها ألقي في النار، وأطلال مدينة كوثا ما زالت حتى يومنا هذا تسمى «تل إبراهيم» وإلى جانب التل مزار يعرف بمقام إبراهيم.

(٢) انظر: اليهود لزكي شنودة ص (٣).

«ننحال» فلما بلغ الرشد واختاره الله نبياً، بدأ يدعو قومه إلى التوحيد، ويلومهم على عبادتهم للأصنام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ ﴾ [2].

وكان ملك بابل طاغياً يدعو إلى ألوهيته، ولما وصل إليه خبر إبراهيم عليه السلام دعا لمناظرته. وقد قص الله سبحانه في القرآن هذه المناظرة بأحسن أسلوب وأروع تعبير حيث قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [3].

ثم انتهى الأمر إلى امتحانه، حيث ألقاه قومه في النار، فأمر الله سبحانه وتعالى بالبرودة بقوله: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [4].

---

(١) سورة الأنعام (٧٤).

(٢) سورة الأنبياء (٥١-٥٢).

(٣) سورة البقرة (٢٥٨).

(٤) سورة الأنبياء (٦٩).

ولما ضاقت به «أور» هاجر مع الأقربين إلى مدينة «حران» التي كانت تقع على أحد فروع نهر الفرات في بلاد الآراميين التي كانت تمتد حدودها من جبال لبنان غرباً إلى ما وراء الفرات شرقاً، ومن جبال طوروس شمالاً إلى دمشق وما وراءها جنوباً. بيد أن أهل «حاران» كانوا وثنيين أيضاً. فراحوا كذلك يعادون إبراهيم ويضطهدونه، حتى أكرهوه على أن يرحل عنها، فأخذ زوجته «سارة» وابن أخيه لوطاً، وعبيده، ومواشيه، وعبر الفرات متوجهاً إلى أرض كنعان.

وفي رواية: أنه ترك ابن أخيه لوطا في «حاران» داعية، لأن أمير البلاد أسلم، ودخل في دينه، وطلب أن يبقى لوط والإرشاد.

وأما هو فتوجه مع زوجته إلى أرض كنعان، واستقر في مدينة «شكم» التي تسمى اليوم «بابلس» وقد تنقل بين المدن الكنعانية داعياً إلى الله مدة بيد أنه حدث أن انقطع المطر، وأجدبت الأرض[1] فاضطر كثير من سكان أرض كنعان إلى الهجرة منها. وكان إبراهيم وأهله أيضاً ممن هاجروا من تلك الديار إلى الديار المصرية، وذلك في عهد «هكوس»، وكان ملك مصر جباراً قاهراً، يغصب كل امرأة جميلة، إذا كانت ذات بعل. فأظهر إبراهيم عليه السلام أنها أخته[2] وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة واللفظ للبخاري: قال: « **لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث**

(١) انظر: سفر التكوين (١٢/١٠).

(٢) التكوين (١٢/١٣).

كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل: قوله: ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ وقال: بينا هو ذات وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن هاهنا رجلاً، معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، فقال: يا سارة! ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده، فأُخِذَ فقال: ادعي الله لي، ولا أضرك، فدعت الله، فأطلق، ثم تناولها الثانية، فأُخِذَ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو يصلي، فأومأ بيده: مهيم، قالت: رد الله كيد الكافرين –أو الكافر– في نحره وأخدم هاجر.» قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء![1].

وقول إبراهيم: « إنها أختي » يحتمل أنه أراد أنها أخته في الإسلام، إذ لم يسلم أحد سواها ولوط، أو أنها كانت بنت عمه.

قال الحافظ ابن حجر[2]: «أما إطلاق الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً، لكنه إذا حقق لم يكن كذباً، لأنه من باب المعاريض المحتملة لأمرين، فليس بكذب محض».

ثم من الوقائع التي حدثت بعد ذلك أن الملك تأثر بعلو منزلة سارة

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٦/٣٨٨) رقم (٣٣٥٨).

(٢) فتح الباري (٦/٣٩١).

فأكرم نزول إبراهيم وأهدى إلى سارة خادماً وهي هاجر، فوهبتها سارة لزوجها إبراهيم عليه السلام، فدخل بها فولدت له إسماعيل عليه السلام، وهو أبو العرب، ثم أكرم الله سارة أيضاً فولدت بعد ولادة إسماعيل بأربع عشرة سنة إسحاق: وهو جد بني إسرائيل، وفي ذريته بقيت النبوة إلى أن بعث الله محمد ابن عبد الله نبياً، وهو أول نبي من بني إسماعيل، وهو خاتم النبيين جميعاً.

آل إبراهيم:

ولد من هاجر إسماعيل وهو اسم عبري معناه: «يسمع الله» لأن إبراهيم دعا الله أن يهب له غلاماً فاستجاب الله دعاءه بعد ما بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة[١].

وإسماعيل هو أبو الساميين، وكان سبباً لخروج أمة عظيمة.

«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه - ها أنا أباركه وأثمره وأكثره جداً، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة» [٢].

وكان من آله آخر الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد رسول الله ﷺ وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن

---

(١) التكوين (١٦/١٦).

(٢) التكوين (١٧/١٨ و ٢١/١٢).

وهذه أسماء أبناء إسماعيل الاثني عشر: ١- نيابوت. ٢- قيدار. ٣- ادبئيل. ٤- مبسام. ٥- مستماع. ٦- دومة. ٧- ما. ٨- حدار. ٩- تيما. ١٠- يطور. ١١- نافيش. ١٢- قدمة. التكوين (٢٥/١٢-١٥).

كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا منتهى النسب الشريف المتفق عليه بين علماء الأنساب والفقهاء والمحدثين، وهو الذي ذكره الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه في مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ، واقتصر عليه.

وقد أخرج ابن سعد في الطبقات من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن النبي ﷺ إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان» ومع ذلك فقد اتفق النسابون على أن عدنان ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم فهو جد النبي صلى الله عليه وسلم. ففي صحيح مسلم: قال النبي ﷺ:

« **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل.**

**– واصطفى من كنانة قريشاً.**

**– واصطفى من قريش بني هاشم.**

**– واصطفاني من بني هاشم** ».

مع وجود الخلاف بين عدنان وإسماعيل في عدد الآباء؛ ففي مستدرك الحاكم، ومعجم الطبراني الكبير من حديث أم سلمة قالت: عدنان هو ابن أد بن بري بن إعراق الثرى، وإعراق الثرى هو إسماعيل.

قال الحافظ: «هذه أوفق الروايات في سياق نسب عدنان إلى إسماعيل» وقد ذكر أكثر من عشرة أقوال في الفتح وقال: «أصح الأقوال ما ذكره الحاكم والطبراني» [١].

---

(١) انظر: فتح الباري (٥٣٦/٦).

وقد دعا إبراهيم عليه السلام أن يبعث من ذرية إسماعيل رسولاً ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (١).

وأما أم إسماعيل فهي هاجر، وقد وقع الخلاف بين الروايات الإسلامية والإسرائيلية في كونها حرة أو أمة، وتنص التوراة على أن هاجر كانت أمة أهديت إلى سارة لخدمتها: «وأما سارة امرأة إبراهيم فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية هاجر، فقالت سارة لإبراهيم: هو ذا الرب أمسك عني الولادة، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين» (٢).

بينما يقول دبي شلوم أحد مفسري التوراة: «إن هاجر كانت بنت فرعون، ولما رأى فرعون معجزات سارة أهدى بنته لسارة لخدمتها، فإنه أحب أن تكون بنته خادمة لهذه المرأة الفاضلة» (٣).

وفي صحيح البخاري، في كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ من حديث أبي هريرة الطويل: «وأخدم هاجر قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء» (٤).

أي وهبها لخدمة سارة زوجة إبراهيم، وقيل: إن أباها كان من ملوك

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

(٢) التكوين (١٦/١-٢).

(٣) انظر: تاريخ أرض القرآن ص (٢٨٠).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٦/٣٨٨).

القبط، وإنها من حَفْن -بفتح المهملة وسكون الفاء- قرية بمصر.

وقد ألف بعض العلماء الهنود رسالة باسم «النصوص الباهرة في حرية الهاجرة».

وقول أبي هريرة: «تلك أمكم يا بني ماء السماء» كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل: المراد بماء السماء زمزم، لأن الله أنبعها لهاجر، فعاش ولدها بها، فصاروا كأنهم أولادها. قال ابن حبان في صحيحه: كل من كان من ولد إسماعيل يقال له: ماء السماء، لأن إسماعيل ولد هاجر، وقد ربي بماء زمزم وهي من السماء، وقيل غير ذلك[1].

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/٣٩٤).

# من هم الهكسوسيون الذين في عهدهم هاجر إبراهيم إلى مصر؟

لم تكد الأيام تنتهي بالأسرة الثالثة عشرة إلى أواخر حياتها، حتى أصبحت الأمور في حال من الفوضى، فوقعت مصر في أيدي الرعاة العربِ الساميين الذين يقال لهم: الهكسوسيون (HYKSOS)، وقد سماهم المؤرخون العرب «العماليق» وذلك في حوالي ألفي سنة قبل الميلاد.

وآراء المؤرخين تختلف عن أصل موطنهم، فمنهم من يقول: إنهم من القبائل العربية المنتشرة في فلسطين، وفي ربوع سوريا، وبلاد الجزيرة العربية نزحوا إلى مصر بسبب ما أصاب وديانهم من قحط وجفاف. ومنهم من يقول: إنهم هاجروا من الأقطار السورية حينما ضاقت عليهم أرضها بسبب ما حلّ بهم من ظلم حكام «ميتاني» من جهة، ولسبب ضغط المهاجرين الآراميين من جهة أخرى. وهذا هو رأي المؤرخ الألماني «إدواد ماير» الذي يرجح أن إغارة الهكسوس على مصر إنما وقعت في الثلث الأول من القرن السادس عشر قبل المسيح، وأنهم أغاروا عليها لاجئين مضطرين لما نزل بهم من حيف وضيق بعد ما وقعت هجرة الأرمين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد[١].

وعلماء اليهود والنصارى يرون أن يوسف عليه السلام ولد في عام ١٩٠٦ ق.م.

---

(١) انظر: في موكب الشمس (٢/٢٩٨).

ودخل السجن في حدود (١٨٩٠ ق. م.) فيكون حكم الهكسوسيين في مصر قبل ألفي عام من ميلاد المسيح، إلا أنهم لم يختلطوا بالمصريين، وكان لهم آلهة غير آلهة المصريين استصحبوها من الشام والعراق. ولذا لم يسم القرآن الحكام الهكسوسيين باسم «فرعون»، بل سماهم الملك كما في سورة يوسف: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ ﴾ (١) ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ﴾ (٢) ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ (٣) لأن تسمية «فرعون» لملوك مصر تسمية دينية، وكانوا من أنفسهم، ولكن أخطأ مرتبوا التوراة المزعومة فاستعملوا كلمة «فرعون» مراراً في قصة يوسف عليه السلام، ولم تستعمل كلمة «الملك» إلا مرة واحدة وذلك في أول قصة بني إسرائيل.

ولو كان القرآن الكريم من كتابة بشر لسار على منهج البيابيل في استعمال كلمة «فرعون» لأن هذه الكتب كانت المرجع الوحيد آنذاك لمعرفة هذه الأخبار الماضية (٤).

والمعروف أن عهد «فرعون» تأخر عن حكم الهكسوسيين أكثر من ثلاثة قرون، وفي عهد «فرعون» ولد موسى عليه السلام.

---

(١) سورة يوسف (٤٣).

(٢) سورة يوسف (٥٠).

(٣) سورة يوسف (٥٤).

(٤) القرآن والعلم العصري لموريس بوكاي (ترجمة عربية) ص (٧٥).

# الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

إن اليهود كعادتهم حرفوا حادثة الذبح ووضعوا اسم إسحاق عليه السلام في مكان الذبيح مع أن القرائن تدل على أنه إسماعيل.

وإليكم ما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين:

«وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم فقال: هأنذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، وأسعده، هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك، فبكر إبراهيم صباحاً، وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه، وإسحاق ابنه وشقق حطباً لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال الله له، وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك، ونسجد ثم نرجع إليكما، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة، ووضعه على إسحاق ابنه، وأخذ بيده النار والسكين، فذهبا كلاهما معاً، وكلّم إسحاق إبراهيم أباه وقال: يا أبي! فقال: هأنذا يا ابني، فقال: هو ذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة؟ فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني! فذهبا كلاهما معاً، فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بَنَى إبراهيم هنا المذبح، ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه، ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مدّ إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء، وقال: إبراهيم! إبراهيم! فقال: هأنذا، فقال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك

خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينيه، ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعقه محرقة عوضاً عن ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع «يهوه يراه» حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب «يرى» ثم ذهب إبراهيم إلى بئر سبع وسكن فيه».

هذه هي قصة الذبح في التوراة المزعومة، تستخرج من هذه القصة الأمور التالية:

١- إن الله أمره أن يذبح ابنه الوحيد.

٢- إن هذا الابن كان محبوباً لإبراهيم.

٣- إن إبراهيم كان سكن بئر سبع قبل الذبح، وبعد الذبح.

٤- يبعد المذبح «مريا» من بئر سبع مسافة ثلاثة أيام.

وفي ضوء هذه النقاط إذا نظرنا إلى آل إبراهيم اتضح لنا بوضوح أن الابن الوحيد لإبراهيم هو «إسماعيل»، لأنه ولد قبل أخيه بأربعة عشر عاماً كما جاء في التكوين، «فولدت هاجر لإبراهيم ابناً، ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل، وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام[1]، وكان إبرام ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه» [2].

فيفهم من هذا أن قصة الذبح كانت قبل ولادة إسحاق، لأن ابنه الوحيد البكر هو إسماعيل عليه السلام. وأن التوراة تنص على أن البكر هو

(١) (١٥/١٦).

(٢) (٤/٢١).

الذي يقدم للذبائح سواء كان من الإنسان أو الحيوان، وهي شريعة مستمرة من آدم إلى موسى عليهما السلام، ففي سفر التكوين: «وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه»[١].

هذا بموجب شريعة آدم وأولاده، وبقي هذا الحكم مستمراً إلى موسى عليه السلام فإن البكر هو الذي يخصص لله ويقدس كما جاء في سفر الخروج: «وحكم الرب موسى قائلاً: قدس لي كل بكر، كل فاتح رحم، من بني إسرائيل من الناس ومن البهائم، إنه لي»[٢].

ولا شك أن نبي الله إسماعيل بكر أبيه هو الذي استحق هذا الشرف ليكون في خدمة الله.

**الأمر الثاني:** قوله: ابنك الوحيد الذي تحبه.

وهذا واضح وضوح الشمس فإن حُبّ إبراهيم لإسماعيل لا يحتاج إلى إقامة دليل، لأنه ولد بعد ما بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة، وكان من نتيجة دعائه، ولذا سماه «إسماعيل» من استجاب الله دعاءه - أو «سمع الله».

ولذلك لما بشر بالابن الثاني وهو إسحاق عليه السلام لم يزد على قوله: «لله ليت إسماعيل يعيش أمامك»[٣].

ولما طلبت سارة من إبراهيم أن يفارق ابنه إسماعيل وأمه حزن إبراهيم من هذا الطلب: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم

(١) سفر التكوين (٤/٤).

(٢) (١٣/١-٢).

(٣) التكوين (١٧/١٨).

نمزح. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا تقبح في عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع قولها لأنه لإسحاق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك»[١].

كأن الله هدّأ فؤاد إبراهيم بقوله: إنه سيجعل منه أمة وقد كان محزوناً من طلب سارة مفارقة ابنه. وهو دليل على حبه له.

**الأمر الثالث**: إن إبراهيم كان يسكن بئر سبع عندما أمر بذبح ابنه ومنه أخذ ابنه وذهب إلى «مريا».

تنص التوراة على أن إبراهيم أخذ هاجر وابنها إسماعيل وتركهما في بئر سبع[٢] وسكن إسماعيل مع أمه في برية فاران[٣] إن صح ما تقوله التوراة فإن إبراهيم أخذ ابنه إسماعيل من بئر سبع وذهب إلى «مريا»، لأن ابنه إسحاق بقي مع أمه في أرض كنعان.

ويبدو أن محرري التوراة لم يلاحظوا هذه الأمور فاستعجلوا في إقحام اسم إسحاق عليه السلام في حادثة الذبح.

**الأمر الرابع**: ذهابه إلى «مريا» إذا نظرنا إلى موضع «مريا» واشتقاقه فهو في أصله «مروة» وأن التوراة تنص على أوصاف هذا الجبل بأنه بلوطة

---

(١) التكوين (٢١/٩-١٣).

(٢) التكوين (٢١/١٤).

(٣) التكوين (٢١/٢١).

مورة[١]. وفي النسخة العبرانية: «برية موره» ولا شك أن المترجمين غيروا هذا اللفظ، وصنعوا أصله من «مروة» - «مرية» - و «مريا» و «موريا» و «مورة» و «مورءياه» إلى غير ذلك.

والأمر الذي لا خلاف فيه بين اليهود والنصارى أن الذبيح كان جنب المعبد.

وهذه الأمور كلها تدل على أن ذلك كان في جوار بيت الله الحرام الذي يسمى الآن «مروة» والقرآن يقطع هذا النزاع بقوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢].

لأن البشارة الأولى كانت لإسماعيل كما أن البشارة الثانية هي

---

(١) التكوين (٦/١٢).

(٢) سورة الصافات (١٠٠-١١٣).

لإسحاق. والموضع الذي حدثت فيه قصة الذبح كان بجوار بيت الله الحرام الذي يسمى «واديا غير ذي زرع» وتتعارض نصوص التوراة بأن يكون إسحاق عليه السلام هو الذبيح، وذلك أن الله بشر إبراهيم بإسحاق وذكر عقبه أن يباركه كما جاء في سفر التكوين: «ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية» (١).

فهل من الممكن أن يخبر الله تعالى بأنه يقيم عهده مع إسحاق وهو لم يولد بعد، ثم يأمره بذبحه بعد ولادته. أو ليس فيه تناقض ظاهر؟ وأين يكون امتحان إبراهيم وقد علم سابقاً أن إسحاق يكون أبا أمة عظيمة. بينما لم يعلم هذا عن إسماعيل إلا بعد ولادة إسحاق -أي بعد حادثة الذبح.

ولا يقال: قد يكون إسماعيل توفي في حياة إبراهيم فلم يبق من ولده الذي وصف بأنه «الوحيد» إلا إسحاق. لأن إبراهيم مات عن إسماعيل وإسحاق. واشتركا في دفن أبيهما كما تقول التوراة:

«عاش إبراهيم مائة سنة وخمسة وسبعين سنة، وأسلم روحه، ومات بشيبة صالحة، شيخاً وشبعان أياماً، وانضم إلى قومه ودفنه إسحاق وإسماعيل في مغارة المكفيلة»(٢).

وأرى هذا القدر يكفي للتحقيق في الموضوع، والله الهادي إلى سواء السبيل(٣).

---

(١) التكوين (١٧/١٩).

(٢) التكوين (٢٥/٧-٩).

(٣) وللشيخ حميد الدين الفراهي أحد علماء الهند كتاب مؤلف في الموضوع.

## من هم العبريون؟

يقول الدكتور أحمد سوسة: «لقد اعتاد أكثر الذين كتبوا في تاريخ بني إسرائيل من إفرنج وعرب أن يستعملوا كلمة «عبري» أو «عبراني» بغير معناها الذي جاءت به المصادر القديمة، إذ كانت هذه الكلمة تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، وفيما قبل ذلك على طائفة كبيرة من القبائل في شمال جزيرة العرب، وفي بادية الشام. وكانت «العبرية» بمعنى لغة هؤلاء العبريين، أو آنذاك لغة أهل فلسطين الكنعانية، ولغة كثير من القبائل في طور سيناء، وفي شرقي الأردن، ومنهم العمالقة والمدنيانيون وغيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة «عبري» مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام. وبهذا المعنى وردت كلمة «الإبري» و «الهبيري» و «الخبيرو» و «العبيرو» في المصادر المسمارية والفرعونية. ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين. ولما وجد اليهود انتسبوا إلى موسى كانوا هم أنفسهم يقولون عن «العبرية» إنها لغة «كنعان» ثم انطوت «العبرية» الكنعانية في الآرامية التي غلبت على القبائل جميعاً بين فلسطين وسورية والعراق. وعندئذ أصبحت كلمة «عبري» تشمل جميع الآراميين، وكلهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلي في جزيرة العرب قبل أن يكون لليهود وجود» [(١)].

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ص (٢٤٣) وأحال إلى ولفنسون - تاريخ اليهود في بلاد العرب ص (ز) والعقاد -إبراهيم أبو الأنبياء ص (١٣٢).

ونجد لفظ «العبري» استعمل لإبراهيم خليل الله في التوراة المزعومة[١] فدعوى اليهود أن العبرانيين منحدرون من ذرية إبراهيم فيها مجازفة، بل نجد أن التوراة المزعومة كعادتها يناقض بعضها بعضاً. فمرة تخاطب الإسرائيليين بالعبرانيين، ومرة تتحدث عنهم كأنهم غرباء عن العبرانيين وليسوا منهم.

ففي سفر الخروج:

«وإذا اشريت عبداً عبرانياً، فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً» [٢] والمعروف أن العبيد لا يكونون عند الإسرائيليين إلا من غيرهم كما تنص على ذلك التوراة المصنوعة[٣] وتجاوزاً سَمَّى المصريون والفلسطينيون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء. ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة «عبري» التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى - حياة البداوة والخشونة وأصبحوا يفضلون أن يعرفوا بني إسرائيل فقط[٤].

وأما ما يتعلق باشتقاق هذه الكلمة فلم يتفق علماء اللغة على شيء معين. فمنهم من ذهب إلى أنها مشتقة من «عربي» بطريق القلب. ومنهم قال بعكس ذلك. وهو أقرب إلى الصواب، فإن كلمة «عبري» سبق استعمالها

(١) التكوين (١٠/٢٤، ١١/١٤، ١٤/١٣).

(٢) سفر الخروج (٢١/٢).

(٣) انظر: سفر اللاويين (٢٥/٤٢، ٤٤، ٤٦).

(٤) تاريخ اللغات السامية ص (٧٨).

قبل الميلاد بألف وخمس مائة وستة في عصر سيدنا إبراهيم عليه السلام [١].

وأما كلمة «عربي» فاستعملت قبل الميلاد بتسعمائة سنة في الكتابات الآشورية، إذ وردت أول إشارة ثابتة إلى العرب في نقش للملك الأشوري «شيلمنصر الثالث» (٨٥٩-٨٢٤ ق. م.) الذي هاجم ملك دمشق عام ٨٥٤ ق. م. وقد سمي ملوك بلاد العرب بملوك (العربي) كما أطلقت كلمة «المريبي» على الآراميين والأروميين أيضاً مما يدل على أن الآشوريين كانوا يعتبرون الآراميين والأروميين من العرب[٢].

والقرآن الكريم عبر عنها بـ ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ [٣] وهو يوافق «عربا» تماماً. لأن هذه المناطق لم يكن لها اسم خاص في تلك الفترة من الزمن، فعبر عنها بما يؤدي المفهوم، ونجد مثل هذا في التوراة المزعومة حيث تذكر أن إبراهيم ترك ابنه إسماعيل في «برية فاران» وهي «واد غير ذي زرع».

---

(١) يقول إسرائيل ولفنسون في كتابه تاريخ اللغات السامية ص (٧٨-٧٩) لقد كشفت في تل العمارنة في مصر رسائل يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد عصر الملك «آمون حوطف» حيث كان بنو إسرائيل لا يزالون تحت سيطرة مصر، فقد ذكرت هذه الرسائل الموجهة من أمراء فلسطين الكنعانيين إلى عزيز مصر أن قبائل «عبيري» أو «حبيري» تغزو فلسطين وتتوغل من ناحية الصحراء في بلاد خاضعة للنفوذ المصري.

(٢) انظر: تاريخ العرب والبلاد في التاريخ ص (٢٤٨).

(٣) سورة إبراهيم (٣٧).

هذا بعد الاتفاق على أن العرب والعبري من جنس واحد، وأول من أطلق عليه لفظ «العبري» هو سيدنا إبراهيم خليل الله صلوات الله عليه قبل أن يوجد اليهود على وجه الأرض بقرون، ولذا يرد الله تبارك وتعالى على من يسمي إبراهيم يهودياً فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [1] أي لم يكن على دين «يهوه» إله اليهود. ولكن لماذا سمى إبراهيم خليل الله «عبريا» ؟ فالعلماء يختلفون في توجيه هذا على عدة أقوال منها:

١- أنه عبر النهر، ويحتمل أن يكون هذا النهر المقصود به نهر الفرات، كما يحتمل أن يكون نهر الأردن.

٢- أن إبراهيم عليه السلام منسوب إلى أحد أجداده المسمى «عابر» أو «عبر»[2].

لا يرضى ولفنسون بهذه التسمية، ولا بالذي قبله ويرى أن كلمة «عبري» لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه، إنما ترجع إلى الوطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البادية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها ومواشيها بحثاً عن الماء والرعي.

ويقول: إن كلمة «عبري» في الأصل مشتقة من فعل ثلاثي هو «عبر»

---

(١) سورة آل عمران (٦٧).

(٢) انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص (٢٢) لسعد بن منصرو بن كمونة اليهودي من القرن السابع الهجري. دار الأنصار. القاهرة.

بمعنى: قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر أو عبر السبيل: شقها وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل في العربية وفي العبرية، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية. فكلمة «عبري» مثل كلمة «بدوي» أي ساكن الصحراء والبادية[١].

واستدلاله هذا مبنيٌّ على أن العبرانيين هم بنو إسرائيل فقط، وقد ذكرت أن تسمية بني إسرائيل بالعبرانيين فيها نوع من المجازفة فإن هذه التسمية كانت موجودة قبل وجود بني إسرائيل. اللهم إلا أن تطلق عليهم للتمييز من غير بني إسرائيل كما فعل الكنعانيون والآراميون.

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص (٧٧-٧٨).

## هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر

في عهد الهكسوسيين خرج يعقوب عليه السلام مع بنيه وأحفاده إلى الديار المصرية عقب قحط اجتاح بلاد شرق البحر الأبيض المتوسط، على طلب أحد أبنائه، يوسف عليه السلام كما قال الله تعالى أنه قال لإخوته: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١).

وكان يوسف عليه السلام سبقهم إليها بعد أن غدر به إخوته وألقوه في غيابة الجب، والتقطته قبيلة «جلعاد» وهي قادمة من الأردن متوجهة إلى مصر، ثم باعته الحكام المصريين الهكسوسيين، وقصته معروفة في القرآن والأحاديث وكتب اليهود(٢).

وكان عاصمة مصر آنذاك «ممفس»، وكان عمر يوسف لما وصل إلى مصر ثماني عشرة سنة، بقي سنتين في قصر الحاكم المصري، ثم دخل السجن بتهمة لبث فيه سبع سنوات، ثم خرج منه بعد ظهور براءته، ولما بلغ من العمر ثلاثين سنة عينه الحاكم المصري أبو فيس (ABU FIES) وزيراً للخزانة.

ولما وصل يعقوب عليه السلام مع بنيه إلى مصر أكرم يوسف مثواهم، وسعى إلى الحاكم المصري الهكسوسي الذي كان من الرعاة العرب أن

(١) يوسف (٩٣).

(٢) ويرى بعض المؤرخين أن وصول يوسف إلى مصر كان في عهد الملك «أبو فيس» الهكسوسي.

يقطع لهم أحسن الأراضي الزراعية في منطقة جرسان في شمال البلاد[١].

يصــور القــرآن هــذه القصــة بقولــه: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٢].

وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة، ثم تــوفي وعمـره مائـة وسبع وأربعون سنة.

وفيما يلي جدول لأسماء أفراد آل يعقوب الذين هاجروا معـه، ويتبـين منه بعض أخطاء التوراة المزعومة.

(١) انظر: التكوين (٤٧/٢٧).

(٢) سورة يوسف آية رقم (٩٩).

| العدد | أسماء آل يعقوب | أولاد يعقوب | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | الابن | البنت | الحفيد | ابن الحفيد | المجموع |
| ١ | روبين | ١ | – | – | – | ١ |
| | حنوك، وفلو، وحصرون، وكرمي | – | – | ٤ | – | ٤ |
| ٢ | شمعون | ١ | – | – | – | ١ |
| | يموئيل، ويامين، وأوهد، وياكين، وصوحر، وشاول | – | – | ٦ | – | ٦ |
| ٣ | لاوي | ١ | – | – | – | ١ |
| | جِرشُون، وقهات، ومَراري | – | – | ٣ | – | ٣ |
| ٤ | يهوذا | ١ | – | – | – | ١ |
| | عِير، وأونان، وشِيله، وفارص وزارح (مات عير وأونان في أرض كنعان) | – | – | ٥ | – | ٥ |
| | حصْرون، وحامُول | – | – | – | ٢ | ٢ |
| ٥ | يَسّاكَر | ١ | – | – | – | ١ |
| | تولاع، وفوَّة، ويوب، وشِمْرون | – | – | ٤ | – | ٤ |
| ٦ | زبولون | ١ | – | – | – | ١ |
| | سارَد، وإيلون، وياحلْيئل، | – | – | ٣ | – | ٣ |
| | دينة | – | ١ | – | – | ١ |

هؤلاء من زوجة يعقوب ليئة وعددهم كما تنص عليه التوراة: ثلاثة وثلاثون من البنين والبنات. والصحيح أنهم أربعة وثلاثون، وإذا حذفنا الاثنين اللذين توفيا في أرض كنعان كان عددهم ٣٢ شخصاً[1].

(١) انظر: التكوين (٤٦/٨-١٥).

| العدد | أسماء آل يعقوب | أولاد يعقوب | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | الابن | البنت | الحفيد | ابن الحفيد | المجموع |
| ٧ | حاد | ١ | – | – | – | ١ |
| | صفيُون، وحَجّي، وشـوني، وأصبـون، وعِيري، وأرودي، وأرئيلي | – | – | ٧ | – | ٧ |
| ٨ | أشير | ١ | – | – | – | ١ |
| | يِمْنة، ويِشْوة، ويِشوي، وبَرِيعة | – | – | ٤ | – | ٤ |
| | سارح (حفيدة) | – | – | ١ | – | ١ |
| | حابر وملكيئيل (ابنا بريعة) | – | – | – | ٢ | ٢ |
| هؤلاء من زِلْفة أمة ليئة. وعددهم ست عشرة نفساً (١٦) | | | | | | |
| ٩ | يوسف | ١ | – | – | – | ١ |
| | منسي، وافرايم | – | – | ٢ | – | ٢ |
| ١٠ | بنيامين | ١ | – | – | – | ١ |
| | بالع وباكر وأشْبيل وجِيرا ونَعمان وإيحي ورُوش ومقيم وحُقيم وأرْد. | – | – | ١٠ | – | ١٠ |
| هؤلاء من راحيل وعددهم أربع عشرة (١٤) | | | | | | |
| ١١ | دان | ١ | – | – | – | ١ |
| | حوشيم | – | – | ١ | – | ١ |
| ١٢ | نفتالي | ١ | – | – | – | ١ |
| | ياحصْئيل، وحوني، وبصر، وشليم. | – | – | ٤ | – | ٤ |

هؤلاء من بلهة أمة راحيل وعددهم سبعة (٧) ومجموع عدد هؤلاء جميعاً ٧١ شخصاً[1].

(١) انظر: التكوين (٤٦/١٦-٢٥).

وبعد وفاته ومجيئ «أحمس» أحد قادة الأسرة الفرعونية، وانتزاعه الحكم من الرعاة العرب الهكسوسيين بدأ اضطهاد بني إسرائيل إلا أن «أحمس» لم يلتفت إليهم كثيراً، لأنه كان مشغولاً في إرساء قوائم دولته، ولما تولى الحكم «رمسيس الثاني» الحاكم التاسع عشر، بدأ يعذب بني إسرائيل بقتل أولادهم واستحياء نسائهم، وجعلهن إماء للمصريين. والله تعالى يحدث عن ذلك بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[1].

وذلك أن المصريين بدأوا ينظرون إلى بني إسرائيل نظرتهم إلى الأجانب، وارتابوا في حبهم للوطن، وخافوا أن ينضموا إلى أعدائهم في الحرب.

تقول التوراة: (ثم قام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه: هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا. هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض) [2].

وقد عين الملك قابلتين عبرانيتين إحداهما «شفرة» ، والأخرى «فوعة» لقتل جميع أولاد بني إسرائيل ذكوراً [3]. وفيه تناقض ظاهر فإن الشعب

(١) سورة الأعراف (١٢٧).

(٢) الخروج (١/٨-١٠).

(٣) الخروج (١/١٥).

الذي صار أكثر وأعظم من المصريين أنفسهم كيف تستطيع قابلتان قتل أولادهم، وقد يكون السبب لاضطهاد بني إسرائيل أنهم احتلوا المناصب الرئيسية وتمركزوا على اقتصاد البلاد وغصبوا خيراتها.

ومهما يكن من أمر فإن بني إسرائيل قد بقوا أمداً طويلاً يرزحون تحت نيران الاستعباد والاضطهاد.

وكانت هذه الحالة لفترة غير قصيرة حتى أرسل الله إليهم رسولين من نسل «لاوي» أحد أبناء يعقوب وهما «موسى» وأخوه «هارون» عليهما السلام لتبليغهم رسالة التوحيد، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان والكواكب، وأرواح الموتى والملوك والحيوانات والنباتات، وتقديم شريعة سماوية لهم سميت فيما بعد «باليهودية».

تقول التوراة: جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب ست وستون نفساً. وابنا يوسف اللذان ولدا في مصر نفسان، جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون[1].

ولكن يختلف العهد الجديد من العهد القديم فيقول: إن جميع من جاء إلى مصر من آل يعقوب كان عددهم ٧٥ شخصاً[2] وإذا أضيف إلى هذا العدد يوسف وأولاده كان عددهم ٧٨ شخصاً. فانظر إلى هذا التناقض في العهدين: القديم والجديد.

إن نبي الله يعقوب عليه السلام قبل موته ضم إلى أبنائه ابني يوسف «منسى

(١) التكوين (٢٦/٢٦-٢٧).

(٢) أعمال الرسل (١٥/٧).

وافرايم» كما جاء في التكوين: «والآن ابناك المولادان لك في أرض مصر قبلها أتيت إليك إلى مصر، هما لي، أفرايم ومنسى كروبين وشمعون يكونان لي، وأما أولادك الذين تلد بعدهما، فيكونان لك على اسم أخويهم يسمون في نصيبهم»(١).

ولكن شاء الله ألا يلد يوسف أحداً من الذكور بعد وصل يعقوب إلى مصر. فصار أولاد يعقوب أربعة عشر ابناً إلا أن يوسف لم يكن أبا قبيلة في مصر، فلم تكن إلا ثلاث عشرة قبيلة، أخذت كل واحدة منها نصيبها من ميراث أبيهم.

ولما بعث موسى عليه السلام، وخص اللاويين بعمل الكهنوت، وتقديم الذبائح والقرابين صار عدد هذه القبائل اثنتي عشرة قبيلة. وإليها يشير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾(٢). وذلك في صحراء سيناء.

هكذا بقي يعقوب وأولاده الذين سموا فيما بعد بني إسرائيل. لأن من أسماء يعقوب «إسرائيل» ينعمون في مصر في حياة يوسف عليه السلام.

(١) التكوين (٢٨/٥-٦).

(٢) سورة البقرة (٦٠).

## بعثة موسى عليه السلام لإنقاذ بني إسرائيل من ظلم فرعون

موسى: اسم مصري، معناه «ولد».

ومعناه بالعبري «منتشل».

تنقسم حياة موسى عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

١- ولد بمصر على عهد فرعون الذي كان يقتل أبناء العبرانيين، وكان أصغر أولاد أبيه وثالث ثلاثتهم أي بعد مريم البكر، وهارون الثاني، فلما ولد ألقته أمه في النهر خوفاً أن يقتله فرعون، فالتقته زوجة فرعون وكانت جاءت لتغتسل، فرَقَّ له قلبها، وكانت امرأة عاقراً، فقالت: هذا من أولاد العبرانيين، وجاءت مريم أخت موسى وقالت: هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟ فأذنت لها، فجاءت بأمها: أم موسى، فصارت مرضعة بأجرة[1].

هكذا بقي موسى يتربى في بيت فرعون إلى أن شبَّ، ومهر في جميع الفنون، وبلغ من العمر أربعين سنة. ولا تعرف أحواله بتفصيل في هذه الفترة.

٢- وبعد الأربعين، قدر الله له أن يقتل مصرياً كان يضرب عبرانياً، ولم يقصد قتله، فهرب من مصر خوفاً من المصريين، وذهب إلى مدين، يقول الله تبارك وتعالى:

(١) انظر: خروج (٢/٥-١٠) وفيه: «فالتقته ابنة فرعون» والقرآن يذكر هذه الحادثة أيضاً بتفصيل في سورة القصص (٧-١٣).

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ
يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن
شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا
مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ
نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ
مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ
لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن
تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ
﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ

وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١).

وفي سفر الخروج(٢): «فخاف موسى وقال: حقاً، عرف الأمر، فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى، فهرب من وجه فرعون وسكن في أرض مدين، وجلس عند البئر، وكان لكاهن مدين سبع بنات، فأتين واستقين وملأن الأجرار ليسقين غنم أبيهن. إلى أن تزوج إحدى بناته، وهي صفورة. وفي تمام الأربعين سنة من إقامته في مدين، رأى ناراً في وسط عليقة، والعليقة لا تحرق، فلما دنا لينظر نودي من وسطها، وأمر أن يذهب إلى مصر ليكون قائداً لشعبه ويخرجهم من هناك».

٣- وبعد قضاء مدة في مَدْيَن(٣) توجه موسى إلى جاسان، وابتدأ هو وهارون في تمام ما أرسلهما الله لأجله، إلا أنه لم يجد نفعاً بادئ ذي بدء.

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى

---

(١) سورة القصص (١٥-٢٣).

(٢) الخروج (١٥/١٦-١٧).

(٣) والقرآن ينص على أنه أقام في مدين عشر سنوات، فيقول: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ القصص (٢٧).

ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١].

وإليه تشير فقرة من التوراة أيضاً: فتكلم موسى أمام الرب قائلاً: «هو ذا بنو إسرائيل لم يسمعوا بي، فكيف يسمعني فرعون وأنا أغلف الشفتين»[٢].

حتى أتم الله الضربة العاشرة، فطلب المصريون من فرعون أن يطرد موسى وجماعته.

فذهب موسى وهارون ببني إسرائيل إلى سيناء، وبقوا يتيهون فيها أربعين سنة. ولما بلغ من العمر مائة وعشرين سنة، جاءته المنية، وقبل موته راجع مع الشعب سنن الناموس، ولخص لهم تاريخ رحلاته ومعاملة الله في البرية، وأنذرهم من الارتداد، وأوصاهم بما يجب عمله، ودون كل ذلك في سفر التثنية.

ومن وصاياه عشر كلمات من الله:

١- أنا الله ربكم واحد.

٢- لا يكن لكم معبود من دوني.

٣- لا تحلف باسم ربك كاذباً.

٤- اذكر يوم السبت واحفظه.

٥- برّ والديك وأكرمهما.

٦- لا تقتل نفساً.

---

(١) سورة يونس (٨٣).

(٢) انظر: الخروج (٦/١٢).

٧- لا تزنِ.

٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد بشهادة زور.

١٠- لا تحسد أخاك فيما رزقه.

يقال: هذه العشر كلمات كانت مكتوبة في الألواح التي دفعها الله إلى موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [1].

ثم مات، ودفن في أرض موآب مقابل بيت مقور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم كما جاء في التوراة المزعومة [2]. ولكن الله أرى قبره نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث أبي هريرة في قصة موت موسى عليه السلام قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر. أخرجه البخاري[3] واللفظ له ومسلم[4].

وفي حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مررت

(١) سورة الأعراف (١٤٥).

(٢) التثنية (٣٤/٥-٦).

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعدُ (٦/٤٤١) رقم (٣٤٠٧).

(٤) صحيح مسلم (٤/١٨٤٣) رقم (٢٣٧٢).

على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. رواه مسلم[1].

وقد أظهر الله على يد موسى عليه السلام بعض الآيات لإقامة الحجة على فرعون والمصريين، والتوراة المزعومة تعبر عن هذه الآيات بالضربات، وهي عشر ضربات:

الأولى: تحويل مياه النيل إلى دم، أو شيء مثيل له.

الثانية: ضربة الضفادع.

الثالثة: ضربة البعوض.

الرابعة: ضربة الذباب.

الخامسة: الوباء على البهائم.

السادسة: ضربة الدمامل على الإنسان والحيوان.

السابعة: ضربة البرد.

الثامنة: ضربة الجراد.

التاسعة: ضربة الظلام.

العاشرة: موت الأبكار.

وأما القرآن الكريم فيذكر تسع آيات بالإجمال، فيقول: ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٨٤٥) رقم (٢٣٧٥). وقوله: يصلي في قبره: فيه إشارة إلى حياة برزخية، لا حياة حقيقية، فإن موسى مات موتة طبيعية كغيره من البشر.

ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ....﴾ (١).

وقد جاء تفصيل هذه الآيات في سورة الأعراف حيث يقول عز من قائل:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (٢).

اختلف المفسرون في تحديد الآيات التسع:

فقال ابن عباس: هي العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

---

(١) سورة بني إسرائيل (١٠١).

(٢) سورة الأعراف (١٣٠-١٣٥).

معلوم أن فلق البحر وغرق فرعون وجنوده كان بعد تمام الآيات.

وقال محمد بن كعب: هي: اليد، والعصا، والخمس في الأعراف والطمسة والحجر.

ويقصد بالطمسة ما جاء في سورة يونس ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ (١).

وقال ابن عباس أيضاً، ومجاهد، وعكرمة، والشعبي، وقتادة، هي: اليد والعصا، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وقد استحسن ابن كثير هذا التفسير، وقال: وجعل الحسن البصري: «السنين ونقص الثمرات» واحدة، وعنده أن التاسعة، ما تلقف العصا ما يأفكون.

ثم قال: وقد أوتي موسى عليه السلام آيات آخر كثيرة منها: ضربه الحجر بالعصا، وخروج الأنهار منه، ومنها تظليلهم الغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك مما أوتيه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر ههنا الآيات التسع التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر، وكانت حجة عليهم، فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً (٢).

---

(١) سورة يونس الآية (٨٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٢٣/٥).

**قصة خروج موسى وجماعته من مصر:**

يقول الدكتور أحمد سوسة العالم المؤرخ: «إن قصة خروج موسى وجماعته من مصر، التي استرسل كتبة التوراة في شرحها في سفر الخروج من العهد القديم، لم تكن خرافية كما يرى البعض، وإنما هي حادثة تاريخية حقيقة تنطوي على خروج جماعة من مصر في عهد معين ...».

ثم يقول: «والمصدر الوحيد الذي بين أيدينا عنها هو التوراة التي كتبها مدونوها في الأسر بعد ثمانمائة عام من الحادث، فجاءت القصة مشوهة ومحرفة بالشكل الذي يخدم مقاصد خاصة، وأهدافاً معينة، فأصبحت في نظر الكثير أشبه بالأساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية»[1].

يروي تاريخ اليهود أن الله أمر موسى أن يذهب إلى فرعون، يستأذنه بخروج بني إسرائيل، إلا أن فرعون رفض السماح لهم بذلك، فأنزل الله الضربة العاشرة على ملك مصر، وهي عبارة عن موت الأبكار.

يقول مؤلف الخروج: «فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة، فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده، وجميع المصريين وكان صراخ عظيم في مصر، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت، فدعا موسى وهارون ليلاً وقال: قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً» [2].

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ص (٢٧٨).

(٢) (١٢/٢٩-٣١).

يبدو أن كاتب الخروج نسي فكرر موت المواشي، بعد أن ذكره في الضربة الخامسة، وهي عبارة عن الوباء على البهائم، وكان أباد جميع مواشي المصريين.

فقد جاء في الإصحاح التاسع من الخروج: «ثم قال الرب لموسى: ادخل إلى فرعون، وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين، أطلق شعبي ليعبدني، فإنه إن كنت تأبى أن تطلقهم، وكنت تمسكهم بعد، فها يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل، على الخيل، والحمير، والجمال والبقر، والغنم وباء ثقيلاً جداً، ويميز الرب بين مواشي إسرائيل، ومواشي المصريين، فلا يموت من كل ما لنبي إسرائيل شيء، وعين الرب وقتاً قائلاً: غداً يفعل الرب هذا الأمر في الأرض، ففعل الرب هذا الأمر في الغد، فماتت جميع مواشي المصريين، وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد، وأرسل فرعون، وإذا مواشي إسرائيل لم يمت منها ولا واحد، ولكن غلظ قلب فرعون، فلم يطلق الشعب» (١).

فنرى أن تكرار موت الأبكار من البهائم فيه تناقض ظاهر.

كما يظهر في تناقض آخر في التوراة التي أوردت قصة الخروج بالتفصيل والتطويل: تقول: إن فرعون منع الإسرائيليين من الخروج، ثم تعود وتقول: وطرد المصريون الإسرائيليين من مصر.

وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين الروايتين فقالوا: إن فرعون أذن لموسى أن يخرج بعد الضربة العاشرة، ثم ندم على ذلك فتبعهم.

---

(١) (١-٧).

ويقول البعض: إن الإسرائيليين استعاروا من جيرانهم المصريين الأمتعة الذهبية والفضة:

«طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين»[١].

ولكن سياق الخروج يفيد أن جيرانهم لم يكونوا أعداء لهم.

فكان من جملة أسباب أتباع فرعون بني إسرائيل هو استعادة هذه الأشياء الثمينة.

وأما القرآن الكريم فلا يشير إلى أسباب اتباع فرعون، غير أن سياقه يشير إلى أن موسى خرج ببني إسرائيل سراً، فاتبعه فرعون وجنوده ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾[٢].

وذلك بعد أن طلب موسى عليه السلام من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

يقص كاتب الخروج ويقول:

«فارتحل بنو إسرائيل من رعميس إلى سكوت نحو ست مائة ألف

---

(١) الخروج (١٢/١٦).

(٢) سورة طه (٧٧-٧٨).

ماش من الرجال عدا الأولاد»[1].

«ثم قال الرب لموسى: تصرح إلي، قل لبني إسرائيل أن يرحلوا، ورافع أنت عصاك ومدّ يدك على البحر وشقه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم»[2].

وأما فرعون وجيشه، فدخلوا البحر وراء بني إسرائيل فأغرقهم الله فيه. وقصة بني إسرائيل وخروجهم من مصر ذكرها القرآن الكريم في كثير من السور، إلا أن العلماء اختلفوا في طريق خروجهم.

يرجح الباحثون مستندين إلى وصف التوراة أن الطريق التي سلكها الموسويون في خروجهم من مصر هي طريق عمال المناجم القديمة إلى سيناء، فارتحلوا من بلدة رعميس في أرض «جاسان» وتوجهوا إلى «سكوت» ومن «سكوت» نزلوا في «ايتام» في طرف البرية، ثم نزلوا أمام «فم الجبروت» بين «مجدل» والبحر أمام «بعل صنون» مقابلة عند البحر، وخرج المصريون وراءهم وهم نازلون عند البحر عند «فم الجبروت» أمام «بعل صنون» ، ثم ارتحلوا من بحر «سوف» وخرجوا إلى «برية شور» ووصلوا إلى «مارة» ومن «مارة» ذهبوا إلى «إيليم» ثم ارتحلوا من «إيليم» إلى برية «سين» التي بين «إيليم» و «سيناء» ثم ارتحلوا من برية «سين» ونزلوا في «دفقة».

---

(١) (١٢/٣٧).

(٢) (١٤/١٥-١٧).

ثم ارتحلوا من «دفقة» ونزلوا في «الوش» ، ومن «الوش» نزلوا في «رفيديم» وفيها دارت أول معركة بين الإسرائيليين والعمالقة سكان البلاد، ومن «رفيديم» ارتحلوا إلى برية «سيناء» ونزلوا مقابل «جبل سيناء» الذي تسمى الآن «جبل موسى» ، وفيه نزلت الشريعة، وهنا التقى موسى بزوجته «صفورة» وابنيه وحميه «يثرون» الذين جاءوا من مدين للالتحاق به.

وبقي بنو إسرائيل في برية «سيناء» حوالي سنة، ثم ارتحلوا منها في السنة الثانية بأمر الرب إلى «قادش برنيع» الواقعة على بعد ١٥٠ ميلاً من سيناء شمالاً سالكين الطريق الذي يمر ببلدة «حضروت» على الضفة الغربية لخليج العقبة، ومن «حضروت» نزلوا في برية «فاران» ثم توجهوا إلى «عصيون» الواقعة عند آخر نقطة من ساحل خليج العقبة مارين بعدد من القرى، ثم ارتحلوا من «عصيون جابر» إلى «برية صين» التي هي «قادش برنيع» ، ومنها نزلوا في «جبل هور» في طرف أرض أدوم[1] وهنا توفي موسى عليه السلام .

وكان من الممكن أن يتوجهوا رأساً إلى أرض كنعان من مدينة جوسان بالسير لكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يهلك فرعون وجنوده، ثم كانت المناطق الشرقية من جوسان مقراً للجيوش المصرية، فلم يسلك موسى هذا الطريق المستقيم، بل اختار بحكمة الله الطريق المعوج.

تقول التوراة: «وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض فلسطين مع أنها قريبة، لأن الله قال: لئلا يندم الشعب إذا

(١) انظر: العرب واليهود في التاريخ (٢٨٦).

رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر، فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف.... »[(1)] حتى وصلوا إلى صحراء سيناء، وبقي بنو إسرائيل في هذه الصحراء أربعين سنة، تائهين غير مطيعين لموسى، ومتمردين على شريعة الله، وقد دعاهم موسى وهارون للتوجه إلى أرض كنعان، ولكنهم جبنوا وتقاعسوا عن القتال.

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾[(2)].

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[(3)].

فغضب الله عليهم وكتب عليهم التيه، وأول عمل قام به موسى بعد وصوله إلى صحراء سيناء، هو إحصاء بني إسرائيل.

---

(١) الخروج (١٣/١٧).

(٢) سورة المائدة (٢٢).

(٣) سورة المائدة (٢٤-٢٦).

ففي التوراة المزعومة في كتاب العدد:

«وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً: أحصوا كل جماعة بني إسرائيل لعشائرهم، وبيوت آبائهم، بعدد الأسماء، كل ذكر برأسه من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب في إسرائيل» [(١)].

فبلغ عدد ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين (٦٠٣٥٥٠) وأما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يعدوا بينهم[(٢)].

وفي هذا العدد مبالغة واضحة، لأن بني إسرائيل لما دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام كان عددهم سبعين نسمة، كما جاء ذكره في كتاب التكوين، وكان خروج يعقوب مع أولاده وأحفاده، فقاهت بن لاوي بن يعقوب كان عمره سبع سنوات لما وصل إلى مصر، ثم ولد بعده جيلان، وهو جيل عمران والد موسى، وجيل موسى وهارون، فمن المستحيل أن يبلغ سبعون نسمة أكثر من ستمائة ألف نسمة من المقاتلين خلال جيلين، علاوة على الشيوخ والنساء والأطفال.

ولذا نرى أن الدارسين لكتب العهد القديم وجهوا انتقادات شديدة إلى التوراة المزعومة، وقد اعترف كاتب دائرة المعارف البريطانية أن عددهم لا يتجاوز عن خمسة عشر ألفاً [(٣)].

(١) العدد (١/١-٢).

(٢) العدد (١/٤٧).

(٣) الجزء (١٢) ص (٤٨٩) نقلاً من اليهودية والمسيحية للدكتور/ إحسان الحق رانا.

وأما القرآن الكريم فيوضح هذه الحقيقة بقوله:

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ (١).

ويؤيد هذا أيضاً ما جاء في أخبار الأيام الأول:

«حين كنتم عدداً قليلين جداً وغرباء فيها».

وبهذا يتضح زيف هذه التوراة المزعومة لدى اليهود والنصارى.

**تاريخ الخروج:**

اختلف المؤرخون في تحديد زمن موسى وخروجه من مصر:

١- ذهب المؤرخ المصري «مانيتو» الذي عاش في حدود (٢٥٠ ق. م) أن الخروج حدث قبل ستة قرون من عهد «مانيتو».

وكان هذا الرأي معتبراً إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وسنده في ذلك أن الملك المصري الهكسوسي طرد أيضاً في هذا القرن إلا أن دراسة الحفريات الأثرية لا تتفق مع هذا الرأي.

٢- والرأي الثاني: أن موسى عليه السلام كان معاصراً للملك الثالث تحتمس (١٤٩٠-١٢٣٦ ق. م) وأن الخروج حدث في أيام «آمون حوتب» الثاني (١٤٣٦-١٤١١- ق. م).

٣- الرأي الثالث: وقال الآخرون: أنه حدث أيام «رعمسيس الثاني» (١٢٩٠-١٢٢٣ ق. م).

٤- والرأي الرابع: أنه في أيام «منفتاح» (١٢٢٣-١٢١١ ق. م).

وهذا الرأي الأخير تؤيده بعض اللوحات الأثرية التي وجدت في

---

(١) الشعراء (٥٤).

الديار المصرية ومن المنقوش عليها أن منفتاح أباد بني إسرائيل واستأصلهم[١].

**مدة قيام بني إسرائيل في مصر:**

يقال: إنهم مكثوا في مصر أربعمائة وثلاثين سنة، ولا شك أن هذه المدة فيها مبالغة شديدة.

وقد انتقد ذكر هذه المدة الإمام الحافظ ابن حزم نقداً لاذعاً إذ يقول: «هذه فضيحة الدهر، وشهرة الأبد، وقاصمة الظهر، يقول هاهنا إن مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثون سنة، وقد ذكر قبل، أن فاهات بن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب، ومع أبيه لاوي، ومع سائر أعمامه، وبني أعمامه، وأن عمر فاهات بن لاوي المذكور كان مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة، وأن موسى بن عمران بن فاهات بن لاوي المذكور كان إذ خرج ببني إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة، هكذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة، فهبك أن فاهات دخل مصر ابن شهر، أو أقل، وأن عمران ابنه ولد بعد موته، وأن موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه، ليس يجتمع من كل ذلك إلا ثلاثمائة

(١) أحمد بدوي – موكب الشمس (٩١٢/٢). ويرجح هذا الرأي العالم الفرنسي موريس بوكاي في كتابه: القرآن الكريم والعلم العصري، ترجمة فودي سوربيا كمارا ص (٧٢) قال: «إن رمسيس الثاني الذي مات بعد عمر طويل جداً يتعين استبعاده كفرعون خروج، وأما خلفه «منفتاح» فهو الفرعون الذي فقد حياته عند مطاردته للعبرانيين».

وخمسون عاماً فقط، فأين الثمانون عاماً الباقية من جملة أربعمائة وثلاثين سنة، فإن قالوا: نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته، قلنا: قد بين في التوراة أنه كان إذ دخله ابن سبع عشرة سنة، وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنة، فإن كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنتين وعشرين سنة ضمها إلى ثلاثمائة وخمسين عاماً، يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنتان وسبعون سنة، فأين الثماني والخمسون الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة».

ثم قال: «هذه شهرة لا نظير لها، وكذب لا يخفى على أحد، وباطل يقطع بأنه لا يمكن ألبتة أن يعتقده أحد في راسه شيء من دماغ صحيح...».

إلى أن قال: «والصحيح الذي يخرج على نصوص كتبهم أن مدة بني إسرائيل مذ دخل يعقوب وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشر عاماً»[1].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٥٩).

## يوشع بن نون

يظهر من دراسة القرآن الكريم، والتراث الإسرائيلي، أن جميع بني إسرائيل لم يؤمنوا بموسى ورسالته، وذلك أنهم ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (١).

و: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢).

وفي القرآن أيضاً والخطاب لبني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣).

هذه الآيات الكريمة وغيرها تدل على أن أكثر بني إسرائيل لم يؤمنوا بموسى عليه السلام لكونه رسولاً ونبياً، وإنما التفوا حوله كقائد وزعيم، يرون على يديه الخلاص من استعباد فرعون وظلمه، ولذلك لم يصدقوه في

(١) سورة البقرة الآية رقم (٩٣).

(٢) سورة المائدة الآية (٢٤-٢٦).

(٣) سورة البقرة الآية (٥٥).

مرحلة من المراحل الوعودَ التي وعدها الله موسى وقومه، بل جادلوه وناقشوه، واتهموه بأنه سبب ضياعهم وتلفهم، وتأسفوا أحياناً لخروجهم معه. قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ (١)

ففي سفر الخروج – في الإصحاح السادس عشر-: «فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية، وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم، نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمونا إلى هذا الفقر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع» (٢).

وبعد مضي أربعين سنة، وانقراض هذا الجيل الجبان، وحدت بنو إسرائيل صفوفها على خليفة موسى يوشع بن نون(٣).

(١) سورة يونس (٨٣).

(٢) (١٦/٣-٤).

(٣) يوشع بن نون: كان من سبط افرائيم بن يوسف بن يعقوب، ولد في مصر، وكان عند الخروج منها في الخامسة والأربعين من عمره، وبلغ عند تولّيه زعامة اليهود وقيادتهم الخامسة والثمانين، ولم يكن قد بقي في ذلك الحين من اليهود الذين خرجوا من مصر وعمرهم فوق العشرين سنة إلا هو وكالب بن يفنة، وكان هو أحد الاثني عشر الذين أرسلهم موسى كي يتجسسوا أرض فلسطين للتأكد من جودة الأرض، ومعرفة مدى قوة ساكنيها، فلما عادوا أجمعوا على أنها أرض طيبة تفيض لبناً وعسلاً، ولكن عشرة منهم قالوا: إن سكانها جبابرة، يعجز اليهود عن طردهم منها، فلم يؤكد أن اليهود قادرون على ذلك إلا يوشع بن نون، وكالب =

فبدأ يوشع يأخذ الاستعداد السريع لعبور الأردن، ومنح الشعب ثلاثة أيام لإعداد الزاد[١]، وأرسل جاسوسين إلى أريحا ليستقصوا الأحوال العسكرية فيها، ثم تحرك بمعسكره نحو النهر وأعطى المحاربين تعليمات دقيقة للزحف.

وأقام معسكرةً مركزياً في الجلجال، غرب مدينة أريحا في داخل أرض كنعان[٢]. وزحف غرباً عبر الجبال، واحتل مدينة «عاي» التي كانت مقابلة الجلجال، وقتل جميع الرجال والنساء، وكان عددهم اثني عشر ألفاً، وأحرق مدينة «عاي» وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى اليوم[٣].

وتقدم ملك «عاي» طالباً منه الصلح والأمان، فعلقه على الخشبة إلى المساء، وفي المساء أنزل جثته ورماه على باب المدينة[٤].

وأقام على جثته رجمة حجارة عظيمة، ونسبو إلى موسى أنه أوصاه بذلك.

ولما سمع الحويون الساكنون في «حبعون» و «الكفيرة» و «بيروت» و «يعاريم» بما فعله اليهود بجيرانهم، ارتعدوا جداً وارتدوا ثياباً بالية ونعالاً مهلهلة، ثم مضوا إلى يشوع في الجلجال متظاهرين بأنهم جاءوا من أرض

=

يفنة، ومن ثم كانت المهمة الملقاة على عاتق يوشع بن نون بعد أن تولى زعامة اليهود. انظر: تاريخ الأقباط والمسيحية (٤٧/٨).

(١) يشوع (١/١٠-١١).

(٢) يشوع (١٩/٤،٥/١٠).

(٣) يشوع (٨/٢٨-٢٩).

(٤) يشوع (٨/٢٩).

بعيدة، وأبدوا خضوعهم طالبين الحماية والأمان، فقطع لهم يشوع عهداً بذلك، ولكنه لم يلبث أن علم أنهم من سكان المدن المجاورة، فغضب جداً، ولكنه لم يستطع أن يتراجع في عهده، فأعفاهم من القتل غير أنه احتلّ بلادهم وقضى عليهم بأن يكونوا كلهم عبيداً لليهود، يخدمونهم كمحتطبي حطب، ومستقي ماء[1].

ولما بلغ «أدوني صادق» ملك أورشليم أنباء غزوات يشوع، وكيف أباد أهل «أريحا» و «عادي» واستعبد أهل «حبعون» التي كانت من أعظم المدن في تلك المنطقة، أرسل إلى ملوك مدن الأموريين الآخرين، وهم «هوهمام» ملك «حبرون» ، و «فرام» ملك «يرموت» ، و «يافيع» ملك «لخيش» ، و «دبير» ملك «عجلون» ، واتفق معهم على مهاجمة جبون، فلما علم بذلك يشوع بن نون صعد إليهم من الجلجال وهزمهم جميعاً وطارد الملوك الخمسة حتى تمكن من إلقاء القبض عليهم، فذبحهم وعلق جثثهم عبرة لغيرهم.

ولم تلبث غارات يشوع أن أوقعت الرعب في قلوب جميع ملوك المناطق المجاورة فتحالف عليه بقية الملوك، ونزلوا على مياه «ميروم» لصد غارات يوشع، إلا أن مصيرهم لم يختلف عن مصير إخوانهم السابقين.

هكذا تمكن يوشع بن نون من القضاء على واحد وثلاثين ملكاً من ملوك هذه المنطقة في مدة سبع سنين.

إلا أن الفلسطينيين المتحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا

---

(١) تاريخ الأقباط والمسيحية (٥٢/٨).

صدوا تقدم يشوع وجماعته غرباً، وكانوا متفوقين على بني إسرائيل في معداتهم الحربية، إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من حديد أتقنوا تعدينه، وصنعوا منه الدروع وغيرها من الأسلحة، لذا لم يجرؤ يشوع على محاربتهم فتجنبهم كما تجنب المدن المحصنة، ومنها أورشليم، ثم رجع إلى مدينة الجلجال، وقسم أراضي كنعان بين قبائل بني إسرائيل.

وفي آخر حياته دعاهم ونصحهم وأوصاهم، إلا أنه كان يعلم أن بني إسرائيل شعب لا يستقر على شيء، فقال في آخر خطابه: «أما أنا وبيتي فيعبد الرب» (١).

ولما بلغ مائة وعشر سنوات وافته المنية، ودفن في تخم ملكه في تمنة(٢) سارح في جبل افرايم شمال جبال جاعش(٣).

ويظهر من دراسة فتوحات يشوع بن نون أن اليهود الذين بقوا أربعين سنة في سيناء لما استولوا على أعدائهم عاملوهم أسوأ معاملة من قتل، وحرق، وإبادة، وهذه الطبيعة لا تزال باقية في اليهود.

وقد ندد المؤرخون الأوروبيون بما عامل به اليهود أعداءهم، وإليكم ما يصف به «ول ديورانت» أحداث هذه الفترة:

«كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر

---

(١) يشوع (٢٤/١٥).

(٢) بكسر التاء، وسكون الميم، وفتح النون.

(٣) قضاة (٢/٨-٩).

من استطاعوا قتلهم منهم، وسبوا من بقي من نسائهم، وجرتْ دماء القتلى أنهاراً، وكان هذا القتل -كما تقول نصوص الكتاب المقدس- فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى وزكاة للرب، ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً، وأحرقوها وصلبوا حاكمها.

ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به، وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والأناة.

أما يوشع فلم يكن إلا جندياً فظاً، وقد حكم موسى حكماً سليماً لم تسفك فيه دماء، أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذي يقول: إن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً، وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة»[(١)].

ونحن نعتقد أن اليهود بالغوا في فتوحات يوشع بن نون، ونسبوا إليه شدة البطش، وإبادة الأعداء، وسوء المعاملة لهم، وذلك أن يوشع بن نون نبي من أنبياء الله كما سيأتي ذكره، فمن الصعب علينا أن ننسب هذه الأعمال الشنيعة إليه.

هنا انتهت حياة العبرانيين البدوية المتنقلة، واستقر حكمهم، وبدأ من ذلك التاريخ العهد الجديد، عهد الرفاهية والحضارة، وقد أكمل الله بموسى عليه السلام مع أخيه الرسالة الإلهية قبل وفاته، وتلقى من ربه التوراة، فيها هدى ونور كما ورد في القرآن الكريم، وكان في هذه التوراة كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من عقائد وشرائع وأخلاق وسياسة.

(١) قصة الحضارة (٢/٢٢٦).

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [١].

ومن المؤكد أن بني إسرائيل لم يستطيعوا إخضاع أهل فلسطين في تاريخهم الطويل، بل سكنوا بينهم، وشاركوهم في وطنهم.

«سكنوا في وسط الكنعانيين[٢] والحيثيين [٣] والأموريين[٤] والفرزيين[٥] والجرجاشيين [٦] ، والحويين، واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء،

(١) سورة الأعراف (١٤٥). يقول بعض العلماء قوله تعالى: ﴿ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾ إشارة إلى القسم العلمي من عقيدة التوحيد، والإيمان بالرسل، واليوم الآخر وغيرها من الإيمانيات.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ إشارة إلى الأحكام التشريعية.

(٢) كان مسكن الكنعانيين من بحيرة طبريا إلى البحر الأبيض في الغرب، وكانت حكومتهم من أقوى الحكومات في أرض فلسطين عند دخول بني إسرائيل فيها.

(٣) الحيثيون من الشعوب الهندو -أوربية القديمة، كانت مملكتهم من شمال سوريا إلى البحر الأبيض المتوسط إلى حبال لبنان.

(٤) الأموريون نزحوا في القرن الثلاثين قبل الميلاد من حنوب غربي آسيا، واستولوا على بابل، كما استولوا على أجزاء من سوريا وفلسطين، وقبل خروج بني إسرائيل من مصر افتتحوا ما وراء الأردن من نهر أرنون في الجنوب إلى حبل حرمون في الشمال.

(٥) الفرزيون: طائفة من الكنعانيين، وكانوا في عهد يوشع بن نون يسكنون المنطقة الجبلية التي وقعت بعد ذلك بأيدي سبطي أفرائم ومنسي.

(٦) وأما الجرجاشيون، والحوويون، واليبوسيون، فكانوا من حنس الكنعانيين، وكان =

وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم».

«ولم يطرد بنو إسرائيل الجشوريين والمعكيين (وهم من قبائل الجانب الشرقي من الأردن) فسكن الجشوري والمعكي في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم» [١].

كما تؤكد التوراة أيضاً أن الإسرائيليين لم يستطيعوا طرد اليبوسيين سكان أورشليم الأصليين.

«وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين من سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم» [٢].

واليبوسيون قبيلة من القبائل الكنعانية، حتى أن الملك داود نبي الله لما أراد أن ينشئ الهيكل في القدس، قام بشراء قطعة الأرض التي اختارها لهذا الغرض من أصحابها اليبوسيين[٣].

ولا يوجد ما يشير إلى مغادرة أهل أورشليم لمدينتهم، وإنما يوجد ما يثبت أن الإسرائيليين اضطروا إلى مغادرة المدينة مرة تلو أخرى.

فدعوى الإسرائيليين بأنهم هم أهل هذه المدينة دعوى لا أساس لها

=

مسكنهم سفح جبل لبنان، ومنهم من استوطن مدينة «يبوس» التي أصبحت بعد ذلك «أورشليم».

(١) يشوع (٣/١٣).

(٢) القضاة (٢١/١).

(٣) صموئيل الثاني (٢٤/٢٤).

من الصحة، والحق أنهم سوف يضطرون إلى مغادرتها عاجلاً أو آجلاً، إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز.

وذلك لأن من طبيعتهم الإفساد في الأرض، كلما تمكنوا فيها، وقد حكى الله سبحانه وتعالى كيف أفسدوا في الأرض مرتين، فبعث الله إليهم عبداً من عباده من أذاقهم سوء العذاب قال تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ ﴾[1].

والعهد القديم يحدث عن فساد بين إسرائيل بشيء من التفصيل، ومنه ما جاء على لسان داود نبي الله عليه السلام بصيغة الماضي، والمراد منه ما يحدث في بني إسرائيل، وهو تنبؤ منه إذ يقول: «بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم، وعبدوا أصنامهم، فصارت لهم شركاء، وذبحوا بنيهم وبناتهم

(١) سورة الإسراء (٤-٧).

للأوثان، وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم، وزنوا بأفعالهم، فحمي غضب الرب على شعبه، وكره ميراثه، واسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم فبغضوهم» [١].

ولما وقع منهم ما وقع وبَّخهم نبيهم إشعياء بقوله:

«ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين، تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء» [٢].

وأكثر سفر إشعياء يشتمل على تنديد وتوبيخ بني إسرائيل على أخطائهم الجسيمة، وارتدادهم عن شريعة موسى، ولكنهم لم يرجعوا إلى رشدهم، فالمرة الأولى هي مجموع حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالأسر البابلي، وهي غزوات «بختنصر» ملك « بابل » و « آشور » بلاد أورشليم، فالغزو الأول كان سنة (٦٠٦ق.م.) ثم الثاني سنة (٥٩٨ ق.م.) وأسر ملك يهوذا « يهوياقيم » [٣] ونبيهم « دانيال » ورفاقه. والغزو الثالث كان سنة (٥٨٨ ق.م.) فدمر دولة اليهود بالكامل، وأحرق هيكل سليمان، وأسر عدد من اليهود وأخذهم إلى بابل. ولعله المراد في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ

---

(١) سفر مزامير (١٠٦/٣٥-٤٢).

(٢) سفر إشعياء (١/٤-٥).

(٣) سفر دانيال (١/١-٧).

فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ ﴾ [(١)].

وليس المقصود من قوله تعالى ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ أن يكون مؤمناً به، بل المقصود منه عبد من عباده أعطاه الله أسباب القوة الدنيوية، لأن المعروف من تاريخ بخت نصر أنه كان مشركاً.

ونبيهم «إرميا» أيضاً يشير إلى خراب بني إسرائيل بيد ملك بابل إذ يقول: «لذا هكذا قال رب الجنود من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامي، هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال. يقول الرب وإلى بنوخذر أصرّ عبدي ملك بابل، وأتى بهم على هذه الأرض، وعلى كل سكانها، وعلى كل هذه الشعوب حواليها، فأحرمهم وأجعلهم دهشاً صغيراً، وخرباً أبديةً، وأبيد منهم صوت الطرب وصوت الفرح صوت العريس وصوت العروس صوت الأرْحِيَة ونور السراج. وتصير كل هذه الأرض خراباً ودهشاً، وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة» [(٢)].

هذا هو فسادهم في المرة الأولى.

وبقي بنو إسرائيل في بابل أكثر من أربعين سنة.

ثم يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [(٣)] يعني أن الله جعل لهم من

(١) سورة الإسراء (٥).

(٢) سفر إرميا (٢٥/٩-١١).

(٣) سورة الإسراء (٦).

عاونهم بعد هذه المحنة. ولعل المقصود منه هو «كورش» (CYRUS) ملك إيران الذي حارب البابليين وهزمهم، فضعف سلطانهم، ثم نزل بهم «داريوس» ملك فارس، وفتح بابل سنة (٥٣٨ ق.م.) وأذن لليهود في سنة (٥٣٠ق.م.) أن يرجعوا إلى أورشليم، ويجددوا دولتهم.

والوعد بهذا النصر ورد أيضاً في سفري أشعياء وإرمياء.

ثم يقول تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ ﴾[(١)].

فقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أي وعد المرة الآخرة، أي إذا أفسدتم المرة الثانية وجاء أعداؤكم ﴿ لِيَسُـٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾أي يهينوكم ويقهروكم.

وقوله: ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ﴾ أي بيت المقدس ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي مما سبق الذي جاس فيها خلال الديار. وفيه إشارة إلى أنهم أفسدوا المرة الثانية وذلك في عهد الرومانيين لما تمردوا عليهم، فأرسل قيصر رومية قائده « سيسيانوس » مع ابنه «طيطس» بالجيوش في حدود (٧٠م) وذلك بعد ستة قرون، فخرب أورشليم، وأحرق بيت المقدس، وأسر عدداً من اليهود. وألحق بهم هزيمة نكراء، وأوقع فيهم قتلاً كبيراً بعد أن طغى بنو إسرائيل وملئوا الأرض ظلماً وعدواناً، وقتلوا الأنبياء

(١) سورة الإسراء (٧).

والعلماء، فسلط الله عليهم من أذاقهم أشد العذاب.

كان يوسيفوس المؤرخ اليهودي شاهد عيان لخراب بيت القدس، وأرّخ ذلك في كتابه المشهور في تاريخ اليهود باسم: «تاريخ يوسيفوس»[١].

وبهذا انتهى أمر اليهود وانقرض، وتفرقوا في الأرض، ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان إلا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة (١٦هـ) صلحاً.

وفي هذه الآيات إشارة واضحة بأنهم إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم، وإن أساءوا أساءوا إلى أنفسهم، فإن السنة الإلهية لا تختلف عما سبق فيهم، وقد حصل لهم ما حصل بعد الإسلام لما بغوا وطغوا.

### دور القضاة

لم يستطع العبرانيون أن يفتحوا في أرض الميعاد إلا منطقة التلول الداخلية، وأما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصد هجومهم، كما مر آنفاً، ويحدث تاريخ اليهود بأن بني إسرائيل شعب متمرد على شريعة الله.

«وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب»[٢].

فالله تعالى أقام فيهم رجالاً يدعونهم إلى شريعته وكانوا يسمون

(١) ص (٢٥١) وطبع هذا الكتاب على نفقة الخواجات ببيروت سنة ١٨٧٢م.

(٢) القضاة (٢/١١-١٣).

القضاة، ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، فكانت طاعة هؤلاء القضاة واجبة عليهم -إلا أنهم- -فعلاً- لم يكونوا مثل رؤساء القبائل البدوية، فتفرقت كلمة بني إسرائيل، فكان كل قاض مسئولاً عن قبيلته، فتكون من ذلك مجلس للقضاء، وكان رئيس هذا المجلس هو شبة الحاكم في الدولة، واستمر دور هؤلاء القضاة بعد يوشع بن نون إلى صموئيل وهو آخر قاض لبني إسرائيل، وتستغرق هذه الفترة أربعمائة وخمسين سنة على حساب سفر القضاة[١].

وقد ثبت بعد التحقيق أن هذه الفترة لا تزيد عن مائة وخمسين عاماً على أكثر التقدير، فإن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل حوالى (١٢١٠ ق. م) وتوفي يوشع بن نون (١١٣٠ ق. م) ، وبعد وفاته بدأ عهد القضاة الذي استمر إلى (١٠٢٠ ق. م).

وسبب الخطأ هو أن كاتب سفر القضاة جعل يحسب لكل قاض أربعين سنة، وهو جهل بالتاريخ[٢].

(١) أعمال الرسل (١٣/٢٠).

(٢) انظر: دائرة المعارف البريطانية (٢/٨-٩).

وإليكم فهرس هؤلاء القضاة ومدة قضائهم:

| اسم القاضي | مدة القضاء | اسم القاضي | مدة القضاء |
|---|---|---|---|
| عثنئيل | ٤٠ سنة | مفتاح | ٦ سنوات |
| أهود | ٨٠ سنة | أيصان | ٧ سنوات |
| شمجر | غير معروفة | أيلون | ١٠ سنوات |
| دبورة وباراق | ٤٠ سنة | عبدون | ٨ سنوات |
| جدعون | ٤٠ سنة | شمسون | ٢٠ سنة |
| ابيمالك | ٣ سنوات | علي الكاهن | ٤٠ سنة |
| تولع | ٢٤ سنة | صموئيل | ١٢ سنة |
| بائير | ٢٢ سنة | – | – |

مجموع مدة قضاء هؤلاء (٣٨٠) سنة، ومدة شمجر غير معروفة، وإذا أضيف إليه أربعون سنة، فالمجموع لا يبلغ (٤٥٠) سنة. ثم إن عدداً من القضاة كانوا في فترة واحدة من الزمن.

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية، وللفكر اليهودي، فبدأ الإسرائيليون الذين كانوا شعباً متنقلاً، ويستقرون في المدن والقرى، ويتعلمون الحياة الحضارية، ويتقدمون في معرفة الحدادة، والنجارة، وحصل لهم بعض التقدم في الصناعات الأخرى، وكان الكنعانيون هم أساتذتهم في هذا الميدان.

ومع ذلك كله فإن بضاعتهم من التقدم الحضاري لم تكن إلا ضئيلة حتى إلى عهد سليمان نبي الله من أعظم ملوك بني إسرائيل، كانوا مضطرين لجلب البنائين والعمال المتفنّين من الخارج [١].

دور الملوك:

تحدث التوراة أن الإسرائيليين طلبوا من «صموئيل» آخر قضاتهم أن يعين لهم ملكاً أسوة بالممالك الكنعانية والفلسطينية، فعين الملك «شاول»[٢].

واستمر شاول في حكمه إلى أن تقلد الحكم الملك داود نبي الله عليه السلام، فاستطاع أن يخضع له أكثر المدن الفلسطينية كما تمكن من إخضاع مملكة صوبا الآرامية الغنية بمناجم النحاس، وأخذ من ملكها نحاساً كثيراً [٣] صنع منه الدروع، والأسلحة، واتخذ من أورشليم عاصمة له بعد الاستيلاء عليها، وبدأ في بناء معبد كبير للإله «يهوه» ، واستمر حكمه زهاء أربعين سنة، ثم انتقل الحكم إلى ابنه سليمان نبي الله، فأكمل بناء الهيكل، وتعتبر حكومة سليمان في تاريخ اليهود من أرقى وأعظم دوله، ولكن يجب أن يكون على بالنا المقصود بذلك أمر نسبي.

يقول «ويلز»: «من الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور، فسليمان لم يكن -وهو في أوج مجده- إلا ملكاً صغيراً، تابعاً يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال، وسرعة الزوال بحيث إنه لم يتنقض

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص (١٥).

(٢) صموئيل الأول (١٠٥،١٩-٢٠).

(٣) صموئيل الثاني (٨/٨).

بضعة أعوام على وفاته حتى استولى «شيشنق» أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم، ونهب ما فيها من كنوز، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام، وهم يقولون: إن الكبرياء القوي لدى كتاب متأخرين هو الذي دعاهم إلى إضافة أشياء إلى القصة والمبالغة» [١].

ويقرر «ويلز» في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية»: أن قصة ملك سليمان وحكومته التي أوردها الكتاب المقدس تعرضت لحشود وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر، وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي، بل الإسلامي على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان من أشد الملوك عظمة وأبهة، وأسهب سفر الملوك الأول في تصوير مجد سليمان وأبهته وفخامته، ولكن الحق أنه إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث أورمسيس الثاني أو بنوخذ نصر.. فإن منشآت سليمان تبدو من التوافه الهينات [٢].

ونحن المسلمين لا نبالغ في عظمة مملكة سليمان كما تصفه التوراة، ولا ننقص من شأنه كما فعل ويلز وغيره من المؤرخين، فإن الله أكرمه بمنح عدة خصائص ورد ذكرها في القرآن الكريم منها: تسخير الجن والإنس:

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ

(١) مقارنة الأديان - اليهودية ص (٧٩).

(٢) مقارنة الأديان - اليهودية ص (٨٠).

عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (١).

ومنها تسخير الرياح:

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٢).

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ ﴾ (٣).

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤).

ومنها: أن الله وهب له ملكاً لا يضاهيه أحد:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٥).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن

---

(١) سورة سبأ (١٢).

(٢) سورة الأنبياء (٨١).

(٣) سورة سبأ (١٢).

(٤) سورة ص (٣٦-٤٠).

(٥) سورة ص (٣٥).

عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة ليقطع على صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ فرددته خاسئاً»[1].

وغيرها مما تميز به حكم سليمان عليه السلام. والمراد من دعوة سليمان في قوله تعالى: ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ تسخير الإنس والجن والرياح وغيرها من المخلوقات، لا سعة الملك.

وبعد وفاة سليمان عليه السلام، ظهرت الخلافات بين الإسرائيليين، وقد استغل هذه الفرصة «يربعام بن نباط» الذي كان قد تمرد على سليمان، وهرب إلى مصر، ولما سمع بوفاته عاد إلى فلسطين، وبدأ يعدّ عُدَّته لمحاربة ابن سليمان «رحبعام» الذي جلس على عرش أبيه، واستطاع خلال المعارك التي دارت بينهما أن يكسب ثقة جماهير الشعب، فلم يبق مع «رحبعام» إلا سبطا يهوذا وبنيامين، فاتخذ أورشليم عاصمة لبلاده، وسميت هذه المملكة باسم يهوذا.

وأما «يربعام» فتمكن من السيطرة على شمال البلاد، وأقام دولة سماها «مملكة إسرائيل» ، واتخذ من «شكيم» عاصمة لمملكته، لأنه خشي أن تذهب الأسباط الخاضعة له لتقديم ذبائحها في هيكل أورشليم، وتعود إلى الولاء لرحبعام، فصنع صنمين من الذهب على صورة عجلين، أقام واحداً

(١) البخاري، كتاب الصلاة باب (٧٥) وكتاب الأنبياء باب (٤٠) (٦/٤٥٧).

منهما في «دان» في أقصى الشمال من مملكته، والآخر في «بيت ايل» في أقصى الجنوب، وطلب من الشعب عبادتهما، وبنى معابد وثنية أقام فيها كهنة من غير اللاويين، وفرض نفسه رئيساً لهم.

هذه هي سيرة مؤسس دولة إسرائيل، وهو بهذا كفر بالله وبرسوله، وخرج من دين موسى عليه السلام.

وكان هذا الانقسام وبالاً عليهم، إذ وقعت المملكتان في حرب دموية مستمرة، ودفع البعض أن يتخذ بالأجانب لضرب الآخر.

ففي السنة الخامسة من حكم «رحبعام بن سليمان» شن ملك مصر «شيشنق الأول» - وقيل: إن اسمه «سيزاك» - الغارة على أورشليم، ودمّر بيت المقدس ونهب ما فيه.

«وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان» [١].

وبقي بنو إسرائيل خلال ثلاثة قرون بين الارتقاء والانحطاط، وفي القرن السادس قبل الميلاد غزاهم ملك باب «بنوخذ نصر» فحاصر أورشليم، وأسر أكثر من عشرة آلاف من اليهود، وذهب بهم إلى بابل، وجعلهم عبيداً وخدماً، وخرب بيت المقدس، وأزال عنه جميع الآثار، وقضى على مملكتي إسرائيل ويهوذا الهزيلتين، وكان عدد الملوك الذين حكموا خلال الثلاثة قرون هذه عشرين ملكاً، وورث الآراميون ديار يهوذا الجنوبية من الخليل إلى بئر سبع، ومن الآراميين الذين حكموا فلسطين في النصف الثاني من القرن

(١) الملوك الأول (١٤/٢٥).

الأول قبل الميلاد «هيرودس الكبير» (٣٧-٤ ق. م)، ثم بعده أبناؤه «ارفيلاوس» و «انتيباس» و «فليب» والآراميون.

فلما استولى الملك قورش الفارسي على بابل تخلص الإسرائيليون من أسر البابليين، وعادوا إلى فلسطين (سنة ٣٥٦ ق. م) ، وقد رحب الإسرائيليون بالملك الفارسي المجوسي الذي كان سبباً لنجاتهم.

ثم جاء الإسكندر المقدوني ملك اليونان غازياً لأورشليم، فلما اقترب من المدينة خرج إليه الحاخام الكبير في موكب رهيب، واستقبله استقبالاً حافلاً، وأدخله المدينة بسلام، وأطلعه على نبوءة دانيال القائلة بأن الإسكندر سيغلب الفارسيين.

وبهذه الحيلة تمكن اليهود من خدع الإسكندر، فعامل اليهود بالحسنى، *وأعفاهم من الضرائب سبع سنين، فلما مات الإسكندر، وخلفه في الحكم أحد قواده أخذ قسماً من اليهود، وأسكنه في مصر سنة (٣٢٠ ق. م) وفي سنة (٣٠٠* ق. م) استولى على مملكة «يهوذا» ملك سوريا «سيكوكوس نيكانور».

وفي عام (٢٠٣ ق. م) وقعت مملكة يهوذا مرة ثانية تحت حكم ملوك سوريا «السلوسيديين» ، فأثقلوا كاهل اليهود بالضرائب، واضطهدوهم من أجل دينهم أكبر اضطهاد.

وفي عام (١٦٥ ق. م) تمكن «يهوذا كابيه» من الرجوع إلى أورشليم حتى جاء عصر المسيح عليه السلام ، وكانت أورشليم تحت الحكام الرومانيين إلا أن اليهود أظهروا لهم الولاء والطاعة، حتى أصدروا الحكم بإعدام السيد المسيح.

ثم ساءت علاقات اليهود مع الحاكم الرومي، وكشف أمرهم، فبدأ يضطهدهم أشد الاضطهاد، ويقال: إنه قتل عام (١٣٥ م) أكثر من خمسين ألفاً من اليهود، وهدم معبدهم، ومن ذلك تمزق شملهم، وانشق عصا وحدتِهم، فتفرقوا في البلاد، فمنهم من ذهب إلى بلاد آسيا من أفغانستان والهند إلى الصين، ومنهم من ذهب إلى بلاد أوروبا.

تقول دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية، ونقل منها فريد وجدي في دائرته: «ولما فتح المسلمون بلاد الرومان حسن حال اليهود، فاشتغلوا بالتجارة، ناعمي البال في بغداد، والقاهرة، وقرطبة، وباختلاطهم بالعرب درسوا العلوم والصنائع بنجاح، ومن أول القرن التاسع صار لهم مراكز في القاهرة، وفارس، ومراكش، وفي ذلك العهد قلّ عددهم في بابل وكثر في فلسطين، وحظوا بالتقرب من خانات المغول المسلمين» (١).

هذا هو تاريخ اليهود باختصار. ويظهر منه أن اليهود ليسوا من سكان فلسطين الأصليين، بل إنهم من الأجانب جاؤوا إليها غزاة وخرجوا منها خاسرين.

إن الحوادث والوقائع التي يذكرها العهد القديم، يختلف الباحثون في تحديد زمان كل حادثة منها، وأنا أنقل هنا آخر ما ما توصل إليه الباحثون النصارى في تحديد هذه التواريخ من كتاب «تاريخ بائبل» للمؤلف البروفسور بي . إسرائيل. دين.

---

(١) دائرة المعارف القرن العشرين (١/٢٨٤-٢٨٥).

١- من خلق آدم إلى طوفان نوح (٢٣٤٨ ق. م).

٢- من طوفان نوح إلى إبراهيم (٢٣٤٨- ١٩٢١- ق. م).

٣- من ولادة إبراهيم إلى هجرة يعقوب إلى مصر (١٩٢١-١٧٠٦ ق.م).

٤- من يعقوب إلى خروج بني إسرائيل من مصر (١٧٠٦- ١٤٩١ ق.م).

٥- من خروج بني إسرائيل من مصر ألبتة إلى سيناء (١٤٩١-١٤٥١ ق.م).

٦- من دخول بني إسرائيل في أرض كنعان إلى وفاة يوشع (١٤٥١-١٤٠٠ ق. م).

٧- عهد القضاة من وفاة يوشع إلى شاول (١٤٠٠-١٠٩٥ ق.م).

٨- الحكومة الموحدة لبني إسرائيل (١٠٩٥-٩٧٥ ق. م).

٩- من رحبعام إلى سقوط السامرة (٩٧٥ - ٧٢٢ ق. م).

١٠- من رحبعام إلى سقوط أورشليم (٩٧٥-٥٨٦ ق. م).

١١- من سقوط أورشليم إلى رجوع بني إسرائيل من الأسر البابلي (٥٨٦-٥٣٦ ق. م).

١٢- من رجوع بني إسرائيل من بابل إلى تدوين الكتب الوثنية (٥٣٦-٤٠٠ ق. م).

ونستخلص من هذا التاريخ الأمور الآتية:

١) لم يكن بنو إسرائيل من أهل فلسطين، بل دخلوها غزاة.

٢) لم يملك بنو إسرائيل يوماً من الأيام جميع أرض فلسطين.

٣) لم يرض سكان فلسطين بحكم بني إسرائيل، بل ناضلوهم حتى

أخرجوهم مراراً.

٤) كان اليهود ينتظرون خروج نبي من وادي القرى تكون مهاجرته «يثرب» كما جاء في كتاب أشياع: «لنزنم سالع» (اسم جبل من جبال المدينة المنورة) على رؤوس الجبال، وغنوا للرب أغنية جديدة.

وقد ظنوا أنه سيكون من ذرية إسحاق كي يساعدهم على أعدائهم من الفرس والروم والآشوريين وأهل فلسطين من الفينيقيين وغيرهم، فحرص اليهود على أن يسكنوا قريباً من موضع مهاجرته فاستوطنوا حول يثرب وخيبر وفدك.

ولما فوجئوا بظهور هذا النبي من ذرية إسماعيل كفروا به، وقد أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[1].

٥) أنهم لم يلتزموا أبداً ما أنزل الله تعالى على موسى من عقيدة وأحكام، فأذلهم على أيدي أعدائهم، وكتب عليهم الذلة والمسكنة.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[2].

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

---

(١) سورة البقرة (١٤٦).

(٢) سورة البقرة (٦١).

ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1].

ضربت عليهم الذلة والمسكنة إلى يومنا هذا منذ أن اقتحم «طيطس» عام (٧٠ ق.م.) أورشليم والمدن الأخرى وأحرقها، وأباد معظم سكانها من اليهود، وأخذ البقية منهم أسرى، فانقطعت صلة اليهود بفلسطين، ولم تقم لهم قائمة إلا بعد مؤامرة الدول الأوربية عام ١٩٤٨م بقيام دولة إسرائيل.

(١) سورة آل عمران (١١٢).

## حالة اليهود عند نزول القرآن كما يصوره القرآن

**١- كفرهم بالله واليوم الآخر:**

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١).

كان اليهود يؤمنون بالله ولكنهم أشركوا به في ذاته وصفاته، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فكان هؤلاء يشرعون لهم من الدين ما يشاءون، فينفي الله سبحانه وتعالى عنهم الإيمان بهذا المعنى.

**٢- إنكارهم الإيمان بالتوراة:**

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢).

**٣- استهزاؤهم بالله:**

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ (٣).

---

(١) سورة التوبة (٢٩).

(٢) سورة المائدة (٤٣).

(٣) سورة آل عمران (١٨١).

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (١).

٤- كفرهم بالنبي المنتظر:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢).

والتاريخ يشهد بأن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر، وقد عرفه اليهود حق المعرفة، ولكن لما سبقهم أهل يثرب إلى الإيمان به حسدوهم، وخالفوه وحاربوه، وقصة أم المؤمنين صفية بنت حيي زعيم اليهود فيه خير دليل على هذه الحقيقة.

٥- لبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق:

﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ (٣).

٦- نفاقهم:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ

---

(١) سورة المائدة (٦٤).

(٢) سورة البقرة (٨٩).

(٣) سورة البقرة (٤١-٤٢).

قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾(1).

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (2).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (3).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ

---

(١) سورة البقرة (٧٦).

(٢) سورة آل عمران (٧٢).

(٣) سورة آل عمران (١١٨-١٢٠).

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ (١).

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٢).

**٧- تركهم النهي عن المنكر:**

﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٣).

**٨- موالاتهم للكفار والمشركين:**

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٤).

**٩- تحريفهم لكتاب الله:**

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ

---

(١) سورة المائدة (٤١).

(٢) سورة البقرة (٨٨).

(٣) سورة المائدة (٧٩).

(٤) سورة المائدة (٨٠-٨١).

كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴾[2].

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ ﴾[3].

﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[4].

**١٠- نبذهم للعهود:**

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[5] [6].

---

(١) سورة البقرة (٧٥).

(٢) سورة النساء (٤٦).

(٣) سورة المائدة (٤١).

(٤) سورة البقرة (٧٩).

(٥) سورة البقرة (١٠٠).

(٦) وقد سجل التاريخ مئات من الحوادث وقعت لنبذهم العهود مع جيرانهم ففي غزوة الخندق لما أغار أبو سفيان بجيش من كفار مكة ومشركيها على المدينة، نبذ بنو =

**١١- ادعاؤهم بأنهم أبناء الله:**

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ

=

قريظة عهودهم للنبي ﷺ ، وانضموا إلى جيش المشركين لمحاربة جيرانهم، وكان من حال المسلمين كما وصفه القرآن الكريم:

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الأحزاب (١٠-١٥).

(١) سورة المائدة (١٨).

وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(١)].

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[(٢)].

**١٢- أكلهم أموال الناس بالباطل:**

﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[(٣)].

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ ﴾[(٤)].

**١٣- جبنهم في الحروب:**

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران (٢٤).

(٢) سورة البقرة (٩٤).

(٣) سورة النساء (١٦١).

(٤) سورة المائدة (٤٢).

(٥) سورة آل عمران (١١١-١١٢).

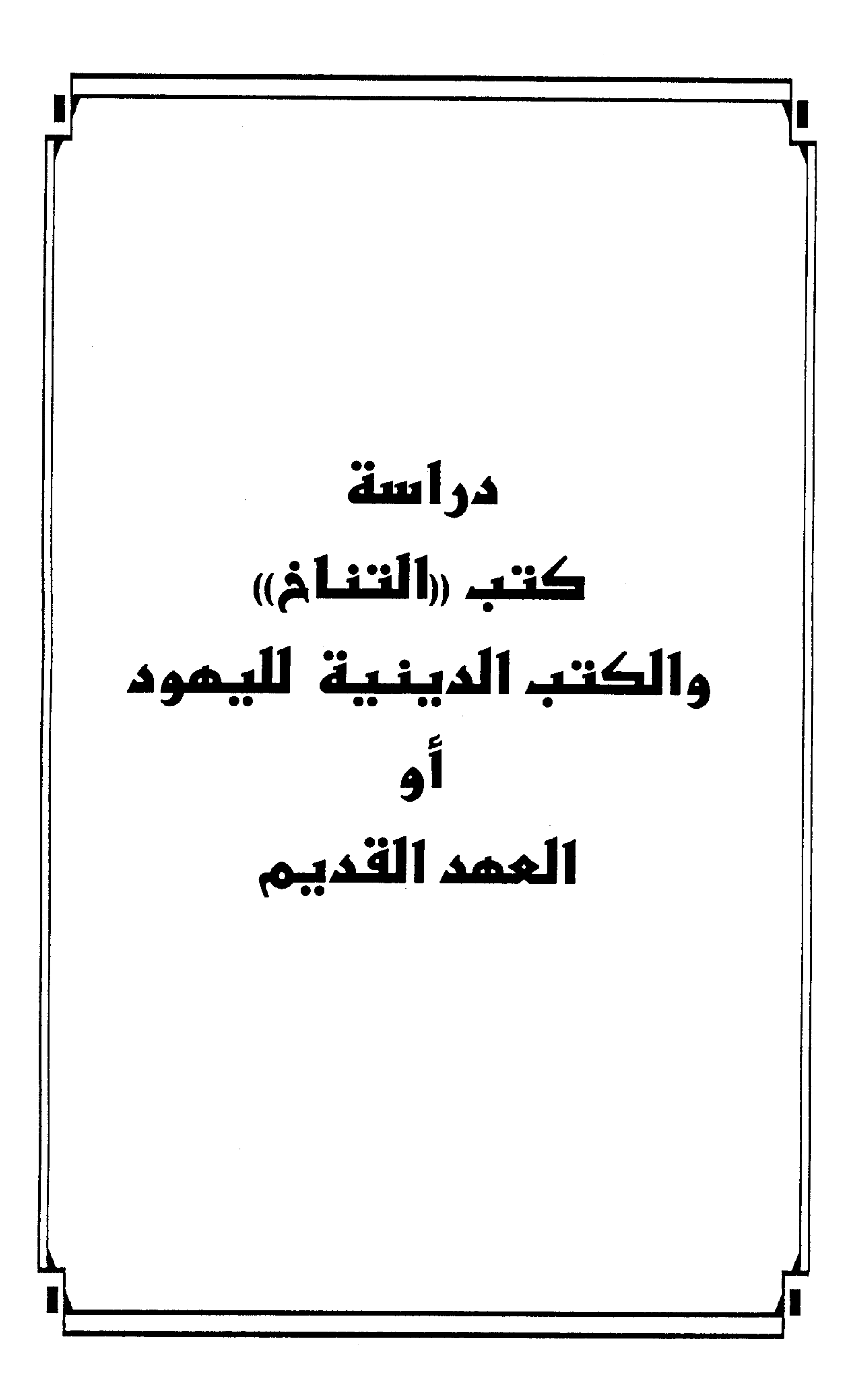
**١٤- حبهم للدنيا:**

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

هذه حال اليهود عند نزول القرآن وهم لا يزالون على هذه الأحوال بل ازدادوا فيه سوءاً إلى سوء.

---

(١) سورة البقرة (٩٦).



# دراسة
# كتب «التناخ»
# والكتب الدينية لليهود
# أو
# العهد القديم

## مجموعة العهد القديم

كتب اليهود الدينية تشتمل على ثلاث مجموعات وهي:

١- أسفار التوراة (توراة).

٢- أسفار الأنبياء (نَبيئيم).

٣- أسفار الكتب (كُتُبِيم).

وهي تسمى باختصار « التناخ» وهي كلمة منحوتة من الحروف الأُول لأسماء المجموعات الثلاث. فالتاء للتوراة، والنون للنبيين، والكاف للكتب، وأصبحت الكاف خاء لوقوعها بعد المد.

وأما النصارى فيطلقون على هذه المجموعة « كتب العهد القديم» لأنهم اصطلحوا اصطلاحين:

أحدهما: العهد القديم ( OLD TESTAMENT ) .

والآخر: العهد الجديد ( NEW TESTAMENT ) .

ويقصدون بالعهد: الميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني آدم، فالعهد القديم هو: الميثاق القديم، وقد تم قطع العهد القديم الذي هو مواعيد الله لإبراهيم بدم الحيوانات، وما رافقه من شعائر الغسل، والصوم، والأعياد، ويعنون بالعهد الجديد: الميثاق الذي أخذه الله من عيسى عليه السلام.

ومجموعة العهدين تسمى «بائبل» ( BIBLE ) ، وهي كلمة يونانية من (BIBLIA ) ومعناها «الجلد المصري الذي كان يستعمل في العصور القديمة للكتابة عليه»، ثم أضاف النصارى كلمة (SAERA) «أي المقدس».

ولعل بولس اليهودي الذي ادعى الإيمان بالمسيح بعد رفعه ﷺ، أول من استعمل في رسالته الثانية أهل كورنتوس[١] عبارة «العهد القديم» للمجموعة المتضمنة أسفار الشريعة والأنبياء، وسائر الكتابات اليهودية.

وأما العهد الجديد فاستعمله «متى» [٢] حسب زعمه على لسان المسيح ﷺ.

ومعظم كتب العهد القديم هي بالعبرانية، والعبرانية لغة سامة تشبه العربية من وجوه كثيرة، وقد وجدت في العهد القديم فصول بالآرامية وهي لغة شبيهة بالعبرانية، إلا أنه لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية التي كتبها الملهمون[٣] .

والعهد القديم العبراني الموجود بين أيدينا مأخوذ عن النسخة الماسورية التي أعدتها جماعة من علماء اليهود في طبرية من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

وطبع العهد القديم بالعبرانية عام ١٤٨٨م لأول مرة، ثم طبع ثانية ١٤٩٤م وهذه هي النسخة التي ترجمت فيما بعد بالألمانية إلى أن كثرت طباعته.

ومعنى هذا أن العهد القديم بقي خلال ستة قرون تقريباً بين الحذف

---

(١) (١٤/٣) وكورنتوس: عاصمة مقاطعة إخائية في بلاد اليونان، ذهب إليه بولس مبشراً بالمسيحية في حدود (٥٣) ق. م.

(٢) (٢٩/٢٦).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٧٦٣).

والزيادة، والتبديل والتغيير، والتهذيب والتنقيح، كما كانت هذه الروايات تروى شفوياً مرة، وكتابياً مرة أخرى، ويذهب «موريس بوكاي» العالم الفرنسي أبعد من هذا، ويقول:

كتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث المنقول شفوياً، وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت، أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً[١].

وقد حاول علماء اليهود في هذه الفترة أن يجعلوا العهد القديم متفقاً مع الحوادث والتواريخ، والعلم الذي وصل إليه البشر في هذه الحقبة من الزمن.

يقول تامس: «إن أحبار اليهود غيروا ثمانية عشر مكاناً من متن التوراة وهي معروفة اليوم بتصحيح الأحبار» [٢].

وأما الأماكن الأخرى، فاكتفوا بالإشارة فيها إلى أن هذا ليس بحسن، والأفضل أن يكون كذا، وهي أكثر من ألف مكان.

يقول كاتب«قاموس الكتاب المقدس» :

«وقد دون الماسوريون الإصلاحات التي ارتأوها على النص، وجعلوها في الحاشية، تاركين للعلماء الخيار في قبولها أو رفضها بعد البحث والتدقيق» [٣].

---

(١) دراسة في الكتب المقدسة ص (٢٣).

(٢) ص ١٤ .HISTORY OF THE ENGLISH BIBLE

(٣) ص (٧٦٣).

وتختلف الفرق المسيحية في عدد كتب العهد القديم:

فعند البروتستانت يتكون من ٣٩ سفراً، وهو الذي نقوم بدراسته. بينما ذهب الكاثوليك إلى أنه يتكون من ستة وأربعين سفراً، فزادوا سفري «طوبيا» و «يهوديت» بعد سفر «نحميا». وسفري «الحكمة» و «يشوع بن سيراخ» بعد سفر نشيد الإنشاد. وسفر «باروك» بعد سفر «مراثي أرمياء» . وسفري «المكابيين» الأول والثاني بعد سفر «ملاخي».

كما ذهب غيرهم من الأرثوذكسيين والإنجيليين إلى أنه يتكون من ثلاثة وخمسين سفراً، وغير ذلك من الأعداد.

وهاهي أسماء تسعة وثلاثين سفراً: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عزرا، نحميا، استير، أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد، إشعياء، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صَفَنْيا، حَجَّي، زكريا، ملاخي.

وقسمها اليهود إلى ثلاثة مجموعات وهي: ١- الناموس. ويعنون به أسفار موسى الخمسة. ٢- والأنبياء. ٣- الكتب.

(الأول) كتب موسى، وهي خمسة، تسمى الناموس، ويقال لها أيضاً: «التوراة» باللغة السامية وأصلها «تورة بالعبرية» ومعناه - الشريعة.

ومعنى الناموس -القانون- وهي كلمة يونانية الأصل، ويقصدون بناموس موسى - أي الشريعة التي وضعها موسى عليه السلام بوحي من الله في

الأمور الطقسية والسياسية والاجتماعية.

وإلى هذا الناموس أشار نبي الله عيسى عليه السلام كما قال متى: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (١).

وكان من ضمن ناموس موسى الكثير من العادات التي كانت معروفة من قبله فجعلها قانوناً رسمياً مثل قصاص القاتل، كما جاء في سفر التكوين: «سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه، لأن الله على صورته عمل الإنسان» (٢).

وتحريق الزانية كما جاء في سفر التكوين أيضاً:

«ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا، وقيل له: قد زنت ثامار كنتك، وها هي حبلى أيضاً من الزنا، فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق» (٣). وغيرها من الكلام.

وكان الناموسيون وهم المتخصصون في تفسيره ألد الأعداء للمسيح عليه السلام لأنهم اتخذوا عمل التفسير مهنة بين اليهود، ولما ظهر المسيح خافوا على مراكزهم فندد بهم المسيح بلهجة قاسية.

يروي لوقا في إنجيله:

«فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حين تقول هذا، تشتمنا نحن أيضاً، فقال: وويل لكم أنتم أيها الناموسيون، لأنكم تحملون الناس أحمالاً

---

(١) إنجيل متى (١٧/٥).

(٢) (٦/٩).

(٣) (٢٤/٣٨).

عسيرة الحمل، وأنتم لا تمسون الأحمال بأيدي أصابعكم»[١].

وإلى هؤلاء يشير كتاب الله الكريم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[٢].

ويعتقد اليهود والمسيحيون أن الناموس وحي من عند الله وليس موسى إلا رسول ومبلغ لهذا الناموس، ثم تطور الأمر فقيل: إن موسى كان كاتب هذه الأسفار التي تتناول أصل الكون حتى دخول الشعب اليهودي أرض كنعان بعد الخروج من مصر.

ويدل على ذلك فقرات من التوراة المزعومة منها:

«فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع»[٣].

والمقصود بهذا هزيمة العماليق.

ومنها: «وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب»[٤].

ومنها: «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب»[٥].

---

(١) إنجيل لوقا (١١/٤٥-٤٦) .

(٢) سورة الجمعة (٥).

(٣) سفر الخروج (١٧/٤).

(٤) سفر العدد (٣٣/٢).

(٥) سفر التثنية (٣١/٩).

ثم إن الدراسات البيولوجية الحديثة كشفت النقاب عن حقيقة أخرى وهي أن هذه الأسفار استمر تأليفها ثلاثة قرون على أقل تقدير من الخروج إلى دخول بني إسرائيل أرض كنعان، وموت موسى، لأن موسى لم يدخل أرض كنعان إضافة إلى ذكر موته في أرض مواب.

ففي كتاب التثنية:

«فمات هنا موسى عبد الرب في أرض مواب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مواب مقابل بيت فخور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» (١). وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه، ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل على موسى في عربات مواب ثلاثين يوماً، فكملت أيام بكاء مناحة موسى (٢).

ويعلق على هذه القصة الحافظ ابن حزم بقوله:

«هذا آخر توراتهم وتمامها، وهذا الفصل شاهد عدل، وبرهان تام،ودليل قاطع، وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم مَن تخرص بجهله، أو تعمد بفكره، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته...».

وقال: «وقوله لم يعرف قبره آدمي إلى اليوم، بيان لما ذكرنا كاف،

---

(١) سفر التثنية (٣٤/٦-٥). أي إلى تأليف التوراة، ولكن الله أطلع نبينا ﷺ على قبر موسى كما سبق ذكره، وأنه وحده في قبره يصلي. وقد أشرت فيما سبق بأن حياته هذه كانت حياة برزخية، لا حقيقية، لأنه مات ميتة طبيعية كأي بشر.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٨٦).

وأنه تاريخ أُلِّفَ بعد دهر طويل ولا بدَّ» [1].

واختلاف الاعتماد على شرعية هذه الأجزاء الثلاثة حسب تقسيم اليهود دليل واضح على أن ذلك لم يكن من كتابات موسى، ولا وحي من عند الله.

فيرى الباحثون أن الناموس استمكل شرعية في حدود ٤٠٠ ق. م. والأنبياء في حدود ٢٠٠ ق. م. والكتب حوالي ٩٠ م.

ولو كان كل ذلك من موسى، أو من الله تبارك وتعالى، لما تردد العلماء في الاعتماد على شرعيته.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٨٦).

# (القسم الأول) أسفار موسى

## السفر الأول

يمكن تقسيم هذا السفر حسب الموضوعات إلى ثلاثة أقسام:

١) خلق العالم ومراحله.

٢) تاريخ ظهور الإنسان على الأرض من آدم وحواء، ثم طوفان نوح، ثم عمارة الأرض من جديد بالسكان.

٣) ولادة إبراهيم، وأحواله، وأسفاره، ودعوته، وأحوال ذريته، ثم نزول بني إسرائيل إلى أرض مصر، وما حدث فيه من أيام يوسف وإخوته، إلى أن مات يعقوب ويوسف.

إذا أمعنا النظر في القسم الأول من سفر التكوين، وهو عن خلق العالم وجدنا فيه تناقضاً واضحاً وأخطاء سافرة من الناحية العلمية.

ويقول سفر التكوين:

«وقال الله: ليكن نور، فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن». وكان كل هذا في اليوم الأول.

وجاء في نفس الإصحاح في اليوم الرابع:

«وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات، وأيام، وسنين، وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير

على الأرض، وكان كذلك»[١].

ومعنى هذا أن النور وهو ردود فعل ضوئية من الكواكب خلق في اليوم الأول، بينما تأخر خلق الكواكب في السماء إلى اليوم الرابع، وفيه سبق النتيجة على الوسيلة، وهو أمر غير معقول.

«وأما اليوم السابع فاستراح الله من جميع عمله الذي عمل»[٢].

إذا كان المراد من الاستراحة، أي مشقة الخلق التي لحقته سبحانه وتعالى، فهذا فيه تنقيص لذاته، ونفى لعظمته وخاصة أن خلق السماوات والأرض كان بإرادته وقوله: «كن» فأين هذه المشقة؟

وإذا كان المراد، أنه تعطل اليوم السابع، ففيه نفي لديمومته وقيوميته، لأن الله تعالى لا يكون معطلاً، وقد أنصف القرآن الكريم لما وصفه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[٣].

ولما اعترض على هذه الفقرة، غيّر مترجموا التوراة معنى الاستراحة بالتوقف، فقالوا: إنه أكمل خلق السموات والأرض في ستة أيام، وفي اليوم السابع توقف عن العمل لأنه انتهى منه.

(١) التكوين (١/١٤-١٥).

(٢) التكوين (٢/١-٢).

(٣) سورة ق (٣٨).

ففي الترجمة الإنجليزية:

AND SO THE WHOLE UMIWERS WAS COMPLETED BY THE SEVENTH DAY GOD FINISHED WHAT HE HAD BEEN DOING AND STOPPED WORKING.

ونرى مثل ذلك في التراجم الأخرى مثل: الأردية، والهندية.

كما يتحدث الإصحاح ٤،٥،١١،٢١،٢٥ من هذا السفر عن أعمار آدم إلى إبراهيم، ووفاة كل سلف بالنسبة إلى خلق آدم.

وأنقل هنا جدولاً عمله العالم الفرنسي (موريس بوكاي) في كتابه الشهير«دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» :

| أسماء الأشخاص | تاريخ الميلاد بعد خلق آدم | مدة العمر في الأرض | تاريخ الوفاة بعد خلق آدم |
|---|---|---|---|
| ١- آدم | ... | ٩٣٠ | ٩٣٠ |
| ٢- شيت | ١٣٠ | ٩١٢ | ١٠٤٢ |
| ٣- أنوش | ٢٣٥ | ٩٠٥ | ١٠٤٢ |
| ٤- قينان | ٣٢٥ | ٩١٠ | ١١٤٠ |
| ٥- مهللئيل | ٣٩٥ | ٨٩٥ | ١٣٩٠ |
| ٦- يارد | ٤٦٠ | ٩٦٢ | ١٤٢٢ |
| ٧- أخنوخ | ٦٢٢ | ٣٦٥ | ٩٨٧ |
| ٨- متوشالح | ٦٨٧ | ٩٦٩ | ١٦٥٦ |
| ٩- لامك | ٨٧٤ | ٧٧٧ | ١٦٥١ |
| ١٠- نوح | ١٠٥٦ | ٩٥٠ | ٢٠٠٦ |
| ١١- سام | ١٥٥٦ | ٦٠٠ | ٢١٥٦ |
| ١٢- أرفكشاد | ١٦٥٨ | ٤٣٨ | ٢٠٩٦ |
| ١٣- شالح | ١٦٩٣ | ٤٣٣ | ٢١٢٢ |
| ١٤- عابر | ١٧٢٣ | ٤٦٤ | ٢١٨٧ |
| ١٥- فالح | ١٧٥٧ | ٢٣٩ | ١٩٩٦ |
| ١٦- داعو | ١٧٨٧ | ٢٣٩ | ٢٠٢٦ |
| ١٧- سروج | ١٨١٩ | ٢٣٠ | ٢٠٤٩ |
| ١٨- ناحور | ١٨٤٩ | ١٤٨ | ١٩٩٧ |
| ١٩- تارح | ١٨٧٨ | ٢٠٥ | ٢٠٨٣ |
| ٢٠- إبراهيم | ١٩٤٨ | ١٧٥ | ٢١٢٣ |

إذا نظرنا إلى هذا الجدول الزمني لخلق آدم وذريته، وأعمار كل منهم، عرفنا أن إبراهيم ولد في حياة نوح عليه السلام، ولم يثبت في التاريخ القديم لقاؤهما أبداً، كما أن هذا الجدول يؤدي إلى أنه بين طوفان نوح، وبين إبراهيم عليه السلام ٨٩٢ سنة، إذا جعلنا الطوفان عام ولادة نوح، وهو أمر غير مقبول.

فلا بد أن نؤخر عام الطوفان إلى بعض السنين، ونجعله بين ولادته ووفاته، فيكون في حدود ١٥٣١ سنة بعد خلق آدم، وحوالي ٤١٧ سنة بعد ولادة إبراهيم، وزمن إبراهيم على أكثر تقدير ١٨٠٠ ق. م، فعلى هذا أن طوفان نوح الذي أباد وجه الأرض المسكون من الإنسان والحيوان كان في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد، وذلك في أكثر التقدير، وإلا فالعالم الفرنسي «موريس بوكاي» يجعله قبل هذا القرن اعتماداً على الرواية الكهنوتية التي تحدد عمر نوح ٦٠٠ سنة، وهي مخالفة لما جاء في القرآن ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤ ﴾[1].

فإن هذا العصر قد ظهرت فيه، ومن قبله، حضارات قديمة. منها على سبيل المثال، فهذه الفترة بالنسبة لمصر، هي التي تسبق الدولة الوسطى (٢١٠٠ ق. م)، وهذا بالتقريب، وهو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة، وفي بابل أسرة أولى، أو الثالثة، ومن المعروف جيداً

---

(١) سورة العنكبوت (١٤).

أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات، وبالتالي لم يحدث إعدام يخص البشرية برمتها كما تقول التوراة، وبالتالي فلا يمكن اعتبار أن روايات التوراة الثلاث تصف الإنسان بأمور تتفق مع الحقيقة[١].

إضافة إلى ذلك، أن هذا التقدير يؤدي إلى وجود الإنسان قبل المسيح بثلاثة آلاف وسبعمائة سنة تقريباً فقط، مع أن الاكتشافات الحديثة تبين وجود الإنسان على وجه الأرض منذ عشرات الألوف من السنين، ويكفي ما جاء في إحدى دوائر المعارف التي كتبها المسيحيون أنفسهم، وأثبتوا فيها أن آثار الإنسان توجد في أرض فلسطين منذ مائتي ألف سنة[٢].

وماذا يقول المسيحيون عن «دونلد جانسن» المتخصص في علم الإنسان الذي أعلن في ١٩ يناير ١٩٧٩ م إنه كشف وجود الإنسان على وجه الأرض منذ أربعة ملايين سنة، وإن اكتشافه هذا يبطل نظرية «دارون» الارتقائية[٣].

---

(١) انظر: دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ص (٥٣-٥٤).

(٢) WORLD BOOK ENCYCLOPEDIA, P. ١٥

(٣) اليهودية والمسيحية ص (٧٤) للدكتور/ إحسان الحق رانا.

# (السفر الثاني) الخروج

الاسم مطابق للمسمى، فيه عرض لتاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، وطريق وصولهم إلى صحراء سيناء، وكيفية قضاء بني إسرائيل أربعين سنة فيها مع بعض الأحكام المتعلقة بالعبادات، والمعاملات، والعقوبات.

ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

١- في مصر، يمر السفر مر الكرام على القرون المتوالية التي أعقبت نزول يعقوب عليه السلام إلى مصر، ثم نزول الويلات على بني إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام، ثم ولادة موسى وحياته الأولى، ودعوته وكفاحه مع فرعون، وإنزال الضربات وغير ذلك.

٢- من مصر إلى سيناء: يصف هذا القسم الرحيل من رعمسيس، وشق البحر ونزول المنّ والسلوى في الصحراء.

٣- في سيناء: حياة بني إسرائيل في صحراء سيناء، وتمردهم على شريعة موسى، وعبادتهم للعجل الذهبي، وتنديد موسى بأعمال بني إسرائيل وذهاب موسى إلى جبل طور لأخذ الميثاق، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ

---

(١) سورة البقرة (٥١).

مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ (١).

وأهم ما يشتمل عليه هذا القسم هو الوصايا العشر، وإليكم ما جاء في هذا الخصوص:

**الوصايا العشر:**

لقد اختلف التوراة المزعومة في تلقي موسى للوصايا العشر، فمرة تقول: إن الرب تكلم بجميع هذه الكلمات(٢)، وإن موسى سجلها.

وتثبت أخرى أن هذه الوصايا أعطيت موسى مكتوبة في لوحي حجر بأصبع الله (٣).

وعندما نزل موسى من الجبل بعد أربعين يوماً، وعاد إلى بني إسرائيل وجد الشعب يعبدون العجل، فاستشاط غيظاً، وفي غيظه كسر اللوحين، ولكنه بعد أن طهر الشعب المتمرد على الله، صعد مرة أخرى إلى الجبل بناء على أمر الرب، وعاد حاملاً لوحين جديدين، كتبت عليهما وصايا الرب(٤) إلا أن هذين اللوحين كانا من نحت موسى نفسه(٥).

اختلاف هذه الروايات يوهن الاعتماد على هذه التوراة المزعومة.

الوصايا الثلاث الأولى التي تعني بواجبات الإنسان نحو الله كانت في

---

(١) سورة الأعراف (١٤٢).

(٢) سفر الخروج (١/١٩).

(٣) سفر الخروج (١٨/٣١، ١٥/٣٢-١٦).

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٩-١٠).

(٥) سفر الخروج (١/٣٤، ٤).

اللوح الأول.

والسبع الأخيرة التي تعني بواجبات الإنسان تجاة الإنسان كانت في اللوح الثاني.

هذا هو تقسيم أوغسطين، وأخذت به الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ولدى اليهود والنصارى تقسيم آخر، وهو أن يجعل أربع وصايا في اللوح الأول، والست الباقية في اللوح الثاني.

وإليكم هذه الوصايا بالترتيب الذي جاء ذكرها في التوراة المزعومة:

١) أنا الرب، إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن له آلهة أخرى أمامي.

٢) لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورةً ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك، إله غيور، أفْتَقِد ذنوب الآباء في الأبناء، وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني، وأصنعُ إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يُبَرِّئ من نطق باسمه باطلاً.

٣) احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع أعمالك، وأما اليوم السابع فسبتٌ للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنُك وابنتُك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع

الربُ السماءَ، والأرضَ، والبحرَ، وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الله يوم السبت وقدسه.

٤) أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

٥) لا تقْتلْ.

٦) لا تزْنِ.

٧) لا تسرقْ.

٨) لا تشهد على قريبك شهادة زور.

٩) لا تشته امرأة قريبك.

١٠) لا تشته بيت قريبك، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك[١].

إن خروج بني إسرائيل من مصر، ومن العبودية التي كانوا يخضعون لها تعتبر من أكبر الحوادث التاريخية في تاريخ بني إسرائيل، وذلك لأن الله نجاهم من ظلم الفراعنة، ومن تبعية المصريين، واستغلالهم والعبودية لهم.

والقرآن الكريم يذكرهم بهذه الحادثة أيضاً في كثير من الآيات ليرجعوا إلى دين الله، وتحكيم شريعة المبعوث بها محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

فبدلاً من أن يذعنوا لهذا ويرجعوا إلى صراط الله المستقيم، اتخذوا هذا اليوم عيداً، وسموه «عيد الفصح» ، وهو لفظ عبري معناه «عبور» ويسمى أيضاً «عيد الفطير» لأنهم خرجوا من مصر مسرعين، ولم يعدوا خبزهم

---

(١) انظر: سفر الخروج (٢٠/١-١٧) والتثنية (٥/٦-٢١).

كالمعتاد، وإنما أعدوا فطيراً دون أن يختمر.

وقد تحدث الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج بتفصيل عن هذا العيد، وهو أنه يبدأ مساء الرابع عشر من شهر أبيب «أي نيسان – ابريل» ويستمر إلى اليوم الحادي والعشرين مساء، ثم يذبحون فيه خروفاً، فالدم المسفوك يشير إلى التكفير، والأعشاب المرة إلى مرارة العبودية في مصر، والفطير بدون تخمير إلى الطهارة، ورأس العائلة، أو المتقدم بينهم يتلو على الحاضرين تاريخ الفداء، ومن خالف هذا وأكل شيئاً مختمِراً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل.

**ومن أعيادهم:**

**عيد الأسابيع:** ويكون بعد الفطير بسبعة أسابيع، وهو اليوم الذي كلم الله فيه بني إسرائيل من طور سيناء.

**وعيد رأس السنة:** يزعمون فيه أن إسحاق عليه السلام فُدِيَ فيه من الذبح. والحق أنه إسماعيل عليه السلام.

**وعيد صوماريا:** يعني الصوم العظيم. يعتقد اليهود أن هذا الصوم هو تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام.

**وعيد المظلة:** يستظلون سبعة أيام بقضبان الأس والخلاف، ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات لما كان الهيكل عامراً [1].

---

(١) انظر للمزيد: « تاريخ اليهود» للمقريزي ص (١٤٠-١٤١).

## (السفر الثالث) اللاويون

نسبة إلى لاوي بن يعقوب جد موسى عليه السلام، وكان اللاويون متوسطين بين الشعب الكهنة، وكان من واجباتهم أن يحملوا خيمة الاجتماع إذا رحلوا وينصبوها إذا حلوا في مكان للإقامة به مدة من الزمن، وفي سفر اللاويين ذكر لواجباتهم الدينية، لذا نسب إليهم، كما يشتمل هذا السفر على الشرائع الطقوسية والفرضية منها:

١- كيفية تقديم الذبائح من قبل الكاهن والعابد.

٢- تعظيم هارون وبنيه الذين تم اختيارهم لعمل الكهنوت.

٣- بيان الطهارة والنجاسة.

٤- أحكام النذور والعشور.

وإن اليهود والمسيحيين يعتقدون أن الكاتب لهذا السفر هو نبي الله موسى عليه السلام ، وأما الباحثون فقد وصلوا بعد دراسة طويلة إلى أن هذا السفر إنما تم تأليفه في القرن الخامس قبل الميلاد بعد سبي بابل نظراً لمحتوياته التي تساعد هذه النظرية[1].

---

(١) قارن بالأسفار المقدسة ص (١٦).

## (السفر الرابع) العدد

وهو تتمة للأسفار الثلاثة قبله، وهو يروي قصة بني إسرائيل من تاريخ يعقوب إلى خروجهم من مصر، ثم يحدث حياة بني إسرائيل في صحراء سيناء ووصولهم إلى مؤاب.

ويسمى السفر بالعدد لأن فيه إحصاء للقبائل والمحاربين من أفرادها وأموالهم ومواشيهم، فأول عمل قام به موسى بعد وصوله إلى أرض سيناء هو إحصاء شعب بني إسرائيل ما عدا اللاويين، وتعيين المكان لطل سبط، ثم إحصاء اللاويين وأمكنتهم، وبيان أعمالهم الخاصة المتعلقة بالكهنة.

وكان الإحصاء الأول في الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر وقد بلغ عددهم عدا اللاويين من القادرين على حمل السلاح فوق العشرين من العمر من الذكور ٥٥٠ ,٦٠٣ شخصاً[1].

(١) كتاب العدد (١/٤٥).

وتفصيلهم كالآتي:

| | |
|---|---|
| ١- سبط روبين | ٤٦٥٠٠ |
| ٢- سبط شمعون | ٥٩٣٠٠ |
| ٣- سبط حاد | ٤٥٦٥٠ |
| ٤- سبط يهوذا | ٧٤٦٠٠ |
| ٥- سبط يساكر | ٥٤٤٠٠ |
| ٦- سبط إفرائيم | ٤٠٥٠٠ |
| ٧- سبط زيولون | ٥٧٤٠٠ |
| ٨- سبط منسى | ٣٢٢٠٠ |
| ٩- سبط بنيامين | ٣٥٤٠٠ |
| ١٠- سبط دان | ٦٢٧٠٠ |
| ١١- سبط أثير | ٤١٥٠٠ |
| ١٢- سبط نفتالي | ٥٣٤٠٠ |
| | |
| المجموع | ٦٠٣٥٥٠ |

أي ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون.

وأما اللاويون الذين لم يحصهم موسى مع بني إسرائيل فكانوا اثنين وعشرين ألفاً من كل ذكر ابن شهر فصاعداً [١].

(١) العدد (٣/٣٩).

وهذا العدد فيه مبالغة ظاهرة كما سبق بيانها، فإن الذين هاجروا من أرض كنعان مع يعقوب من أبنائه وأحفاده كانوا سبعين شخصاً فقط، وتناسل جيلان في مصر جيل عمران والد موسى، وجيل موسى، فهل يتصور أن يصل سبعون شخصاً إلى أكثر من ستمائة ألف شخص من المقاتلين بالإضافة إلى الشيوخ والأطفال والنساء.

وأما عدد اللاويين فهو أكثر غرابة، فغنهم من والد جد موسى لاوي، ولاوي له ثلاثة أبناء: جوثون، وقهات، ومراري، ومن قهات كان موسى، ومن المستحيل أن يخرج من هؤلاء الثلاثة اثنان وعشرون ألف شخص في هذه الفترة الوجيزة.

والإحصاء الثاني كان قبيل دخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان، أي بعد الإحصاء الأول بثمان وثلاثين سنة[١].

فبلغ عدد اللاويين ٢٣٠٠٠ شخصاً، وغير اللاويين ٦٠١,١٧٣٠[٢].

وقد اعترف كثير من المنصفين المسيحيين بأنه وقع خطأ من كاتب هذا السفر[٣].

---

(١) كتاب العدد (٥١/٢٦).

(٢) كتاب العدد (١/٢٦).

(٣) جي- تي- منيلي كتبي المقدسة بالأردية ص (٢٠٥).

## (السفر الخامس) التثنية

هذا هو اسم السفر الخامس كما ورد في الترجمة السبعينية، ويعني تكرار الشريعة الموسوية مرة ثانية، والقصد من هذا التكرار هو التوضيح والتعبير.

يقولون: إن موسى كتب هذا السفر قبل تسليم مهام قيادة الشعب ليشوع، بينما ذهب الباحثون إلى أن هذا السفر كتب في عهد ملك يهوذا (٦٩٣-٦٣٩ ق. م) واكتشف في عصر يوشيا (٦٣٨-٦٠٨ ق. م)[١]. وذلك لوجود بعض الحوادث التي تأخرت من عهد موسى إلى هذه القرون المتأخرة بما في ذلك ذكر موته في آخر السفر.

وهذا السفر يشتمل على بعض الأحكام الخاصة بأمور السياسة، والحروب، والاقتصاد، والاجتماع، والمعاملات، كما يشتمل على ثلاثة خطابات ألقاها موسى على بني إسرائيل في أرض مواب في تمام أربعين سنة لخروجهم من مصر.

الخطاب الأول: فيه تحريض على الطاعة.

الخطاب الثاني: فيه ذكر الوصايا، ونزول البركة لمن استمسك بالشريعة، والعقاب الشديد على من عصاها.

الخطاب الثالث: وفيه كلمات وداعية من موسى.

---

(١) جي - تي- منيلي. كتبي المقدسة بالأردية ص (٢٠٨).

## (القسم الثاني) الأسفار التاريخية

تتحدث هذه الأسفار عن تاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على أرض الكنعانيين، واستقرارهم في أرض فلسطين الأرض الموعودة، كما تذكر عدد قضاتهم، وملوكهم، وأيامهم، والحوادث التي وقعت في الأرض الموعودة من حروب وغيرها.

وإليكم دراسة موجزة لهذه الأسفار:

### ١) سفر يوشع بن نون:

ينسب هذا السفر إلى يوشع بن نون، وكان أصل اسمه هوشع، فدعاه موسى باسم «يشوع» [(١)].

وهو خليفة موسى، وابن نون من سبط أفرايم، ولد في مصر، وكان أولاً خادماً لموسى[(٢)] وقد عرف فيه موسى الإخلاص والكفاءة: فاستخلفه بعد أن تجسس أرض كنعان، وقدم تقريراً عن البلاد التي تجسسها.

وقد تولى قيادة جيش بني إسرائيل بعد وفاة موسى، فأسرع في أخذ الاستعداد لعبور الأردن، ومنح الشعب ثلاثة أيام لإعداد الزاد[(٣)].

وإن هذا السفر يقص بالتفصيل تدبيره، وحيله في الحرب حتى استطاع أن يدخل الأراضي المقدسة.

---

(١) سفر العدد (١٣/١٦).

(٢) انظر: سفر الخروج (٢٤/١٣).

(٣) يشوع (١/١٠-١١).

وقد ظهرت بعض المعجزات على يديه في أثناء الحروب مثل وقوف الشمس[١].

(١) يشوع (١٠/١٣-١٤).

ويروي الإمام أحمد في مسنده (٢/٣٢٥) قال: ثنا أسود بن عامر، أنا أبو بكر، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ((**إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**)) وإسناده صحيح.

وقد اكتفى السيوطي بعزو الحديث في الجامع الصغير إلى الخطيب، لذا انتقد عليه شارحه المناوي وقال: ((قال الحافظ ابن حجر: ورد من طرق صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن ابن سيرين عنه))، ثم ذكر الحديث انظر: فيض القدير (٥/٤٤٠).

وأصل الحديث في الصحيحين، ففي البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة، كلاهما عن محمد بن العلاء، حدثنا محمد بن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ((**غزا نبي من الأنبياء .... فقال لشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه**)) و لم يذكر اسم النبي كما لم يسم أيضاً اسم القرية.

وجاء ذكرها في رواية الحاكم (٢/١٢٩) عن مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مثل رواية همام بن منبه فقال كعب: صدق الله ورسوله، هكذا -والله- في كتاب الله -يعني في التوراة- ثم قال: يا أبا هريرة أحدثكم النبي ﷺ أيّ نبي كان؟ قال: لا، قال كعب: هو يوشع بن نون، قال: فحدثكم أي قرية هي؟ قال: لا، قال: هي مدينة ((أريحا)).

قال الحاكم: ((حديث غريب صحيح)) ووافقه الذهبي.

ولكن مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعنه.

=

وبعد فتح البلاد نظم الشعب الإسرائيلي، وخصص لكل قبيلة من الإسرائيليين المقاطعات إلى أن تولي ودفن في جبل أفرايم.

وأما كاتب هذا السفر فلا يزال مجهولاً لدى الباحثين من اليهود والنصارى، وإن كان اليهود والمسيحيون القدامى قالوا: إن يوشع بن نون هو كاتب هذا السفر ما عدا بعض الآيات، ولا سيما الخمس الأخيرة منه وهي:

((وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين، فدفنوه في تخم ملكه في تمنة سارح التي في الجبل أفرايم شمالي جبل جاعش، وعبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع، وكل أيام شيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع، والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله للإسرائيل وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حموربي شكيم بمائة قسيطة، فصارت ملكاً لبني يوسف، ومات العازار بن هارون فدفنوه في جبل أفرايم)) (١).

لأن هذه الفقرات تحدث عن الوقائع والتواريخ التي وقعت بعد يشوع بن نون، كما تحدث عن قصة وفاته ودفنه.

---

= قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١/٣٢٤): ((فيه نظر والأشبه -والله أعلم- أن هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الأعظم، وفتح ((أريحا)) كان وسيلة إليه)).

(١) يشوع (٢٤/٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣).

لذا ذهب فريق من الكتاب المسيحيين إلى أن كاتب هذا السفر هو اليعازار بن هارون، وهو أيضاً غير صحيح، إذ جاء ذكر وفاته في الفقرة الأخيرة.

فالصحيح أن كاتبه لا يزال مجهولاً، وقد اعتمد في كتابة هذا السفر على كتب سابقة.

**٢) سفر القضاة.**

كان رؤساء بني إسرائيل من يوشع بن نون إلى صموئيل يسمونه القضاة، وهو خاص بذكر هؤلاء القضاة، وبيان مدة بقاء كل واحد منهم في القضاء، وكيف كانوا يأخذون الرشوة في الحكم حتى عين طالوت عليهم ملكاً، والمعروف أن طالوت كان أول ملك في بني إسرائيل.

ومدونوا التوراة لم يتفقوا على مدتهم، ففي سفر القضاة أنهم حكموا نحو أربعمائة وخمسين سنة، بينما يبدأ عهدهم من (١١٣٠ ق. م) وينتهي إلى (١٠٢٠ ق. م).

وكذلك لم يتفق علماء اليهود على مؤلف سفر القضاة، فنسبوا تأليفه إلى صموئيل، وهو آخر قاض في بني إسرائيل، وإن صح أن هذا السفر كتب بعد انتهاء دور القضاة، فمعنى ذلك أن هذا التاريخ استمر نحو أكثر من مائة عام شفوياً بدون إسناد، ولذا يفقد الثقة بهذا السفر.

وهناك في سفر القضاة فقرة تدل على تأخير تأليفه، وهي: «وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه»[١].

---

(١) القضاة (١٧/٦).

ويستنبط من هذا أنه ألف عهد الملوك، إلا أن المصنف يذكر بكل أسف ما وصل إليه الشعب اليهودي من الظلم والعصيان لعدم وجود ملك ينظم شئون حياتهم بعد سرد الحوادث والتواريخ.

**وأهم ما يشتمل عليه هذا السفر:**

إن هذا السفر يذكر أكثر من سبع مرات أن الشعب الإسرائيلي ابتعد عن تعاليم الدين، فعاقبه الله بعذاب شديد حتى بدأ يصرخ ويتضرع ويتوب، فأنقذه الله من أعدائه بأيدي هؤلاء القضاة، وهذا هو التعليم الأساسي في هذا السفر.

ومدون هذا السفر يعبر عن هذا المفهوم بقوله:

«وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم وتركوا الرب إليه آبائهم...» [١].

**٣- سفر راعوت:**

راعوت اسم موآبي معناه «جميلة»، وهي فتاة موآبية هاجرت أباها وشعبها ولصقت ببني إسرائيل فتزوجت من سبط يهوذا، وصارت من سلسلة نسب داود، ويقال: إنها جدته.

والغريب في أمرها أن اليهود لا تقبل شخصاً أن يكون يهودياً إلا إذا كان أبوه يهودياً وأمه يهودية من أبوين يهوديين.

وهذا السفر يمهد الطريق للدخول في قصص الملوك، إلا أنه سمى باسم راعوت المرأة الموآبية لأنها قدمت تضحية كبيرة لانضمامها إلى

(١) انظر: القضاة (٢/١١، ٣/١٢، ٤/١، ٦/١، ١٠/٦).

الشعب اليهودي.

وألخص لكم الرواية التي تدور حول هذه المرأة كما ذكرها مؤلف«قاموس الكتاب المقدس» :

«عندما حدث جوع في أرض العبرانيين، ذهب رجل اسمه اليمالك إلى مواب، واستوطن بها مؤقتاً، ثم مات هناك تاركاً أرملته، نعمى وابنين تزوجا بفتاتين موأبيتين، وإذ مات الابنان، وسمعت نعمى أن المجاعة في بلادها قد انتهت، عزمت على العودة إليها، وألحت على كنتيها بالعودة إلى بيت أبيها، فقبلت إحداهما وهي عرفة، أما الثانية وهي راعوت فأظهرت ولاء كاملاً لحماتها ولم تشأ أن تفارقها» (١).

إلى أن دخلت مع نعمى بيت لحم، والسفر يذكرها بكل إجلال وتعظيم، ويذكر أيضاً خلوتها مع بعض الرجال، وينتهي بأنها تزوجت بعد ذلك ببوعز وهو من نسل يهوذا، وأحد أسلاف ملوك يهوذا، وولدت طفلاً سمي عوبيد وهو جد داود نبي الله، كما يذكر سفر راعوت في الفقرات الأخيرة.

وأما زمن تأليف هذا السفر ففيه خلاف شديد، فقال بعضهم: إنه من تأليف صموئيل، وقال الآخرون: إنه من تأليف حزقيال، وذهب غيرهم إلى أن مؤلفه عزرا.

---

(١) ص (٣٩١) وقارن بما في الإصحاح الأول من سفر راعوت.

**٤،٥) سفر صموئيل:**

**٦،٧) سفر الملاك:**

صموئيل اسم عبراني معناه «اسم الله» يقال: إنه أول أنبياء العبرانيين بعد موسى، وآخر القضاة، وله مقام عال في الأدب اليهودي، لأنه أنقض الشعب اليهودي من الفلسطينيين، واسترد التابوت من الأجانب وقضى فيهم دهراً إلى أن شاخ، فعين ابنيه قاضيين، إلا أنهما لم يعدلا في الحكم، وبدأا يأخذان رشوة[1]، فجاء شيوخ الشعب إلى صموئيل وبينوا له خطورة الأمم المجاورة على الشعب، وطلبوا منه أن يعين عليهم ملكاً لمحاربة الأعداء، فعين الله عليهم ملكاً سماه القرآن «طالوت».

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [2].

ويسميه سفر صموئيل «شاول» [3].

وقد جمع طالوت جنوده لمحاربة الفلسطينيين الذين يقودهم رجل شجاع اسمه «جالوت» وهو «جليات» عند العبرانيين.

وكان من جنود جالوت داود بن يسى، فبرز لمقاتلة جالوت إلى أن قتله، فانهزم الفلسطينيون، وتأثر جالوت من شجاعة داود، فزوجه ابنته «ميكال»، وبهذا انعقدت أوصار المحبة والصداقة بينه وبين داود، إلا أن هذه المحبة صارت نقمة على داود، لأن شاول خالف على ملكه إلى أن تم

---

(١) سفر صموئيل الأول (٨/١،٤).

(٢) سورة البقرة (٢٤٧).

(٣) انظر قصته بالتفصيل في الإصحاح (٨،٩،١٠،١١) من سفر صموئيل.

القضاء عليه وعلى أبنائه، وانتقلت السلطة إلى داود، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ (١).

ثم ورث سليمان عليه السلام ملك أبيه.

وبعد سليمان انقسمت دولة بني إسرائيل إلى مملكتين متحاربتين، واستطاع فرعون مصر «شيشنق الأول» من الأسرة الثانية والثلاثين أن يستولي على أورشليم، وينهب معظم ما فيها من الكنوز.

وهذه الأسفار الأربعة تصف حكم سليمان أبلغ وصف من ناحية حكمته وتدبيره في الملك، وما كان يملكه من القصور وأسوار أورشليم.

أما نحن فنقر بحكمة سليمان وتدبره، وأنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، ولكن لا يمكن أن نتفق مع كتب اليهود في وصفها سليمان عليه السلام بالمبالغة في بناء القصور، والمعابد، والهياكل، وخاصة إذا قورنت هذه المباني بالمباني التي بناها الفراعنة والفينيقيون في عهودهم.

وقد كانت هذه الأوصاف التي ذكرت في كتب اليهود موضع انتقاد شديد عند علماء الغرب، فإنهم يرون أنها مبالغة لا مبرر لها، وقدانتقده بشدة «غستاف لوبون» في كتابه «اليهود في الحضارات الأولى» و «ولس» في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية».

هذه هي الرواية التي يدور حولها هذه الأسفار الأربعة.

وسفرا صموئيل كان في الأصل سفراً واحداً، كما في المخطوطات العبرية، وتم تقسيم السفر إلى جزأين في الطبعة البندقية عام ١٥١٦-

---

(١) سورة البقرة (٢٥١).

١٥١٧م من السبعينية.

وأما سفر الملوك الأول والثاني، فيقصد بأولهما: الملك شاول، ويقصد بثانيهما: الملك داود.

**٨) أخبار الأيام الأول:**

**٩) أخبار الأيام الثاني:**

هذان السفران هما في الحقيقة سفر واحد، لوحدة الفكر والهدف، ولما جاء دور المترجمين السبعينية، قسموا السفر إلى القسمين، وقد أخذ هذا التقسير موضع استحسان وقبول.

وهذان السفران هما في الحقيقة تكملة لأسفار صموئيل التاريخية، ويمكن تقسيم محتويات هذا السفر إلى أربعة أقسام:

١- آدم وذريته.

٢- موت شاول، وحكم داود.

٣- حكم سليمان.

٤- تقسيم مملكة بني إسرائيل بعد موت سليمان.

ويبدو أن كاتب هذا السفر كان من رجال القرن الرابع قبل الميلاد، استعان بالأسفار السابقة من التكوين إلى الملوك.

ولا أدري ما هو الدافع الذي دفع مؤلف هذا السفر على كتابته؟ فإنه لم يأت بشيء جديد من تاريخ اليهود، وما الذي جعل هذا السفر ضمن كتب العهد القديم الذي اعتبره اليهود مقدساً، فإن أكثر ما يقال لهذه الأسفار إنها من تاريخ الأمم.

**١٠) سفر عزرا:**

**١١) سفر نحميا:**

عزرا اسم عبري معناه ((عون)).

وعزرا هو الكاهن الأكبر الذي كان موظفاً في بلاط إمبراطور الفرس، ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي البابلي، وقد تمكن عزرا لثقة الامبراطور به من أن ينال العفو الإمبراطوري عن اليهود، وسماحه لهم بالعودة إلى القدس، وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين، وذلك في حدود (٤٥٨ ق.م أو ٣٩٨ ق.م).

وبعد وصوله إلى القدس بدأ عزرا في بناء الهيكل الذي خربه بختنصر ملك بابل، كما بدأ بتأليف أسفار موسى وقراءتها أمام اليهود، وتفسيرها بمساعدة اللاويين، وقبل اليهود جميع إصلاحاته، وما ألف من التوراة لأنهم وجدوه رجلاً مخلصاً للشعب اليهودي، وبهذا استطاع أن يقول ما يشاء وينسبه إلى نبي الله موسى، لأنه بعمله هذا احتلّ منزلة مرموقة من نفوس بني إسرائيل حتى اعتقد كثير منهم أنه ابن الله، وإليه يشير قوله الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [(١)].

وأما نحميا فهو ابن غربوق، عاد مع اليهود من بابل، وكان مساعداً لعزرا في أعماله الإصلاحية، ونظراً لخدمات جليلة قام بها عزرا نسب السفر إليه. وكان في الأصل جزءاً من أسفار أخبار الأيام الأول والثاني، ولا يزال يعتبر سفرا عزرا ونحميا سفراً واحداً في النص العبري.

---

(١) سورة التوبة (٣٠).

### ١٢) سفر أستير:

سمي هذا السفر باسم امرأة يهودية اسمها «أستير» رآها ملك الفرس فأعجبته، فاتخذها زوجة له، واستطاعت «أستير» أن تقرب بين الملك وبين ابن عمها «مرد خاي» وذلك بأنه كان للفرس وزير ذو سلطة اسمه «هامان» الذي حصل بينه وبين مرد خاي سوء التفاهم، فغضب الوزير، وبدأ يدبر مؤامرة للقضاء على اليهود نهائياً.

وقد تمكن الوزير أن يصدر مرسوماً ملكياً من ملك الفرس لإبادة اليهود وقتلهم في اليوم الثالث عشر من آزار.

وفي هذه الظروف الحرجة لعبت «أستير» دوراً هاماً في إنقاذ اليهود، فقامت مع ابن عمها «مرد خاي» ودبرت مؤامرة جسيمة ضد «هامان» ووضعت خطة تظهر فيها بأن «هامان» يريد أن يقتل الملك، ويأخذ الحكم فلما انتبه الملك إلى ذلك أصدر قراراً بقتل «هامان» وأتباعه، فقتل أكثر من سبعين ألفاً من الفرس -كما يقال- مع هامان، ومن المصادفة كان اليوم الذي قتل فيه هامان وأتباعه من الفرس كان اليوم المحدد لإبادة اليهود من قبل «هامان».

ولذلك اتخذ اليهود اليوم الرابع عشر من آزار عيداً لهم إلى يومنا هذا.

ويرى الباحثون أن هذه القصة إنما هي أسطورة وضعها المؤلف أو غيره، وليس لها أصل تاريخي، فيرسم للنساء اليهوديات الطريق للقضاء على غير اليهود وكيف تستطيع المرأة اليهودية أن تخدم الشعب اليهودي بحسنها وجمالها.

وسفر أستير يعتبر آخر الأسفار التاريخية حسب ترتيب الأسفار في الترجمة العربية، وفي بعض اللغات الأخرى.

وأما في العبرية فيقع هذا السفر في القسم الذي يسمى كتوبييم «الكتب».

وهذا السفر كان بين الأخذ والرد لدى الباحثين اليهود أنفسهم، فمنهم من لم يعترف بقانونيته، مثل «مليتو الساردسي»، و «جرجوري النزيانزي»، ومنهم من اعتبره سفراً ضمن الأسفار غير القانونية[1].

وأما العصر الذي كتب فيه فهو مختلف فيه أيضاً ففيه خلاف بين الباحثين والظن الراجح أنه ألف في العصر الإغريقي الذي بدأ بفتوح الإسكندر عام ٣٣٢ ق.م.

أما أن العهد الجديد فلم يشر إليه ألبتة.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس (٦٤).

## (القسم الثالث) أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية

وهي عبارة عن المواعظ الدينية بأسلوب شعري، وموضوعها المدائح والتضرعات والتأملات، ويغلب عليها الطبائع الطقوسية، وعددها خمسة، كتب داود عدداً كبيراً منها، وأما الباقي فكتبه الكهنة واللاويون.

### ١) سفر أيوب:

إن أيوب أحد الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، وضرب به مثل في الصبر والاستقامة والرضا، والجزء الذي ذكره القرآن لا يوجد في كتاب العهد القديم.

والعهد القديم يصور أيوب بأنه رجل صالح حائر بين الرضا والثورة، فهو يرضى بما ينزل به حيناً، ويثور ويتساءل حيناً آخر بقوله: «لماذا نزل بي كل هذا؟».

وينقل العهد القديم الحوار الذي وقع بينه وبين الشيطان بالتفصيل، فذكر أن الشيطان قد يغلب على أيوب.

ويعتبر الكُتّاب الغربيون أن سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية، يقول العالم الفرنسي «موريس بوكاي» : «إنه كتاب الحكمة والبر بكل معنى الكلمة» [١].

ولم يذكر القرآن الكريم والعهد القديم زمانه، وأما مكانه فقيل -كما جاء في أول سفر أيوب- إنه من أرض عوص [٢]، وهي بين دمشق

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص (٣٦).

(٢) سفر أيوب (١-١).

وأروم في الصحراء السورية، وقيل: إنها حوران[١].

وأما زمانه فالله سبحانه يقول:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٢]..

فهو من ذرية إبراهيم إذا كان الضمير في ذريته عائداً إلى إبراهيم، ولكن لا يمكن الجزم به، لأن لوطاً لم يكن من ذرية إبراهيم، إنما كان ابن أخيه، وقد يكون الضمير فيه عائداً إلى نوح، إذا كان كذلك فهو أي أيوب يكون من ذرية نوح، والله تعالى أعلم بالصواب.

رغم هذا الخلاف في تحديد زمانه فإننا نؤمن بأنه كان نبياً من أنبياء الله ابتلاه الله سبحانه وتعالى، فكان راضياً بقضائه وقدره.

والعهد القديم يوافق على بعض هذه المعاني السامية، ففي الإصحاح الأول من كتاب أيوب: «كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب، وكان

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص (١٤٧).

(٢) سورة الأنعام (٨٣-٨٦).

هذا الرجل كاملاً، ومستقيماً، يتقي الله، ويحيد عن الشر» [١].

وجاء في الإصحاح نفسه: أنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر[٢].

ويذكر العهد القديم أن لأيوب سبعة بنين، وثلاث بنات، وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمسمائة فدان بقر، وخمسمائة أتان، وخدماً كثيرين جداً، فكان هذا الرجل أعظم كل بني المشرق[٣]. ثم ذهبت أمواله فصبر على ذلك فعوضه عنها بأكثر مما ذهب.

ويمكن تقسيم سفر أيوب إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: يذكر فيه تقوى أيوب وأملاكه وأقاربه وصفاته.

الفصل الثاني: يتضمن ما جرى بينه وبين أصحابه الثلاثة من الجدال، وهو أن أيوب يتألم ويسأل لماذا حلت به هذه الضربات؟ والأصحاب الثلاثة هم ممثلوا المذهب الإسرائيلي المعروف الذي يزعم أن يهوه يطافئ الأبرار ويجازي الأشرار.

الفصل الثالث: أقوال الحكمة التي نطق بها «إلياهو» أصغر أصحاب أيوب.

الفصل الرابع: يذكر مخاطبة الله إياه من العاصمة.

الفصل الخامس: يتضمن خضوعه وشفاءه وتعويض ما فقده من المال والأهل.

---

(١) (١/٢).

(٢) (١/٩).

(٣) سفر ايوب (١-٢،٣).

## ٢) مزامير داود:

وهي مجموعة المزامير التي يبلغ عددها ١٥٠ مزموراً في العهد القديم، وهي عبارة عن الأغاني والأناشيد الدينية التي تغني بها الإسرائيليون في الأعياد والاحتفالات الدينية على صوت المزامير وغيره من الآلات الموسيقية، ونسب إلى داود لأن ٧٣ مزموراً من جملة المزامير له، والمزامير الأخرى كالترتيب التالي:

مزمور واحد وهو رقم ٩٠ لموسى.

١٢ مزموراً من رقم ٥٠،٧٣-٨٣ لأساف.

١١ مزموراً من ٤٢، ٤٤-٤٩،٨٤،٨٥،٨٧،٨٨ لقروح.

٢ (مزموران) وهما رقم ٧٢،١٢٧ لسليمان.

كما أن فيها مزامير أخرى تسمى المزامير اليتيمة، أي غير المعروفة، وكل مزمور من هذه المزامير مثل الإصحاح في الأسفار الأخرى، وقد ذكر القرآن الزبور في قوله تعالى:

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[(١)].

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[(٢)].

وهذا الزبور الذي يذكره القرآن ليس هو مجموعة المزامير التي جاء ذكرها في العهد القديم، فإن مؤلف المزامير تأخر عن داود حوالي أربعة قرون في العصر البابلي، تدل على ذلك الفقرات التالية:

---

(١) سورة النساء (١٦٣).

(٢) سورة الإسراء (٥٥).

«ليت من صهيون خلاص إسرائيل عند رد الرب سبى شعبه يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل» [(١)].

«اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك، نجسوا هيكل قدسك، جعلوا أورشليم أكواماً، دفعوا جثث عبيدك طعاماً لطيور السماء، لحم أتقياءك لوحوش الأرض، سفكوا دمهم كالماء حول أورشليم، وليس من يدفن، صرنا عاراً عند جيرانك هزءاً وسخراً للذين حولنا، إلى متى يا رب تغضب كل الغضب، وتتقد كالنار غيرتك، أفض رجزك على الأمم الذين لا يعرفونك، وعلى الممالك التي لم تدع باسمك لأنهم قد أكلوا يعقوب وأخربوا مسكنه» [(٢)].

هذا المزمور ينسب إلى «أساف» الذي كان رئيس المتنبئين بالعيدان والرباب والصنوج في عهد داود[(٣)].

وكان تأليفه دون شك في العصر البابلي بعد خراب بيت المقدس على يد بختنصر، والإسرائيليون يتضرعون في هذا المزمور أمام الرب لينجيهم من أعدائهم.

«أردنا يا رب سبينا مثل السواقي في الجنوب» [(٤)].

«الرب يبني أورشليم، يجمع منفى إسرائيل، يشفي المنكسري القلوب ويجبر كسرهم» [(٥)].

---

(١) المزامير (١٤/٧،٥٣/٦).

(٢) المزامير (٧٩/١-٧).

(٣) أخبار الأيام الأول (٢٥/١).

(٤) المزامير (١٢٦/٤).

(٥) المزامير (١٤٧/٤).

هذه الفقرات من مزامير داود التي تبدأ من سبي بابل، تنتهي إلى رجوع بني إسرائيل إلى أرض فلسطين، وليست من الزبور الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، بل هي مجموعة من القصص والأساطير الإسرائيلية التي نسبت إلى داود.

والعجب كل العجب أن الكنيسة المسيحية لا تزال تستعمل هذه الأساطير في العبادة وتعتبرها وحياً إلهياً.

**(٣، ٤، ٥) أخبار سليمان:**

وهي ثلاثة: الأمثال، والجامعة، والأناشيد.

هذه الأسفار الثلاثة تنسب إلى سليمان عليه السلام، ولكن الدارس يفهم بسهولة أنها من وضع رجل آخر بل من تأليف عدد من الأشخاص.

وهذه الأسفار أيضاً «الأسفار الشعبية» لأنها تشتمل على الآداب التي تتناقلها الأجيال وتدخل عليها كثيراً من الزيادة والنقصان، كما تشتمل على بعض الأناشيد التي يرتلها اليهود في عيد الفصح.

والجامعة: هو أحد حكماء بني إسرائيل، يقال: هو ابن داود، ويرى البعض أنه أحد ملوك بني إسرائيل ، وفي الإصحاح الأول: أنا الجامعة كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم، ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات.

ومعنى اسمه الكارز، ودعي بسفر الجامعة في الترجمة السبعينية وهي ترجمة كلمة «قوهيلت» العبرية التي معناها: يجلس أو يتكلم في مجتمع أو كنيسة[1].

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٢٤٣).

## (القسم الرابع) أسفار الأنبياء

### وعددها سبعة عشر سفراً

هذه الأسفار تشتمل على وصايا لمختلف الأنبياء الصغار.

وهذا القسم يندد بكل شدة بالفساد الديني الذي وصل إليه بنو إسرائيل في الفترة بين القرن الثامن، والقرن الثاني قبل الميلاد.

**١) أسفار إشعياء:**

ومعنى هذا الاسم «الرب يخلص» ، وكان في القرن الثامن قبل الميلاد، واليهود أحاطوه بالتنبؤات، وجعلوه أعظم أنبياء العهد القديم، ونسبوا إليه هذا السفر من العهد القديم، إلا أن الباحثين المتأخرين كشفوا النقاب عن حقيقته فقالوا: ليس إشعياء هو الذي كتب هذا السفر كله، وتكاد تكون محتويات هذا السفر والأسفار التي بعدها مثل البعض في الهجوم على بني إسرائيل، ورميهم بالبعد عن حكم الله، وعدم الإخلاص في العبادة والسلوك، ونقول بأن دولتهم سوف تنتهي إذا بقوا على ما هم عليه من الظلم والعصيان وأخذ الرشوة في الحكم.

والمؤرخون لا يوافقون على اليهود على أن تكون هذه الأسفار من وضع الأنبياء أنفسهم، كما ينقص التسلسل التاريخي للهؤلاء وأسفارهم وهي:

٢) إرميا:

هو ابن حلقيا الكاهن من عناثوت في أرض بنيامين، ومعناه: «الرب يؤسس» ، أو «الرب يثبت» ، وهو أحد كبار أنبياء بني إسرائيل كما تقول التوراة المزعومة، وقد لقي هذا النبي مقاومة عنيفة من الحكام والكهنة والشعب، وانتصر عليهم(١)، بقي في حال النبوة ثماني عشرة سنة في عهد الملك «يوشيا» وذلك في الربع الأخير من القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد، وبعد دراسة سفر إرميا يبدو جلياً أن بني إسرائيل حادوا عن الطريق القويم، وتمنوا أن يكونوا ورثة بيت الرب، فجاء إرميا وخاطبهم:

«اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا، الداخلين في هذه الأبواب لتسجدوا للرب، هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل، أصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع، لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب، هيكل الرب هو، لأنكم إن أصلحتم إصلاحاً طرقكم وأعمالكم، إن أجريتم عدلاً بين الإنسان وصاحبه، إن لم تظلموا الغريب واليتيم والأرملة، ولم تسفكوا دماً زكياً في هذا الموضع، ولم تسيروا وراء آلهة أخرى، فإن أسكنكم في هذا الموضع في الأرض» (٢).

---

(١) سفر إرميا (١/٢-١٠).

(٢) سفر إرميا (٧/١-٧).

**٣) مراثي إرميا:**

وهي عبارة عن خطابات رثاء عند غزو أورشليم وخرابها، والآلام المروعة التي عانى منها المدافعون عنها في وقت الحصار من جوع وعطش، ويعلن إرميا في رثائه أن خطايا الشعب كانت سبب الكارثة الدهماء التي حلت به، فكل ما نزل بأورشليم وما أصاب شعبها كان نتيجة حتمية للتمرد على الله والخروج من طاعته، جاء في الترجمة السبعينية في فاتحة هذا السفر: «وكان بعد سبي إسرائيل وخراب أورشليم أن جلس إرميا يبكي، ورثى أورشليم بهذا الرثاء».

وأغلب الظن أن هذا السفر كتب عام ٥٨٦ قبل الميلاد بعد خراب أورشليم، وكان في الأصل العبراني في القسم الثالث من أسفار العهد القديم المسمى «كتوبيم» بعد الجامعة، وقبل «أستير».

يقول إرميا:

«من أجل خطايا أنبيائها وآثام كهنتها السافكين في وسطها دم الصديقين تاهوا كعمى في الشوارع، وتلطخوا بالدم حتى لم يستطع أحد أن يمس ملابسهم» (١).

«عيني تؤثر في نفسي لأجل كل بنات مدينتي، قد اصطادتني أعدائي كعصفور بلا سبب» (٢).

---

(١) سفر مراثي إرميا (٤/١٣-١٤).

(٢) سفر مراثي إرميا (٣/٥١).

**٤) حَزْقِيال:**

اسم عبري معناه «الله يقوي» ، وهو ابن بوزي، ولد وكبر وترعرع في فلسطين، ثم حمل سبياً إلى بابل مع ملك يهوذا «يوياكين» ، وأقام في نهر خابور في بابل وهناك أعطاه الله النبوة، وأمر أن يذهب إلى اليهود المسبيين ليبين لهم أن ما حل بهم من الذل والعار والتشرد، إنما حل بسبب شرورهم وآثامهم، عسى أن يتوبوا ويرجعوا عنها كما تقول الروايات اليهودية ففي سفر حزقيال:

«يا ابن آدم! أنا مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أمة متمردة، قد تمردت علي هم وآباؤهم...»؟

ولذلك قل لبيت إسرائيل: هكذا قال السيد الرب: توبوا وارجعوا عن أصنامكم وعن رجاساتكم، وقد ظل حزقيال يوبخ اليهود الذين في السبي على هذا النحو، وينذرهم ويحذرهم ويدعوهم إلى التوبة نحو ثلاثين سنة.

وأخيراً قتل على أيدي اليهود.

**٥) دانِيال:**

وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ، وقد سباه بنوخذ نصر إلى بابل مع بعض الشبان من أبناء العائلة الملكية الشريفة لخدمته في القصر الملكي، فلم يلبث هؤلاء الشبان أن تعلموا لغة الآشوريين، والحكمة البابلية، وحذقوا في علومها، وكان دانيال أكثرهم فطنة وحكمة، أول حادثة تجلت فيها فطنته وحكمته تتعلق بامرأة جميلة تسمى «سوسنة» ، وكانت زوجة رجل يهودي يقيم في بابل، فحاول شيخان يهوديان إغراءها، فلما رفضت

واستغاثت، اتهماها بأنهما ضبطاها تعانق شاباً، فعقد مجلس القضاء، وشهدا عليها فصدقهما أعضاء المجلس لمكانتهما، وحكموا على المرأة بالإعدام، بيد أنهم فيما كانوا يسوقونها ليقتلوها، اعترض دانيال طريقهم، وطلب إعادة محاكمتها، فأبعد أحد الشيخين عن المجلس، وسأل الآخر عن المكان الذي رأى فيه المرأة وصاحبها يعانقها، فذكر مكاناً معيناً في الحديقة، ثم أبعده عن المجلس، وجاء بالشيخ الآخر، وسأله عن المكان الذي رآهما يتعانقان فيه، فذكر مكاناً آخر غير الذي ذكره الأول، وعندئذ ظهر كذبهما، فقضى أعضاء المجلس بقتلهما وأخلوا سبيل المرأة(١).

هكذا ذاع أمر دانيال، كما سنحت له فرصة للتعبير عن رؤيا الحاكم بالبابلي، فسر بتعبيره، فجعله كبير السحرة المنجمين في مملكته كما عينه والياً على مدينة بابل، وبعد وفاة بنوخذ نصر عين وزيراً في دولة بلشامر بن بنوخذ نصر إلى أن جاء ملك فارس، واستولى على مملكة أشوريين، واحتفظ دانيال بمكانته حتى على عهدهم، توفي على عهد قورش ملك الفرس ودفن في بابل.

وسفر دانيال يتحدث عن هذه الرؤيا بتفصيل، واستنبط منها شيخ الإسلام ابن تيمية البشارة ببعثة نبينا محمد رسول الله ﷺ ثم قال: قال أبو العالية: «فأنا قرأت ذلك المصحف، وفيه صفتكم وأخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم، وكان أهل الناحية بين أرض السوس حيث دانيال مدفون بها، إذا أجدبوا كشفوا عن قبره، فكتب أبو موسى في ذلك إلى

---

(١) تاريخ الأقباط (٨/١٣٨-١٣٩).

عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر: أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً، وادفنه بالليل في واحد منها، لئلا يفتتن الناس به» [(١)].

**٦) هوشع:**

معناه «الخلاص» ابن بئيري، وهو أحد الأنبياء الصغار عند بني إسرائيل وعاصر سقوط السامرة سنة ٧٢٢ ق. م. وكان معاصراً لإشعياء.

**٧) يُوئيل:**

معناه: «يهوه هو الله» ، وهو ابن فَثُوئيل، مؤلف سفر يوئيل، ولكن لا يعرف بالضبط متى كتب هذا السفر، ولا يزال الخلاف قائماً في تاريخ كتابته. وقد حذر يوئيل شعبه من أعمال منكرة، ودعاهم إلى التوبة والإنابة وقال لهم: « ولكن الآن يقول الرب: ارجعوا إليّ بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح » [(٢)].

**٨) عاموس:**

معناه «حمل» ، وعاش في القرن الثامن قبل الميلاد، ودعا اليهود إلى التوبة والإنابة، وكانت دعوته ضد إسرائيل لفساد الخلق فيها، وتدهور العبادة التي كانوا يظنون أنهم يقدمونها لله، وانتشار المعتقدات الوثنية. ولا يعرف كيف كان نهايته.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤).

(٢) سفر يوئيل (١٢/٢).

**٩) عوبديا:**

معناه «عبد يهوه» من ذرية داود، وكان في القرن السادس قبل الميلاد بعد دمار أورشليم، أو في الخامس بعد العودة من السبي، والمعلومات عنه قليلة جداً.

**١٠) يونان:**

معناه «حمامة» ، هو ابن أمتاي من سبط زبولون، تقول التوراة المزعومة: إن الرب أمره أن يذهب إلى نينوى[1] المدينة العظيمة، ويقوم بالدعوة هناك فهرب يونان إلى «ترشيش»، فنزل إلى يافا، ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش[2]، فدفع أجرتها، ونزل فيها ليذهب معهم إلى «ترشيش» فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر فحدث نوءٌ عظيمٌ في البحر حتى كادت السفينة تنكسر، فخاف الملاحون، وصرخوا إلى إلههم،وطرحوا الأمتعة إلى البحر ليخففوا عنهم، وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوماً ثقيلاً، فجاء إليه رئيس السفينة وقال له: مالك نائم؟ قم واصرخ إلى إلهك عسى أن يَفْتَكِر الإله فينا فلا

(١) نينوى: عاصمة الإمبراطورية الآشورية على الضفة الشرقية من نهر دجلة على بعد خمسة وعشرين ميلاً من التقاء دجلة مع الزاب، وقبالة الموصل. وقال ابن كثير: هي قرية في أرض الموصل. (٥/٣٦٠).

(٢) ترشيش: يبدو من قصة يونان أن الطريق إليها من يافا يكون بحراً، فيرى الباحثون أن البحر هو الأبيض المتوسط، وترشيش هي «ترتيسوس» وهي واقعة في جنوب اسبانيا قرب جبل طارق، أو هي قرطاجنة المدينة الواقعة في شمال أفريقيا.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٢١٦).

نهلك، وقال بعضهم لبعض: هلم نلقي قرعاً لنعرف سبب من هذه البلية؟ فألقوها قرعاً،فوقعت القرعة على يونان، فقالوا له: أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا؟ وما هو عملك؟ ومن أين أتيت؟ وما هي أرضك؟ ومن أي شعب أنت؟ فقال لهم: أنا عبراني، وأنا خائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبر، فخاف الرجال خوفاً عظيماً وقالوا له: لماذا فعلت هذا؟ فإن الرجال عرفوا أنه هارب من وجه الرب، لأنه أخبرهم، فقالوا له: ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا؟ لأن البحر كان يزداد اضطراباً، فقال لهم: خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم، لأني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم، ولكن الرجال جدفوا ليرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطيعوا، لأن البحر كان يزداد اضطراباً عليهم، فصرخوا إلى الرب وقالوا: آه يا رب لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل، ولا تجعل علينا دماً بريئاً، لأنك يا رب فعلت كما شئت، ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر، فوقف البحر عن هيجانه، فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً، وأما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان، فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال.

وبقي يونان في جوف الحوت يصلي لله، ويتوب عن خطيئته إلى أن خرج منه، وأمره الرب للتوجه إلى نينوى لتبليغ الرسالة، فذهب يونان إلى أهل نينوى وقال لهم: إن القرية سوف تنقلب بعد أربعين يوماً فآمن أهل المدينة بالله(١).

---

(١) من أوائل سفر يونان، الإصحاح الأول والثاني والثالث. وانظر أيضاً: قاموس =

وقصة يونان شبيهة بقصة يونس عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن باسمه أربع مرات[١]، كما ذكر بوصفه من قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

ومن قوله تعالى لرسول الله ﷺ في سورة القلم: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[٣].

وباتفاق المفسرين والمحدثين هو: «يونس بن متى».

يذكر سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟

=

الكتاب المقدس ص (١١٢٦).

(١) انظر: سورة النساء (١٦٣) وسورة الأنعام (٨٦) وسورة يونس (٩٨) وسورة الصافات (١٣٩).

(٢) سورة الأنبياء (٨٧).

(٣) سورة القلم (٤٨).

فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾[١].

أما سفر يونان في العهد القديم فقد كتب في حدود القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد على رأي المحققين الجدد.

**١١) ميخا:**

معناه «مَنَ كَيَهوه» ، وكان معاصراً لإشعياء، تنبأ بخراب السامرة وأورشليم، وسبي سكانهما، وكان اسمه: المورشتي كما ورد في أول فقرة من إصحاح (ميخا).

**١٢) ناحوم:**

معناه «معز» ، وكان ممن سبوا إلى بابل، يصف الرب بأنه غيور ومنتقم، والمرجح أن هذا السفر كتب عام (٦٦٣ ق. م).

**١٣) حَبَقُوم:**

معناه «يعانق» ، وكان أحد المغنين في الهيكل، ويصل نسله إلى اللاويين. وسفره يحتوي على الشكوى التي يتقدم بها حبقوم إلى الله مثل قوله: «حتى منى[٢] يا رب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم، وأنت لا تخلص» [٣].

**١٤) صَفَنْيا:**

معناه «يهوه يستر» وهو ابن كوسي بن جَدَلْيا بن أَمَرْيا بن حَزَقيال،

---

(١) سورة الصافات (١٣٩-١٤٨).

(٢) كذا في أصل النسخة المترجمة.

(٣) سفر حبقوم (١/٢).

وكان في عهد الملك يوشيا، وكان يتغنى بأورشليم. وكان من أساس تعليمه دينونة الله الشاملة. وإن طريق النجاة هو الدعوة إلى التوبة. ومن الواضح أن هذا السفر كتب في عصر الكلدانيين، لأن الهيكل كان لا يزال قائماً. ولذا كانت الخدمة الموسيقية تمارس فيه.

**١٥) حَجَّي:**

معناه «عيد» ، أي مولود في يوم العيد، كان عهده بعد الرجوع من سبي بابل، وكان يحث الشعب على إكمال الهيكل الذي توقف بناؤه لمدة (١٥ سنة) وهذا السفر يشتمل على تاريخ الملك داريوس الذي كان سنة (٥٢٠ ق.م.) فيذكر الشهور والسنين.

**١٦) زَكَرِيّا:**

معناه «يهوه قد زكر» ، وهو ابن برخيا بن عدّو، وكان من نسل لاوي ولذا تولّى وظيفة الكهنة، وكان معاصراً لِحَجَّي الذي كان في عهد الملك داريوس، وكان يدعو على الكنعانيين. ويقوي عزائم الشعب الضعيف، وطالت أيامه، وعاش في بلاده، ودفن بجانب حَجَّي الذي كان زميلاً له.

والخلاف لا يزال قائماً في العصر الذي كتب فيه هذا السفر. والغالب أنه كتب في العصر الفارسي أثناء حكم « داريوس الأول » أو حوالي عام (٥٢٠ق.م.).

**١٧) مَلاخِي:**

ومعناه «رسولي» ، لا يعرف عنه إلا ما جاء في سفره، وحين كتب هذا السفر لم يكن لليهود ملك، وكان يحكمهم حاكم، أو وال من قبل

الملك الفارسي، ويقال: إنه كان معاصراً لنحميا (٤٢٣ ق. م) ، وهو آخر سفر في العهد القديم.

يعتقد اليهود أن هؤلاء كانوا أنبياء على فترات مختلفة، بعثوا ليعظوا الشعب الذي كان ابتعد عن الشريعة، وبجهودهم بقي بنو إسرائيل متمسكين بالقومية اليهودية، وحافظوا على تراثهم الديني والتاريخي.

ونحن لا نستطيع أن نجزم القول في نبوتهم، لأن العهد القديم يحذر كثيراً من الأنبياء الكذبة الذين لم يرسلهم الله، لأن النبوة صارت مهنة وحرفة عند اليهود، وبدعوى نبوتهم كانوا يتولون الوظائف الكبيرة في الدولة، ويُقَرِّبهم الملك والحاكم.

وبجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد القديم، توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يضمها اليهود إلى أسفار هذا العهد، ويطلقون عليها اسم الأسفار الخفية (APOKRUPHOS) .

ويبدو من دراسة سفر «عزراء» أنه لما رجع من الأسر البابلي، وبدأ يدون التوراة كتب بعض الأسفار، وأخفاها عن جماهير اليهود، وسميت «سفريم جنوزيم» ، ومن ذلك الحين حاول الأحبار إخفاءها، وقالوا: لا يجوز أن يطلع عليها الجمهور، ولا أن تدرج ضمن أسفار العهد القديم.

ولعل هؤلاء هم الذين يعنيهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ ﴾ [1].

---

(١) سورة الأنعام (٩١).

وبقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (١).

والغريب في الأمر أن الترجمة السبعينية التي قام بها اليهود أنفسهم تتضمن جملة من أسفار «الأبوكريفا» فمنها مثلاً:

١- عزرا الأول.

٢- عزرا الثاني.

٣- يهوديت.

٤- طوبيت.

٥- تتمة سفر أستيرا.

٦- الحكمة.

٧- يشوع بن سيراخ.

٨- باروخ النبي.

٩- رسالة إرمياء.

١٠- نشيد الفتيان الثلاثة.

١١- قصة سوسنة.

١٢- قصة بعل والتنين.

١٣- صلاة منسي.

١٤- سفر المكابين الأول.

---

(١) سورة المائدة (١٥).

١٥- سفر المكابين الثاني[١].

وذكر «تشارلس» في مقدمة كتابه «أبو كريفا» فبلغ مجموع هذه الكتب خمسة وثلاثين كتاباً[٢].

يقول حبيب سعيد أحد الكتاب المسيحيين: «وبعض الكنائس المسيحية تقرأها فقط للإفادة، وتهذيب الأخلاق» [٣].

وقد اعترف كبار الباحثين بأن هذه الكتب تأثرت بدعوة زرادشت الفارسي الذي كان يدعو إلى إلهين: إله الخير، وإله الشر، كما تأثرت بالحضارة الفارسية.

وأما الكتب التي ورد ذكرها في العهد القديم، ولم يعترف بشرعيتها اليهود فهي:

| | |
|---|---|
| ١- كتاب العهد | الخروج ٢٤: ٧ |
| ٢- كتاب الحروب | العدد ٢١: ١٤ |
| ٣- سفر ياشر | يسوع ١٠ ١٣، وصموئيل الثاني ١٨:١ |
| ٤- أخبار ياهو بن حناني | أخبار الأيام الثاني ٢١: ٣٤ |
| ٥- أخبار ناثان النبي | أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٩ والأول ٢٩:٢٩ |
| ٦- أخبار نبوة أخيا الشيلوني | أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٩ |
| ٧- أخبار رؤيا يعدو الرائي | أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٩ |

(١) أديان العالم ص (٢٠٢).

(٢) الجزء الأول من مطبوعات اكسفورد عام ١٩١٣م.

(٣) أديان العالم ص (٢٠٢).

٨- سفر أمور سليمان الملوك الأول ١١: ٤١

٩- كتاب إشعياء بن آموص النبي أخبار الأيام الثاني ٢٦: ٢٣

١٠- أخبار جاد الرائي أخبار الأيام الأول ٢٩: ٢٩

١١- أمثال سليمان الملوك الأول ٤: ٣٢

(ومجموعها ثلاثة آلاف غير التي في أمثال العهد القديم).

١٢- رثاء أرميا ليوشيا أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٢٥

(وهي غير التي في العهد القديم).

هذه بعض الكتب الضائعة التي ورد ذكرها في العهد القديم، وقد اعترف المؤلفون المسيحيون بضياع كتب أخرى غيرها أيضاً، يقول «عامفارد» في «سؤالاته» [1] في السؤال الثاني: «إن الكتب التي تذكر بمجيء المسيح عليه السلام وتسميه «ناصريا» ضيعها اليهود».

ويرى بعض مفسري العهد القديم «أن اليهود ضيّعوا كثيراً من كتب الأنبياء، وأتلفوها أو أحرقوها، لأنها تشتمل على الأحكام المشددة، وتبشر بمجيء نبي يعيد لهم الشريعة السماوية».

ويتهم المفسر «دائلي» عزرا الكاتب بأنه كان سبباً لضياع هذه الكتب لأنه لم يضم إلى العهد القديم من مؤلفات سليمان عليه السلام إلا ثلاثة مع أنه ألف عدة كتب نفيسة لفائدة بني البشر[2].

---

(١) المطبوعة في لندن عام ١٨٤٣م.

(٢) جـ ٢ ص ١٣٩ مطبوعة عام ١٨٥٦ م.

## الدراسة التاريخية للعهد القديم

هذه هي الكتب المعتمدة لدى القدماء من اليهود والنصارى، وقد ذكر بعض المؤرخين عدة كتب أيضاً، لكن لا يعترف بها اليهود، كما أن الفرقة السامرية لا تعترف إلا بسبعة كتب وهي: الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة.

**اللغة:**

يرى الباحثون أن الكتب اليهودية وشرحها وترجمتها الأولى كانت بثلاث لغات، هي العبرية، والآرامية، واليونانية.

**١- اللغة العبرية:**

تطلق اللغة العبرية على لغة أحد فروع العبريين وهو فرع بني إسرائيل لأن الأمم العبرية تتألف من بني إسرائيل، وشعوب أخرى، كآل آروم، وآل موأب، وآل عمون، ولا يطلق اسم اللغة العبرية إلا على لغة بني إسرائيل.

وكانت هذه اللغة سائدة منذ حوالي القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع قبل الميلاد، فالكتب التي ألفت خلال هذه الفترة استعملت اللغة العبرية.

**٢- اللغة الآرامية:**

ما أن طلع القرن الرابع قبل الميلاد، وتغلب الآشوريون البابليون على الدولة اليهودية في فلسطين وما يجاورها، أصبحت اللغة الآرامية اللغة الأكاديمية للبابليين في مناطق العراق، وهي اللغة السائدة في المناطق التي فتحها البابليون، فالكتب التي ألفت خلال هذه الفترة، استعملت هذه

اللغة، وهي بعض فصول أسفار عزرا ودانيال وإرمياء، كما تم شرح أسفار المثناة اليهودية باللغة الآرامية، وسمي «الجمارا»، فبالمتن العبري، والشرح الآرامي من المثناة والجمارا ظهر كتاب آخر عرف فيما بعد بـ «التلمود»، وهو يعتبر من أخطر الكتب الدينية على وجه الأرض، وسوف أتناوله ببحث خاص في الفصول الآتية إن شاء الله.

**٣- اللغة اليونانية:**

وهي لغة التخاطب والكتابة في جميع البلاد اليونانية الأصل، وفي جميع المستعمرات اليونانية بآسيا وأفريقيا، وهي لغة جديدة بالنسبة إلى اللغتين السابقتين، وبهذه اللغة تمت ترجمة أسفار العهد القديم من أصلها العبري عام ٢٨٤-٢٤٧ ق.م على أيدي اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر، تحت رئاسة الحاخام الأكبر «اليعاذر» الذي شكل لجنة من اثنين وسبعين عالماً فترجموا العهد القديم في إسكندرية في اثنين وسبعين يوماً بأمر «بطليموس الثاني» «فيلادلف»، فسميت هذه الترجمة للعهد القديم السبعينية (SEPTUAGENT) مراعاة لعدد الذين قاموا بها، ومنها ترجمت كتب العهد القديم إلى سائر اللغات العالمية بما فيها اللاتينية، وسوف يأتي بعض المباحث عن هذه الترجمة.

وفي هذا الباب خلاف شديد بين علماء المسيحيين واليهود، فاليهود لا يزالون متمسكين بالنسخة العبرية، بينما يعتمد العلماء المسيحيون على النسيخة اليونانية التي تسمى السبعينية، وذلك لما بدأ المسيحيون يستشهدون ضد اليهود[1].

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٧٦٨).

**التوراة:**

يظهر من دراسة الكتب اليهودية، أن التوراة التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم ضيّعها اليهود أيام تمردهم على شريعة موسى عليه السلام في الصحراء.

وكأن موسى عليه السلام قد علم بوحي من الله أن قومه لن يثبتوا على الحق ولن يحافظوا على كتاب الله، فأفضى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون، وصيّه وفتاه والقائم بالأمر من بعده، ليفضي بها إلى أولاد هارون إذ كان هارون عليه السلام شريكاً في أمر الرسالة والنبوة لموسى، ولكنه توفي حال حياة موسى، فانتقلت الوصية إلى يوشع بن نون وديعة ليوصلها إلى شبير وشبر ابني هارون.

فلم يبق من التوراة إلا بعض ما أوصله يوشع بن نون إلى اليهود، ومنها بعض الأخلاق، وذكر الحدود، وقد تكون الأحكام العشرة المعروفة بين اليهود إلى اليوم من جملة وصية يوشع.

وأما التوراة الموجودة عند اليهود، فلا يشك أنها من وضعهم وليست منزلة من الله تبارك وتعالى، وإلى هذا يشير سبحانه وتعالى بقوله في القرآن الكريم:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة (٧٩).

وقد رأى رسول الله ﷺ ورقة من التوراة في يد عمر بن الخطاب فأمره بإلقائها، وألا يضيع وقته في قراءة ما بها من كذب وتحريف.

فقد روى جابر ﷺ أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب، فقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لو أن موسى -ﷺ- كان حياً لما وسعه إلا أن يتبعني**» (١).

وذلك لأن القرآن الذي أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ يشتمل على ما كان في التوراة من عقيدة، وشريعة، وقصص للأنبياء المعصومين، فهو مهيمن عليها ومصدق لها، ومصحح لما أفسده بنو إسرائيل من عقيدة التوحيد، وإرسال الأنبياء والرسل وسِيَرهم الحقيقية، ولو أن موسى بعث الآن لتبرأ من توراة اليهود، واتبع ما جاء في القرآن الكريم.

## الأدوار التي مرت فيها كتابة التوراة:

من أهم أسفار العهد القديم: أسفار القسم الأول والتي تسمى التوراة، ويعتقد اليهود بأنها من وحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام، وأنه هو الذي جمع هذه الأسفار التي سميت فيما بعد بالتوراة.

وقد كشفت الدراسات المتواصلة التي أجريت حول هذه السفار أنها ليست من تأليف شخص واحد، وأنها لم تؤلف في عصر موسى، بل

(١) رواه أحمد (٣/٣٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان، والدارمي (١/١١٥) بأتم منه، وقال الشيخ الألباني: «وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف، ولكن الحديث حسن، لأن له طرقاً كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما» (مشكاة المصابيح رقم ١٧٧).

تأخر تدوينها إلى فترة غير قصيرة بعد موسى.

وقد يجد من يقرأ هذه الأسفار أنها تشتمل على حوادث وقعت بعد موسى عليه السلام، فقد جاء في سفر التكوين:

«ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر» [1].

والمعروف أن «مجدل عدر» اسم لإحدى منارات بيت المقدس، بناها نبي الله سليمان بعد موسى بسبعمائة سنة.

وفيه أيضاً[2]: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَك مَلِكٌ لبني إسرائيل».

وبهذا يعرف أن كتاب التكوين إنما ألف بعد عدة ملوك في بني إسرائيل.

وفي كتاب الخروج: «وأكل بنو إسرائيل الْمَنَّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض كنعان، ولم يصلوا إلى أرض كنعان في حياة موسى عليه السلام ».

ومعنى هذا أن كتاب الخروج ألف بعد وصول بني إسرائيل إلى أرض كنعان، ولم يصلوا إلى أرض كنعان في حياة موسى عليه السلام .

وفي كتاب «تثنية» ذكر موت موسى عليه السلام كما سبق ذكره.

وهذا ما دعا جميع مفسري أسفار موسى إلى الاتفاق على أن هذه الفقرات ألحقت بالتوراة بعد موسى لأنه من المستحيل أن يذكر موسى قصة موته ودفنه في كتابه.

---

(١) (٣٥/٢٢).

(٢) (٣٦/٣١).

ثم ثمة حوادث كثيرة وقعت بعد موسى، وهي مسجلة في التوراة[١].

ولما رأى أحبار اليهود وعلماء النصارى التناقض في التوراة المزعومة فكروا في التحريف عمداً، وسموا هذا التحريف «تصحيح الأحبار».

يقول تامس:

«كان في كتاب التكوين[٢]: فلم يزل يهوه قائماً أمام إبراهيم ، فغيروا هذه العبارة بقولهم: وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب»[٣].

وجاء هذا التغيير لما كانت العبارة الأولى تحمل تحقيراً للرب يهوه.

وفي كتاب القضاة: كان يهو ناثان حفيد موسى، فجعلوه حفيد منسى خطأً[٤].

ومع تصحيحهم هذا، فإن التوراة المزعومة لا يزال فيها كثير من الأخبار المتناقضة، فمنها على سبيل المثال:

١- في الخروج: «ثم صعد موسى وهارون ... وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل» [٥].

وفي الكتاب نفسه: «وقال الرب: لا تقدر أن ترى وجهي، لأن

---

(١) انظر على سبيل المثال: سفر التكوين (١٤/١٤) ، سفر التثنية (١/٢٤)، سفر القضاة (٢٩/١٨)، سفر العدد (١٤/٢١).

(٢) (٢٢/١٨).

(٣) HISTORY OF THE ENGLISH BIBLE.

(٤) (٣٠/١٨).

(٥) (٩/٢٤).

الإنسان لا يراني» [١].

٢- في الخروج أيضاً: «لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس» [٢].

وفي كتاب إشعياء: «أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب، خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا» [٣].

٣- في صموئيل الثاني: «ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها» [٤].

وفي السفر نفسه: «فأخذ الملك بني ميكال بنت شاول الخمسة الذين ولدتهم بعد رئيل» [٥].

٤- في الملوك الثاني: «كان أخزيا ابن اثنين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم» [٦].

وفي أخبار الأيام الثاني: «كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم» [٧].

---

(١) (٢٠/٣٣).

(٢) (١٧/٣١).

(٣) (٢٨/٤٠).

(٤) (٢٣/٦).

(٥) (٨/٢١).

(٦) (٢٦/٨).

(٧) (٢/٢٢).

٥- في التكوين: اسم المكان الذي وقعت فيه حادثة ذبح إبراهيم لابنه سماه «يهوه يراه».

«فدعا إبراهيم ذلك الموضع يهوه يراه حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى[1]». ويهوه اسم من أسماء الله عند اليهود، وهو فعل مضارع من هيه أو هو، ومعناه: هو الذي كان، وكان استعمال لفظ يهوه من عهد موسى عليه السلام، ولم يكن معروفاً قبل ذلك، كما يشهد على ذلك سفر الخروج:

«ثم كلم الله موسى، وقال له: أنا الرب، وأنا أظهرت لإبراهيم وإسحاق، ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء، وأما باسمي «يهوه» فلم أعرف عندهم» [2].

٦- جاء في سفر التثنية: عند ذكر الوصايا العشر:

«هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم، ولم يزد، وكتبها على لوحين من حجر وأعطاني إياها» [3].

لم يذكر في هذه الوصايا العشر أن الله استراح في اليوم السابع وإنما قيل في السبت: «لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك» [4].

(١) (٢٢/١٤).

(٢) (٦/٢-٣).

(٣) (٥/٢٢).

(٤) (٥/١٤).

كما جاء في السفر نفسه: «ولا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيت قريبك، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا كل ما لقريبك» [١].

بينما ذكرت هذه الوصايا في سفر الخروج، وفيه بعض مخالفات عما في التثنية منها:

«أنه استراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه» [٢]. ولم يذكر في هذا السفر قوله: «ولا حقله» ، إنما ذكر: العبد والأمة والثور والحمار فقط [٣].

مع أن هذه الوصايا كانت مكتوبة بصنعة الرب كما تدعي التوراة، فكيف وقع الخلاف في الشيء المكتوب، ثم جاء التأكيد في التثنية: لم يزد على هذه الكلمات بينما جاء في الخروج:

«فقال الرب لموسى: هكذا تقول بني إسرائيل أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم لا تصنعوا معي آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب» [٤]. وهذه زيادة لم تذكر في التثنية.

٧- في سفر التكوين: إن الله خلق الإنسان والبهائم في اليوم السادي، فقد جاء فيه:

---

(١) (٥/٢١).

(٢) (٢٠/١١).

(٣) (٢٠/١٧).

(٤) (٢٠/٢٢).

«وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبّابات، ووحوش أرض كأجناسها، وكان كذلك ... وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا...» [١].

وذلك بعد خلق الأشجار والثمار في الأرض، والطيور في السماء.

بينما جاء في السفر نفسه أن الله خلق الإنسان قبل الحيوان.

«وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرّية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها» [٢].

وسبق أن ذكر في الإصحاح نفسه: «إن الرب الإله جبل آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية» [٣].

وذلك قبل خلق الحيوانات.

٨- إن الشريعة اليهودية تحرم أن يتزوج الرجل أخت أبيه، ففي سفر اللاويين: «عورة أخت أمك وأخت أبيك لا تكشف، أنه قد عرّى قريبته يحملان ذنبهما» [٤].

ولكن والد موسى تزوج بأخت أبيه، ففي سفر الخروج:

«وأخذ عمران «يوكابد» عمته زوجة له، فولدت له هارون

---

(١) (١/٢٤، ٢٦).

(٢) (٢/١٩).

(٣) (٢/٧).

(٤) (٢٠/١٩).

وموسى»[1]. وجاء في سفر العدد: «اسم امرأة عمران «يو كابد» بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر»[2].

وقهات والد عمران هو ابن لاوي، وبالتالي كانت ولادة موسى على غير الشريعة اليهودية.

هذه بعض الأمثلة لبيان التناقض في التوراة، وإلا فكتب العهد القديم تختلف كثيراً عن كتب العهد الجديد في التواريخ والأنساب والأحكام.

أما المسيحيون فإنهم إذا وجدوا شيئاً مخالفاً في كتب العهد القديم حكموا عليه بالنسخ، ولكن ماذا يقولون في اختلاف التواريخ والأنساب، وهل يقع النسخ في الأمور الثابتة؟

هذا غيض من فيض، وإلا فإن التوراة برواية السوريين تختلف كثيراً عن التوراة في أيدي الأحبار بالرواية بالعبرية، فإن عدد مواضع الاختلاف بلغ الآن أكثر من (١٣١٤) موضعاً.

وهذا الكتاب الذي يدعيه اليهود والنصارى بأنه وحي من الله تختلف طبعاته إلى يومنا هذا، فطبع هذا الكتاب لأول مرة عام (١٤٨٨م)، ثم أعيد طبعه عام (١٧٠٥م) بإشراف «واندار هوف» ، وهذه الطبعة الأخيرة مختلفة عن الطبعة الأولى في أكثر من اثني عشر ألف موضع.

وقد اعترف بعض المسيحيين المنصفين في القرنين السابقين بأن هذه التوراة ليست من تأليف موسى كما جاء في مقدمة الكتاب المقدس من

(١) (٢٠/٦).

(٢) (٥٩/٢٦).

الطبعة الكاثوليكية عام (١٩٦٠م):

«ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة، أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده، بل يجب القول أن هناك ازدياداً تدريجياً سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية».

## نظرة عامة في التوراة ومراحل تدوينها:

من المجمع عليه بين علماء اليهود والنصارى: أن التوراة كانت في أول الأمر جزءاً واحداً، ولما قال أحبار اليهود بترجمتها إلى اليونانية عام ٢٨٤ ق.م. قسموها إلى خمسة أجزاء، وجعل كاردينال عام (١٢٤٠م) فيها الأبواب التي تسمى الإصحاح والفصول.

وجعل العلماء فيها النقاط والحركات، لأن العبرانية كانت تكتب قبل ذلك بدون نقط أو حركات، ومع هذا التدقيق والتحقيق في تقسيم الآيات والفصول فإن التوراة لا تزال متداخلة الألفاظ والمعاني.

وقد وقع أول تدميره للتوراة عام (٩٤٥ ق.م.) على عهد رحبعام بن سليمان[1] لما غزا ملك مصر شيشنق.

---

(١) وكان له ست عشرة سنة، وكانت ولايته سبعة عشر عاماً بعد وفاة نبي الله سليمان، فأعلن الكفر طول ولايته، وعبد الأوثان جهاراً هو وجميع رعيته وجنده بلا خلاف منهم، إلى أن مات على الكفر، فولى مكانه ابنه أبياً، وهو أيضاً ممن أعلن الكفر، وبقي على نهج أبيه يهوشا فاط، ونهج سيرة أبيه في الإيمان، والحكم، ثم توالى الملوك من بني إسرائيل، وأكثرهم أظهروا الكفر بالله، ولم يعتنوا بشريعة موسى، =

ففي الملوك الأول:

«وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن الملك وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان» [١].

وبقيت التوراة ضائعة إلى بزوغ القرن السابع قبل الميلاد، فأعلن «حلقيا» الكاهن أنه وجد سفر الشريعة في الهيكل، فقد جاء في سفر الملوك الثاني:

«فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب: قد وجدتُ سفر الشريعة في بيت الرب، وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه، وجاء شافان الكاتب إلى الملك وردّ على الملك جواباً وقال: قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في البيت ودفعوها إلى يد عاملي الشغل وكلاء بيت الرب، وأخبر شافان الكاتب الملك قائلاً: قد أعطاني حلقيا الكاهن سفراً وقرأه شافان أمام الملك، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه» [٢].

وذلك في مملكة يهوذا في حدود (٦٢٣ ق.م.) ومعلوم أن نسخ التوراة لم تكن كثيرة في تلك العصور، إنما كانت نسخة وكانت موضوعة في الهيكل، يقصده اليهود لسماعها، فما هي النسخة التي وجدها حلقيا بعد ثلاثمائة سنة تقريباً، ومن الذي قارنها بأنها توراة موسى؟ لأنه لم يبق أحد ممن

=

ولم يحافظوا على الكتب الدينية.

(١) (١٤/٢٥-٢٦).

(٢) (٢٣/٨-١١).

سمع التوراة من موسى وأولاده، وعلماء النصارى الذين ضيعوا الملايين من الساعات لدراسة كتب العهد القديم لم يستطيعوا إقناع الرأي العام.

وفي القرن السادس عام (٥٩٧ ق.م.) أغار بخت نصر ملك بابل على أورشليم وهدم بيت المقدس، وأزال جميع آثاره وأسر أكثر من أربعين ألفاً من اليهود، وساقهم إلى بابل، وبقي هؤلاء في بابل زهاء أربعين سنة وقيل: سبعين سنة عبيداً وخدماً حتى نسي اليهود لغتهم الأصلية، وهي العبرية.

والباب السادس والثلاثون من سفر الأيام الثاني يذكر قصة إغارة بخت نصر على أورشليم بالتفصيل، حيث يقول:

«وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس».

ولما نجا اليهود من حاكم بابل بمساعدة ملك الفرس ورجعوا إلى ديارهم فاجتمع أحبارهم لتدوين التوراة من جديد، وكان للكاهن «عزرا» حظ وافر من هذا العمل، ويذكر سفر عزرا بعض هذه التفاصيل، وفيه اعتراف صريح بأنه أعاد الديانة اليهودية بعد انقراضها كما أعاد التوراة بعد ذهابها، وأدخل فيها الأحرف الآشورية.

أما كيف دوّن عزرا التوراة من جديد!؟، فنرى أن العلماء المسيحيين يختلفون في هذا، فمنهم من يقول: إنه قرأ جميع الكتب التي ألفت قبله، واستعان بنبي الله نحميا الذي كان مساعداً له في تعمير الهيكل، ومنهم من يقول: إنه أعاد تدوين التوراة من حفظه، وبه قال أحد الكتاب المسيحيين المعروفين «كيتو».

تقول الرواية الثالثة إنه كوَّن مجلساً من مائة وعشرين من الأحبار، عرف فيما بعد بالكنيسة العظمى، وكل من واجبات هؤلاء الأحبار جمع التوراة وتدوينها وقراءتها وكتابتها وروايتها للأجيال اللاحقة.

ونرى بوضوح اختلافاً واضحاً في هذه الروايات التي هي أساس لتدوين التوراة.

يقول الحافظ ابن حزم: «وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خاليين، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً، ولا القبة ولا التابوت ... ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة، ونسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً أيضاً» (١).

يبدو أنهم بعد رجوعهم من السبي البابلي إلى أرض فلسطين فكروا في الاحتفاظ بالكيان اليهودي للأجيال اللاحقة، لما لاقوا من الاضطهاد والمصائب على أيدي الأجانب، فجعلوا نصب أعينهم المبادئ التالية التي تظهر بوضوح في فقرات التوراة المزعومة وهي:

١- إن الله واحد لا شريك له، وسموه «يهوه» ، وجعلوه إلها لبني إسرائيل من مهمته حفظهم من أعدائهم.

٢- إن الشريعة التي جاء بها موسى هي لبني إسرائيل فقط.

٣- النبي المنتظر الذي أخبر موسى عليه السلام بظهوره لإنقاذهم من

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٩٧).

الأعداء يكون من آل إسحاق.

٤- إن الأمم كلها خدم لبني إسرائيل.

٥- يجب على الإسرائيليين أن لا يختلطوا بغيرهم.

فعلى هذه المبادئ الانفصالية والعصبية العنصرية تم تأليف التوراة الجديدة، وعرضت على شيوخ بني إسرائيل، فسرّوا بها، لأنهم كانوا بهذه الطريقة يستطيعون المحافظة على القومية اليهودية.

ثم ضاعت التوراة مرة ثالثة عام (١٧٠ ق.م.) لما أغار ملك أنطاكيا «انتنيين» على أورشليم، وهدم الهيكل، وأزال وأحرق جميع ما كان فيه من الكتب والآثار، وبنى وثناً للعبادة في داخل البيت، وقرب الخنازير على مذبح البيت، وأعلن أن أيّ شخص إذا وجدت عنده نسخة من التوراة يقتل فوراً.

ثم بدأ الجنود يفتشون بيوت اليهود، فإذا عثروا على نسخة من التوراة أحرقوها وقتلوا صاحبها، حتى قضوا على جميع نسخها، ثم بعد خمس سنوات لما تمكن اليهود من الرجوع إلى بيت المقدس، وبدأوا إعادة بناء الهيكل، وادعوا أن التوراة موجودة لديهم، فوضعوا نسخة منها في الهيكل على عادتهم، ولم تعرف هوية تلك النسخة التي أتوا بها ووضعوها في الهيكل.

أما التدمير الرابع للتوراة فقد وقع عام (٧٠م) لما توجه إمبراطور الروم «طيطس» إلى أورشليم، وقتل فيها أكثر من مليون شخص من اليهود، وأحرق بيت المقدس وجعل من بقي منهم أسرى وعبيداً.

يقول «أسكات» أحد مفسري الكتاب:

«لم يرد طيطس قبل الحرب خراب مدينة أورشليم، بل أحب أن يستسلم اليهود له، وأرسل لهذا الغرض المؤرخ اليهودي المشهور: «يوسفين» إلى رؤساء اليهود يدعوهم إلى الصلح، إلا أن اليهود تمردوا، واستعلوا لحرب «طيطس» ، ولكنهم لم يثبتوا في الحرب بعد قتال شديد، ولما تم الفتح للرومان وكانت الجيوش الرومانية على أشد ما يكون من الغضب، فلم يفلت أحد ممن جاء للحرب من القتل، ومن بقي دخل في بيت المقدس، ولكن أحد الجنود الرومان رمى بيت المقدس بسهم ناري، فشب الحريق فيه، ولم يكن إمبراطور الرومان راضياً عن إحراق بيت المقدس، فأمر الناس بإطفاء النيران، ولكن بدون نتيجة، فحرق بيت المقدس بما فيه من السيوف والحلي، والكتب وغيرها» (١).

بعد حرب طيطس جمع اليهود فلولهم، وأغاروا على السلطنة الرومانية عام (٧٠م) ولكنهم فشلوا في الحرب، وكانت الحكومة الرومانية غاضبة على اليهود، فتوجه جيش الرومان إلى أورشليم، ولم يترك فيه أثراً من الآثار اليهودية، حتى بنوا مكان بيت المقدس معابد لإحدى آلهتهم، وغيروا اسم أورشليم وجعلوه «إيليا».

يقال: قتل في هذه المعركة أكثر من خمسمائة ألف من اليهود، وذلك في عهد الإمبراطور الروماني «بدرين».

وفي حدود (٤٠٠م) تقدم الوثنيون من شمال روما، وأغاروا على جميع المستعمرات الرومانية، فأزالوا جميع الآثار للديانة اليهودية والمسيحية وخاصة الصحف، والمدارس الدينية، والمكتبات.

---

(١) دراسة مقارنة لأديان العالم (بالأردية) ص (٣٧٦).

وفي عام (٦١٣م) أغار شاه إيران «برويز» على أورشليم، وقتل أكثر من تسعين ألفاً من اليهود، وهدم جميع ما فيه من الأماكن المقدسة، وأحرق الكتب والصحف.

تلك هي قصة توراة اليهود التي كانت لعبة في أيدي الغزاة والفاتحين كما كانت دمية في أيدي اليهود أنفسهم بحيث كانوا يحرفون منها ما يشاءون ويثبتون فيها ما يشاءون.

وبهذا انتهى تواتر التوراة التي في أيدي اليهود والنصارى.

وبعد هذا الاستعراض السريع وبالمقارنة بين نصوصها اتضحت حقيقة التوراة المزعومة، فلا يؤمن بصحتها إلا مكابر.

ويؤكد المؤرخون أن المسلمين عاملوا اليهود أحسن معاملة عندما طُرِدوا من أسبانيا في بداية القرن السادس عشر، وهم يسمون «يهود الدنمة» [1]، فقد جاء بعضهم إلى القدس، ووظّفهم السلطان سليمان القانوني في المسجد الأقصى لإنارة المصابيح إلا أنهم كعادتهم بدأوا إفساد المجتمع التركي العثماني في المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية والأخلاقية.

---

(١) الدنمة: كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركي «دونمك» بمعنى العودة والرجوع، وللدونمة تاريخ يعود إلى قائدهم اليهودي «ساباتاي» -المولود سنة ١٦٢٦م في مدينة أزمير التركية، وهو من أصل أسرة يهودية أسبانية- أعلن دخوله في الإسلام، وطلب من أتباعه اتباعه، فأعلنوا في ظاهرهم الإسلام مضمرين في باطنهم السباتائية اليهودية. وبهذا تمكنوا من إضرار المجتمع المسلم.

## نسخ العهد القديم

**١- العبرية:**

إن أقدم نسخة من مخطوطات العهد القديم في اللغة العبرية وجدت في وادي قمران بقرب البحر الميت، ويرجع تاريخ بعض هذه المخطوطات إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

وذلك أن أحد الرعاة العرب من عشيرة التعامرة عثر عليها في كهف يقع عند مصبّ وادي قمران في الساحل الغربي الشمالي من البحر الميت على بعد اثني عشر كيلو متراً جنوب «أريحا» على لفائف إسطوانية من الرقوق، مغلفة بقماش قديم من الكتاب داخل جرار من الخزف، وهي تحتوي على بعض أسفار العهد القديم: منها درج كامل لنبوة إشعياء، كما عثر في كهوف أخرى في المنطقة ذاتها على بقايا من هذه الرقوق كان من بينها درج يحتوي على جزء من كتاب اللاويين، ومقطوعات كبيرة من رؤيا أورشليم الجديدة، ودرج من المزامير، ونص لسفر أيوب بالآرامية[1].

وأما النسخة العبرية التي بين أيدينا فهي مأخوذةٌ من النسخة الماسورية

---

(١) انظر: J. A. Sanders, The dead sea psalms scroll oxford university - ١٩٦٧ press.

وانظر أيضاً: مخطوطات البحر الميت: لمحمود العابدي ص (٥٤) والعرب واليهود في التاريخ ص (١٦١).

التي أعدتها جماعة من علماء اليهود في طبرية من القرن السادس إلى الثاني عشر الميلادي.

وكانت أول طبعة للعهد القديم بالعبرانية سنة (١٤٨٨م) في سونشيومن في دوقية ميلانو، ثم طبع ثانية عام ١٤٩٤ م في «بريسشيا»[1].

### ٢- السامرية:

وهذه النسخة لا تشتمل إلا على خمسة كتب موسى فقط، ويرى الباحثون أنها ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وهي ليست بترجمة، بل هي النص العبراني المكتوب بالحروف السامرية أو العبرانية القديمة.

وقد وجدت نسخة خطية من التوراة السامرية في مدينة «نابلس» سنة ١٩٧٨م، وترجمها إلى العربية الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصوري، في القرن الثامن الهجري، وقام بطبع هذه النسخة العربية الدكتور/ أحمد حجازي بعد أن قدمها بمقدمة تفصيلية.

ويختلف النص السامري عن النص العبري في أكثر من ستة آلاف موضع، من جملتها تقديس جبل «جرزيم» أكثر من أورشليم.

وإلى هذه النسخة أشار ابن حزم أيضاً في كتابه الشهير[2].

وطبعت التوراة على هذه النسخة أول مرة في باريس (١٦١٦م) ثم في عام (١٧٩٠م).

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٧٦٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١١٧).

**موقف الإسلام من العهد القديم:**

مما لا شك أن الإسلام يعترف بالتوراة، ويأمر المسلمين بالإيمان بها، وكتاب الله الكريم مصدق لما فيها وفي الإنجيل، وأما كتب العهد القديم الأخرى فهي في الحقيقة سرد لتاريخ بني إسرائيل، وذكر لبعض الأنبياء الذين أرسلوا إلى اليهود كما يزعمون، فلا يعترف بها القرآن ولم يتعرض لذكرها، بل أغفل عنها كلياً لما تحتوي عليه من أخبار شنيعة، وترمي الأنبياء بما لا يليق بشأنهم.

ونعود فنقول: إن التوراة التي يذكرها الله تبارك وتعالى، قد كتبها موسى عليه السلام بيده، ووضعها في التابوت مع اللوحين.

«وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك» [1].

«وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك» [2].

«وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل، وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة، والوصية التي كتبتها لتعليمهم» [3].

والشهادة، والشريعة هما عبارة عن التوراة بالإضافة إلى الأحكام التي أنزلها الله على موسى في اللوحين، وقد حمل بنو إسرائيل تابوت العهد[4]

(١) الخروج (٢٥/١٦).

(٢) الخروج (٢٥/٢١).

(٣) الخروج (٢٤/١٢).

(٤) تابوت العهد: هو ما استخرجه موسى عليه السلام من المدفن الذي كان فيه بإلهام من الله، لأن يوسف عليه السلام أوصى قبل موته أن يصعدوا به، حتى يدفن مع آبائه في أرض كنعان.

ودخلوا به أرض كنعان، ووضعوه في قدس الأقداس في البيت، فلما جاء عهد نبي الله سليمان عليه السلام فتحوه فلم يجدوا فيه إلا لوحَي حجر.

«لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريت حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر»[1].

وبعد سليمان حدثت سلسلة من الأحداث الدينية والسياسية تعرض فيها بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير، كما ذكرنا ذلك في فصل تاريخ اليهود.

فضاع أيضاً ما بقي من تعاليم موسى عليه السلام إلا بعض الأحكام الخاصة بالجنايات والأحوال الشخصية، وهي التي تحاكم إليها رسول الله ﷺ في بعض الأحيان.

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى:

«وأما استشهاد رسول الله ﷺ بالتوراة في أمر رجم الزاني المحصن وضرب ابن سلام رضي الله عنه يد ابن صوريا إذ جعلها على آية الرجم فحق، وهو مما قلنا آنفاً، إن الله تعالى أبقاه خزياً لهم، وحجة عليهم، وإنما يحتج عليهم بهذا كله بعد إثبات رسالته ﷺ بالبراهين الباهرة بالنقل القاطع للعذر على ما قد بينا ونبين إن شاء الله تعالى، ثم نورد ما أبقاه الله تعالى في كتبهم المحرفة من ذكره عليه السلام إخزاء لهم وتبكيتاً وفضيحة لضلالهم لا لحاجة منا إلى ذلك أصلاً، والحمد لله رب العالمين.

وأما الخبر بأن النبي ﷺ أخذ التوراة وقال: «**آمنت بما فيك**» فخبر

---

(١) الملوك الأول (٨/٩).

مكذوب موضوع، لم يأت قط من طرق فيها خبر، ولسنا نستحل الكلام في الباطل لو صح فهو من التكلف الذي نهينا عنه كما لا يحل توهين الحق، ولا الاعتراض فيه. وأما قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (١) فحق لا مرية فيه، وهكذا نقول ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً لرفع ما أسقطوا منها، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ ، فيكونون حينئذٍ مقيمين للتوراة والإنجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما وجد أو عدم، ويكذبون بما يدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما، وهذه هي إقامتهما حقاً، فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل والحمد لله رب العالمين، وأما قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ فنعم إنما هو في كذب كذبوه، ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم، فبكتهم عليه السلام في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين، فظهر كذبهم وكم عرض لنا هذا مع علمائهم في مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة، فالقوم لا مؤنة عليهم من الكذب حتى الآن إذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لا يكون ذلك إلا بالكذب، وهذا خلق خسيس وعار لا يرضى به مصحح، ونعوذ بالله من مثل هذا.

---

(١) سورة المائدة (٦٨).

وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ فنعم، هذا حق على ظاهره كما هو، وقد قلنا: إن الله تعالى أنزل التوراة وحكم بها النبيون الذين أسلموا كموسى، وهارون، وداود، وسليمان، ومن كان بينهم من الأنبياء عليهم السلام، ومن كان في أزمانهم من الربانيين والأحبار الذين لم يكونوا أنبياء، بل كانوا حكاماً من قبل الأنبياء عليهم السلام، ومن كان في أزمانهم من الربانيين والأحبار قبل حدوث التبديل. هذانص قولنا وليس في هذه الآية أنها لم تبدل بعد ذلك أصلاً لا بنص ولا بدليل. وأما من ظن لجهله من المسلمين أن هذه الآية نزلت في رجم النبي ﷺ لليهوديين اللذين زنيا وهما محصنان، فقد ظن الباطل، وقال بالكذب، وتأول المحال، وخالف القرآن لأن الله تعالى قد نهى نبينا عليه السلام عن ذلك نصاً بقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [1]. وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾» [2] اهـ.

---

(١) سورة المائدة (٤٨).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٢١٢-٢١٤).

## التراجم القديمة للعهد القديم

### ١- الترجمة السبعينية:

كانت اللغة اليونانية معروفة في جميع البلدان اليونانية الأصل، وفي المستعمرات اليونانية بآسيا وأفريقيا، فبأمر الملك بطليموس اجتمع في مصر اثنان وسبعون عالماً من علماء اليهود، وذلك في حدود (٢٨٢ ق.م)، وترجموا العهد القديم باليونانية، وهذه الترجمة هي التي سميت بعد ذلك بالسبعينية.

وتسمى في اللاتينية (Septuagent) وبالفرنسية (Version Be, Septant) ويشار إليها برموز (L X X) [1].

وبما أن هؤلاء المترجمين اعتمدوا على النسخة السامرية نرى أن نص التوراة السامرية يتفق مع الترجمة السبعينية في ألف وتسعمائة موضع من بين ستة آلاف موضع اختلف فيها التوراة العبرية عن التوراة السامرية.

وعلماء المسيحيين فيهم خلاف شديد حول هذه الترجمة من حيث الترتيب والتنسيق أولاً، ثم من حيث الحذف والزيادة ثانياً، وفيها بالإضافة إلى ذلك، ففي هذه الترجمة بعض أسفار لا توجد في العبرية.

كما أن هذه الترجمة تختلف عن النص العبراني في عدة أماكن منها:

١- بين خلق آدم وطوفان نوح (١٦٥٦ سنة) في النص العبري، بينما في الترجمة السبعينية (٢٢٦٢ سنة).

---

(١) تاريخ الصحف السماوية.

٢- الكتب المزيفة التي تسمى «أبو كريفيا» أخذ منها اليهود والنصارى في الترجمة السبعينية فهي موجودة في النص العبيري، وقد سبق أن ذكرنا بعضها.

٣- في النص العبري زيادة «زبور» لا يوجد في الترجمة السبعينية.

٤- لقد غير المترجمون صفات الله تبارك وتعالى حتى أصبحت مثل صفات البشر ظناً منهم أنها بدون ذلك تؤدي إلى عدم تعظيم «يهوه» .

ومع هذه الخلافات الجوهرية كانت النسخة السبعينية أساساً للكنيسة اليهودية والنصرانية حتى القرن الثاني، ولما دخل قسطنطين في النصرانية في أواخرا القرن الثالث، وصار الدين النصراني ديناً رسمياً للدولة الرومانية عَيَّن البابا «ماسوس الكاهن جيروم» عام (٣٨٣ م) ليقوم بترجمة العهد القديم والجديد باللغة الرومانية، لذا توجه الكاهن «جيروم» إلى الشام، وبقي في بيت لحم (١٤ سنة) وجمع حوله النسخ العبرانية من السامرية وغيرها، وبالتعاون مع أحبار اليهود استطاع أن يكمل ترجمته الرومانية عام (٣٩٤ م) من العبرانية مباشرة، وفي البداية أنكرت عليه الكنائس هذه الترجمة، ثم اعترفت بآخره، وكانت معتمدة لدى جميع الكنائس إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ويعلق عليها تامس قائلاً: «عدة مرات تم تصحيح ترجمة جيروم، إلا أنها بقيت ناقصة من عدة وجوه مع أنه استطاع أن يحصل على الأسفار القديمة» [1].

ومع ذلك فقد اعتبرتها الكنائس اليهودية والمسيحية أساساً، وقد استشهد

(١) تاريخ الصحف السماوية ص (٥٣).

العهد الجديد وآباء الكنيسة الأول بآياتها، إما حرفياً أو حسب المعنى.

ولكن لما أخذ المسيحيون يستشهدون بآياتها للتنديد بالعادات والتعاليم اليهودية التي كانت سائدة في عصرهم عاد اليهود إلى الأصل العبراني الذي لم يكن معروفاً لكثير منهم، وأهملوا هذه الترجمة المنتشرة لأنها كانت تشهد عليهم (١).

**٢- الترجمة الكلدانية:**

ولما رجع اليهود من السبي البابلي، كانت اللغة التي يتكلمون بها هي الآرامية، وقد تدعى تجاوزاً «الكلدانية» ، وهي تختلف عن اللغة العبرية التي كان يتكلم بها أجدادهم، فأصبح من الضروري ترجمة الأسفار لهم، وتسمى هذه الترجمة «ترجومات» ، وإليها تشير فقرة من سفر نحميا وهي:

«وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان، وفسروا المعنى، وأفهموه القراءة، ونحميا أي الترشاثا وعزرا الكاهن الكاتب، واللاويون المفهمون الشعب» (٢).

أي أنهم كانوا يترجمون الأسفار بالكلدانية التي كان يتكلم بها اليهود بعد السبي.

**٣- الترجمة اللاتينية:**

تمت الترجمة السبعينية إلى اللاتينية في القرن الأول بعد المسيح عليه السلام ، وذلك لأن اللغة اللاتينية كانت منتشرة في شمال إفريقيا، فاحتج إليها اليهود والمسيحيون القاطنون في هذه المناطق.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٧٦٨).

(٢) (٨/٨-٩).

**٤- الترجمة الحبشية:**

وفي عام (٣٢٠ م) ترجمت الترجمة السبعينية إلى الحبشة، وقيل: إن هذه الترجمة تمت في أواخر القرن الرابع، لما دخل دين المسيح في بلاد الحبشة أيام الملك قسطنطين (٣٢٤-٣٣٧ م).

**٥- الترجمة الغوطية:**

وفي عام ٣٥٠ م ترجم الأسقف «أولفيلاس» العهدين القديم والجديد إلى اللغة الغوطية، ولكنه لم يترجم أسفار «صموئيل الأول والثاني» ، ولا «الملوك الأول والثاني» ، بدعوى أنه من الخطر وضع هذه الأسفار بين أيدي الشعب الغوطي بسبب الروح الحربية الموجودة فيها(١).

**٦- الترجمة الأرمنية:**

إن أول ترجمة إلى الأرمنية هي الترجمة التي قام بها إسحاق البطريك في (٣٩٠-٤٢٨ م).

**٧- الترجمة العربية:**

وأول ترجمة عربية عرفت في التاريخ هي الترجمة التي نقلها يوحنا أسقف أشبيلية عام (٧٢٤ م) بعد ظهور الإسلام.

يقول ابن النديم: إن أحمد بن عبد الله بن سلام الإنجيلي هو أول من ترجم التوراة من العبرانية إلى العربية(٢).

وذكر المسعودي ثلاثة نقول أخرى: الأول لـ «حنين بن إسحاق»

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٧٧١).

(٢) انظر: الفهرست (٣٣).

النسطوري المتوفى عام (٢٦٠هـ) (٨٧٣-٨٧٤ م) من الترجمة السبعينية، والاثنان الآخران لحبرين من أحبار اليهود، وهما «أبو كثير» المتوفى عام (٣٢٠هـ - ٩٣٤م)، و«سعد بن يوسف الفيومي» المتوفى عام (٣٣١هـ - ٩٤٣م) ثم قام «هبة بن العسال» بالترجمة من القبطية إلى العربية عام (١٢٥٠ م).

وبهذا ثبت أن التراث الإسرائيلي لم يكن له نسخة كاملة مترجمة إلى العربية في عهد النبي ﷺ [(١)].

وللعهدين ترجمتان كاملتان وهما المتداولتان في يومنا الحاضر هما:

**الأولى:** الترجمة البروتستانتية الأميركية التي قام بها خمسة علماء: اثنان أمريكيان، وثلاثة لبنانيون، وطبع العهد القديم منها عام (١٨٦٥ م) وهو يحتوي على (٣٩) سفراً.

**الثانية:** قام بها الآباء اليسوعيون في الفترة ما بين سنة ١٨٧٢ و١٨٨٠م وطبعت هذه الترجمة في بيروت سنة ١٨٨٠م، ثم طبعت ترجمة كاثوليكية جديدة في بيروت سنة ١٩٦٠م، تشتمل على (٣٩) سفراً من العهد القديم. من إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي ببيروت.

---

(١) ولذا أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة يهود فقال: « **يا زيد! تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي** » فتعلم في نصف شهر، فكان يكتب ويقرأ لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم اليهود. علقه البخاري في صحيحه (١٦١/١٣) ووصله في تاريخه الكبير (٣/٣٨٠-٣٨١) وأبو داود (٣٦٤٥) والترمذي (٢٧١٦) وصححه الحاكم (١/١٧٥) وإسناده حسن.

## خلاصة البحث

بعد هذا العرض السريع لتاريخ التوراة نستطيع أن نخلص إلى النتائج التالية:

١- لا يعرف بالتحديد الشخص الذي دَوَّن التوراة لأول مرة.

٢- لا تظهر من دراسة تاريخ تدوين التوراة المعايير التي كانت أمام المدونين بعد كل تخريب.

٣- نظراً لضياع التوراة أكثر من مرة لم يعد لنقلها أي تواتر على رغم وجوده في البداية.

٤- لا ريب أن كل فرقة من اليهود أدخلت فيها آراءها وأفكارها.

٥- كتبت التوراة في المرة الأولى باللغة العبرية، ثم ترجمت إلى الآرامية واليونانية، وبهذا وقع فيها تحريف كبير في هذه التراجم، وخاصة بعد ما أصبحت ترجمتها الآرامية مصدراً للتراجم الأخرى.

٦- كان بنو إسرائيل يحسدون أولاد إسماعيل عليه السلام.

ومن هنا أدخلوا في التوراة كلمات سخيفة عنهم، وسموهم وغيرهم «الغويم» وهي كلمة عبرية من «غوى» ، وجمعها غويم، ومعناها: الأمم، ويقصدون بذلك البهائم، فما الأمم غير اليهودية في نظر اليهود إلا كالبهائم.

وأختم هذا البحث بقول سهيل ميخائيل ديب:

«وكانت المقاصد الكبرى لمؤلفي التوراة أن يفرضوا على اليهود اتباع التعليمات الرهيبة، وتنظيم الشعب اليهودي تنظيماً عسكرياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على أعدائهم الغويم، كما تركز التوراة على أن تغرس في نفوس اليهود الحقد الأبدي الدائم ضد أعدائهم، لأنهم كانوا سبباً لاضطهادهم، وتشريدهم وعدم استقرارهم في الأراضي المقدسة، وخاصة الكنعانيين والفينقيين والأدوميين واليموسيين وجميع الشعوب غير اليهودية، المستوطنة في شرق البحر الأبيض المتوسط».

ففي سفر التثنية: «ونفترس جميع الغويم الذين يدفعهم إليك الرب إلهك فلا تشفق عيناك عليهم» (١).

وفي سفر التثنية أيضاً: «وإذا أدخلك الرب إلهك التي أنت صائر إليها ... واستأصل أمما كثيرة من أمام وجهك ... إنك شعب مقدس للرب إلهك وأباك اصطفى الرب إلهك أن تكون أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض» (٢).

وهذه بعض الفقرات من التوراة تأمر بقتل جماعي لبني البشر، وتتكرر الأوامر المشددة لتنظيم حياة يهودية للسيطرة على وجه الأرض.

وإن هذه التعاليم اليهودية تقرأ وتدرس يومياً في كنائس العالم اليهودية.

---

(١) (٧/١٦).

(٢) (٧/١).

وفي هذه التعاليم دليل قاطع على أن التوراة المزعومة المتداولة في الوقت الحاضر ليست من تأليف موسى، وقد أضيف إليها ما اتفق ورغبات ونزعات وميول اليهود، وإلا فكيف من الممكن أن يكون قد نزل أمر بقتل الأطفال، والنساء، والشيوخ في حين أن إحدى الوصايا العشر تأمر بما يناقضه تماماً.



# الفرق اليهودية



## الفرق اليهودية

بعد سقوط فلسطين تحت حكم السلوقيين في حدود (١٩٨ ق.م) (وهو الإمبراطورية المقدونية) بدأ اليونان يضطهدون اليهود، ويمارسون الضغط عليهم بشتى الوسائل لاعتناق دينهم اليوناني، ويرغمونهم على عبادة الآلهة اليونانية مثل «زيوس» و «ديونسيوس» فتفرقت كلمة اليهود وتشتت شملهم، فمنهم من قبل الدعوة اليونانية الوثنية، ومنهم مَن بقي على التعاليم اليهودية، فافترقوا إلى عدة فرق من النواحي العديدة. منها الدينية، والسياسية، والقبلية، وكانت بذور الخلاف بينهم ظهرت بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام حيث انقسمت دولة اليهود إلى مملكتين متحاربتين كما ذكرنا سابقاً، فلم تجتمع كلمتهم منذ ذلك الحين حتى جاء الدور اليوناني فزاد الطين بلة.

وإليكم أهم فرقهم الدينية:

**١ – شاسديم (CHASIDIM)**

أي الانقياد، وهم الملتزمون بالحياة اليهودية، وقد تميزوا بغيرتهم على الناموس «أسفار موسى» أيام الاضطهاد، ومن هؤلاء ظهرت فرقة سميت فيما بعد «الفريسيون» وهي كلمة آرامية معناها «المنعزلون» كحزب يهودي محافظ على الولاء للناموس بشدة.

وكانت هذه الفرقة تناهض الفرق الأخرى خاصة «الصدوقيين». يجوبون البر والبحر لاكتساب الدخلاء إلى دينهم كما جاء في إنجيل متى

٢٣: ١٥ وقد شبههم الكُتَّاب المسيحيون بالمعتزلة من الفرق الإسلامية[1].

ولا يعرف بالضبط من الذي لقّبهم بهذا، ومتى كان ذلك.

يرى كاتب قاموس الكتاب المقدس أنهم ظهروا باسم «الفريسيون» في عهد هركانوس (١٣٥-١٠٥ ق.م) وكان من تلامذتهم، فتركهم والتحق بالصدوقيين.

وسعى ابنه «اسكندرينايوس» بعده إلى إبادتهم غير أن زوجته «الكساندرة» والتي خلفته على العرش سنة (٧٨ ق.م) رعتهم، فقوي نفوذهم على حياة اليهود الدينية. وأصبحوا قادتهم في الأمور الدينية[2].

وأما الفريسيون أنفسهم فكانوا يطلقون على أفراد جماعتهم لقب الإخوان، أو الرفقاء، أو الأحبار لأنهم يؤمنون بما جاء في التلمود الذي ألفه الأحبار.

وبقي هؤلاء الفريسيون مضطهدين إلى (٧٨ ق.م) ولما تربعت الكساندرة زوجة إسكندرينايوس على العرش قوي نفوذهم، واصبحوا قادة في الأمور الدينية.

ويتلخص أهم مزايا هذه الفرقة في أمرين هما:

**(الأول) المصادر اليهودية:**

تعتقد هذه الفرقة بأن التوراة بأسفارها الخمسة مخلوقة من الأزل، وكانت مدونة على ألواح مقدسة، ثم أوحي بها إلى موسى، فتدوينها

---

(١) انظر: أديان العالم (٢٠٥).

(٢) القاموس ص (٦٧٤).

بعده هو في الحقيقة إعادتها.

كذلك تؤمن هذه الفرقة بالأحاديث الشفوية التي تشتمل على مجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير، وتناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وزعموا أنها مساوية للشريعة المكتوبة، بل هي أكثر منها أهمية وسلطة، ولسبب غلوهم في تقليد آبائهم وسخطهم المسيح، ورد في إنجيل متى (١٥/٢-٣-٦): لماذا تتعدة تلاميذك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً فأجاب وقال لهم: أنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم، فإن الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك ... فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم.

وهذه الروايات اشفوية هي التي عرفت فيما بعد باسم «التلمود».

وتبين لنا من هذا العرض الموجز: أن هذه الفرقة تأخذ شريعة موسى عليه السلام حرفياً، وتتمسك بالتقاليد وتأخذ تفسير الكتاب المقلس من أحبارهم.

**(الثاني) عقيدة هذه الفرقة:**

١- تؤمن هذه الفرقة بالبعث، وقيام الأموات، والملائكة، والعالم الآخر، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف، ولا يتزوجون، ويحافظون على وجودهم بطريق التبني.

٢- تؤمن بخلود النفس.

٣- تؤمن هذه الفرقة بعصمة الحاخامات، وتمنحهم سلطة عليا، وتنظر إلى أقوالهم كأنها صادرة من الله، وترى أن مخافتهم هي مخافة الله. ورد في التلمود: «يلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة،

لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال الحاخام: إن يدك اليمين هي اليسرى وبالعكس. فصدق قوله، ولا تجادله».

وإلى هذا يشير القرآن الكريم:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (١).

ومن هنا لا يرون حاجة إلى الاجتهاد إذ إن لكل سؤال جواباً من قبل الحاخام المقدس المعصوم.

وكانت هذه الفرقة من ألدّ أعداء المسيح ابن مريم عليه السلام، وهم الذين حاولوا إصدار مرسوم ملكي لصلبه، كما كانت لهذه الفرقة مؤامرة دنيئة لقتل المسيح واغتياله. جاء في إنجيل مرقس(٢): «فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين، وتشاوروان عليه لكي يهلكوه».

وذلك أن المسيح كشف عن نفاقهم وكفرهم وتحريفهم لتوراتهم، وابتداعهم تعاليم وأحكاماً فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان. ورد في إنجيل متى الإصحاح الثالث والعشرين: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغفلون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الناس يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل. ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم

---

(١) سورة التوبة (٣١).

(٢) إنجيل مرقس (٦/٣).

مضاعفاً. ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب ...».

ثم خاطبهم المسيح بقوله: «يا أورشليم، يا أورشليم، يا قتلة الأنبياء وراجمة المرسلين».

وقد خاطبهم يوحنا المعمدان بـ «أولاد الأفاعي».

وفي الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى:

«حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلم، إنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق، ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا: ماذا تظن أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم، وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون! أروني معاملة الجزية فقدموا له ديناراً. فقال لهم: لِمَن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. فقال لهم: أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله...».

هكذا حاول الفريسيون أن يحرجوا المسيح حتى يتكلم على قيصر، فيصدر حكم الإعدام عليه.

ولا يعرف بالتحديد متى تكونتْ هذه الفرقة؟ ومن أشهر ما قيل في هذا الصدد ما ذكره المؤرخ اليهودي يوسفيين المتوفى عام (٩٥م) : وهو أنها تكونت في عهد يوناتان (JANATHAN) وكان صديقاً حميماً لداود عليه السلام.

### ٢- الصدوقيون:

يرى الإمام ابن حزم أن هذه الفرقة تنسب إلى رجل يسمى «صدوق» وهو الكاهن الأعظم الذي كان في زمن سليمان.

ويضيف إلى هذا محرر قاموس الكتاب المقدس: وفي عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين[1]، فسمي حلفاؤه وأنصاره صدوقيين، وكانت هذه الفرقة صغيرة نسبياً، ولكنها مؤلفة من المثقفين، جلهم أغنياء.

ويرى بعض علماء أوربا أنها تنسب إلى رجل آخر وجد في القرن الثالث قبل الميلاد. وأما اسمها فمشتق من «صادق».

**أهم مميزات هذه الفرقة:** (من ناحية العقيدة):

١- أنها لا تؤمن بالبعث والآخرة والحساب والجنة والنار، وترى أن الدنيا هي دار العمل ودار الجزاء، وأن النفس تموت مع الجسد.

ولعل القرآن في أمثال هؤلاء يشير بقوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾[2].

٢- تنكر وجود الملائكة والأرواح والشياطين والعالم الآخر.

---

(١) وكان اسم أسرة المكابيين الحقيقي «الحسمونيين» من حسمون أبو مجد متاثياس من أبناء يهوماريب، ولقب يهوذا ابن مثانياس الذي كان حكمه سنة ١٦٠ ق.م وكان آخر السلالة الحسمونية «ارسنوبولس» سنة ٤٠-٣٧ ق.م ومن هنا انتقل الحكم إلى «هيرودس» الكبير.

(٢) الصافات (٥٨-٥٩).

٣- تنكر القضاء والقدر وتؤمن بحرية الإنسان في اختيار الأعمال. وأنها مخلوقة منه، لا من الله.

ذكر محرر قاموس الكتاب المقدس: أنهم قالوا: بحرية الإرادة، وأنا قادرون على أعمالنا، وأننا سبب الخير، وأننا نتقبل من حماقة أفعالنا.

٤- تنكر ظهور المسيح ولا تنتظره.

**وأما من حيث المصادر:**

١- فتؤمن باسفار العهد القديم، إلا أنها لا ترى القدسية المطلقة للتوراة، يقول محرر قاموس الكتاب المقدس: حصر الصدوقيون تعاليمهم في نص الكتاب قائلين: إن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم، حتى وإن قاد الناموس إلى شدة في المقاضاة.

٢- ترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام.

٣- تنكر الإيمان بالتلمود وتعاليمه، لأنه ألف بعد وجود هذه الفرقة من قبل فقهاء الفريسيين.

٤- وتقول هذه الفرقة إن الله خلق الإنسان ليدبر شؤونه بنفسه، وإنه من العبث انتظار إرادة الله، ويجب على الإنسان أن يحل مشاكله بنفسه.

**الصدوقيون والمسيح:**

كانت للمسيح عليه السلام علاقة طيبة بهذه الفرقة، لأنه هاجم الفريسيين وقبل سلطان قيصر الروم على نحو ما فعل الصدوقيون، غير أن إنكارهم للبعث واليوم الآخر كان سبباً في مخالفته لهم، وحاولت هذه الفرقة أن تجرّ المسيح إلى عقيدتها، وتضمه إليها لمعارضة الفريسيين، ولكنهم فشلوا في

ذلك، إذ بيّن لهم المسيح عليه السلام فساد عقيدتهم.

فقد جاء في إنجيل متى «الإصحاح الثاني والعشرين»:

«إن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاءوا إلى المسيح قائلين له: يا معلم قال موسى: إن مات أحد، وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته، ويقيم نسلاً لأخيه فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات، وإذ لم يكن له نسل وترك امرأته لأخيه، وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً. ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة؟ فإنها كانت للجميع.

فأجاب يسوع وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفون الكتب، ولا قوة الله، لأنهم يوم القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء.

وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، ليس الله إله أموات، بل إله أحياء، فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه».

ومن هنا بدأ الصراع بين المسيح والصدوقيين. ولم يكونوا أقل عداوة للمسيحية عبر القرون من فرقة الفريسيين. وقد خاطبهم يوحنا المعمدان كما خاطب الفريسيين فقال لهم: «أولاد الأفاعي» ومع هذه العداوة الشديدة للمسيحية، فإن هذه الفرقة تحرص دائماً على إقامة علاقات ودّية مع الشعوب الأخرى بينما تنظر فرقة الفريسيين إلى غير الإسرائيليين نظرة العداوة والإزدراء، ولعل هذه الفرقة هي التي يقول عنها القرآن الكريم:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ (١)

ويقول عن الفريسيين: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

والأميون نسبة إلى الأمم، وهم في اصطلاح اليهود غير بني إسرائيل.

ولا يميل الصدوقيون إلى الاشتراك في الحركات الثورية، والأعمال التي تتطلب عنفاً وجهداً. ويميلون إلى احترام القوانين الموجودة على أي حال، ما دامت الديانة اليهودية محترمة بوجه ما، فكانوا يكتفون من السلطات الحاكمة بالاعتراف بيهوه، وبامتيازاتهم الخاصة. ويرون من الحكمة قبول الأمر الواقع. وهذه الفرقة أقل عدداً من الفريسيين. كما قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه «مقارنة الأديان».

**٣- «فرقة القُرائين أو العنانيين»**

هذه هي الفرقة الثالثة من الفرق اليهودية الرئيسية وهي أحدثها وكانت نشأتها على يد رجل يسمى «عنان بن داود» من بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد، على عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥ م) أي بعد موسى عليه السلام بنحو عشرين قرناً، ونسبت إلى منشئها وهو «عنان بن داود» . ويقال لها أيضاً: «القرائين» نسبة إلى «قراءة» بمعنى الكتاب أو المكتوب، وهي كلمة كانت تطلق عند اليهود

---

(١) سورة آل عمران (٧٥).

على أسفار العهد القديم، فمعنى القرائن: المتمسكون بالكتاب وحده، ولا يزال لهذه الفرقة أتباع كثيرون في مختلف البلاد في العصر الحاضر.

**أهم مميزات هذه الفرقة:**

١- التمسك بما جاء في أسفار العهد القديم.

٢- عدم الاعتراف بتعاليم التلمود.

٣- عدم الاعتراف بسلطة الحاخامات.

٤- إنكار جميع القوانين والأحكام التي جاء بها الربانيون.

وقد سبق عنان بن داود زعماء من اليهود مهدوا الطريق لدعوة عنان منهم «سيرنيوس» اليهودي من أهل سوريا الذي ظهر في حدود ٧٢٠ م ونادى بالتجديد والإصلاح، وكان شعاره «اتركوا تعاليم التلمود» وتبعه ناس كثيرون، فعظم شأنه، حتى أعلن أنه المسيح المنتظر، وكادت تحدث من جراء ذلك فتنة كثيرة في العوالم الثلاثة: الإسلامي والمسيحي واليهودي، فقبض عليه، وقدم إلى الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك فرأى أن يسلمه إلى اليهود أنفسهم حسماً للفتنة ليتولوا محاكمته وبذلك انتهى أمره.

ثم ظهر بعده: عويديان بن عيسى اليهودي من أصفهان حوالي عام ٧٥٠ م. وقام بدعوة برنيوس بإنكار تعاليم التلمود من جديد. وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية.

يذكرها الشهرستاني باسم الفرقة العيسوية نسبة إلى أبي عيسى الأصفهاني[١].

---

(١) انظر التفاصيل على هامش الفصل والأهواء والنحل (٢/٥٥).

وقد حاول عويديان وأنصاره استخدام القوة، لفرض آرائهم على طوائف اليهود فلم ينجحوا، وكان مصيره كسابقه «برنيوس».

وظهر بعد هؤلاء عنان بن داود، فوجد الطريق ممهداً لدعوته، فنجح فيما دعا إليه، وفتح باب الاجتهاد لكل قادر عليه، كما سمح أن ينشئ كل مجتهد مذهباً فرعياً خاصاً في نطاق الأصول العامة التي قام عليها مذهبه.

فبناء على ذلك انقسمت هذه الفرقة إلى فرق متعددة، واشتهرت منها فرقتان: بنيامين والأكبرية.

تبين لنا من هذا العرض لموجز للفرق اليهودية ومعتقداتها: أن الخلافات الرئيسة فيها تتلخص في خلافها بين الربانيين أي المؤمنين بالتلمود، والقرائين فيما بعد.

ولا تزال هاتان الطائفتان على طرفي نقيض حتى في العصر الحاضر، فتكفر إحداهما الأخرى، ولا تسمح لها باستخدام معابدها والدخول فيها، وقد سجل التاريخ حوادث عنيفة وقعت بينهما، فمنها مثلاً ما وقع في مصر أيام الملك الفاطمي الظاهر بن الحاكم بأمر الله الذي تولى الخلافة سنة ٤٢١-٤٢٧ هـ (١٠٢٠-١٠٢٥ م) فأصدر الخليفة مرسوماً بعدم التعرض لإحداهما على الأخرى، وعليهما أن تعيشا سلمياً دون أن تتدخل إحداهما في شؤون الأخرى، وإلا تعاقب معاقبة شديدة.

**٤- والسامرة:**

فرقة من اليهود انفصلت عن بني إسرائيل ولهم هيكل خاص.

يقول «يوسيفوس»: إن منسى أخا يدوع رئيس الكهنة تزوج من ابنة

شخص أجنبي يسمى سيبلط. وأمره شيوخ أورشليم إما أن يطلق امرأته أو أنه لن يقترب من المذبح، وفكر منسى في طلاقها رغم أنها كانت عزيزة عنده. لكن أباها سنبلط وعد صهره أنه إذا احتفظ بزوجته، ولم يطلقها فسيبني له هيكلاً ضد هيكل أورشليم، ولقد وفى بوعده وبنى هيكلاً على جبل «جرزيم» وكان هذا أصل الهيكل السامري[١].

هكذا استغنت هذه الفرقة عن هيكل أورشليم. وأدخلت في نسختها بناء هيكل على جبل «جرزيم» في كتاب الخروج بينما لا يوجد هذا الحكم في النسخ الأخرى.

تقول: إن الله تعالى أمر داود النبي عليه السلام أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس. وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام . فحول داود إلى إيليا وبنى البيت ثمة وخالف الأمر وظلم[٢].

وتقول أيضاً: إن التوراة لم تبشر إلا بنبي واحد يأتي بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها. وظهر في السامرة رجل يقال له «الألفان» وادعى النبوة وزعم أنه هو الذي بشر به موسى، وأنه هو الكوكب الذي ورد في التوراة أنه يضيئ ضوء القمر. وكان ظهوره قبل المسيح بنحو مائة سنة، فانقسمت السامرة إلى فرقتين: «دوستانية» وهم «الألغانية» و «كوستانية» ومعنى الدوستانية: الفرقة المتفرقة الكاذبة، ومعنى الكوسانية الجماعة

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٢٥٨) وكان بناء هذا الهيكل في حدود (٤٣٢ ق.م) في فلسطين.

(٢) انظر: الملل والنحل (٢/٥٨) على حاشية الفصل.

الصادقة، وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها، وتزعم الدوستانية أن ليس الثواب والعقاب إلا في هذه الدنيا.

وقد استقلت الفرقة السامرية بكيانها الديني، وقد أراد اليهود أن يخرجوها من الديانة اليهودية ولكنهم لم يفلحوا. وتحول هذا إلى عداء سافر استمر إلى عدة قرون حتى أصبحت تعين كل من أراد ضرب اليهود من الغزاة الأجانب ولا تزال لها بقية باقية حتى اليوم في نابلس.

يروي البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) أن السامريين دلوا بختنصر حاكم بابل على عورات بني إسرائيل حتى تمكن من قتلهم وسبيهم.

وأما السامريون فلم يمسهم بسوء[١].

إلا أنها أقل عدداً من غيرها من فرق اليهود[٢].

---

(١) انظر: الآثار الباقية في القرون الخالية ص (٢١).

(٢) انظر لمزيد من التفاصيل: كتاب المقريزي (٧٦٦-٨٤٥هـ): «تاريخ اليهود» .


http://kotob.has.it



# التلمود وتعاليمه

## التلمود وتعاليمه (TALMUD)

لفظ «تلمود» مشتق من لفظ عبرية (LAMAD) ومعناه «تعليم» وهو مجموعة من الروايات الشفوية التي كانت تنقل من جيل إلى جيل في شؤون العقيدة والشريعة، والتاريخ، والسير على ألسنة أحبار اليهود وفقهائهم شرحاً وتفسيراً للتوراة. وذلك أن اليهود يقسمون الوحي إلى قسمين:

١- وحي مكتوب.

٢- وحي شفوي.

**الوحي المكتوب:**

مثل تلقي موسى اللوحين المكتوبين من صنعة الله.

**الوحي الشفوي:**

وهو عبارة عن مجموع تقاليد اليهود في شتى نواحي الحياة مع آيات من التوراة، ويزعم اليهود أن هذه التقاليد والتعاليم شفاهية ألقاها موسى على شعبه لما كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع حتى سلموها للأنبياء[١] ثم وصلت هذه الروايات إلى الكاهن عزرا الذي بدوره قام بتعليم أعضاء المجمع الأعلى البالغ عددهم ١٢٠ شخصاً. ثم بقي هذا الوحي الشفوي في أولاد وأحفاد هؤلاء الأعضاء واستمر إلى حدود

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٢٢٢).

(٢٥٠ ق.م) وكان آخرهم شمسون العادل (٣٠٠ ق.م)، ثم وصل هذا الوحي إلى كتبة الوحي، ثم إلى العلماء، ثم إلى الأحبار والربانيين، وذلك في حدود ٧٠ م إلى ٢٢٠ م.

ونتيجة لهذه العقيدة الفاسدة انتشر الكذب والوضع في الروايات، والأساطير الغريبة في كتب اليهود منهم من يكتب ما يشاء ويختار ثم يقول: هذه من عند الله. وإليه يشير قوله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[١].

وهذه هي الروايات المشتهرة التي جمعها الحاخام يهودا في أواخر القرن الثاني الميلادي وسماها «مشنا» ومعناه: التكرار وجعلها للتوراة تفسيراً. ثم قام العلماء يفسرون «مشنا» وسمي هذا التفسير «جمارا» ومجموع مشنا وجمارا يسمى «التلمود» يقول جوزف كاير: «العهد القديم يحتوي في الأساس جميع الوصايا الموسوية الخلقية. ونجد فيه إنذاراً بعدم إضافة أو حذف كلمة من الشريعة المكتوبة [٢]. ولكنه في الوقت الذي كان يجري فيه جمع الكتاب المقدس العبري، وإكمال نواقصه وتقويمه حدثت تغييرات

---

(١) سورة البقرة (٧٩).

(٢) في سفر التثنية (٢:٤): «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها».

عظيمة في حياة الموسويين استدعت تفاسير شفهية لكثير من نصوص الشرائع، ثم تلت ذلك فترة من الدراسة الشفهية على نطاق واسع، فنشر بعض المعلمين أحكاماً جديدة مبنية على تضمين الشرائع القديمة .. وأسفرت هذه التطورات التي استمرت بضعة قرون عن مجموعة من ستة مجلدات مقسمة موضوعياً إلى ثلاثة وستين قسماً، سميت بـ «المشناه» غير أنه في الوقت الذي دون فيه المشناه وجد علماء الشريعة المدونة أحياناً ضرورة إيضاح هذه المؤلفات بالشروح.

وذلك أن التوراة والمشناه كانا مكتوبين باللغة العبرية التي كانت لغة الموسويين يوم جمعت ثم تكلم الموسويون باللغة الآرامية ودرسوا بها.. وأدت شروحهم في مضمون تلك الفترة المتأخرة إلى قيام تفاسير سميت بالآرامية ب «جماراه» أو فقه الشريعة، ومن جمع نصوص المشناه والجماراه يتألف كتاب في أربعين مجلداً يعرف بمجموعها بالتلمود[1].

يقول الدكتور «روهلنج» الأستاذ الفرنسي في إحدى الجامعات الفرنسية في كتابه المترجم إلى العربية باسم «الكنز المرصود في قواعد التلمود» [2].

«وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف الحاخامات المسمى «يوضاس» أن تلعب أيدي الضياع بهذا التعاليم الشفوية، وتلك الروايات المتناقلة، فجمعها في كتاب سماه «المشناه» (MICHNA) ومعنى كلمة «المشنا» : الشريعة المتكررة لأن المشنا تكرار لما ورد في توراة موسى».

(١) حكمة الأديان الحية ص (١٥٤-١٥٥).

(٢) ص (٤١) ترجمه إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله أحد علماء مسيحيي مصر.

وفي السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيراً من الزيادات على ما دونه «يوضاس» وأتم الربى يهوذا سنة ٢١٦ م تدوين هذه الزيادات والروايات الشفوية فأصبحت «المشناه» تضم كل كتبه من قبل «يوضاس» و «الربى يهوذا».

وقد استصعب فهم المشناه على اليهود فبدأ فقهاؤهم وعلماؤهم يشرحونها واستمروا في شرحها إلى العصور المتأخرة، وسميت هذه الشروح باسم «الجمارا» (GEMARA) ومعناه: استكمال التعاليم، ومجموع المتن مع شروحه سمي فيها بعد باسم «التلمود» [(١)].

وأكثر اليهود يعتبرون التلمود كتاباً منزلاً وينزلونه منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاهياً، ولا يقتنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل ينزلون هذه الروايات الشفوية منزلة أسمى من منزلة التوراة، لأن أقوال علماء التلمود عندهم أفضل مما جاء في شريعة موسى، كأنهم يعدون التوراة خبزاً، لأن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط، يرون أن الإدام هو التلمود ويصرحون بأن من يقرأ التوراة بغير «المشناه» و «الجمارا» فليس له إله.

بل أكثر من هذا فإن اليهود يؤمنون بأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحي، وأن الله يستشير الحاخامات كلما عرضت له مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء[(٢)].

---

(١) انظر: مقارنة الأديان (٢٦٩) اليهودية.

(٢) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٤٤-٤٦).

## أقسام التلمود:

التلمود على قسمين:

١- تلمود أورشليم: وهو مختصر وجامع، انتهوا من تأليفه من القرن الرابع الميلادي، ويضم متن «المشناه» وزيادات وشروح علماء وحاخامات فلسطين والذين كتبوه هم حاخمو طبرية.

٢- وتلمود بابل: وهو أكبر من التلمود الأول ثلاثة أضعاف، واستعانوا في تأليفه بتلمود أورشليم، واستمروا في شرحه وتفسيره حتى استكملوه في القرن السادس الميلادي من قبل حاخامات بابل، فهذا هو التلمود الثاني المتداول بين اليهود في أنحاء العالم اليوم، وهو المراد عند الإطلاق بكلمة التلمود.

وأما المسائل التي جمعوها فيما بعد فقد سموها «توسفتا» و «مدراشيم» إلا أن هذه المؤلفات المتأخرة ما لاقت الرواج بين علماء اليهود وحاخاماتهم كما لاقاه التلمود.

وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق للعنصر اليهودي على بقية شعوب العالم، واعتبارها عبيداً لليهود، لأن اليهود هم شعب الله المختار، كما تجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض دون غيره من الناس، ولذا كان اليهود أحرص ما يكون على أن لا يطلع على التلمود غيرهم.

## سرية التلمود:

يحافظ اليهود على سرية التلمود لا لغرض سوى أنه يشتمل على مسائل لا تليق ببني البشر، ويدعو إلى تنظيم الشعب اليهودي للسيطرة على العالم أجمع، ولذا نرى الحاخامات يبعدون التلمود حتى من أيدي

اليهود الذين ليسوا أهلاً لحفظ سريته، واستطاعوا إخفاءه أربعة عشر قرناً منذ أن وضعه الحاخامات. وفي عام ١٢٤٠ م أمرت الحكومة الفرنسية بإحراقه علناً، وله قصة طريفة وهي أنه انتقل نقولاس دونين (NICHOLAS DONIN) من اليهودية إلى المسيحية ورفع البابا «جريجوري» التاسع معروضاً يتهم فيه التلمود باحتوائه على إهانات فاضحة للمسيح والعذراء، وتحريضه اليهود على الغش والخداع في معاملتهم للمسيحيين. فما لبث «جريجوري» إلا أن أمر الناس بإرسال كل ما يمكن العثور عليه من نسخ التلمود في فرنسا وإنجلترا، وأسبانيا إلى الرهبان الدومنيك أو الفرنسيس، ثم أمر أولئك الرهبان بفحص تلك الكتب بدقة وعناية بحيث إذا تبين لهم أن تلك التهم صحيحة أحرقوها.

ولم نعثر فيما وصل إلينا من المعلومات المسجلة على ما حدث بعد هذا الأمر، ولكنا نعرف أن «لويس» التاسع أمر اليهود في فرنسا بأن يسلموا له كل ما لديهم من نسخ التلمود وإلا كان جزاؤهم الإعدام، ثم استدعى أربعة من أحبارهم إلى باريس ليدافعوا عن الكتاب في نقاش علني أمام الملك والملكة، ودام البحث ثلاثة أيام، أمر بعدها الملك أن تحرق جميع نسخ التلمود (١٢٤٠ م).

ثم في عام (١٢٤٢ م) جمعت نسخ التلمود وجيء بها إلى باريس محملة على أربع وعشرين عربة، وألقيت في النار. ثم صدر أمر بابوي عام (١٢٤٨ م) بمنع تملك التلمود في حدود فرنسا[1].

---

(١) قصة الحضارة (١٤/١٠٦-١٠٧).

وأقدم نسخة مخطوطة للمشـنا موجـودة في بـارم (PARMA) ويرجـع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وظـهرت أول طبعـة للمشـنا مـع شروحها في إيطاليا عام (١٤٩٢ م) [١] ثم ظهرت لها عدة تراجم باللغات العالمية ولكنها كلها محذوفـة الحواشـي، والأقسـام الـتي لا يـرون الاطـلاع عليها بغير الحاخامات.

وأهـم ترجمـة للمشـنا البـابلي إلى الإنجليزيـة قـام بـها «كـانون ديـني» (CANON DANY) عام ١٩٣٥ م.

وكانت ترجمة التلمود ظهرت باللغة العربية قبـل أن تظـهر بـأي لغـة أخرى ففي عام ١١٣٩-١٢٠٥ م وضـع موسـى بـن ميمـون الفيلسـوف اليهودي الأندلسي شرحاً مفصلاً بالعربية لكتاب «المشنا» سماه «السراج».

وأما النسخة العبرية الأصلية من تلمود بـابل فـأعيد طبعـه في إسـرائيل وتم توزيعه على المشتركين بسعر رمزي قدره عشرة دولارات، ولن تصـل هذه النسـخ إلى أيـدي عامـة اليـهود بينمـا -وكلنـا يعرف- أن الكتـاب المقدس عندهم الذي يشتمل على التوراة المزعومة يطبع بالملايين كل عام، ويوزع مجاناً في جميع أنحاء العالم.

يقال: إن نصه الأصلي الكامل المطبـوع في البندقيـة[٢] عـام ١٥٢٠-١٥٢٣م لا توجد منه سوى ثلاث نسخ فقط.

---

(١) انظر: العرب واليهود في التاريخ ص (١٧٥).

(٢) البندقية مدينة في شمال إيطاليا وهي (VE NEZIA) .

## نماذج من نصوص التلمود

### العزة الإلهية في التلمود:

يقول التلمود: إن النهار اثنتا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى منها يجلس الله، ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك(١).

يندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما في أقصى العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل(٢).

وليس الله حسب ما جاء في التلمود معصوماً من الطيش، لأنه حالما يغضب يستولي عليه الطيش كما حصل له ذلك يوم غضب على بني إسرائيل، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد ذهاب الطيش منه، ولم ينفذ ذلك اليمين لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة(٣).

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٤٩).

(٢) المصدر السابق ص (٥١).

(٣) المصدر السابق ص (٥١).

## أرواح اليهود في التلمود:

خلق الله ستمائة ألف روح يهودية، وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات. وفي التلمود: «إن نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات»[١].

## ممنوع رد الأشياء المفقودة لغير اليهود:

جاء في التلمود أن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأممي ماله المفقود غير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب.

قال الرابي «جريكام»: إذا فقد أجنبي سنداً محرراً على يهودي بدين ما، ووجده يهودي فيمتنع رده إليه، لأن الدين يسقط بوجود السند تحت يد يهودي[٢].

## جواز الغش مع غير اليهودي:

يقول التلمود: «يجوز غش الأممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكن إذا بعت واشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه».

قال الرابي إسماعيل طبقاً لتعاليم الحاخام «اكيبيا»: «يلزم اليهودي أن لا يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم».

---

(١) المصدر السابق ص (٦٠).

(٢) الكنز المرصود قواعد التلمود ص (٧٧).

وقال الرابي صموئيل -أحد الحاخامت المهيمن-: «إن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاساً، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط. وهو ثمن بخس وسرق درهماً أيضاً من البائع»[١].

## غير اليهود في نظر التلمود:

يرى التلمود أن اليهود هم من أبناء الله وأنهم أفضل من الملائكة، وأما غير اليهودي فهو كالحيوان بل هو أرذل منه، وأن اليهود هم شعب الله المختار فقط، وهم الذين يجوز لهم أن يعيشوا على الأرض مكرمين.

وفي أحد أعياد اليهود -وهو عيد الفصح- يأمر التلمود بذبح الآدميين من غير بني إسرائيل وتقديم قرباناً لآلهتهم، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية. ويستنزف اليهود دم ضحاياهم بطرق كثيرة منها ما يسمى «البرميل الإبري» وهو برميل يثبتون على جانبه من الداخل إبراً حادة توضع فيها الضحية حية، فتغرز هذه الإبر في جسمها حتى يسيل الدم ببطء من مختلف أعضائها. وتظل كذلك في عذاب أليم حتى تفارقها روحها، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل في نشوة تامة لما يبعث هذا المنظر في نفوسهم من لذة وسرور. وينحدر الدم إلى قاع البرميل ثم يصب في إناء معد لجمعه، وأحياناً تقطع شرايين الضحية من عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها، وأحياناً تذبح الضحية كما تذبح الشاة، ويؤخذ دمها وبعد أن

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص (٧٥-٧٦).

يجتمع الدم يقدم إلى الحاخام أو الكاهن لإعداد الفطائر المقدسة.

واليهود لا يشمئزون من مزاولة هذه الجريمة البشعة حتى في العصر الحاضر لو تمكنوا من ذلك. وخاصة بعد إقامة دولتهم غير الشرعية على أرض فلسطين الإسلامية.

وقد جمع أحد كتاب أوروبا «أرنولدليز» (ARNOLD LEESE) أهم جرائم اليهود الثابتة بأدلة قاطعة باعتراف المتهمين في مختلف بلاد العالم من أوروبا وآسيا وغيرهما منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين في كتاب سماه «طقوس الاغتيال اليهودية» وقد طبع عام ١٩٣٨ م ، وفيه أكثر من ستين حادثاً مفزعاً من جرائم اليهود.

وقد ذكر المؤرخ اليهودي القديم يوسيفوس المتوفى عام ٩٥ م أنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم من البشر، ومزجها بعجين فطائرهم، بل كانوا يأكلون كذلك قطعاً من لحومهم.

فقد ذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان أنطونيوس الرابع الذي تبوأ العرش عام ١٧٤ ق.م. وفتح مدينة أورشليم. لما دخل أورشليم وجد في بعض أنحاء الهيكل رجلاً يونانياً كان اليهود قد حبسوه فيها، وكانوا يقدمون له أحسن الأطعمة ليسمن حتى يأتي يوم عيد الفصح فيخرجوا به إلى الغابات لذبحه وشرب دمه وأكل كل شيء من لحمه، فاسترحم هذا السجين الملك أن ينقذه فأنقذه[1].

---

(١) من مقدمة الكنز المرصود في قواعد التلمود للتمرجم يوسف نصر الله، وقد أحال إلى =

بل وأكثر من هذا لقد جاء في التلمود أنه «محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأمميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر» (١).

لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة المزعومة بقتلهم جميعاً لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين.

## التلمود والمسيح:

يقول التلمود عن المسيح: إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري «باندرا» عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلزم اليهودي الوفاء به. وإنه من الواجب على اليهودي أن يلعن رؤساء المذهب النصراني، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعدواة لبني إسرائيل ثلاث مرات(٢).

=

كتاب «صراخ البريء» لحبيب أفندي فارس.

(١) راجع التفاصيل الأخرى في الفصل السادس في الكنز المرصود.

(٢) انظر: مقدمة الكنز المرصود في قواعد التلمود (٢١). يرى المترجم أن الحاخامات الذين حضروا أمام ملك فرنسا للدفاع عن كتبهم الدينية قد أقروا بما نسب إلى المسيح والمسيحيين. وقد تحصل وقتئذ من ترجمة نصوص تلمودهم ما يعتقدون به هذه الفقرات.

**الأيمان في التلمود:**

لا تعتبر اليمين التي يحلف بها اليهودي في تعامله مع باقي الشعوب يميناً لأنه بها كأنه حلف لحيوان، والحلف لحيوان لا يعد يميناً، لأن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا. فإذا اضطر اليهودي أن يحلف لمسيحي فله أن يعتبر ذلك الحلف كلا شيء.

«وعلى اليهودي أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما» (١).

**المرأة غير اليهودية في التلمود:**

يبيح التلمود ارتكاب الفاحشة مع غير اليهودية؛ فإتيان زوجات الأجانب جائز؛ لأن كل عقد من عقود النكاح عند الأجانب فاسد بحكم التلمود؛ ولأن المرأة غير اليهودية كالبهائم، والعقد لا يوجد مع البهائم، فلا يرتكب اليهودي محرماً إذا أتى امرأة مسيحية، بل إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات وقال الحاخام (تام): «إن الزنا بغير اليهود ذكوراً أو إناثاً لا عقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات» (٢).

وإليكم ترجمة عبارات من التلمود بمعرفة محمد أفندي (موسى أبي العافية) الذي انتقل إلى الإسلام من اليهودية(٣).

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٩٣-٩٤).

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود (٨٩).

(٣) اعتنق أبو العافية الإسلام عقب حادثة قتل الراهب توما في دمشق في عام ١٨٩٠م، فقبض عليه الذي اعتنق الإسلام فيما بعد، وقام بترجمة نصوص سرية من التلمود، =

١- «يقتل الوثني إذا خرب إسرائيلياً لأنه يكون قد خرب القدرة الإلهية، ولذلك قتل موسى مصرياً لأنه خرب يهودياً».

وصادق الحاخام يعقوب العنتابي على هذا التعريب.

٢- «يقتل الأممي الذي يستريح في يوم من أيام الأسبوع كقوله سبحانه وتعالى: «لا يستريحوا الليل ولا النهار» ويلزم أيضاً أن يعاقب بهذا العقاب لو استراح يوماً غير يوم السبت. والوثني الذي يقرأ التوراة يستحق القتل؛ لأن التوراة مختصة باليهود، فمن أخذها سراً يقتل».

صادق على هذه الترجمة الحاخام يعقوب العنتابي.

٣- «إذا سب اسم الجلالة أحد أولاد نوح ثم دخل في دين اليهود عوفي من القتل، وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنى بامرأة من أبناء طائفته، وأما من قتل يهودياً أو زنى بامرأة يهودية فيستحق الموت بدون رحمة».

أقر الحاخام يعقوب العنتابي بصحة ذلك.

٤- «إن الله حلل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل لما رآهم قد خالفوا السبع وصايا المختصة بعبادة الأوثان والزنا والقتل والسرقة وأكل لحم الحيوانات غير المذبوحة وخصاء الإنسان وإيلاد الحيوان من غير جنسه».

=

وأعطاها إلى الوالي شريف باشا ومستشار قنصلية فرنسا، الذي كان يتابع القضية باهتمام بالغ، وقد حاول اليهود تقديم رشوة بمبلغ نصف مليون قرش ذهبي مقابل عدم الفحص والتدقيق الجاري في التلمود، وإتلاف الترجمة والتفسيرات التي استهرجها أبو العافية من الكتب العبرانية.

صادق الحاخام يعقوب العنتابي على ذلك التفسير.

٥- «يجب على اليهودي أن يبذل مجهوده لمنع استهلاك باقي الأمم للعقارات، وأن لا يمدحهم ولا يصفهم بالحسنات والجمال، ولا يهبهم شيئاً بدون ثمنه».

صادق على هذا التفسير الحاخام يعقوب العنتابي.

٦- «لا يجوز ربط بهائم بني إسرائيل في خان أممي خشية أن يفتعل بها؛ لأن الأمم الخارجين عن اليهود فساق، يحبون الفسق بالحيوانات أكثر من نسائهم. وهم فتاك، طبعهم الرداءة والخيانة من وقت اجتماع حواء بإبليس عندما اتخذ صورة حية ... وقد كان بنو إسرائيل كذلك لولا تغير أطوارهم بالحسنات من وقوفهم على طور سينا، وبناء على ذلك ممنوع جلوس المرأة اليهودية مع الأجانب. وممنوع ذلك لليهودي أيضاً مخافة أن يقتل».

صادق على ذلك الحاخام يعقوب العنتابي.

٧- «حرم على اليهودي تزوج نساء باقي الأمم لأنهن يعتبرن في حالة الحيض منذ نعومة أظفارهن، وحرمت التوراة على بني إسرائيل نكاح بنات الأمم السبعة التي كانت تسكن الأرض الموعود بها».

وجاء في التلمود: أن التحريم الذي جاء في التوراة لا يشتمل الحيض الحقيقي، لأن هؤلاء النساء لا يعدون من البشر بل من البهائم، فهن لا يحضن. إنما اختار الحكماء هذه الحيلة لقمع شهوات اليهود، لأنهم كان يمكنهم أن يستنتجوا من عدم نجاسة المرأة الأجنبية الحائض عدم نجاسة

اليهودية التي تكون في هذه الحالة، فلا يعرفون الفرق بين من هي معدودة من البشر، وبين من هي معدودة من الحيوانات غير الناطقة، فيستنتج من ذلك أن الخارجين عن اليهود بهائم.

وافق على ذلك الحاخام يعقوب العنتابي.

٨- «يتنجس اليهودي إذا لمس القبور طبقاً للتوراة، ولكن الغرض من ذلك قبور اليهود، أما من عداهم من الأمم فليست قبورهم نجسة؛ لأنهم من البهائم لا من أبناء آدم».

صادق على هذا الحاخام يعقوب العنتابي.

٩- «إن الحسنة والصدقة الصادرة من بني إسرائيل ترفع شأنهم وهي مقبولة عنده تعالى، وأما الصدقة الصادرة من بقية الأمم فهي خطاياهم، لأنهم لا يفعلونها إلا كبرياء، فإذا قال يهودي: إن الصدقة التي يفعلها هي لحفظ أولاده، واكتساب الجنة فهي مقبولة منه، ولا تقبل في هذه الحالة من الأجنبي».

صادق على هذا التفسير يعقوب العنتابي وقال: «إن ذلك يحصل إذا أعطيت الصدقة بقصد المباهاة والتفاخر».

١٠- وقال محمد أفندي (موسى أبو العافية): إن كل ما ذكر في التلمود بخصوص الأجانب والوثنيين الغرض منه جميع الأمم الخارجون عن الديانة اليهودية، والشواهد على ذلك كثيرة.

وكذلك الأمر بخصوص سلب أموال الغير، فعلى اليهودي أن لا يرد للأممي ماله المفقود، ولو كان عارفاً أنه صاحبه، وإذا ترك أممي شيئاً عند يهودي فمصرح لهذا الأخير عدم رده إليه والانتفاع به.

وبالجملة فإنه يحل لليهودي اختلاس أموال باقي الأمم وسرقتها لولا الحكام.

صادق على هذا التفسير الحاخام يعقوب العنتابي[1].

**دراسة تحليلية لنفسية اليهود:**

يظهر من دراسة الكتب اليهودية ولا سيما ما ألف منها بعد خراب بيت المقدس بأيدي جيوش بختنصر ملك بابل، أن اليهود ضعفت هممهم، وضاعت شخصيتهم وكادوا ينقرضون من الأرض ففكر زعماؤهم وأحبارهم في طريق يعيد الثقة إلى نفوسهم لمقاومة حياة الذل والأسر في بابل عن الرقية البابلية.

فاخترع العلماء والرهبان والأحبار فكرتي «الشريعة والوعد» للمحافظة على اليهود، وجعلهم غير قابلين للاندماج إلى غيرهم، وكان الفريسيون في مقدمتهم.

تقول الموسوعة اليهودية: «وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين منظمة كما أعيد وضع كل تاريخ يهودي من وجهة نظر فريسية.

وأعطي وجه جديد للتشريعات السابقة كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد القديمة. وقد كيفت الفريسية طبيعة اليهود، وكذلك حياة وتفكير اليهودي للمستقبل كله».

ومن هنا نشأ مبد منع الازدواج والمشاركة بالأكل بين اليهودي

---

(١) من كتاب «شارل لوران» في حادثة قتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار ص (١٥٠-١٥٦) الملحق بالكنز المرصود في قواعد التلمود.

وغيره، والاحتقار لكل الثقافات والتقاليد غير اليهودية، وعدم الرحمة والشفقة مع غير اليهودي، وقد فرض المؤلفون البابليون على الشعب اليهودي تعليمات رهيبة يجب اتباعها ليتمكن من تنظيم صفه تنظيماً عسكرياً فعالياً، للسيطرة على العالم بدون رحمة وشفقة على أعدائهم.

لذا نرى التوراة المزعومة تأمر اليهود بقتل غير اليهود قتلاً جماعياً، وتقرأ هذه التوراة في الكنائس والصوامع جهراً.

وقد ابتكر اليهود إلهاً للحرب سموه «يهوه» (YHWH) وهو إله قبلي لليهود، مهمته إعدام أعداء اليهود، وكتاب التثنية من التوراة المزعومة يأمر اليهود بقتل كل نفس حتى الحيوانات لاستئصال الأمميين من الأرض: «ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً، لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا يكثر عليك وحوش البرية. ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا» [١].

وفي كتاب العدد: «وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي ساكنون فيها» [٢].

وهذا القائد المحارب الجديد لا يكتفي بأمر اليهود بقتال أعدائهم بل يخوفهم قائلاً: إنهم إن لم يقوموا بقتل أعدائهم فيقوم «يهوه» ضدهم.

---

(١) سفر التثنية (٧/٢٢، ٢٣).

(٢) سفر العدد (٣٣/٥٥).

ففي العدد: «فإن لم تتبعوا أوامري بالقتل والإبسال فيكون أني كما نويت أن أصنع بهم أصنع بكم» [١].

وفي كتاب التثنية: «أنا شاهد عليكم اليوم فإنكم تهلكون هلاكاً» [٢].

وفي الكتاب نفسه: «الذين يعصون أمر «يهوه» كالغويم التي أبادها الرب من أمامكم تهلكون لأجل أنكم لم تسمعوا لصعوب الرب إلهكم» [٣].

هذا الإله كما تصوره كتبهم المقدسة، ليست له إلا صفات الشيطان، فهو إله متوحش، شرير شغوف الدمار والفساد وإراقة الدماء، لا يعرف الرحمة والرأفة إلا لليهود، وأما غيرهم فهم عنده كالأعداء، ولا أدري كيف يؤمن المسيحيون بالعهد القديم الذي فيه إله مثل «يهوه» والذي يأمر بقتل غير اليهود قتلاً جماعياً.

ومن يطالع تاريخ الفرق المسيحية يدهشه أن بعضها كفر بالعهد القديم، وأنكر على شرعيته وتبرأ من إلهه، ومن هذه الفرق فرقة تسمى «المانوية» المنسوبة إلى زعيمها «ماني» الذي ظهر في القرن الثالث الميلادي في فارس.

## اللغات التي استعملت في تأليف التلمود

ألفت أسفار المشناه باللغة العبرية، وهي تشتمل على ثلاثة وستين سفراً، ألفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد.

---

(١) (٣٣/٥٦).

(٢) (٨/٢٠).

(٣) (٨/١٩).

وأما شروح المشناه فألفت باللغة الآرامية. وقامت بها مدرستان إحداهما المدرسة اليهودية الفلسطينية، استعملت اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة، واستمرت في شروحها إلى القرن الخامس الميلادي، ويعرف هذا التلمود باسم تلمود بيت المقدس أو تلمود أورشليم .. والثانية: المدرسة اليهودية في بابل. استخدمت في شروحها اللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية، وانتهت من شروحها في القرن السادس الميلادي، وهذا التلمود مع شروحه يعرف باسم تلمود بابل، وهو أكبر من تلمود أورشليم، بل يزيد عليه ثلاثة أضعاف، وهو المتداول بين الحاخامات، وهو المراد بكلمة التلمود عند الإطلاق.

وأما المسائل التي جمعت فيما بعد فقد عرفت باسم «توسفتا» و«قدراشيم» إلا أن هذه المؤلفات لم يكتب لها من الرواج ما كتب للتلمود.

وقد انطلق اليهود بهذه التعاليم الرهيبة، فأثاروا المشاغب والفتن، وأنشأوا جمعيات سرية مهمتها بث روح الشغب والانشقاق بين الأمم. وإن أكثر الحركات الهدامة السرية ما ظهرت إلا بتدبير اليهود في الشرق والغرب على السواء، فهم الرأسماليون لحزب الحركات الشيوعية، وهم الشيوعيون لحزب الحركات الرأسمالية. وبهذه الروح العدائية للإنسانية ظهرت أخطر قرارات سرية عرفت فيما بعد باسم «البروتوكولات» وفي الصفحات التالية سأتكلم عن كيفية ظهور هذه البروتوكولات وأهم محتوياتها.

## بروتوكولات صهيون ومقتطفات منها

اجتمع أكثر من ثلاثمائة من زعماء صهيون ممثلين خمسين جمعية يهودية في العالم في مدينة «بال» السويسرية في عام ١٨٩٧ م. وقرروا في هذا المؤتمر مجموعة من القرارات السرية المستقاة من تعاليم التلمود. وكان الغرض منها الانتقام من البشرية جمعاء التي اشتركت بطريق أو بآخر في إذلالهم والنيل منهم، وخاصة ما عاناه اليهود من اضطهاد وتعسف في القرن التاسع عشر في أوربا، فوضعوا هذه القرارات السرية التي اشتملت على مخططات لتدمير الحكومات في جميع الأقطار بنشر بذور الخلاف والشغب وإحداث أزمات اقتصادية عالمية.

وشكلوا لجنة من زعماء صهيون لتنفيذ هذه المقررات بهدوء وحسب تخطيط محكم منظم، وأحاطوا هذه الوثائق بأشد أنواع الكتمان والتحفظ، وحجبوها حتى من كتاب زعمائهم، ولكن شاء الله العليّ القدير أن تتسرب هذه الوثائق إلى العالم البشري، وتفتضح المؤتمرات اليهودية العالمية ضد البشرية.

وذلك أن سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بواحد من أكابر رؤسائهم في وكر من أوكارهم الماسونية في فرنسا رأت بالمصادفة بعض هذه القرارات فسرقت بعضاً منها ولاذت بالفرار، ذلك سنة ١٩٠١م. ثم وصلت هذه القرارات بطريق غير معروف إلى «اليكس نيبتولانيفتش» كبير أعيان روسيا القيصرية، وعرف بخطورة هذه الوثائق ضد العالم، ولا سيما بلاده

روسيا، فدفعها إلى صديقه العالم الروسي «سرجي نيلومسي» فقام بدراستها، ومقارنتها بالأحداث السياسية الجارية يومئذ. ثم أسرع إلى نشرها باللغة الروسية في العام التالي ١٩٠٢م.

ورواية أخرى تشير إلى أن حكومة القيصر الروسية كانت تتعقب حركات الصهيونيين، فأرسلت الجواسيس إلى مؤتمر «بال» فبينما كان المؤتمر منعقداً في جلسة سرية داهمه البوليس السري القيصري، فكانت البروتوكولات من جملة ما استولت عليه أيدي المداهمين[١].

هكذا ظهرت هذه الوثائق أمام العالم، وعقب هذا الانكشاف كثرت مذابح اليهود في روسيا، حتى قتل منهم أكثر من عشرة آلاف، واشتد هلعهم، فهبّ اليهود في كل مكان يعلنون براءتهم من هذه الوثائق، وينكرون صلتهم بها، ولكن هذا الإعلان منهم لم يكن ذا قيمة فإن الأحداث العالمية التي وقعت آنذاك كانت مطابقة لما ورد في البروتوكولات.

يقول الأستاذ محمد خليفة مترجم البروتوكولات إلى العربية:

«ثم أعاد «نيلوس» نشر هذا الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥م. ونفدت هذه الطبعة في سرعة غريبة بوسائل خفية، لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها. ثم طبع سنة ١٩١١م، فنفدت هذه النسخ على هذا النحو. ولما طبع في سنة ١٩١٧ م صادره البلاشفة الشيوعية الذين استطاعوا في تلك السنة تدمير القيصرية،

(١) العرب واليهود في التاريخ ص (٣٥٢).

والقبض على أزمة الحكم في روسيا، وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستورين، أو من صنائعهم، ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى الآن.

وكانت قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ م إلى المتحف البريطاني في لندن ختمت بخاتمة، وسجل عليها تاريخ تسلمها (١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦ م) وبقيت النسخة مهملة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة ١٩١٧ م، فوقع اختيار جريدة (MORNING POST) على مراسلها «فكتور مارسدن» ليوافيها بأخبار الانقلاب الشيوعي من روسيا، واطلع قبل سفره على عدة كتب روسية كانت من بينها نسخة البروتوكولات التي بالمتحف البريطاني، فقرأ النسخة وقدر خطرها، ورأى -وهو في سنة ١٩١٧ م نبوءة ناشرها الروسي «نيلوس» بهذا الانقلاب سنة ١٩٠٥م. أي قبل وقوعه باثني عشرة سنة، فعكف المراسل في المتحف على ترجمتها إلى الإنجليزية ثم نشرها، وقد أعيد طبعها مرات بعد ذلك، كانت الأخيرة والخامسة منها سنة ١٩٢١م، ثم لم يجرؤ ناشر في بريطانيا ولا في أمريكا على طبعها كما يقول العالم المعاصر «دجلاس».

وفي سنة ١٩١٩م ترجم الكتاب إلى الألمانية ونشر في برلين، ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه[1].

هذه هي قصة طبع الكتاب ونشره.

وأما مصير «نيلوس» فكان الاعتقال، ثم النفي إلى «فلاديمير» حيث

---

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ص (٤٥-٤٦).

قضى نحبه في منفاه عام ١٩٢٩م، والعالم اليوم مدين له بنشر هذا الكتاب المفزع.

أما عدد هذه البروتوكولات فهو: أربعة وعشرون فلنقرأ معاً بعض المقتطفات منها:

**من البروتوكول الأول:**

«يجب أن يلاحظ أن ذوي الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوي الطبائع النبيلة، وأن خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية».

«إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء. والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه».

«لا بد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة».

«إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا -ونحن نضع خططنا- ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد».

«يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة».

«إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير ... ولذلك يتحتم ألا تتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة. إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا».

«يجب أن تتمسك بخطة العنف والخديعة، لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً».

## من البروتوكول الثاني

«وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد. ولن يكونوا مدربين على فن الحكم».

«لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل».

«إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجهود، وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء، وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة. غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت في أيدينا، ومن خلال الصحافة أزرنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كرسنا الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم. فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأمميين أمام الله».

## ومن البروتوكول الثالث

«إن الحقوق الشعبية سخرية من الفقير».

«ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يوجبها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا».

«وسنحقق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا».

**ومن البروتوكول الرابع:**

«إن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر في أيدي الأمميين بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا».

**ومن البروتوكول الخامس:**

«لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً».

«ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلاً يد خفية في جميع أنحاء العالم».

«وضروري لحكومتنا الناجحة أن تضاعف وتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد. حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً».

«هذه السياسة تساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات وفي تفكيك كل القوى المجتمعة».

**ومن البروتوكول السابع:**

«ولكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات، ولكننا فيما يسمى «اللغة الرسمية» سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية».

**ومن البروتوكول الحادي عشر:**

«إن الأمميين كقطيع من الغنم وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة، إنها لتغمض عيونها عن كل شيء. وإلى هذا المصير سيدفعون. فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم».

«من رحمة الله أن شعبه المختار تشتت وهذا التشتت -الذي يبدو ضعفاً فينا أمام العالم- قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العيا».

**ومن البروتوكول الرابع عشر:**

«حينما نمكن لأنفسنا -فنكون سادة الأرض- لن نبيح قيام أي دين غير ديننا».

«ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان».

«وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية».

**ومن البروتوكول السابع عشر:**

«إن حكومتنا ستشبه الإله الهندي «فشنو» وكل يد من أيديها المائة ستقبض على لولب في الجهاز الاجتماعي للدولة».

**ومن البروتوكول التاسع عشر:**

«إن الثورة ليست أكثر من نباح كلب على فيل».

**ومن البروتوكول الرابع والعشرين:**

«والآن سأعالج الأسلوب الذي نقوي به دولة الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر».

هذه بعض مقتطفات من البروتوكولات التي أعدت سراً لإنشاء دولة يهودية عالمية باسم مملكة الملك داود بعد تدمير جميع قوى الخير وإخضاع وإذلال جميع بني الإنسان الذين يسميهم التلمود «الأميين» البهائم، لأن الله وعدهم على حد زعمهم بجعل الأرض كلها مملكة صهيون المتحدة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، يقول السيد «سرجي نيلوس» أول من كشف النقاب عن المؤامرات اليهودية وقام بطبع البروتوكولات:

«نظم الجنس اليهودي أولاً إلى حد أنه لن ينفذ إليه أحد، وبذلك لا تفشي أسراره ومفروض أن الله نفسه قد وعد اليهود بأنهم مقدر لهم أزلاً أن يحكموا الأرض كلها في هيئة مملكة صهيون المتحدة، وقد أخبرهم بأنهم العنصر الوحيد الذي يستحق أن يسمى إنسانياً ولم يقصد من كل من عداهم إلا أن يظلوا حيوانات عاملة وعبيداً لليهود، وغرضهم هو إخضاع العالم، وإقامة عرش صهيون على الدنيا، وقد تعلم اليهود أنهم فوق الناس، وأن يحفظوا أنفسهم في عزلة عن الأمم الأخرى جميعاً. وقد أوحت هذه النظريات إلى اليهود فكرة المجد الذاتي لعنصرهم بسبب أنهم أبناء حقاً».

ثم يقول بعد ذكرجملة من الكتب:

«وهذه كلها مكتوبة لتمجيد الجنس اليهودي، نرى أنها في الواقع تعامل الأميين (غير اليهود) كما لو كانوا حيوانات لم تخلق إلا لتخدم اليهود. وهم يعتقدون أن الناس وأملاكهم بل وحياتهم ملك لليهود. وأن الله رفض لشعبه المختار أن يسخرهم فيما يفيده كما يشاء.

وتقرر شرائع اليهود أن كل المعامـلات السيئة للأمميـين تغفـر لهـم في رأس سنتهم الجديدة كما يمنحون في اليوم ذاته أيضاً العفو عن الخطايا التي سيرتكبونها في العام القادم» [1].

وبعد مقارنـة هـذه البروتوكولات بـالكتب اليهودية «العـهد القديـم والتلمود» نجد أن هذه البروتوكولات ما هي إلا صيحة جديـدة في قـالب جديد للتلمود لأن من تعاليم التلمود:

«يقوم الرب ويجعـل عبـدة الأوثـان (غـير اليـهود) تحـت يـد إسـرائيل ويسلم جميع ممتلكاتهم إلى اليهود»؟

لأن جميع خيرات الأرض هي ملك لليهود، ومـا علـى الأمميـين إلا أن يعملوا كالخدم والعبيد ولسيدهم أن يأخذ نتاج عملهم ويعفو عن البعض، ولذا فقـد أجـاز التلمـود استعمال الغش والرشـوة للحصـول علـى هـذه الثروات، وقـد صـرح الحاخـام «رشـي» وأمـر اليـهودي أن يغـش غـير اليهودي، ويحلف له أيماناً كاذبة.

كما أجاز التلمود أخذ الربا من غير اليهودي [2].

وجاء في التلمود أيضاً:

«وإن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإن اليـهودي جـزء من الله، فإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفـرق بـين درجة الإنسان والحيوان هو بقـدر الفـرق بـين اليـهودي وغـير اليـهودي،

---

(١) نقلاً عن الخطر اليهودي -بروتوكولات حكماء صهيون (٢٨٨-٢٩٠).

(٢) انظر: الكنز المرصود ص (٥٦).

ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهود، والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات، ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم، ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم[(١)] لذا يجوز لليهودي أن يسرق غير اليهود، كما يجوز له أن يزني بالأممية. قال موسى بن ميمون -وهو من كبار ربانيهم-: لأن الأممية كالبهيمة» والعهد القديم ليس أقل خطراً على الإنسانية من التلمود.

«هللويا غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء ليفرح إسرائيل بخالقه، ليبتهج بنو صهيون ملكهم ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليرنموا له. لأن الرب راض عن شعبه يجعل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد ليصنعوا على مضاجعهم تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد «ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة هذا لجميع أتقيائه هللويا» [(٢)]. بل إن هذه الكتب تأمر بقتل جماعي:

«وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عيناك عنهم»[(٣)].

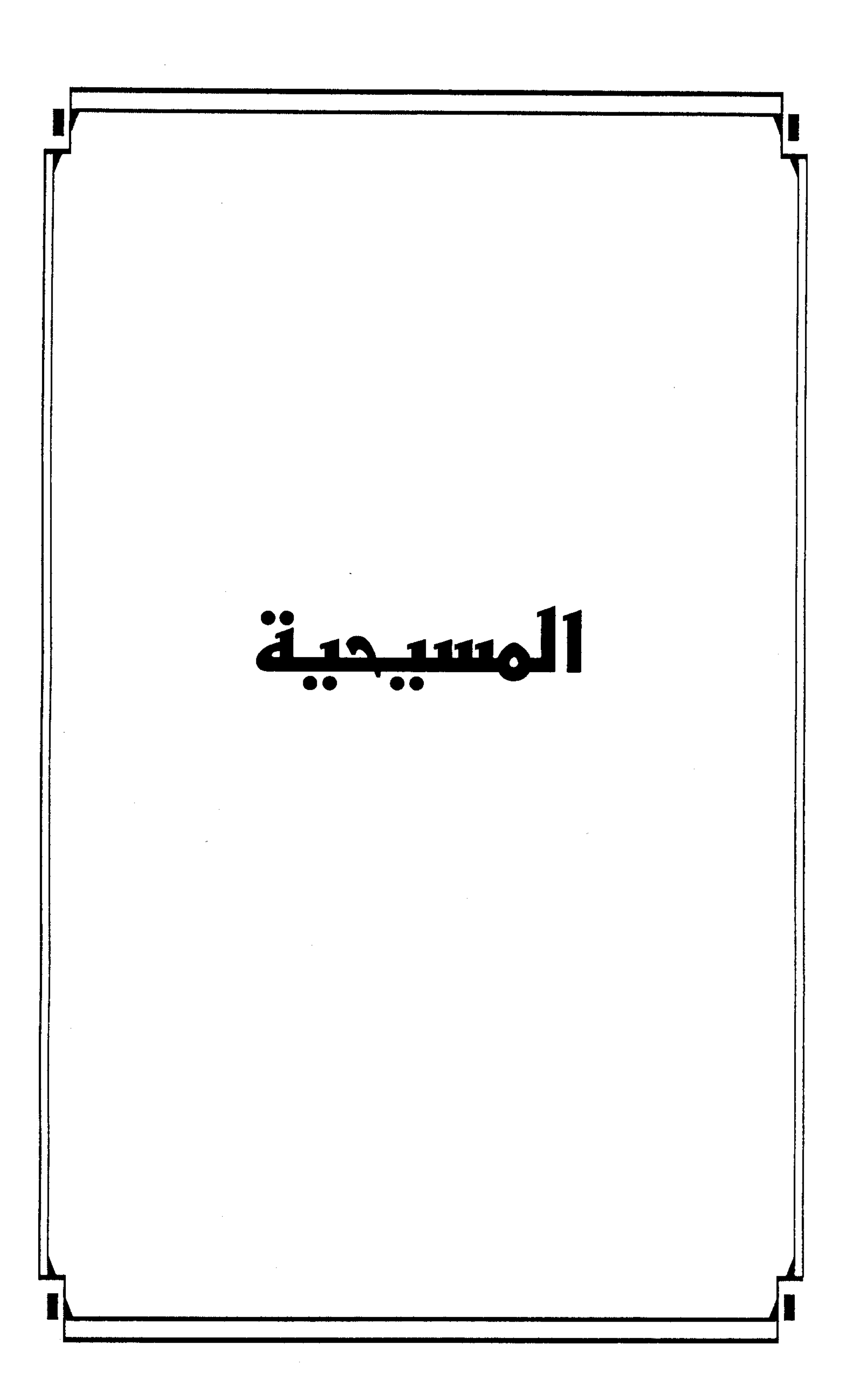
هذه هي حقيقة البروتوكولات على ضوء كتبهم المقدسة.

---

(١) انظر: الكنز المرصود ص (٤٨).

(٢) مزامير (١٤٩).

(٣) التثنية (٧/١٦).



# المسيحية

# المسيح عليه السلام

جاء في الروايات المسيحية أن المسيح عليه السلام ولد من بطن مريم بدون أب، وأنها كانت مخطوبة لرجل اسمه «يوسف»، فلما حملت قبل الدخول بها كره يوسف هذا الحمل، وفكر في تركها، فأمره الله تعالى في المنام أن يبقيها، ولا يفارقها لأنها بريئة.

يقول متى: «أما ولادة يسوع المسيح، فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها، أراد تخليتها سراً، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يوسف بن داود! لا تخفْ أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس»[1]. فلازمه إلى أن وضعت عيسى عليه السلام.

أما القرآن الكريم فيكتفي بالإشارة إلى أن ولادة المسيح كانت معجزة من الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ

(١) إنجيل متى (١/١٨-٢٠).

قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

واكتفى القرآن أيضاً أن يسميه المسيح، أو عيسى، ويكنيه بابن مريم، ولم يذكر قصة يوسف، كما لم يسرد نسبه عليه السلام، غير أن الكتب النصرانية اختلفت كثيراً في نسبه الشريف.

**شجرة نسب المسيح:**

إن متى ولوقا سردا شجرة نسب المسيح عليه السلام ، ولكن الإنسان يقع في دهشة شديدة حين يقف على ما فيها من خلافات جوهرية، فيا ترى هل هذا اجتهاد منهما أم أنهما اعتندا على وثائق تاريخية؟ فالأول لا يصح، لأن الاجتهاد لا يكون في شجرة النسب، وإن كانا اعتمدا على وثائق تاريخية، فما هي؟

يقول «الكاردينال دانيلو»: « إن نسب المسيح مقتبس من أرشيف عائلة المسيح»، وهذا الرأي ينتقده العالم الفرنسي «موريس بوكاي» بقوله: بالرغم من أن المفسر يؤكد لنا أنه يعرف وجود هذه «الأرشيفات» العائلية المزعومة من خلال «كتاب تاريخ الكنيسة» ليوزيب السيزاري، وهو كاتب تدعو جديته إلى جدل كثير، فإن من العسير تخيل أن لعائلة المسيح شجرتي نسب تختلفان بالضرورة، حيث إن كلاً من هذين المؤرخين يقدم نسباً للمسيح يختلف معظمه عن الآخر بالنسبة للأسماء، وبالنسبة لعدد الأسلاف أيضاً(٢).

---

(١) سورة مريم (١٦-٢٢).

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص (١١٥).

ونترك الكلام الآن للوقا ومتى ليحدثنا عن هـذه الشجرة. فيبدأ لوقا نسبه من آدم كالتالي:

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١- آدم | ٢- شيث | ٣- أنوش | ٤- قينان |
| ٥- مهللئيل | ٦- يارد | ٧- أخنوخ | ٨- متوشالح |
| ٩- لامك | ١٠- نوح | ١١- سام | ١٢- أرفكشاد |
| ١٣- قينان | ١٤- شالح | ١٥- عابر | ١٦- فالح |
| ١٧- ترعو | ١٨- سروج | ١٩- ناحور | ٢٠- تارح |

ثم اشترك مع متى في سرد نسبه من إبراهيم إلى يوسف النجار.

وإليكم الجدول الآتي، وعليكم أن تقارنوا بين هـذه الأسماء. والعهد القديم يشترك مع العهد الجديد من داود أيضاً.

| التسلسل | متى | التسلسل | لوقا |
|---|---|---|---|
| ١ | إبراهيم | ١ | إبراهيم |
| ٢ | إسحاق | ٢ | إسحاق |
| ٣ | يعقوب | ٣ | يعقوب |
| ٤ | يهوذا | ٤ | يهوذا |
| ٥ | فارض | ٥ | فارض |
| ٦ | حصرون | ٦ | حصرون |
| ٧ | أرام | ٧ | أرام |
| ٨ | عمينا داب | ٨ | عمينا داب |
| ٩ | نحشون | ٩ | نحشون |
| ١٠ | سلمون | ١٠ | سلمون |
| ١١ | بوعز | ١١ | بوعز |
| ١٢ | عوبيد | ١٢ | عوبيد |

| التسلسل | متى | التسلسل | لوقا | التسلسل | أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٣ |
|---|---|---|---|---|---|
| ١٣ | يسي | ١٣ | يسي | | |
| ١٤ | داود الملك | ١٤ | داود | ١ | داود |
| ١٥ | سليمان | ١٥ | ناثان | ٢ | سليمان |
| ١٦ | رحبعام | ١٦ | متاثا | | رحبعام |
| ١٧ | أبيا | ١٧ | مينان | | أبيا |
| ١٨ | آسا | ١٨ | مليا | | آسا |
| ١٩ | يهوشافاط | ١٩ | الياقيم | | يهوشافاط |
| ٢٠ | الياقيم | ٢٠ | يونان | | يورام |
| ٢١ | عزيا | ٢١ | يوسف | | أخزيا |
| ٢٢ | يوثام | ٢٢ | يهوذا | | يوآش |
| ٢٣ | أحاز | ٢٣ | شمعون | | آمصيا |
| ٢٤ | حزقيا | ٢٤ | لاوي | | عزريا |
| ٢٥ | منسى | ٢٥ | متتاب | | يوثام |
| ٢٦ | آمون | ٢٦ | يوريم | | آحاز |
| ٢٧ | يوشيا | ٢٧ | اليعازر | | حزقيا |
| ٢٨ | يكنيا | ٢٨ | يوسي | | منسى |
| ٢٩ | شألتئيل | ٢٩ | عبر | | آمون |
| ٣٠ | زربائيل | ٣٠ | المودام | | بوشيا |
| ٣١ | أبيهود | ٣١ | فصم | | يهوياقيم |
| ٣٢ | الياقيم | ٣٢ | أدي | | يكنيا |
| ٣٣ | عازر | ٣٣ | ملكي | شالتئيل | فدايا |

| أخبار الأيام الأول، الإصحاح٣ | لوقا | التسلسل | متى | التسلسل |
|---|---|---|---|---|
| زربابل | نيرى | ٣٤ | صادوق | ٣٤ |
| حتيا | شالتئيل | ٣٥ | أخيم | ٣٥ |
| شكنيا | زربابل | ٣٦ | أليود | ٣٦ |
| | ريسا | ٣٧ | اليعازر | ٣٧ |
| | يوحنا | ٣٨ | متان | ٣٨ |
| | يهوذا | ٣٩ | يعقوب | ٣٩ |
| | يوسف | ٤٠ | يوسف | ٤٠ |
| | شمعي | ٤١ | يسوع المسيح | ٤١ |
| | متاثيا | ٤٢ | | |
| | مآث | ٤٣ | | |
| | نجاي | ٤٤ | | |
| | حسلي | ٤٥ | | |
| | ناحوم | ٤٦ | | |
| | عاموص | ٤٧ | | |
| | متاثيا | ٤٨ | | |
| | يوسف | ٤٩ | | |
| | ينا | ٥٠ | | |
| | ملكي | ٥١ | | |
| | لاوي | ٥٢ | | |
| | متثات | ٥٣ | | |
| | مالي | ٥٤ | | |
| | يوسف | ٥٥ | | |
| | يسوع المسيح | ٥٦ | | |

**الملاحظة الأولى:**

إن لوقا زاد اسماً وهو «قينان» رقم ١٣ بعد أرفكشاد، وهو مخالف للعهد القديم، فإن سفر التكوين لا يذكر أنه ابن أرفكشاد.

**الملاحظة الثانية:**

يقول متى: من داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً. والمجموع ثمانية وعشرون جيلاً، بينما نرى عند لوقا من داود إلى يسوع ثلاثة وأربعين جيلاً.

**الملاحظة الثالثة:**

يقول متى: إن «يوشيا» ولد «يكنيا» وإخوته عند سبي بابل، وبعد سبي بابل «يكنيا» ولد «شألئيل» [(١)].

وهذا مخالف لما في العهد القديم، ففي سفر أخبار الأيام الأول: «وبنو يوشيا البكر: يوحانان، الثاني: يهوياقيم، الثالث: صدقيا، الرابع: شلوم، وأما «يكنيا» فهو ابن يوياقيم[(٢)]، يعني أن «يكنيا» حفيد يوشيا».

**الملاحظة الرابعة:**

يقول متى: إن يوشيا سبي إلى بابل وولد هناك يكنيا وإخوته، بينما يذكر العهد القديم أنه عين ملكاً حين كان عمره ثماني سنين، وحكم فيهم واحداً وثلاثين عاماً، وحاربه ملك مصر، وجرح في برية «مجدو» ودفن في أورشليم[(٣)].

---

(١) إنجيل متى (١/١١).

(٢) أخبار الأيام الأول (٣/١٥).

(٣) أخبار الأيام الثاني (٣٤/١-٣٥).

**الملاحظة الخامسة:**

إن «يكنيا» حسب قول متى من أجداد عيسى عليه السلام، بينما نرى أن نبي العهد القديم «إرمياء» يدعو على «يكنيا» بأن يبقى عقيماً، ولا يجلس أحد من نسله على كرسي داود[1].

**الملاحظة السادسة:**

«زربائيل» أحد أجداد عيسى عليه السلام، حفيد لـ «يكنيا» في إنجيل متى، بينما هو في إنجيل لوقا حفيد لـ «نبري» وابنه في إنجيل متى «أبيهوذ» ، وفي إنجيل لوقا «ريسا»، وفي أخبار الأيام الأول ابنه «حننيا» في متى ولوقا هو ابن لـ «شالتئيل» ، بينما في العهد القديم ليس لـ «شالتئيل» أولاد، بل هو ابن أخيه «فدايا».

**الملاحظة السابعة:**

يقول متى: يوسف بن يعقوب، بينما يقول لوقا: يوسف بن هالي.

**الملاحظة الثامنة:**

يرى متى أن عيسى عليه السلام من أولاد سليمان بن داود، بينما يرى لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

**الملاحظة التاسعة:**

يجعل متى نبي الله عيسى عليه السلام من نسل داود عليه السلام ، وكلهم من السلاطين المشهورين، بينما يجعله لوقا من غير السلاطين.

**الملاحظة العاشرة:**

ثم انظر الخلافات في الأنساب بين العهد القديم الذي كان أساساً للعهد

---

(١) إرمياء (٢٢/٣٠).

الجديد، وبين كتب العهد الجديد الذي هو وحي عند المسيحيين من روح القدس وهو الذي كان يملي على الكتاب، وتكفي الإشارات السابقة للرد على دعواهم.

**الملاحظة الحادية عشرة:**

ثم كيف جاز لهؤلاء الكتاب أن ينسبوا إلى يوسف، ومن ثم إلى داود، وإلى إبراهيم؟ وهل كان يوسف أباً للمسيح حتى يكون نسبه من جهته؟ كلا. وإن كان لا بد فليكن من جهة مريم أمه لا غير.

والقرآن يشير إلى هذه الحقيقة بعدة وجوه، منها أنه يسميه ابن مريم، كما أنه يصفه بالبر بوالدته ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[1].

ونعود إلى موضوعنا وهو سرد ترجمة نبي الله عيسى عليه السلام، فنقول: إن الباحث يواجه مشكلة كبيرة في معرفة ترجمة عيسى عليه السلام لعدم وجود الوثائق التاريخية المتصلة بزمانه. وأقدم تاريخ بين أيدينا لليهودي الملحد المتعصب «يوسفين»[2] هو (HISTORY OF THE JEWISH WAR) يعني تاريخ حرب اليهود، الذي ولد بعد رفع المسيح بثلاث سنوات، إلا أن هذا اليهودي لم يشر إلى قصة المسيح وولادته وحادثة صلبه من قريب ولا من بعيد، بل أغمض عينيه عن كل ما حدث حوله بعد ظهور المسيح، وقد تأسف علماء أوروبا لتصرفات هذا الرجل وتعصبه وخيانته التاريخية التي

---

(١) سورة مريم (٣٢).

(٢) ويقال له أيضاً: يوسف بن كريون (JOSEF BEN QORION) ولد في بيت المقدس ٣٧م وكان من أتباع الفريسيين. وتوفي عام ٩٥م، وكتابه طبع باسم: تاريخ يوسيفوس في عام ١٨٧٢م ببيروت.

جعلت تاريخ المسيح في ظلام، وكان «فيرر» (FARER) المؤلف عن حياة المسيح أشدهم انتقاداً لـ «يوسفين»[1].

فالمرجع الوحيد لدينا لمعرفة حياة المسيح هو الأناجيل، ولكن هذه الأناجيل -مع الأسف الشديد- كلها متناقضة متضاربة في سرد الوقائع، وخاصة قصة ولادة المسيح، بالإضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الكذابين وضعوا الأناجيل على لسان أحد الحواريين، واستمر هذا العمل الشنيع إلى القرون المتأخرة حتى القرن الخامس، فلذلك لم يثق العلماء والباحثون بما جاء فيها عن ذكر الحوادث والتواريخ.

فمثلاً: تذكر الأناجيل أن المسيح ولد بدون أب، أي من أم عذراء، ثم صلب، ثم قام مرة ثانية بعد أيام من قبره، فهذه حادثة واحدة غير متكررة، ولكن الأناجيل تختلف في روايتها اختلافاً ظاهراً لا يقبل التوفيق، فإنجيلا متى ولوقا يثبتان أن المسيح ولد من غير أب أي من أم عذراء، ثم بدآ يسردان شجرة نسب المسيح عليه السلام. ومع هذا فنحن مضطرون إلى أن ننقل من الأناجيل ما يلقي الضوء حياته الابتدائية.

---

(١) وأما ما ينقل عن «يوسفين» بأنه قال: «وفي ذلك الوقت كان يعيش يسوع، وهو رجل من رجال الدين، إذا جاز أن نسميه رجلاً، لأنه كا يأتي بأعمال عجيبة، ويعلم الناس، ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط، وقد اتبعه كثيرون من اليهود، وكثيرون من اليونان، لقد كان هو المسيح».

ولقد رفض المسيحيون أنفسهم أن تكون هذه الأسطر قد خرجت من قلم يوسفين اليهودي المتعصب، وقالوا: إنها مدسوسة على يوسفين.

انظر: تفاصيل ذلك في كتاب «ول ديورانت» قصة الحضارة (٣/٢٠٥).

يقول محرر قاموس الكتاب المقدس: «ليس من اليسير أن نصل إلى معرفة تاريخ ميلاد المسيح أو معموديته أو صلبه على وجه التحقيق، وبلا منازع إلا أن جمهور المؤرخين والعلماء يتفقون على تاريخ هذه الحوادث على وجه التقريب».

ثم يقول: فميلاد المسيح إما أن يكون في أواخر سنة (٥/ق.م) أو في أوائل سنة (٤/ق.م.)، وأما الاحتمال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر، فقد بدأ في القرن الرابع الميلادي، ولذا فربما كان ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام: (٥/ق.م.)، وهذا يجعله سابقاً للتأريخ الذي وضعه «ديونيسيوس» (المتوفى قبل ٥٥٠ الميلادي) وهو ٢٥ ديسمبر سنة ١ ميلادية «بخمس سنوات»[(١)].

وحينما ننظر إلى مفهوم القرآن يتضح لنا عدم صحة هذا التاريخ، فإن القرآن يخاطب مريم بقوله: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾[(٢)]. ورطباً جنياً: أي طرياً – الذي يكون صالحاً للأكل. وتكملة الآية:﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ أي كلي الرطب، واشربي من عصيره.

يقول الباحثون: إن الرطب في منطقة شرق البحر الأبيض يكون في شهري يوليو وأغسطس، وأما شهر ديسمبر فينتقل الرطب إلى التمر، وعلى هذا فتكون ولادة المسيح عليه السلام في شهري يوليو وأغسطس.

وقد اعترض كاتب دائرة المعارف البريطانية على أن يكون شهر ديسمبر مولداً للمسيح عليه السلام استناداً إلى فقرة من إنجيل لوقا وهي:

---

(١) انظر: ص (٨٦٣-٨٦٤).

(٢) سورة مريم (٢٥).

«وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم، ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً».

يقول المحرر: لا يمكن أن يكون ذلك شهر ديسمبر، لأن هذا الشهر يكثر فيه نزول المطر في أرض فلسطين، فلا يتصور وجود رعاة الأغنام خارج البنيان(١).

ويقول المؤرخ المسيحي حبيب سعيد: «قد سجل علماء الأرصاد الجوية درجات الطقس بدقة في حبرون، والأحوال الجوية في هذه البقعة الواقعة في الطرف الجنوبي من الهضبات اليهودية تماثل تماماً الأحوال الجوية في بيت لحم القريبة منها.

ويتبين من قراءات درجة الحرارة أن الصقيع يتساقط في هذه البقعة وبكميات وافرة، وتهطل الأمطار غزيرة في شهور ديسمبر ويناير وفبراير من كل سنة، وفي فصل عيد الميلاد تكتنف بيت لحم الثلوج والأمطار، وفي هذا الفصل لا تكون قطعان الأغنام في مراعيها، وفي التلمود اليهودي تلميح إلى هذا، يؤخذ منه أن القطعان تخرج إلى مراعيها في شهر مارس، وتبقى إلى بداية شهر نوفمبر، أي حوالي ثمانية أشهر، أما الأغنام والرعاة فيحتمون داخل الحظائر خلال فصل الشتاء في أرض فلسطين كلها» (٢).

ويقول أيضاً: «ويحتفل العالم المسيحي بعيد الميلاد م (٢٤-٢٥) ديسمبر من كل عام على أن الفلكيين والمؤرخين -من رجال العلم والدين على السواء- قد أجمعوا على أن ٢٥ ديسمبر من سنة (١ ب.م.) ليس التاريخ الحقيقي لميلاد المسيح، لا من حيث السنة، ولا من حيث اليوم، وتقع المسؤلية

---

(١) لوقا (٢/٨).

(٢) لمحات في التاريخ في الإنجيل (٣٣-٣٤).

في هذا على هذا الراهب «ديونسيوس أكيسجوس» الذي ارتكب أخطاء عديدة في حساباته، وقد عاش هذا الراهب في رومية، وفي سنة (٥٣٢ ب.م.) طلب إليه أن يحدد العهد الجدي بالرجوع إلى الوراء، ولكنه نسي في حسابه سنة الصفر الواقعة بين سنة ١ ق.م، وسنة ١ ب.م، التي كان يجب إدخالها في تقديره، كما أنه أغفل الأربع سنوات التي حكم فيها الإمبراطور «أوغسطس» باسمه القديم «أكنا فيرس»[1].

كما وصل الباحثون أيضاً بعد دراسة إنجيل متى الذي يصرح بأن ولادة المسيح كانت في عهد «هيرودس» فيكون الزمن قبل الميلاد ٨-٦ سنوات، وهذا يختلف عن الزمن الذي عينه «ديونسيوس» بأن ولادته كانت سنة (١) ميلادية.

بينما يقول لوقا: إنه كان حوالي الثلاثين من العمر حين عمده يوحنا في السنة الخامسة عشرة من حكم «تبيريوس» أي في عام ٢٨-٢٩ م، وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢-١ ق.م.

ويضيف لوقا إلى هذا القول ما يأتي: «وفي تلك الأيام صدر مرسوم قيصر «أغسطس» يقضي بأن تفرض ضريبة على العالم كله حيث كان «كورنيوس» والياً على سوريا. والمعروف أن كورنيوس كان حاكماً على سوريا ما بين عام ٦-١٢م».

ويذكر يوسفين أنه أجرى إحصاء في بلاد اليهود في عام ٦-٧م، فإن كان هذا

---

(١) لمحات في التاريخ في الإنجيل ص (٣٢).

هو الإحصاء الذي يشير إليه لوقا كان مولد المسيح في حدود ٦ ق.م، وبعده[١].

ولو بدأنا نطبق المقاييس والمعايير التي وضعها العلماء المسلمون لمعرفة تأريخ سيد المرسلين ﷺ، وأخص بالذكر المحدثين لرواية الأحاديث ومعرفة ما صح منها وما لم يصح، لم يبق ذكر كثير من عظماء العالم الذين ورد ذكرهم في الإنجيل من عالم الحقائق وهووا إلى عالم الخرافات.

ومع الخلاف الظاهر، وعدم وجود المعايير والمقاييس فنحن مضطرون إلى الأخذ ببعض الاقتباسات من هذه الأناجيل المزيفة فيما يتعلق بذكر ولادة المسيح، ونشأته الأولى، ونهايته من الأرض، فنقول وبالله التوفيق:

إن مريم كانت تسكن مع رجل اسمه يوسف، وهو مخطوبها[٢] في قرية الناصرة[٣]، فظهر فيها الملاك يبشرها بأنها ستلد المسيح وتكون أمه بدون دخول يوسف بها، فانزعجت من هذه البشرى وقالت: كيف يكون هذا؟ وأنا لست أعرف رجلاً[٤].

ويقول القرآن: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي

---

(١) انظر بعض هذه التفاصيل في كتاب «ول ديورانت» قصة الحضارة (٣/٢١٢-٢١٣).

(٢) إنجيل لوقا (٢/٦-٧).

(٣) وهي مدينة في منطقة الجليل، تقع في الجزء الشمالي من فلسطين على جبل مرتفع يرى منها جبل الشيخ، والكرمل، وطابور، وتبعد أربعة عشر ميلاً من الغرب من بحيرة طبريا، وستة وثمانين ميلاً إلى الشمال من القدس. معجم البلدان (٥/٢٥١).

(٤) إنجيل لوقا (١/٣٤).

﴿ بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[١].

ثم يقول لوقا: «وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس[٢] قيصر بأن يكتتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان «كيرينيوس» والي سورية، فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف أيضاً من الجليل[٣] من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم[٤] لكونه من بيت داود وعشيرته، ليكتتب مع مريم امرأته[٥] المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر»[٦].

---

(١) سورة مريم (٢٠).

(٢) أوغسطس: هو لقب لاتيني ومعناه: ((المبجل)) ، وقيصر اسم أسرة رومانية وهو أول إمبراطور روماني (٣١ ق.م - ١٤ م) وقد أرسى قواعد حكمه في أنحاء الإمبراطورية، وفي الأراضي المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وكان ((هيرودس)) والياً على فلسطين من قبله، فكان يرسل الجزية إلى روما، وفي عهده ولد المسيح عليه السلام.

(٣) الجليل: اسم عبري معناه ((الدائرة)) أو ((مقاطعة)) ، وهي مدينة قديمة تقع بين البحر المتوسط وبحيرة طبرية طولها ١٩ ميلاً، وعرضها ٢٥ ميلاً، وكانت من أهم المدن الكنعانية، ثم صادرت جزءاً من دولة اليهود.

(٤) بيت لحم: اسم عبري معناه: ((بيت الخبز)) ، وهي قرية صغيرة تبعد ستة أميال إلى الجنوب من أورشليم، وهي مسقط رأس نبي الله داود، وعيسى عليه السلام، لأن مريم كانت من نسل داود، فجاءت إلى بيت لحم للاكتتاب، وفيها كنيسة فوق المغارة، يقال: إن نبي الله عيسى ولد في هذا المكان.

(٥) كيف يعبر لوقا بدون حياء أن يكون يوسف زوجاً لمريم؟!! وأن تكون امرأة ليوسف؟!! وهي في الحقيقة ليست إلا خطيبته.

(٦) انظر: لوقا (٢/١-٧).

وأما متى فيتحدث عن ولادة المسيح فيقول: «ولما وجد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس[1] الملك إذا مجوس من الشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود، فإنا رأينا نجمه في المشرق، وأتينا لنسجد له، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب، وجميع أورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم أين يولد المسيح؟ فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي، وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدير يرعى شعبي إسرائيل، حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً، وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: اذهبوا، وافحصوا بالتدقيق عن النبي، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا، وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى إذا جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه،

---

(١) هيرودس: هو الكبير، كان والياً على اليهودية من قبل الإمبراطور الروماني في حدود ٣٩ ق.م، فأقام هيكلاً وثنياً لعبادة الإمبراطور في أورشليم، ووضع على باب هيكل سليمان تمثالاً ضخماً من الذهب للنسر الذي هو شعار الدولة الرومانية، فصار اليهود أعداء له، إلا أنهم خافوا من بطشه وقسوة معاملته، فبدأوا يتآمرون ضده بدون جدوى، وفي آخر حياته ولد المسيح عليه السلام.
وقبل أن يفارق الحياة أصدر الأمر بقتل وجهاء القدس حتى يعم الحزن المدينة، ولا يجد أحد السكان فراغاً ليبتهج بموت ملكه المكروه. قاموس الكتاب المقدس ص (١٠٠٩) وتاريخ الأقباط والمسيحية (١٩١/٨).

فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومُـراً، ثم إذا أوحي إليهم في حلم أن يرجعوا إلى هـيرودس، انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم...

حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم، وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون حسب الزمان الذي تحققه من المجوس» [١].

وأما المسيح فذهب به يوسف وأمه إلى مصر، ولم يرجعوا إلا بعد وفاة هيرودس.

ثم نعود إلى لوقا، فيقول: «ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب كما هو مكتوب في ناموس الرب أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب» [٢]. إلى أن قال:

«ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة، وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه، وكان يوسف ومريم يذهبان به كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح [٣] ...».

هذه الفقرات الطويلة من إنجيلي متى ولوقا فيها تعارض لا يخفى، وبيانه كالآتي:

١- ففي إنجيل لوقا: أن ولادة المسيح كانت بعد الاكتتاب في عهد أغسطس والثابت في التاريخ أن ذلك كان في السنة السادسة من ولادة المسيح.

---

(١) متى (٢/١-١٦).

(٢) لوقا (٢/٢٢-٢٣).

(٣) لوقا (٢/٣٩-٤١).

بينما يقول متى: إن ولادة المسيح كانت في عهد هـيرودس، والثابت في التاريخ أنه توفي قبل ولادة المسيح بأربع سنوات[١].

٢- أن متى يدعي أن أبويه ذهبا به إلى مصر، خوفاً من هيرودس الذي أمر بقتل جميع الصبيان، بينما يقول لوقا: إن أبويه ذهبا به إلى أورشليم، ومنه إلىالناصرة، وبقي هناك إلى أن شبّ.

٣- يقول متى: إن المسيح كان ملك اليهود.

والتاريخ يكذب هذه الدعوى، فإن المسيح لم يكن يوماً ما ملك اليهود، بل هم الذي سعوا إلى الحكم، واستطاعوا إصدار الأمر عليه بالإعدام.

٤- يدعي متى أن المسيح يكون مدبراً يرعى شعب إسرائيل.

والتاريخ يكذب هذه الدعوى، فإن الإسرائيليين لم يقبلوا دعوة المسيح، وبالتالي لم يكن راعاً لإسرائيل.

٥- يقول متى مخاطباً بيت لحم: لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، وهو مخالف لما في العهد القديم: اما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا[٢].

ولا أدري بماذ يدافع المسيحيون عن هذه التناقضات التي وقعت بين الأناجيل التي هي عماد دينهم، وأساس مذهبهم، كما أنهم لم يستطيعوا تعيين المجوس الذين تقدموا إلى هيرودس، من أين جاءوا وإلى أين ذهبوا، لأن الحرب كانت قائمة آنذاك بين الدولة الفارسية والدولة الرومانية،

---

(١) انظر: طلوع المسيحية ص (٣٠) للمؤلف المسيحي ((بروس)).

(٢) سفر ميخا (٥/٣).

فكيف استطاع هؤلاء المجوس أن يدخلوا على الوالي الروماني الذي كان عدواً لدوداً للمجوس. فالمحققون المسيحيون لا يزالون في حيرة من أمرهم.

ثم إن لوقا ومتى اللذين اهتما بذكر حياة المسيح في إنجيليهما قفزا قفزة بذكرهما كيفية دخول المسيح في الهيكل، ما جرى له فيه، وكان عمره آنذاك اثني عشرة سنة إلى الثلاثين، فهذه الفترة من حياة المسيح لا تزال في ظلام(١).

ثم أعطي الحكمة(٢) والنبوة، وأيده الله بالمعجزات والكرامات، وقد اهتم مؤلفوا الأناجيل بهذه الناحية، ولا سيما ما وقع منه قبل أربعين يوماً من آخر حياته، وخاصة الأسبوع الأخير.

والقرآن الكريم يذكر ستاً من هذه المعجزات وهي:

١- ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾(٣).

٢- ﴿ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ ﴾(٤).

٣- ﴿ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾(٥).

---

(١) وقد اعترف به كبار المسيحيين. انظر: طلوع المسيحية للدكتور/ بروس بالأردية ص (٢٩).

(٢) انظر: إنجيل لوقا (٣/٢٣) يقول الشهرستاني: وقد أوحى الله إليه إنطاقاً في المهد، وأوحى إليه إبلاغاً عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام. الملل والنحل (١/٢٢٠).

(٣) سورة آل عمران (٤٩).

(٤) سورة آل عمران (٤٩).

(٥) سورة آل عمران (٤٩).

٤- ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ (١).

٥- ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ (٢).

٦- ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ (٣).

وأما كتب العهد الجديد فقد ذكر فيها قدر كبير من المعجزات، ولسنا مبالغين إن قلنا إنها مليئة بالمعجزات، والله تعالى أعلم بحقيقتها وصحتها.

وبهذه المعجزات الباهرة، والبينات الظاهرة بدأ المسيح عليه السلام دعوته بين اليهود في فلسطين، فذهب إلى الجليل ليعلن أمام الجميع دعوة التوحيد.

«وكان يسوع يطوف كل الجليل في مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض، وكل ضعف في الشعب» (٤).

وذهب إلى كفر ناحوم(٥)، وأقام فيها مركزاً للدعوة، وبقي فيها سنتين يخرج منها للتبليغ ثم يعود إليها، واتخذ من أتباعه اثني عشر تلميذاً. «ولما رأى الجموع صعد إلى الجليل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم» (٦).

---

(١) سورة آل عمران (٤٩).

(٢) المائدة (١١٤).

(٣) المائدة (١١٠).

(٤) إنجيل متى (٤/٢٣).

(٥) اسم عبري معناه: قرية ناحوم، وهي واقعة على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل (بحيرة طبريا).

(٦) إنجيل متى (٥/١-٢).

ونرى أن كتبة الأناجيل اختلفوا حتى في ذكر أسماء التلاميذ، وإليكم هذا الجدول:

| م | إنجيل متى ١٠/١- | إنجيل مرقس ٣/١٦ | إنجيل لوقا ٣/١٤ | أعمال الرسل | إنجيل برنابا ١٤/١٤ |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| ١ | سمعان (بطرس) | سمعان (بطرس) | سمعان (بطرس) | بطرس | يهوذا الذي صلب |
| ٢ | أندراوس أخوه | يعقوب بن زيدي | أندراوس أخوه | يعقوب | أندراوس |
| ٣ | يعقوب بن زبدي | يوحنا بن زيدي | يعقوب | يوحنا | بطرس |
| ٤ | يوحنا بن زبدي | أندراوس أخو بطرس | يوحنا | أندراوس | برنابا |
| ٥ | فيلبس | فيلبس | فيلبس | فيلبس | متى العشار |
| ٦ | برثو لماوس | برثو لماوس | برثو لماوس | توما | يوحنا بن زيدي |
| ٧ | توما | متى | متى | برثو لماوس | يعقوب بن زيدي |
| ٨ | متى العشار | توما | توما | متى | تداوس |
| ٩ | يعقوب بن حلفي | يعقوب بن حلفي | يعقوب بن حلفي | يعقوب بن حلفي | نعقوب |
| ١٠ | لياوس (تداوس) | تداوس | سمعان (الغيور) | سمعان (الغيور) | برثو لماوس |
| ١١ | سمعان القانوي | سمعان القانوي | يهوذا أخو يعقوب | يهوذا أخو يعقوب | فيلبس |
| ١٢ | يهوذا الإسخريوطي | يهوذا الإسخريوطي | يهوذا الإسخريوطي | – | – |

**الملاحظات:**

١- في إنجيل لوقا: يهوذا أخو يعقوب بدلاً من «لياوس»، بينما نرى أن يوحنا الذي لم يهتم بذكر جميع أسماء التلاميذ يذكر من بينهم «يهوذا» آخر غير الخائن، ويقول عنه: «يهوذا، ليس الإسخريوطي» [١] يبدو أنه يهوذا أخو يعقوب الذي ذكره لوقا كاتب أعمال الرسل.

٢- إن كاتب أعمال الرسل أهمل ذكر التلميذ الثاني عشر.

٣- في إنجيل متى، وبرنابا إن الذي كان يأخذ الجباية اسمه: متى العشار، بينما نرى في إنجيل مرقس: الذي كان يجلس عند مكان الجباية اسمه: لاوي بن خلفي[٢].

٤- يبدو من إنجيل برنابا أن برنابا كان من التلاميذ الاثني عشر، كما صرح به هو نفسه، وقال: الذي كتب هذا، بينما لم يذكر أصحاب الأناجيل الأخرى اسمه في قائمة التلاميذ، والثابت أنه منهم، كما جاء في فقرات أعمال الرسل[٣].

وقد انتقد بعض الكتاب المسيحيين هذا التصرف من كتاب الأناجيل، ورموهم بعدم التحقيق والتدقيق حتى في بيان أسماء التلاميذ.

اختار المسيح اثني عشر تلميذاً وبعثهم إلى قبائل اليهود قائلاً: «إلى طريق أمم (غير اليهود) لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل

---

(١) إنجيل يوحنا (٢٢/١٤).

(٢) إنجيل مرقس (١٤/٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: ٣٦/٤، ٢٧/٩، ٢٢/١١-٢٥.

اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» [(١)].

وأوصاهم بأن يقوموا بتعليم الإنجيل[(٢)] الذي تلقاه على جبل الزيتون من الملاك جبريل[(٣)].

إلا أن اليهود قاوموا دعوة المسيح بشدة، ولم يدخل في دينه إلا قليل منهم[(٤)]. حتى غضب المسيح، ودعا على مدينة كفر ناحوم قائلاً:

«وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية» [(٥)].

والدعاء بهذا معارض تماماً لطبيعة نبي الله المسيح عليه السلام الذي كان رقيق القلب، لطيف العبارة، وكان شعاره: المحبة والمودة والإخاء والصبر على البلاء.

## أساب مناوأة اليهود لدعوة المسيح عليه السلام

ومما لا شك فيه أن اليهود شعب متمرد على شريعة الله، وأن توراتهم المزعومة تندد بهم دائماً على هذا التمرد، وتدعوهم إلى التمسك

(١) إنجيل متى (١٠/٥).

(٢) إنجيل مرقس (١٦/١٥) ولا أدري كيف ينكر المسيحيون نزول الإنجيل على نبي الله عيسى عليه السلام كنزول كتاب على نبي من الأنبياء.

(٣) انظر: إنجيل برنابا (١٠/٣).

(٤) بعض الفقرات من الأناجيل المزعومة تشير إلى أن عددهم كان مائة وعشرين فقط، ففي أعمال الرسل (١/١٥): ((وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ، وكان عدة أسماء نحو مائة وعشرين)).

وفي رسالة بولس إلى أهل كورنتوس (١٥/٦): ((كان عددهم خمسمائة فقط)).

(٥) إنجيل متى (١١/٢٣)، وإنجيل لوقا (١٠/١٥).

بدين الله، ولكن طبيعتهم الشريرة لم تتغير خلال ألف سنة من بعد موسى عليه السلام، إلى ظهور نبي الله عيسى عليه السلام، مع كثرة الأنبياء والرسل، والعلماء والمصلحين فيهم، فكلما سنحت لهم الفرصة رجعوا إلى الكفر والفسق والوثنية، وقد عكفوا على المادة، وأغرقوا فيها، واستولت على أهوائهم ومشاعرهم، حتى كانوا لا يبالون بقتل الأنبياء والصلحاء والزعماء.

وأما علماؤهم وأحبارهم فاتخذوا من مظاهر الدين وشكلياته ذريعة لتضليل الشعب، دون ما اتجاه لبّه وغايته، وفي هذا المجتمع الفاسد ظهر النبي المصلح الذي دعاهم إلى ترك المظاهر، والأخذ بأصول الدين ومبادئه، إلا أنهم كفروه وضللوه ووشوا به إلى الحكام فقط، وإنما حرضوا الرومان عليه حتى أقنعوهم بإصدار الحكم عليه بالإعدام صلباً.

ويمكن أن أجمل أسباب مناوأة اليهود لدعوته بما يلي:

١- إن اليهود كانوا ينتظرون ظهور نبي يكون ملكاً عليهم، ويخلصهم من أعدائهم ويدعوهم إلى الصراع المسلح، ولكنهم فوجئوا بنبي يدعو إلى الصبر والتأمل والإيمان بالله، فانفضوا من حوله وبدأوا يظهرون له العداوة في المجامع والمعابد، ولكن خابت آمالهم فيه[1].

٢- كان اليهود يقدسون يوم السبت لما جاء في الوصية الرابعة من الناموس الذي أعطاه الله لموسى، ففي سفر الخروج: «اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك، لأن في ستة أيام

(١) الأب بولس إلياس. يسوع المسيح ص (٣٧).

صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه» [١].

حتى ورد الأمر برجم رجل كان يجمع حطباً يوم السبت، ففي سفر العدد: «ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكل الجماعة، فوضعوه في المحرش لأنه لم يعلن ماذا يفعل به، فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل برجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة، ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى» [٢].

وأما المسيح ﷺ فلم يلتزم قدسية السبت، ولم يحرم العمل فيه، وعلى العكس من ذلك، قدس هو وأتباعه يوم الأحد، وهو اليوم الثامن، قال برنابا: «إننا على العكس من اليهود نقدس اليوم الثامن» لأن اليهود كانوا يعتبرون يوم السبت اليوم السابع، فاعتبر يوم الأحد الذي يأتي بعده اليوم الثامن.

وفي إنجيل مرقس:

«واجتاز في السبت بين الزروع، فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل، وهم سائرون، فقال له الفريسيون: انظر لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل، فقال لهم: أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج، وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله في أيام أبيأثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة

(١) الخروج (٢٠/٨-١١).

(٢) العدد (١٥/٣٢-٣٦).

الذي لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضاً، ثم قال لهم: السبت إنما جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت، إذ ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» (١).

٣- كان اليهود يعترضون على المسيح أن تلاميذه يأكلون بدون أن يغسلوا أيديهم.

«واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم، ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيد دنسة، أي غير مغسولة لاموا، لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ، ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون..» (٢).

٤- دعا المسيح على أورشليم بالخراب.

ففي إنجيل لوقا: «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش، فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها» (٣).

وفي إنجيل متى: «يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء! وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً» (٤).

لهذه الأسباب وغيرها لم يرض اليهود بدعوة المسيح، فأغروا عليه

---

(١) إنجيل مرقس (٢/٢٣-٢٨).

(٢) إنجيل مرقس (٧/١-٣).

(٣) إنجيل لوقا (٢١/٢٠).

(٤) إنجيل متى (٢٣/٣٧-٣٩).

الحاكم الروماني واتهموه بأنه يريد أن يرث ملك داود حتى صدر المرسوم الإمبراطوري للقبض عليه وإعدامه، فبدأ الجنود الروم يبحثون عنه، حتى تمكنوا من الوصول إليه، ولكن الله ألقى شبهه على يهوذا الإسخريوطي الذي تقول الأناجيل إنه هو الذي دسّ عليه.

وإليكم ما جاء في إنجيل برنابا في هذا الصدد:

«ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنوّ الجمهور غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل، وميخائيل، وروفائيل، وأوريل سفراءه، أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع.

أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا، وأنت يا سيد هو معلمنا، أنسيتنا الآن، أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الإسخريوطي.

وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود، وألقوا أيديهم على يهوذا الإسخريوطي، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه» [1].

---

(١) الفصل الخامس عشر بعد المائتين، والسادس عشر بعد المائتين.

وفي الأناجيل المزعومة إشارة إلى إلقاء شبه عيسى على شخص آخر، فإن الجميع قالوا: «هل هو أم لا؟ فقال لهم يسوع: كلكم تشكون في هذه الليلة» (١).

هكذا تجلت قدرة الله، وامتدت يد العناية إلى رسول الله، فأخفاه ربه عن أعين الناظرين، ووقع يهوذا الخائن بأيديهم، فتملكته الدهشة فلم يستطع الدفاع عن نفسه، والإعلان عن حقيقة أمره، فاستاقوه إلى ساحة القتل، بين الصخب والضجيج، والفرح والتهليل، ومكروا، ومكر الله، والله خير الماكرين، فصلبوه بعد أن جلدوه وهم يظنون أنهم صلبوا المسيح ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٢).

يقول جرجي زيدان مستهزئاً:

«الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب حقيقة، وإنما صلب رجل آخر مكانه» (٣).

والعقل يستطيع دحض هذه العقيدة الباطلة، فالإله الذي لا يستطيع أن يحمي نفسه كيف يحمي غيره؟ يقول العلامة ابن قيم الجوزية:

(١) انظر: إنجيل متى (٢٦/٣١) وإنجيل مرقس (١٤/٢٧).

(٢) سورة النساء (١٥٧-١٥٨).

(٣) تاريخ التمدن الإسلامي (١/٥٤) طبعة دار الهلال.

«وكيف ينكر لأمه أطبقت على صلب معبودها، وإلهها، ثم عهدت إلى الصليب فعبدته وعظمته، وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه، وأن تهينه غاية الإهانة، إذ صلب عليه إلهها الذي يقولون تارة: إنه الله، وتارة يقولون: إنه ابنه، وتارة يقولون: ثالث ثلاثة، فجحدت حق خالقها، وكفرت به أعظم كفر، وسبته أقبح مسبة، أن تجحد حق عبده ورسوله، وتكفر به، وكيف يكثر على أمة قالت في رب الأرض والسماوات إنه ينزل من السماء ليكلم الخلق بذاته، لئلا يكون لهم حجة عليه، فأراد أن يقطع حجتهم بتكليمه لهم بذاته لترتفع المعاذير عن صنيع عهده بعد ما كلمه بذاته، فهبط بذاته من السماء، والتحم في بطن مريم، فأخذ منها حجاباً، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، وهو الذي جسمه وخلق أمه، وأمه كانت من قبله بالناسوت، وهو كان من قبلها باللاهوت، وهو الإله التام، والإنسان التام، ومن تمام رحمته تبارك وتعالى على عبادة أنه رضي بإراقة دمه عنهم على خشب الصليب، فسكن أعدؤه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم، فأخذوه وصلبوه وصفعوه، وبصقوا في وجهه، وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه، وغار دمه في أصبعه، لأنه لو وقع منه شيء إلى الأرض ليبس كلما كان على وجهها، فثبت في موضع صلبه النوار، ولما لم يكن في الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصي الذي ظلمه أو استهان بقدره لاعتلاء منزلة الرب، وسقوط منزلة العبد،وأراد سبحانه أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح

الذي هو إله مساوٍ له في الإلهية، فصلب ابن الله الذي هو الله في الساعة التاسعة من يوم الجمعة، هذه ألفاظهم في كتبهم، فإن انطبقت على هذا في معبودها؟!! كيف يكثر عليها أن تقول في عبده ورسوله إنه ساحر وكاذب، وملك مسلط، ونحو هذا؟!!».

ولذا قال بعض ملوك الهند: «أما النصارى فإن كان أعداؤهم من أهل الملل يجاهدونهم بالشرح، فأنا أرى جهادهم بالعقل، وإن كنا لا نرى قتال أحد، لكني أستثني هؤلاء القوم من جميع العالم، لأنهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة، وشذوا عن جميع مصالح العالم الشرعية والعقلية الواضحة، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً، وبنوا من ذلك شرعاً لا يؤدي إلى صلاح نوع من أنواع العالم، ولكنه يصير العاقل إذا شرع به أخرق، والرشيد سفيهاً، والحسن قبيحاً، لأن من كان في أصل عقيدته التي جرى نشؤه عليها الإساءة إلى خالق، وأن يصفه بما يغير صفاته الجميلة، فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي لا تحصى وجوهه، كما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه، لكانوا أهلاً لذلك» (١).

وقد أنصف اليهودي كمونة حيث قال:

«إن الله أكرم من أن يقال: إنه سكن الرحم في دنس الحيضة، وضيق البطن، والظلمة، أو نظرت إليه العيون الجسمانية، أو أصابه سنة أو نوم، أو أحدث في ثيابه، وبال في فراشه، أو بكى، أو ضحك، أو أخذه على ما لم يرد عجز أو سهى، أو لحقه خوف أو فزع، أو رغب إلى ما في

(١) هداية الحيارى ص (٢٠-٢١) طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أيدي الناس، أو سجن، أو هرب، أو يقال: إنه أكل، وشرب، أو تشبه بأهل الأرض، أو أنه لم يستطع أن يقضي أمره وهو في ملكه، حتى نزل على الأرض ليهديهم وينجيهم من الشيطان، وإنه جاء ليهدي الناس من الضلالة، ويطهرهم من الخطايا، فعبث به اليهود وعذبوه وصلبوه وأهانوه، ولبث ثلاثة أيام في القبر، ثم أي خطيئة كانت قبل المسيح أو بعده أعظم من الخطيئة التي كانت في زمانه عندكم، ونجد الشيطان لم يزل منذ جاء المسيح، كما قد كان قبل مجيئه في الأذى والإضلال، فإنه فرق دينكم على مذاهب شتى، فشهد بعضكم على بعض بالضلالة، وقد قتل الحواريون في عدة بلاد، وأهانوهم، وعذبوهم، ولم يزل الظلم والعدوان والقتل والكفر سارياً في النصارى وغيرهم من الأمم إلى هذه الغاية» [١].

وأما يهوذا الإسخريوطي الخائن، فاختلف أصحاب الأناجيل في مصيره على الوجه الآتي:

في سفر الرسل: «فإن هذا (أي يهوذا) اقتنى حقلاً من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها» [٢].

يعني أنه اشترى حقلاً من النقود التي أخذها من اليهود كأجرة للدلالة على المسيح، ثم سقط على الأرض ومات.

ويقول متى: إنه خنق نفسه من الندامة ومات:

«حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم، ورد الثلاثين من

(١) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص (٥٧).

(٢) أعمال الرسل ١/١٨).

الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، فقالوا: ماذا علينا، أنت أبصر، فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نسفسه»[1] لاحظ الخلاف بين الروايتين فإن كان يهوذا هو الذي صلب ودفن، فماذا كان مصير جسده في قبره؟

إذن بإمكاننا الوصول إلى جواب هذا التساؤل بعدة مقدمات وهي:

١- إن الحراس أخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا: إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام... يقول متى: فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم -أي إلى يوم تأليفه- وهو في حدود ٦٥ م أو بعده.

نسأل متى: ما هو مصدر هذه الإشاعة بعد مضي أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة من رفع المسيح، لأن متى بالتأكيد لم يحضر هذا المشهد وهل كان العسكر على صلة بتلاميذ المسيح، والمعروف أن الشعب كان يخاف من هؤلاء التلاميذ لئلا يتهم بأنه خرج عن دينه، فلا نستبعد أن يكون بعض الناس أياً كان قصدهم قد سرقوا الجسد بالنقل.

٢- إن مريم المجدلية كانت أول من تبادر إلى ذهنها عندما لم تجد الجسد في اليوم الثالث في القبر، أن الأعداء سرقوه، فأخبرت بذلك بطرس وتلميذاً آخر فركضا إلى القبر.

ومعنى هذا أن القول بسرقة جسد المصلوب ليس جديداً نقوله اليوم، بل هو أمر قد أشيع في زمن الصلب نفسه، وأودعه متى في إنجيله.

---

(١) إنجيل متى (٢٧/٥-٣).

وأن بطرس الذي كان من أقرب التلاميذ للمسيح لم يعترض على قول مريم المجدلية، بل أسرع إلى القبر لمعرفة الحق مما قالته.

وهذا التفكير بقي لدى المسيحيين الأوائل حتى أشيع بظهور المسيح لبعض التلاميذ، وفيه تبرير كاف لعدم وجود الجسد في القبر، والدليل الكافي أيضاً على كذب تلك الإشاعة، والحق أن جسد المصلوب سرق من القبر لغرض من الأغراض، إما سرقه اليهود حسماً للفتنة، أو سرقه التلاميذ إخفاء للحق، وأما المسيح فلم يصلب، ولم يدفن، بل رفعه الله إليه بجسمه وروحه.

وبعد قتل يهوذا، اجتمع التلاميذ لانتخاب التلميذ الثاني عشر فرشح لهذا المنصب اثنان: يوستس، ومنياس، وخرجت القرعة على الأخير «منياس»، ومن ذلك اليوم شغل مقام التلميذ الثاني عشر[1].

اختلف المفسرون بعد نجاة عيسى من الصلب، هل رفعه الله إليه بروحه وجسده أم بروحه فقط، فالجمهور على أنه رفع جسده وروحه[2]، وذهب جماعة إلى أن عيسى عليه السلام بعد نجاته من الصلب

---

(١) انظر: أعمال الرسل (١/٢٣-٢٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/٢٦٧) ونقل أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط» في سورة آل عمران آية رقم (٤٧٣) عن ابن عطية الغرناطي قوله: «وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل، وتظهر به ملة محمد ﷺ ويحج البيت، ويعتمر» انتهى.

قلت: جاء في صحيح مسلم: « **والذي نفسي بيده ليُهلّنّ ابن مريم بفجّ الروحاء** =

اختفى عن أعين الناس واستوفى أجله على الأرض، وعاش إلى أن أماته الله حتف أنفه كما يموت الأنبياء والمرسلون، ورفعت روحه الطاهرة إلى قدسية الله تبارك، كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، آخذين بظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (١).

وبقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢).

وذهب القاديانيون في هذا الزمان إلى أن المسيح صلب، ولكنه أنزل من الصلب حياً، ودفن في القبر حياً، وأنه لما جاء اليوم الثالث قام من قبره وتوجه إلى الهند، ووصل إلى مدينة «سرينكر» في منطقة كشمير، وعاش فيها إلى أن مات وهو ابن مائة وعشر سنوات.

هذا القول شدد النكير عليه المسيحيون والمسلمون ولم يوافقوا عليه، وقد بحث «العقّاد» هذا الموضوع في كتابه «عبقرية المسيح» وتوصل إلى أن القبر الذي يُدعى أنه قبر عيسى إنما هو لشخص يهودي اسمه «يوزآسف».

=

**حاجاً أو معتمراً أو لَيُثَنِّيَنَّهما** » . أي ليجمعنّ بين الحج والعمرة. وفج الروحاء: مكان في طريق المدينة إلى بدر.

(١) سورة آل عمران (٥٥).

(٢) سورة المائدة (١١٧).

هذه ثلاثة أراء في قصة المسيح بعد نجاته من الصلب، والقول الأول هو الصواب، وهو قول أكثر المفسرين، لأن الرفع إذاً لم يكن حقيقياً وهو الرفع بالجسم والروح، إذاً فلا اختصاص بعيسى، والله يرفع مكان جميع الأنبياء، أما قوله تعالى: ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ ففيه تقديم وتأخير، أي رافعك إليّ، ومتوفيك على قانون الطبيعة، وهو أن كل نفس ذائقة الموت لا محالة، فالظاهر أنه يموت بعد نزوله في آخر الزمان لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً وعدلاً، فيكسِر الصليبَ، ويقتل الخنزير، ويضعُ الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**» (١).

وأما المسيحيون فيؤمنون بأن المسيح صلب على الأرض، ودفن في القبر، ثم قام من القبر بعد ثلاثة أيام، وأخذ يظهر لتلاميذه وللناس الآخرين في عدة أماكن لمدة أربعين يوماً، ثم صعد إلى السماء.

لا شك أنها حادثة واحدة غير متكررة، ولكن كتاب الأناجيل اختلفوا فيما بينهم في ذكر جزئيات الحوادث التي تزيل الثقة بقصة

---

(١) البخاري في كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وقوله: يكسر الصليب: فيه إشارة إلى إبطال دين النصارى فإنه يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

والأحاديث في نزول المسيح متواترة. انظر في ذلك « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للشيخ محمد أنور شاه الكشميري (١٢٩٢هـ - ١٣٥٢هـ) حققه الشيخ أبو غدة.

الصلب، فانظروا إلى هذه القصة كما في كتبهم، مع بيان الخلاف فيها:

يقول متى: وفيما هو يتكلم، إذ يهوذا أحد الإثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذي اسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبله هو هو أمسكوه ... وحينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا.

والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ .. وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا -ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا- ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور وقالا: هذا قال: إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه ..، قالوا: إنه توجب القتل، حينئذ بصقوا في وجهه، ولكموه، وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك؟ ... ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، -فأوثقوه ومضوا به- ودفعوه إلى بيلاطس[1] البُنْطِي الوالي...

فوقف المسيح أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً: أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع: أنت تقول؟... وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع

---

(١) بيلاطس: كان يلقب بالبُنْطي كما ذكره متى (٢/٢٧) وهو وال من قبل الحكومة الرومانية على اليهودية سنة ٢٩ م، واستمر حكمه بعد انتهاء دور المسيح بضع سنين، واختلفوا في موته فقيل: انتحر نفسه، وقيل: أقيل من منصبه ونفي إلى فرنسا ومات هناك.

أسيراً واحداً من أرادوه، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى «باراباس» ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم؟ باراباس أم يسوع الذي يدعى المسيح؛ لأنه علم أنهم أسلموه حسداً...

وحرض رؤساء الكهنة والشيوخ الجموع على أن يطلبوا «باراباس» ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم: مَن مِن الإثنين تريدون أن أطلق لكم؟ فقالوا: «باراباس» قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا، وعلى أولادنا، حينئذ أطلق لهم «باراباس» أما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب ...

وفيما هم خارجون (أي الحراس والعساكر) وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه «سمعان» فسخروه ليحمل صليبه، ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة للشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب ولما صلب اقتسموا ثيابه مقترعين عليها .. ثم جلسوا يحرسونه هناك، وجعلوا فوق رأسه عِلّته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود ...

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة، ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: «إيلي

إيلي لما شبقني» إي إلهي إلهي لماذا تركتني[1]...

وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد، وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه، وبينهم: مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسى، وأم ابني زبدي...

وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه، ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى، فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلموا، فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر.

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية، ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج، فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا

---

(١) وهي صرخة اليأس على الصليب، والعبارة هذه تثير عدداً من المشاكل كانت ولا تزال موضع جدال بين العلماء، فمنهم من يقول: يبدو أن القديسين لوقا، ويوحنا، قد رأيا في كلماتها غموضاً واحتمالاً لسوالفهم، ولذلك حذفاها ثم استبدلها لوقا بقوله ((يا أبتاه في يديك أستودع روحي)) ويوحنا بقوله: ((قد أكمل)) وهذه العبارة موافقة على نظرية بولس الاتحادية.

راجع التفاصيل الأخرى: قصة الحضارة (١١/٢٣٨)، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية ص (١٧١).

كأموات،فأجاب الملاك وقال للمرأتينك لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا، لأنه قام كما قال، هلما انظرا الموضع الذي كان (المسيح) مضطجعاً فيه، واذهبا سريعاً، قولا لتلاميذه: إنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه، ها أنا قد قلت لكما، فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه...

وأما الحراس فجاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكنهة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا: إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم، وأما المسيح فظهر للتلاميذ في جبل الجليل» (١).

هذه هي قصة الصليب، والقيام من القبر، والذهاب إلى الجليل والظهور للتلاميذ، كما وردت في الأناجيل، والآن ندرس تناقضات الأناجيل في جزئيات هذه القصة.

١ - إن متى ومرقس ولوقا جعلوا علامة معرفة المسيح بتقبيل يهوذا له، وإن المسيح لم يفصح عن شخصيته.

---

(١) الإصحاح (٢٦،٢٧،٢٨) من إنجيل متى، والإصحاح (١٤،١٥،١٦) من إنجيل مرقس، والإصحاح (٢٢،٢٣،٢٤) من إنجيل لوقا، والإصحاح (١٨،١٩،٢٠،٢١) من إنجيل يوحنا.

بينما يقول يوحنا: «فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة، والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري، قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم، فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضاً: من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري، أجاب يسوع: قد قلت لكم: إني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون ليتم القول الذي قاله إن الذي أعطيتني لم أهلك منهم أحداً».

لو أن الأمر كان كما قاله يوحنا لعد ذلك أيضاً من عمجزات المسيح الكثيرة، وعلى كتاب الأناجيل أن يبادروا إلى ذكر هذه المعجزات أيضاً.

ثم أي ذنب ليهوذا الخائن، فإنه لم يدل الجنود ورؤساء الكهنة على المسيح، بل المسيح هو الذي كشف عن شخصيته.

٢- في إنجيل متى: «حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا».

وفي إنجيل مقرس: «فتركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً».

بينما لم يذكر لوقا ويوحنا هروب التلاميذ أصلاً.

فإذا لم يهرب هؤلاء فماذا كان موقفهم عندما قبض على المسيح؟

٣- ذكر متى أن الجموع الذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة، وابهم اسم رئيس الكهنة مرقس ولوقا.

بينما يقول يوحنا: «ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافاً الذي

كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب».

وقيافا – اسم آرامي معناه «صخرة»، وهو رئيس كهنة لليهود سنة ٢٧-٣٦ م، وكانت هذه الوظيفة في ابتداء أمرها تدوم مدة حياة إلا أن الدولة الرومانية في ذلك الوقت كانت تنصب رئيس الكهنة أو تعزله. وأما حنّان –بتشديد النون– فهو اسم عبري اختصار «حنانيا» ويعنى به أن يهوه قد أنعم عليه، وهو رئيس الكهنة في أورشليم إلا أن المسيح لما قبض عليه لم يكن يقوم بوظيفة رئيس الكهنة.

فالسؤال هنا إلى أيهما ذهبوا بالمسيح بعد القبض عليه، فإن يوحنا يقول: ذهبوا به إلى حنان، بينما يقول متى: إلى قيافا.

٤- يقول متى ولوقا: وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه...

بينما لم يذكر لوقا ويوحنا موضوع شهادة زور، بل اكتفيا بكونه يدعي المسيحية لنفسه أمام رئيس الكهنة، لذا قالوا: «ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه».

فهل ذنب المسيح أنه يدعي المسيحية لنفسه أو أنه دعا على الهيكل بالخراب، حتى استوجب القتل!

٥- يقول متى ومرقس: ثم مضوا به وأسلموه إلى بيلاطس الذي سأله وقال: أأنت ملك اليهود... بينم يقول لوقا: «وابتدأوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطي جزية لقيصر، قائلاً: إنه

هو مسح ملك»، بينما يختلف يوحنا عن الجميع فيقول: «ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح، فخرج بيلاطس إليهم، وقال: أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟ أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك، فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم، واحكموا عليه حسب ناموسكم، فقال له اليهود: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً، ثم حاوره بيلاطس إلى أن تبين له أنه بريء من التهمة التي اتهموه بها، فقال لليهود: أنا لست أجد فيه علة واحدة».

٦- تفرد متى عن زملائه بذكره أن بيلاطس لما عرف براءة المسيح غسل يديه أمام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار.

٧- كما تفرد لوقا عن زملائه بذكره أن بيلاطس لما عرف أن المسيح من الجليل، وكان الجليل يقع في سلطنة هيرودس، فأرسله إلى هيرودس قبل أن يسلمه للعساكر للجلد والصلب: «وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة، وترجى أن يرى آية تصنع منه، وسأله بكلامن كثير فلم يجبه بشيء، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد، فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به، وألبسه لباساً لامعاً، ورده إلى بيلاطس، فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في تلك الأيام لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما».

٨- كما انفرد يوحنا عن زملائه بقوله: «إن المسيح خرج من عند

بيلاطس وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له: موضع الجمجمة».

بينما يقول متى ومرقس ولوقا: إنهم أمسكوا رجلاً قيروانياً اسمه «سمعان» أبو الكسندروس ليحمل صليبه وراء المسيح.

و «دينس أريك نينهام» أستاذ اللاهوت بجامعة لندن يعلق على هذا في كتابه «تفسير إنجيل مرقس» : «من الواضح أن الكنيسة التي كتب لها القديس مرقس إنجيله، كانت تعرف هذين الشخصين (الكسندروس و رونس) جيداً ولذا لم يكن هناك داع للحديث عنهما بأكثر من ذلك، ويبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة التي تقول بأن سمعان حمل الصليب».

ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب من إنجيل «يوحنا» هو أنه في الوقت الذي كتب الإنجيل الرابع (١٠٠-١٢٥) كان الادعاء بأن سمعان قد حل محل يسوع، وصلب بدلاً منه، لا يزال سارياً في الدوائر الغنوسطية التي كانت لها الشهرة فيما بعد» (١).

٩- كما أن أحداً سوى يوحنا لم يذكر أن أم المسيح كان مع النساء اللواتي جئن من الجليل مع أخت أمه زوجة كلوبا ومريم المجدلية وأنهن كن واقفات عند الحادثة، وأن المسيح لما رأى أمه والتلميذ الذي كان يحبه قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك، وقال للتلميذ: هوذا أمك».

من أين جاء هذا التلميذ وسبق أن الجميع هربوا واختفوا خوفاً من قتلهم لما ألقي القبض على المسيح؟

---

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص (٢٧٢).

١- يقول متى ومرقس ولوقا: وفي الساعة التاسعة في الليل صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: «إيلي إيلي لما شبقتني»، وأسلم الروح، ولم يذكر يوحنا هذه الصرخة ويضيف أشياء أخرى لا يذكرها الثلاثة.

١١- ذكر متى ويوحنا أن مريم المجدلية، ومريم الأخرى جاءتا لتنظرا القبر بعد مضي السبت، وطلوع فجر أول الأسبوع، بينما يقول لوقا ومرقس: اشترت مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب حنوطاً ليأتين ويدهنّه.

١٢- وعندما دخلت مريم القبر رأت شاباً جالساً في القبر، هكذا يقول متى ومرقس، بينما يقول لوقا ويوحنا: هما اثنان جالسان في القبر.

١٣- يقول متى: فقال لهما يسوع: لا تخافا اذهبا وقولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني.

بينما يقول مرقس ولوقا: إن الذي خاطبهما ليس هو المسيح، فإنه قال: «إن المسيح قد قام، ليس هو ههنا».

١٤- يقول يوحنا: فجاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه.

١٥- يقول متى: «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه».

بينما يقول مرقس: «وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر، فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً» والنصان متقاربان، فإن الملائكة قاموا برفع الحجر عن باب القبر أمام النسوة.

وأما لوقا ويوحنا فاختلفا عن صاحبيهما، فغنهما قالا: «فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر» كذا عن لوقا.

«فنظرت (مريم المجدلية) الحجر مرفوعاً عن القبر» كذا عند يوحنا.

ولا شك في كذب أحد الخبرين في قلع الصخرة.

١٦- وفي موضوع قصة قيامة المسيح من القبر يقول متى:

«حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم نريد أن نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (١).

ولكن لم تحدث هاتان الآيتان وفق التنبؤ، لان المسيح كما تقول الأناجيل المزعومة دفن مساء الجمعة، وبقي في القبر نهار السبت وليلة الأحد، وفي الصباح الباكر من يوم الأحد قام من القبر، وعلى هذا يكون بقاؤه في القبر يوماً وليلتين.

وأما أن تكون قيامته من القبر آية للجيل الشرير، فلم يحدث هذا

(١) إنجيل متى (٣٨/١٢).

أيضاً، فإن قيامته لم تكن آية حتى للتلاميذ أنفسهم، إذ شك أكثرهم أن يكون المسيح قد قام من القبر، فكيف بغيرهم؟!!

يقول متى: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكوا» (١).

ويقول مرقس: «أخيراً ظهر للأحد عشر، وهم متكئون، ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا، الذين نظروه قد قام» (٢).

هذه أحوال التلاميذ، وأما الأعداء من اليهود فقد أشاعوا بين الناس أن التلاميذ سرقوا جثة المسيح، ولم يؤمن أحد بهذه الآية الظاهرة الباهرة، يقول متى: «وفيما هما ذاهبتان إذ قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة، وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، فاجتمعوا مع الشيوخ، وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا: إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام، وإذا سُمع ذلك من الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة، وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم» (٣).

هكذا ابتدأت الروايات عن قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد

---

(١) إنجيل متى (٢٨/١٦).

(٢) إنجيل مرقس (١٦/١٤).

(٣) إنجيل متى (٢٨/١١) يعني إلى أيام تأليف متى إنجيله، وفي أدق تقدير أنه ألف هذا الإنجيل في أواخر القرن الأول، فلم تكن قيامة المسيح آية للجيل الشرير، على المسيحيين أن يجيبوا عن هذا.

موته تنتشر ببطء في الأوساط المسيحية الأولى، والطريف في الموضوع أن الإعلان عن قيامة المسيح تأخر من أجل إنكار بطرس وغيره إلى ستة أسابيع، فلم ينتشر خبرها بين عامة المسيحيين إلا بعد خمسين يوماً كما تقول رسالة أعمال الرسل التي ألفها لوقا بعد أكثر من ستين عاماً من رفع المسيح.

١٧- وانفرد متى من بين كتاب الأناجيل بقوله: إن رؤساء الكهنة والفريسيين ذهبوا إلى بيلاطس، وطلبوا منه حارساً يبقى عند القبر، إلى اليوم الثالث، إلا أنه رفض، وقال لهم: عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون، فمضوا وضبطوا القبر ... إلى آخر القصة.

وهي قصة مصنوعة متعارضة، لأن الضابطين للقبر هم اليهود أنفسهم. بينما يقول في آخر الباب: «فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة» من الرشوة ليقولوا أمام الوالي أن التلاميذ سرقوه.

إذا كان الضابطون للقبر هم اليهود أنفسهم فلماذا هذه الرشوة؟ ولمن؟ ومن أين جاء هذا العسكر الحكومي، وقد رفض بيلاطس طلبهم وأمرهم أن يحرسوا هم القبر؟

أنا أتحير من هذا الكاتب الذي لم يراع في الكتابة أبسط الأمور!!!!

١٨- واختتم مرقس إنجيله بقوله: «وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، ومن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدَنْ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون

بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون».

وفيه صدق وكذب.

**فالصدق**: أن الله أنزل على عيسى إنجيلاً، وأن عيسى عليه السلام أمر أتباعه بالتبشير بهذا الإنجيل، وليس هو الآن عندهم، وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجال معروفين، ليس منها إنجيل إلا وقد ألف بعد رفع المسيح عليه السلام بأعوام كثيرة، ودهر طويل.

**والكذب**: الآيات التي ذكرها مرقس للمؤمنين، يقول ابن حزم: «وهذا وعد ظاهر الكذب جهاراً، ما منهم أحد يتكلم بلغة لم يعلمها، ولا منهم أحد ينفي جنباً، ولا منهم أحد يسقي السم فلا يؤذيه، وهم معترفون بأن يوحنا صاحب الإنجيل قتل بالسم، وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد خاسئة كاذبة، فكيف إله، فاعلموا أن الذين كتبوا هذه الأناجيل كان أسهل شيء عليهم نسبة الكذب إلى المسيح عليه السلام» [1].

هكذا نرى كتبة الأناجيل اختلفوا في ذكر حادثة الصلب والقيامة، وهذه الخلافات كلها جوهر القضية، لأن القصة لم تتكرر، بل هي واحدة، فكيف اختلفت الروايات إلى هذا الحد؟ وهذه الخلافات لا شك تزحزح الثقة بالروايات النصرانية في قضية الصلب التي هي أساس دين النصارى اليوم.

وقد اعترف المسيحيون بهذه الخلافات والتناقضات في أناجيلهم

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٥٦).

المزعومة منذ عصور قديمة، يقول حبيب سعيد -أحد كُتّابهم-:

«على أنه يجب التسليم في غير مواربة أن هناك بعض الفوارق أو التناقض أو الاختلاف في قليل من الروايات، وقد لوحظت هذه الحالات منذ القرن الثاني، واتخذها الهراطقة مادة للنقد والتجريح، وكان النقد في ذلك الزمن البعيد محصوراً في الفوارق بين سلسلة نسب يسوع، كما رواها كل من متى، ولوقا، وبين الترتيب التاريخي الزمني لبعض الحوادث في رواية يوحنا، عند مقارنتها بروايات المبشرين الثلاثة الآخرين، ولم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الإنجيل، فقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل، ولا نجني شيئاً إذا نحن تظاهرنا أو ادعينا أن ليس بين البشائر بعض الفوارق التافهة، ويمكن في غير عناء تعليل بعض هذه الفوارق والتناقضات، وقد ألقى العلماء في العصور المتأخرة كثيراً من النور على هذه المشاكل»[(1)].

هذه الأسطر تكشف النقاب على عقلية الفكر المسيحي في قبول الروايات المتناقضات عن الحوادث التاريخية وسلسلة النسب، مع اعتقادهم بقدسية هذه الكتب، وتقديس مؤلفيها.

وأظن أن تحليل النصوص الواردة في قضية واحدة هي قضية الصلب والقيامة يكفي للرد على من يحاول التخفيف من شناعة وجود التناقض والاختلاف في الروايات.

ويذهب «شارل جنيبير» إلى تأويل آخر، وهو «أن الأحداث الخاصة

(١) أديان العالم ص (٢٧٧).

بالصل كانت قد فقدت الكثير من وضوحها في ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل وأنها تأثرت في مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق»[١].

ثم يقول: «وهكذا لم نعد نستطيع أن نميز في وضوح الجوانب التاريخية لشخصية عيسى، ولم نعد نملك المراجع اللازمة لتحديد أحداث حياته في دقة» [٢].

ثم بد كل هذا يدعي «بولس» مؤسس النصرانية الجديدة: «أنه ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا» [٣].

يبدو أن عقيدة قيامة المسيح من القبر كان النزاع قائماً فيها بين أتباع المسيح في بداية عصره، وكان «بولس» من الداعين إليها، والغالب أن كتبة الأناجيل أخذوها منه أيضاً، لأن رسائل «بولس» [٤] كتبت قبل

(١) المسيحية ونشأتها وتطورها ص (٢٩).

(٢) المصدر السابق .

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (١٥/٦-٨) ، وكورنتوس: هي عاصمة مقاطعة أخائية في بلاد اليونان تقع على بعد ٤٠ ميلاً غربي أثينا. والأمر المتعارض في هذا أن الروايات النصرانية تنص على ظهور المسيح لمدة أربعين يوماً، بينما دخل بولس في النصرانية في عام ٣٥ م أي بعد نهاية المسيح بسبع سنوات.

(٤) يرجح بعض المؤلفين المسيحيين أن هذه الرسائل كتبت من ٥٠ – ٦٠ م انظر: أزلية الأناجيل الأربعة بالأردية ص (٣٤) بينما أول من ألف كتابه المسمى بالإنجيل هو =

عشرات السنين من كتابة الأناجيل المزعومة، ففي الأولى منها، وكانت إلى أهل كورنتوس ينتقد بولس على منكري قيامة المسيح قائلاً:

«ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم» (١).

وهو بهذا يشير إلى تلميذ خاص كان أحب إلى المسيح من غيره وهو «بطرس سمعان» وكان ينكر قيامة المسيح من القبر، وبقيت هذه العقيدة بين الأخذ والرد إلى مؤتمر «نيقيا» الذي انعقد عام ٣٢٥ م، وقرروا فيه بالأغلبية: الإيمان بقيامة المسيح، وأشياء أخرى غيرها، وسوف يأتي ذكر هذا المؤتمر بتفصيل.

=

مرقس، وكان ذلك في حدود عام (٧٠) م . انظر: أديان العالم ص (٢٧٢).

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (١٥/١٣-١٤-١٥).

## النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام

بعد أن رفع المسيح عليه السلام تفرق أتباعه في البلدان المجاورة لفلسطين خوفاً من بطش اليهود، لأن مؤامرتهم الدنيئة ضد أتباع المسيح لم تنته فسعوا إلى الحاكم «هيرودس أعير بياس الأول» الذي تربع على عرش أبيه «هيرودس» من عام ٤١-٤٤ م، فتمكنوا من القبض على «بطرس» أحب تلاميذ المسيح، وزجوا به في السجن، وقتلوا «يعقوب» من تلاميذ المسيح، وبعد انتقال الزعامة الدينية من يعقوب المقتول إلى يعقوب[1] بن يوسف النجار، تفرقت كلمة النصارى إلى حزبين في كنيسة أورشليم، ويرى أحدهما: أن الشريعة الموسوية لا تلزم الذي اعتنقوا الدعوة البولسية من غير اليهود. ويرى الحزب الثاني أن الشريعة الموسوية واجبة الاتباع لكل من يدخل دين المسيح عليه السلام، وكان بطرس التلميذ مؤيداً لهذا الرأي الأخير.

---

(١) يعقوب بن يوسف: اختلف في حقيقة نسبه، فقيل: إنه ابن يوسف من زوجة كانت له قبل أن يخطب مريم، وقيل: إنه من أولاد أخت مريم، وقيل: إنه من أولاد أخ يوسف، ومنهم من يقول: إنه من يوسف ومريم، فإن يوسف تزوج مريم بعد ولادة ابنها البكر ((المسيح)) والله أعلم بصحة هذه الروايات، فإن علماء النصارى لم يتفقوا على شيء.

و لم يسلم هذا الرجل في حياة المسيح، يوحنا (٧/٥) وبعد رفع المسيح اتصل به بولس في أورشليم أعمال الرسل (١٣/١٥) وأقنعه على المؤامرة التي دبرها بولس للقضاء على المسيحية، ولذا نرى أنه كان من كبار المؤيدين للأفكار البولسية: منها إلغاء الشريعة الموسوية للمتنصرين من غير اليهود، وقتل رجماً في عام ٦٢ م كأستاذه بولس.

وقد ناقشة بولس وقال له: إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا[١].

كما أن الصراع بين اليهود وأتباع المسيح لم ينته بعد، ، فنرى في عهد الإمبراطور «كلوديوس» ٥١ أو ٥٢ م، اضطراباً وقع في رومية بين اليهود والنصارى، حتى تنبه الحاكم إلى خطورته، وما إن جلس الحاكم الروماني على عرش الملك وهو «الملك الطاغي نيرون» في حدود ٦٨ م، حتى ألقي القبض على بولس وجماعة من أتباعه، ورماهم أمام وحوش ضارية تنهش أجسامهم، واشتد غضبه لما عرف ان النصارى يكرهون الوثنيين الروم، فأمر فطليت أجسامهم بالقار، وأشعلت لتكون مصابيح لبعض احتفالاته في حدائق قصره، وأما بولس فأعدمه مصلوباً.

ويقال: إن السبب الرئيسي لاضطهاد نيرون يرجع إلى حريق مروع شبّ علىآثار الفنون اليونانية والهياكل المقدسة، والقصور الفخمة ولم ينج فيه من الدمار والخراب إلا أربع أحياء من أربع عشرة حية، فألصق الحاكم الروماني التهمة بالمسيحيين، لأنهم كانوا يكرهون الهياكل الوثنية وبيوت الأوثان والأصنام.

ولا أعتقد أن يكون هذا سبباً لاضطهاد المسيحيين الذي استمر حتى بعد «نيرون» عدة قرون، فلا بد من معرفة أسبابه الحقيقة لهذا قبل سرد تاريخه. وإليكم بعض هذه الأسباب:

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٢/١٤).

١- ظهرت المسيحية كطائفة جديدة أمام الأمة اليهودية التي كانت مجتمعاً قوياً في الحكم الروماني، وإن كان الحكم الروماني لم يرض ببعض تصرفات اليهود، ولكنه أغمض عينيه عنها وسمح لليهود بالاستمرار على تقاليدهم المتوارثة بحرية كاملة، ولم يسمع للطائفة الجديدة بتطبيق نظرياتها بمثل هذه الحرية، لأن المسيحيين لاعتناقهم هذا الدين الجديد اقترفوا في نظر مواطنيهم إثماً كبيراً، كما كانت لليهود يد طولى في إغراء الحاكم الروماني على المسيحيين.

يقول الكاتب المسيحي «حبيب سعيد»:

«وكان اليهود الذين نبذوا في احتقار الآلهة التي عبدها مواطنوهم، واستمتعوا بالحرية في ممارسة دينهم غير الاجتماعي، فلا بد أن تكون هناك أسباب أخرى، عرضت تلاميذ المسيح للبلايا الماحقة التي أعفيت منها سلالة «إبراهيم» ، والفرق بين الفئتين بيّن وواضح، وله وزنه الخطير في نظر الأقدمين، فاليهود كانوا أمة، وأما المسيحيون فكانوا طائفة»[1].

٢- قطع المسيحيون الأوائل كل علاقة عن آلهة رومية وقداسة الإمبراطورية الرومانية؛ لأن السيد المسيح دعا إلى التوحيد ونبذ جميع مظاهر الشرك والوثنية، فثار الوثنيون على المسيحيين، وقدموهم إلى الشعب الوثني كأنهم ملحدون كافرون.

٣- لقد وقعت أخطاء جسيمة من قبل المسيحيين الأوائل فهم لما آمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة، قلّ

---

(١) تاريخ المسيحية - فجر المسيحية ص (٥٣).

اهتمامهم بطبيعة الحال بواجبات الوطن، وأصبح حب مملكة القدس السماوية في قلوبهم يضر بمصالح الوطن الروماني بصورة واضحة، فصارت الخدمة العسكرية -مثلاً- بغيضة لديهم، واتخذوا من عدم استطاعتهم -كما يقولون- وسيلة لعدم اهتمامهم بالمتطلبات العادية للحياة العامة، وكان شعارهم في هذا: أني قد اعتزلت المجتمع، وكان الداعية المتعصب العنيف «ترتوليان» الذي عاش في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث يعترف في كتاباته بأن بعض المسيحيين الذين عينوا في خدمة الدولة في المناصب الحساسة لم يكونوا مخلصين للدولة الرومانية، وأمر طبيعي أن لا تكون الدولة مستعدة للتسامح إزاء موقف هؤلاء المسيحيين العاملين في جهاز الدولة والهاربين من وظائف الدولة وخدمتها، وقد أشار عليهم ترتوليان: بأن يرفضوا الخدمة العسكرية، وعمل كثير منهم بنصيحته(١).

٤- كانت الدولة الرومانية تفرض نوعاً من الضريبة على رعاياها، لا على المسيحيين فقط، بل على الجميع إلا أن المسيحيين رفضوا أاء هذه الضريبة لسيدهم الوثني لأنهم كانوا ينتظرون نهاية العالم، وهذه العقيدة التي اخترعها بولس في فجر الدعوة المسيحية وعدم وقوع نهاية العالم إلى الآن أضرت بالمسيحيين كثيراً، حتى صار المسيحيون أنفسهم ضد سلطة الكنيسة وضد جميع أحكام الدين.

٥- وكانت المعارضة قد جاءت من قبل الشعبة أكثر مما جاءت من

---

(١) انظر: قصة الحضارة (٣/٣٧٢).

قبل الدولة، ذلك أن الحكام كانوا في كثير الأحيان رجالاً مثقفين متسامحين، ولكن جمهور السكان الوثنيين قد ساءهم عزلة المسيحيين وتعاليمهم وثقتهم بأنفسهم، وأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الملحدين الذين يهينون الآلهة، ويشير «ترتوليان» إلى الكراهية العامة تجاه المسيحيين[1]. وبهذه الأسباب وغيرها بدأ اضطهاد المسيحيين واستمر إلى عدة قرون.

**القرن الثاني:**

طلع القرن الثاني، وتولى الحاكم الروماني مقاليد البلاد، «تراجان» عام ١٠٦ م، وبدأ ينزل بالمسيحيين أشد أنواع العذاب، فقتل جماً غفيراً من الدعاة والمبلغين، وتلاميذ يوحنا التابعين، وأتباعهم، فلجأ المسيحيون إلى الاجتماعات السرية لأداء الصلوات، والاستماع إلى المواعظ الدينية، وتلاوة كتاب الله الإنجيل الذي نزل على سيدنا المسيح عليه السلام.

جاء في كتاب تاريخ الحضارة ما يلي: «لقد كتب بلين -وكان والياً في آسيا- إلى الإمبراطور «تراجان» كتاباً يدل على الطريقة التي كان بها المسيحيون قال: «جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية، وهو أني أسألهم إذا كانوا مسيحيين، فإذا اقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً بالقتل، فإن أصروا أنفذت عقوبة الإعدام فيهم، مقتنعاً بأن غلطهم الشنيع، وعنادهم الشديد يستحقان هذه العقوبة، وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب- لم تذيل أسماء أصحابها، فأنكروا أنهم

(١) انظر: قصة الحضارة (٣/٣٧٢).

نصارى، وكرروا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماءهم أمامهم، وقدموا الخمور والبخور لتمثال أتيت به عمداً مع تماثيل الأرباب بل إنهم شتموا المسيح، ويقال: إن من الصعب إكراه النصارى الحقيقيين، ومنهم من اعترفوا بأنهم نصارى، ولكنهم كانوا يثبتون بأن جريمتهم في أنهم اجتمعوا في بعض الأيام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على أنه رب، وعلى إنشاد الأناشيد إكراماً له، وتعاهدون بينهم لا على ارتكاب جرم، بل على ألا يسرقوا، ولا يقتلوا، ولا يزنوا، وأن يوفوا بعهدهم، ورأيت من الضروري لمعرفة الحقيقة أن أعذب امرأتين ذكروا أنهما خافتا الكنيسة، بيد أني لم أقف على شيء سوى خرافة مبالغ فيها» (١).

وكان المسيحيون في هذا القرن يعتبرون أنجاساً لا يسمح لهم بدخول الحمامات والمحال العامة، وكانوا -كما حصل في عهد نيرون- يلقون للوحوش الضارية، تفترسهم في مدرج عام، يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهي بمشاهدة هذه المناظر (٢).

وكان اليهود هم وراء كل هذه الاغتيالات والمؤامرات، فقد جاء في كتاب «سدر حادروردث» ما يلي:

«الحاخام الرباني يهوذا كان محبوباً لدى الإمبراطور الروماني، فذكر له عن الناصريين أنهم سبب وجود الأمراض المعدية، وبناء على ذلك تحصل على الأمر بقتل كل هؤلاء الناصريين الذين كانوا يسكنون روما

(١) نقلاً من محاضرات في النصرانية للشيخ أبي زهرة ص (٣٥-٣٦).

(٢) الاضطهاد الديني في المسيحية والغسلام ص (٣٥).

سنة ٣٩١٥ عبرية التي تعادل ١٥٥م».

وجاء في الكتاب نفسه: «أن الإمبراطور (مارك أويل) قتل جميع الناصريين بناء على إيعاز اليهود».

**القرن الثالث:**

وفي النصف الثاني من القرن الثالث تولى العرش «ديسوس» (٢٤٩-٢٥١م) وكان أشدهم جميعاً في إنزال العذاب والمحن بالمسيحيين.

يقول بطريرك الإسكندرية وقد عاين وشاهد بعض وقائع التعذيب والتشريد من قبل «ديسيوس».

«لم نكد نتنفس الصعداء حتى حلق بنا الخوف، وحفنا الخطر عندما بدل ذلك الملك الذي كان أرق دانباً وأقل شراً من غيره، وجاء مكانه ملك آخر، ربما لا يجلس على كرسي المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا، فيعمل على اضطهادنا، وقد تحقق حدسنا عندما أصدر أمراً شديد الوطأة، فعم الخوف الجميع، وفرّ بعضهم، وقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة مهما يكن ذكاؤه، وكل مسيحي يرشد عنه يؤتى به على عجل، ويقدم إلى الهيكل الأوثان، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض تقديم الضبيحة أن يكون هو الذبيحة بعد أن يجتهدوا في حمله بالترهيب... ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته، واقتدى به البعض، ومنهم من تمسك بأذيا الفرار أو من زجّ به في غيابات السجون».

ووليى «ديسيوس» من كان أقلهم بطشاً في البداية، وهو دقلديانوس أو دقيانوس كما يسميه العامة، وكان المسيحيون رجوا منه خيراً، لأن

مديره الخاص كان أحداً من المسيحيين، إلى أن فكر المسيحيون المصريون استقلال بلادهم من حكم الرومان، وعقدوا الإمرة لواحد منهم، فجاء دقلديانوس إلى مصر بسرعة فائقة، وكان غاضباً على حركة التحرير والاستقلال، فبدأ ينزل بهم أشد العذاب، وأمر بهدم الكنائس وإحراق الكتب والقبض على الأساقفة والرعاة، وزجّ بهم في السجون، وقتل في هذه الحادثة كما يذكر بعض المؤرخين ثلاثمائة ألف شخص في عام ٢٨٤م. وسمي عصره عصر الشهداء.

وفي هذه الفترة فر جماعة من المؤمنين بالتوحيد إلى الكهوف، واختفوا فيها وهم الذين يذكرهم القرآن في سورة الكهف ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾[1].

إلى أن جاء الحاكم «ثيودوسيس الثاني» (Theodosius) الذي تبوأ العرش في الفترة ما بين (٤٠٨-٤٥٠) وقد دخل في المسيحية، وكانت إفاقة هؤلاء الذين كان عددهم سبعة في حدود ٤٤٥ أو ٤٤٦ م[2]،

---

(١) سورة الكهف (٩-١٠).

(٢) وبهذا الحساب يكون زمان مكثهم في الكهف في حدود ١٦٦ سنة، ولكن يشكل قوله تعالى، فإنه أخبر أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فذهب معظم المفسرين ومنهم ابن كثير إلى أن هذا العدد هو المراد من إخبار الله تعالى عن مكث أهل الكهف، بينما ذهب غيرهم إلى أن هذه حكاية عن أهل الكتاب، ولذا =

وأقدم شهادة في هذا الموضع ما كتبه أحد المسيحيين من الشام وهو «جيمس سروجي» الذي ولد عام ٤٥٢ م أي بعد سنتين من إفاقة أهل الكهوف، وكان قسيساً كبيراً في بلاد الشام، ودوّن مواعظه باللغة السريانية عام ٤٧٢ م، وهذه الرواية وصلت إلى أيدي المفسرين مثل الطبري وغيره، فنقلوا منها كثيراً من أخبار أهل الكهف، كما ترجمت هذه المواعظ باللاتينية واليونانية، فانتشرت في الأوربا وهي المصدر الوحيد للمؤرخين الأوربيين لمعرفة قصة أهل الكهف.

كما أن كثيراً من الدعاة المسيحيين هاجروا إلى إيران فارّين بدينهم وداعين إليه، وكانت الحكومة الإيرانية قد أذنت لهم بنشر مبادئ دينهم على أن لا يدخل أحد من الفرقة الزردشتية في المسيحية.

فهؤلاء بقوا بعض الوقت في إيران بأمانة وحصانة من الحكومة الإيرانية إلى أن دخل إمبراطور الروم «قسطنطين» في المسيحية، فكان يمناً وبركة على المسيحيين، فأفرج عن جميع المسجونين، وأمر باتخاذ المسيحية ديناً رسمياً للبلاد، وعين بعض المسيحيين في المناصب الحساسة لتحويل الدولة الرومانية الوثنية إلى الدولة المسيحية.

ولما رأى المسيحيون في إيران مودة إمبراطور الروم بالمسيحية، بدأوا

---

= عقب الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ ، فلو كان مكثهم بالعدد المذكور لما قال الله تعالى بهذا القول، وهو اختيار ابن عباس، وقتادة، ومطرف بن عبد الله. انظر تفصيل ذلك في تفسير ابن جرير الطبري (١٥٢/٨).

يتشوقون إلى محبته، وكانت بين الدولتين الإيرانية والرومانية عداوة شديدة، فبدأت الحكومة الإيرانية تضطهد المسيحيين الإيرانيين بتهمة ولائهم لحاكم الروم، إلى أن انتهى الأمر بالصلح بين الدولتين عام ٣٧٦م.

وهذه الفترة التي قضاها المسيحيون في إيران كان لها أثر سيء على العقيدة المسيحية، إذ تسربت إليها خلالها العادات الوثنية الزردشتية التي سنبينها في كلامنا عن موضوع عقيدة التثليث.

**القرن الرابع:**

وأما في القرن الرابع وخاصة بعد دخول قسطنطين إمبراطور الروم في المسيحية فانقلب الأمر، فأسست الجمعيات الدينية، وكان أشدها الصليب المقدس الذي كان من هدفه استئصال جميع الرومان الكفار بالمسيح، فبدأ المسيحيون ينتقمون من الرومان الوثنيين الذين اضطهدوهم طوال ثلاثة قرون، ولم يكن المسيحيون في اضطهادهم أقل بطشاً من الحكام الرومانيين السابقين، حتى وصف هذا الدور بأنه أفظع الأدوار البشرية في التاريخ.

لم يكن هذا الاضطهاد موجهاً إلى الكفار والوثنيين فقط، بل كان موجهاً حتى إلى المسيحيين المنكرين لألوهية المسيح، فإن الحاكم الروماني الذي اعتنق دين بولس اضطهد مخالفيه من المسيحيين أشد اضطهاد.

لذا نرى أن هذا القرن وقع فيه تحول كبير في المسيحية، فقد كانت المسيحية اتجهت إلى ألوهية المسيح، وعقيدة التثليث بعد دخول بولس فيها وبعض اليهود أصحاب الأغراض الخفية، وكان الصراع مستمراً بدون

انقطاع بين المؤمنين بالمسيح الداعين إلى التوحيد، وبين أتباع بولس الداعين إلى ألوهية المسيح، وكان لبولس تأثير كبير في الكتب التي ألفت في فترة الاضطهاد، وخاصة الأناجيل والرسائل، لذا نرى فيها بعض التناقض الظاهر في الأسلوب والتعبير والمفاهيم كما كان ذلك سبباً في ضياع الأسانيد.

يقول الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه: «إظهار الحق»: «طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل، فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بين وبينهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن، يقولون بالظن، ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت: إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً، فما داموا لم يأتوا بدليل شاف، وسند متصل، فمجرد المنع يكفينا، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا».

والحق أن تلك الاضطهادات جعلتهم يؤلفون الكتب في ظلام الليل سراً، فأدخلوا فيها ما شاءوا، وحذفوا منها ما شاءوا، وكذبوا، وافتروا على لسان المسيح والحواريين، والتلاميذ، لأن المراقبة المفروضة عليهم بوجود السند كانت مفقودة.

وكذلك الأفواج من الرومان والمصريين الذين دخلوا في المسيحية في القرن الأول، وكانت الفلسفة الرومانية الوثنية والإغريقية مسيطرة على عقولهم، فتأثرت المسيحية بهذه الفلسفات الأجنبية في المسائل الألوهية،

مثل ألوهية المسيح، وعقيدة الثليث.

ولذلك يدعي المستشرق «جوتيه» (GAUTHIER) في كتابه «المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية» بأن التثليث ليس من المسيحية، بل هي من الفلسفة الإغريقية، وسأشرح هذه القضية في موضوع التثليث إن شاء الله.

## المسيح في القرآن الكريم

بعد ما انتهينا من سرد تاريخ المسيح ودعوته في العهد الجديد يحسن بنا أن نذكر المسيح ودعوته كما صورهما القرآن الكريم، وهو آخر كتاب أنزله الله ليكون هدى ونوراً للعالمين.

**أم عيسى مريم وحياتها:**

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ

---

(١) سورة آل عمران (٣٥-٣٧).

نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

**ولادة المسيح عليه السلام:**

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا

[1] سورة آل عمران (٤٢-٤٤).

كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

**من معجزات المسيح ﷺ:**

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ

(١) سورة مريم الآيات (١٦-٢٨).

(٢) سورة مريم (٢٧-٣٠).

(٣) سورة آل عمران (٤٩).

فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [1].

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [2].

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [3].

**عيسى نبي من أنبياء بني إسرائيل:**

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾ [4].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [5].

---

(١) سورة المائدة (١١٤-١١٥).

(٢) سورة البقرة (٨٧).

(٣) سورة المائدة (١١٠).

(٤) سورة آل عمران (٤٩).

(٥) سورة الصف (٦).

﴿ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (١).

**دعوة عيسى عليه السلام:**

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٢).

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٣).

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤).

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ

---

(١) سورة الزخرف (٥٩).

(٢) سورة المائدة (٧٢).

(٣) سورة آل عمران (٥٠-٥١).

(٤) سورة الزخرف (٦٣-٦٤).

فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[١].

**ليس المسيح إلا عبداً لله ورسولاً من رسله:**

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[٢].

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[٣].

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾[٤].

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

---

(١) سورة آل عمران (٥٢-٥٣).

(٢) سورة النساء (١٧١).

(٣) سورة المائدة (٧٥).

(٤) سورة النساء (١٧٢).

قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (٢).

**نزول الإنجيل على المسيح:**

﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (٣).

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ (٤).

**تبشير المسيح بمحمد رسول الله بعده:**

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (٥).

ولما جاء هذا الرسول كفروا به:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟

(١) سورة مريم (٣٠-٣٤).

(٢) سورة الزخرف (٥٩).

(٣) سورة الحديد (٢٧).

(٤) سورة المائدة (٤٦).

(٥) سورة الصف (٦).

كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١).

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢).

﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ (٣).

**تكفير من تأله المسيح:**

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ ﴾ (٤).

﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة (٨٩).

(٢) سورة البقرة (١٠١).

(٣) سورة البقرة (١٠٩).

(٤) سورة المائدة (١٧).

(٥) سورة المائدة (٧٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ... ﴾[1].

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾[2].

**إنكار القرآن على الغلاة من أهل الكتاب:**

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[3].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا

---

(١) سورة المائدة (١١٦-١١٧).

(٢) سورة التوبة (٣١).

(٣) سورة النساء (١٧١).

تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[1].

وذلك أن ولادة المسيح من غير أب كانت سبباً في اختلاف واسع الشقة، فبينما يزعم اليهود أن المسيح لقيط، وأن أمه بغي أتت به من الزنا، يذهب النصارى إلى ان عيسى إله في صورة البشر، جاء ليخلص بني آدم من خطيئتهم منذ خلق آدم إلى يوم القيامة، فنزل القرآن ليبين فساد اعتقاد الفريقين، وينسبهما إلى الغلو القبيح والشرود عن الحق، والبعد عن سواء السبيل.

**ما صلبوا المسيح بل رفعه الله إليه:**

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾[2].

**نزول المسيح قبل القيامة:**

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة (٧٧).

(٢) سورة النساء (١٥٧-١٥٨).

(٣) سورة النساء (١٥٩).

# تأثير بولس اليهودي في المسيحية
# وانتقالها من التوحيد إلى الوثنية

كانت دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد الخالص كدعوة سائر الأنبياء والمرسلين. والحواريون والتلاميذ الذين رفع عنهم المسيح كلهم كانوا على ذلك التوحيد، إلى أن دخل بولس الرسول في المسيحية، وكان قبل ذلك من اليهود الفريسيين المتعصبين على النصرانية، وكان ولد في طرسوس، وتربى في أورشليم واسمه الأصلي شاول[1].

ولم يكن هذا اليهودي المتعصب من تلامذة المسيح أو حواريه، بل لم ير المسيح في حياته أبداً، ولم يسمع منه أي موعظة، وكان عدواً لدوداً للمسيحيين، ويضطهدهم على استمرار، وقد حكى ذلك عن نفسه في سفر أعمال الرسل، حيث يقول أنه سافر من أورشليم إلى دمشق ليأتي بالمسيحيين، ويسلمهم إلى السجون وساحات التعذيب.

---

(١) لا نعرف كثيراً عن حياة بولس إلا ما ذكره هو عن نفسه في بعض رسائله منها أنه يقول: ((ومن جهة الختان: مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل: من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، من الناموس: فريسي، من جهة الغيرة: مضطهد الكنيسة)).

وكان أبوه متمتعاً بالرعوية اليونانية، وكانت مدينة طرسوس يومئذ مركزاً ثقافياً، نشطت فيها الفلسفة الرواقية، فتربى بولس في هذا الجو الفلسفي اليوناني، وأخذ حظاً وافراً من هذه العلوم الفلسفية التي انعكس أثرها في أفكار بولس بعد دخوله في المسيحية.

وإليكم ما ذكره عن نفسه:

١- وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرا ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استافانوس (اسم يوناني معناه «تاج» أو «إكليل من الزهور») وعملوا عليه مناحة عظيمة.

وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن[١].

٢- يقول بولس عن نفسه في رسالته إلى أهل غلاطية (ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى): فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليد أشأبال[٢].

٣- يقول في سفر أعمال الرسل: أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم[٣].

٤-ويقول بولس في أعمال الرسل: أيها الرجال الإخوة والآباء اسمعوا

---

(١) أعمال الرسل (٨/١-٣).

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١/١٣-١٤).

(٣) سفر أعمال الرسل (٩/١-٣).

احتجاجي الآن لديكم، فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية، أعطوا سكوتاً أحرى، فقال: أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية (ولاية في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى) ولكن ربيت في هذه المدينة، مؤدباً عند رجلي غمالائيل (وهو حاخام يهودي، كان أحد معلمي بولس في الشريعة، وقد مات في منتصف القرن الأول) على تحقيق الناموس الأبوي، وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، مقيداً مسلماً إلى السجون رجالاً ونساء، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم رسائل للإخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا [١].

هكذا كانت حياة هذا اليهودي في فتك المسيحيين، واضطهادهم وقتلهم وتشريدهم، ولما لم يتمكن من استئصال جذور المسيحية من قلوب المؤمنين بالمسيح، اختار حيلة غيرت تاريخ المسيحية من فجر تاريخها.

فأعلن دخوله في المسيحية فجأة بغير تمهيد، وفي ذلك يحكي عن نفسه: «فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي: أنا يسوع شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا

---

(١) أعمال الرسل (٢٢/١/٦).

معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني، فقلت: ماذا أفعل يا رب؟ فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل، وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي، فجئت إلى دمشق» (١).

ويقول لوقا عن دخول بولس في المسيحية:

«وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن تَرْفُسَ مَنَاخِس، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك: ماذا ينبغي أن تفعل.

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب» (٢).

يذكر لوقا بعد ذكره نهاية هذه القصة جملة غيرت تاريخ المسيحية رأساً على عقب، وأخرجتها من أديان التوحيد إلى أديان الوثنية والمجوسية، وهي قوله: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنّ هذا هو ابن الله، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي

---

(١) أعمال الرسل (٢٢/٧/١١).

(٢) أعمال الرسل (٩/٤-٩).

أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم» [١].

كرز يكرِز -بكسر الراء- وعظ ونادى ببشارة الإنجيل وهي لفظة سريانية. ولم تقع دعوة بولس موقع القبول لدى تلاميذ المسيح وحوارييه، ولكنهم جميعاً شكوا في قول بولس ودعوته إلى نبوة المسيح. يقول العالم الفرنسي: «موريس بوكاي»: «إن بولس اعتبر خائناً لفكرة المسيح، كما وصفته بذلك اسرة المسيح والحواريون الذين بقول بالقدس حول «جاك» (JACQUES) (وجاك هذا كان قريباً للمسيح، وقد انتخب رئيساً للجماعة المسيحية بعد المسيح في حدود ٧٠م)، وذلك لأنه ق كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه، ولما لم يكن قد عرف المسيح في حياته، فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق» [٢].

ويقول «آرتست دي يونس الألماني» في كتابه «الإسلام»:

«إن روايات الصلب والفداء من مخترعات بولس ومن شابهه من المنافقين».

ويقول السيد «محمد زكي الدين النجار بطهطا»: (الذي كان مسيحياً ثم دخل في الإسلام): في كتابه «الإسلام نور الأكوان»: «إن من عجيب ما صنعه اليهود أن أثيماً منهم اسمه شاول حارب المسيحية، فقتل المؤمنين، وآذى الحواريين، ولما لم يقض على النصرانية بهذا الاضطهاد، ولم يفلح

---

(١) أعمال الرسل (٩/٢١-٢٢).

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص (٧٣).

في رد المؤمنين عن الحق الذي آمنوا به، عمد إلى حيلة تمكنه من هدم الدين من أساسه والقضاء عليه، فتظاهر بأنه من أتباع المسيح، وتسمى باسم بولس، وجعل يضلل الناس في عقائدهم كما جاء في سفر الأعمال»[١]. وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله» [٢].

وقد شك التلاميذ في صدق دعوى بولس بإيمانه بالمسيحية؛ لأنهم رأوا منه ما يخالف ذلك. فقد كان قبل هذا اليوم يقوم باضطهاد المسيحيين وتسليمهم إلى الحكام الرومانيين، ثم تحول صدفة إلى المسيحية، إلا أن برنابا أقنعهم بأنه كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه. ومن ذلك الوقت صارت لبولس قوة فعالة وحركة مستمرة في الدعاية للمسيحية بصحبة برنابا في رحلات كثيرة، إلا أن برنابا أيضاً لم يصبر على بدعه وخرافاته، وخاصة في دعوته لنبوة المسيح إلا أن أعلن براءته منه.

يقول برنابا في إنجيله: «كانوا عديمي التقوى والإيمان الذين قالوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم جنس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس» [٣].

كما أنكر بطرس رئيس الحواريين على بولس دعوته في آخر رسالته الثانية، إذ يقول فيها: «لذلك أيها الأحباء إذ أنتم منتظرون هذه اجتَهِدُوا

---

(١) سفر أعمال الرسل (٩/٢٠).

(٢) انظر: النصرانية والإسلام ص (٢٧٣).

(٣) إنجيل برنابا– مقدمة برنابا لإنجيله (٣-٧).

لِتُوجَدوا عنده بلا دَنَسٍ ولا عيبٍ في سلام، وأحسبوا أناةَ ربِّنا خلاصاً كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عَسِرَةُ الفهم، يحرفها غيرُ العلماء، وغير الثّابِتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم» (١).

ولوجود هذه المقاومة من قبل برنابا وبطرس لدعوة بولس، فإن المسيحيين في الشرق لم يتأثروا بدعوة بولس، ولذا التجأ إلى الشعوب الأوروبية، فصار يبث بينهم تعاليمه شيئاً فشيئاً، فأباح لهم كافة المحرمات، ورفع عنهم جميع التكاليف من الشريعة الموسوية، فوافق مذهبه أهواء الوثنيين في أوروبا، فكثر تابعوه ومقلدوه في حياته وبعد مماته.

وأما أهل آسيا فينعى عليهم بولس بقوله في رسالته إلى تيموثاوس (معناه باللغة اليونانية: عابد الله وهو اسم رفيق بولس ومساعده): «أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني» (٢).

### مصادر معارف بولس:

لم يكن بولس -كما بينا سابقاً- تلميذاً للمسيح، ولم يسمع موعظة من مواعظه، بل بقي على كفره وعناده طيلة حياة المسيح، ولم تبين أيضاً المصادر المسيحية الموثوق بها تاريخياً منابع معارف بولس ومبادئه، مع أن رسائله البالغ عددها أربع عشرة تحتل جزءاً كبيراً من الكتاب المقدس،

---

(١) رسالة بطرس الثانية (٣/١٤-١٦).

(٢) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (١/١٥).

وتشتمل على مبادئ في العقيدة والشريعة وأصول الدين للمسيحيين في حياتهم الخاصة والعامة من العبادة والأحكام، ففيها التسابيح والأغاني الروحية والمزامير والتراتيل، كما فيها ما يتعلق بالنكاح والزواج والطلاق، ومع هذا فإن المصادر المسيحية لم تبين حتى الآن منابع معارف بولس، اللهم إلا أن يقال: إنه تعلم هذه المبادئ والأحكام من السيد المسيح مباشرة عن طرق الوحي كما يدعي هو نفسه ويقول: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح» [1].

وأما بدراسة مبادئ بولس فيظهر أنه أخذها من الرومان الوثنيين الذين كانوا يسجدون للشمس والنار، ومن البراهمة الهنود الذين يقولون بثلاثة أقانيم، ومن الفلاسفة الإغريقيين.

هكذا اخترع هذا اليهودي المتعصب ديناً جديداً، وأصبح معلماً كبيراً، وادعى أن السيد المسيح علمه مباشرة، وبمقابل مبادئه الوثنية اهتدى قليل من المسيحيين إلى التوحيد، ونفي ألوهية المسيح كبطرس وبرنابا، إلى أن طلع القرن الرابع، وحمل لواءه أريوس المصري (ARIVS) المتوفى سنة ثلاثمائة وستة وثلاثين (٣٣٦ م)، والذي ينتسب إليه أريسيون، وكان أريوس هذا قسيساً في كنيسة الإسكندرية، يدعو إلى إنكار ألوهية المسيح، وكان قوي الحجة في تقريره أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله، إنما هو بشر مخلوق، وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من

(١) رسالة بولس إلى غلاطية (١/١١).

عبارات توهم ألوهية المسيح، إذ إن هذه الأناجيل ألفت بعد عشرات السنين من رسائل بولس الإلحادية، فلا يستبعد أن يقتبس كُتّاب الأناجيل من هذه الرسائل، ولذلك كان القديس جوستين الذي عاش في منتصف القرن الثاني يطلق على الأناجيل اسم «مذكرات الرسل».

وما أن طلع القرن الرابع الميلادي إلا اشتد الصراع بين أتباع بولس وأريوس، فبلغ منتهاه، وأريقت في سبيله دماء آلاف من الأبرياء. إلى أن جاء قسطنطين الأعظم حاكم الرومان، وأعلن دخوله في المسيحية، فأمر بعقد مجمع ديني يضم الممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي للفصل في أمر الخلاف بين أتباع أريوس ومعارضيه، فاجتمع في نيقيا (NICAEA) ألفان وثمانية وأربعون من الأساقفة، ولكنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً، ولم يستطيعوا الإجماع على شيء.

يصف «يوسابيوس القيصري» أحد معاصري قسطنطين هذا الوضع بقوله: «وسرى نفس الخلل إلى سائر الأرجاء البعيدة، لأن مثيري النزاع في الإسكندرية أرسلوا سفراء عنهم إلى أساقفة الأقطار المختلفة الذين شايعوا أحد الطرفين، واشتركوا في نفس روح المنازعة» [1].

ويصف نفس المصنف الوضع الذي وصل إليه الشعب المسيحي بقوله: «لأن الأساقفة في كل مدينة كانوا في الواقع يتنازعون مع الأساقفة، وشعب يقوم ضد شعب، وأصبحوا يتصادمون بعضهم مع بعض مثل الصخور الخرافية، بل إن البعض كانوا يذهبون إلى ما وراء حدود العقل

---

(١) حياة قسطنطين العظيم ص (٧٣).

بطياشة وروح ثورية»[1].

فمنهم من كان يقول: «المسيح ومريم إلهان من دون الله».

ومنهم من يقول: «إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار توقدت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية منها».

ومنهم من يقول: «لم تحبل مريم لتسعة أشهر، وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب، لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من فرجها لساعتها».

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة: صالح وطالح وعدل بينهما.

ومنهم من كان يقول: «ربنا وإلهنا يسوع المسيح».

ومنهم من يقول: «إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره» ، وإن ابتداء الابن من مريم، وإنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنساني، صحبته النعمة الإلهية، فخلق منها بالمحبة والمشيئة، فلذلك سمي ابن الله».

ومنهم من كان يقول: «إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس» .

ومنهم من كان يقول: «إن المسيح إله حق، وإنسان حق، بطبيعتين مختلفتين ومشيئتين كذلك».

ومنهم من كان يقول: «إنه بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة»[2]. إلى غير ذلك من الآراء.

---

(١) حياة قسطنطين العظيم ص (٨٥).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٢٢-٢٣).

فكلٌّ يدافع عن رأيه ويناظر، وينكر على الآخرين ويكفرهم. واشتد الخلاف بينهم حتى لعن بعضهم بعضاً، فانسحب كثير منهم من المسيح فلم يبق إلا ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً.

ويظهر أن قسطنطين كان مائلاً إلى الرأي القائل بألوهية المسيح، لأنه كان قبل هذا وثنياً، ثم دخل في المسيحية، فوافقت نزعته الوثنية ألوهية المسيح(١)، فاختار من بين المجتمعين ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً من أشد أنصار هذا المذهب، وألف منهم مجلساً خاصاً، وعهد إليهم أمر الفصل في هذا الخلاف، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم مما فيه قوم الدين وصلاح المؤمنين. فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذبّ عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها السنن والشرائع، وفيها ما يصلح للملك أن يعمل به. وانتهى هؤلاء إلى عدة قرارات، كان أهمها

(١) المؤرخون لا يزالون يشكون في دخول قسطنطين في المسيحية عن قناعة بدين النصارى، والظن الغالب أنه دخل في المسيحية لحكمة سياسية وهي أنه نال بعض الانتصارات في المعارك الحربية بمساعدة المسيحيين ضد الوثنيين، وكانت أمه «هلينا» دخلت في المسيحية، وبينت لولدها بعض فضائل المسيحية، فلم يكن أمام قسطنطين إلا أن يعلن دخوله في المسيحية لينال عطف المسيحيين، وأما عقيدته فبقيت كما كانت وثنية، لذا بقي محيطاً نفسه بالعلماء والفلاسفة الوثنيين، وأكبر دليل على ذلك أنه في مجمع نيقيا قَبِل الفكرة الوثنية في دين المسيح، ولم يقبل دعوة التوحيد كما كان يتوقع من مثله الذي تنفر من الشرك والوثنية النجسة، كما أنه لم يثبت أنه أخذ الاصطباغ حسب الطقوس المسيحية للمتنصرين الجدد.

القرار الخاص بألوهية المسيح وتكفير أريوس وأتباعه، وتحريم مطالعة جميع الكتب التي لا تثبت ألوهية المسيح، وإحراق كتب أريوس جميعها، وأن إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام[1].

يقول المطران «ثاوفيلس المرقصي» في كتابه المخطوط[2]: «بستان الأزهار في تفسير الشعار» إنه بعد وفاة المسيح بحوالي سبعين سنة عندما بدأ مرقص الرسول في كتابة إنجيله، بدأ معه الخلاف في الرأي، ثم تطور الخلاف حتى بلغ أشده سنة ٣٢٥ م، عندما اجتمع مجمع ضم جميع طوائف المسيحية في الشرق والغرب، واتفق الجميع بعد المدارسة والمناقشة على الخطوط الرئيسية للمسيحية من ناحية العقائد، والكتب المقدسة، واتفقوا على المبادئ الآتية:

١- الاعتراف بالثالوث: الأب، والابن، والروح القدس، شعاراً للمسيحية.

٢- الإيمان بأن المسيح جاء لتخليص العالم من خطيئة آدم المتوارثة.

٣- كون المعمودية سواء برش الماء، أو غمر جزء كبير من الجسم فيه بعد صلاة الكاهن على ذلك الماء ركناً من أركان المسيحية الأساسية، وذلك نسبة إلى تعمد المسيح على يد يوحنا المعمدان «يحيى عليه السلام» في بحر الشرقية -نهر الأردن.

---

(١) قصة الحضارة (٣/٣٩٦).

(٢) هذا المخطوط محفوظ بمكتبة الدير المحرق تحت رقم (١٠٣) من مؤلفات الآباء المرقصيين، ومكتوب باللغة القبطية، وكل صحيفة أمامها صحيفة ترجمتها باللغة العربية الدارجة بخط المؤلف.

٤- المناولة: وهي أن كل القرابين رمز لجسد المسيح، وأن شرب الخمر المعتقة إشارة إلى دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ووجه بطرك رومية من عنده رجلين، فاتفقوا على نفي «أريوس» وأصحابه ولعنوهم، وكل من قال مقالته، ووضعوا الأمانة، وثبتوا أن الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق، واتفقوا على أن يكون فصح النصارى في يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، ثم قال: وسن قسطنطين الملك ثلاث سنن:

إحداها: كسر الأصنام، وقتل كل من يعبدها.

والثانية: أن لا يقت في الديوان إلا أولاد النصارى، ويكونون أمراء وقواداً.

والثالثة: أن يقيم الناس جمعة الفصح، والجمعة التي بعدها، لا يعملون فيها عملاً، ولا يكون فيها حرب» (٢).

هكذا سقطت كنيسة أسيوط، وكنيسة مقدونية، وكنيسة فلسطين، وكلها كانت تدعو إلى أن المسيح إنسان مخلوق على رأي أريوس، وقتل خلق كثير من اليهود الذين لم يتنصروا، كما ذبحت الخنازير، وطبخت ووزع لحمها على أبواب الكنائس، فكل من خرج يوم الفصح من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير، فمن لم يأكل منه كان مصيره القتل.

---

(١) انظر: الأديان في كفة الميزان ص (٤٥).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٢٤-٢٥).

إلا أن أصحاب أريوس، وإن كانوا اختفوا بعض الوقت، خوفاً من السيوف والسياط، فإنهم سرعان ما اجتمعوا بعد وفاة قسطنطين، فتقدموا أمام الملك الجديد وهو قسطنطين ابن الملك قسطنطين وقالوا له: إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا، وحادوا عن الحق في قولهم: إن الابن متفق مع الأب في الجوهر، فتأمر أن لا يقال هذا، فإنه خطأ، فأراد الملك أن يفعل ذلك(١). ولكن كتب إليه أسقف بيت المقدس وقال: في أيام أبيك السعيد ظهر صليب كواكب من السماء في نصف النهار، وفي أيامك ظهر أيها الملك على الأقرانيين -وهوالجلجلة- صليب من نور يفوق نوره نور الشمس في نصف النهار، وقال: إن أصحاب أريوس حائدون عن الحق كفار، قد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، ولعنوا كل من يقول مقالتهم، فقبل منه الملك(٢).

وهنا بعض التساؤلات حول هذا المجمع وهي:

١- هل للمجمع أن يحرم ويحلل بدون الرجوع إلى النصوص؟

٢- ما قيمة رأي الملك الذي تظاهر بالمسيحية، ولم يكن قديساً ولا قسيساً؟

٣- كيف نثق بما قاله أسقف بيت المقدس في رسالته إلى قسطنطين بن قسطنطين في ظهور الصليب من السماء؟

٤- كيف نثق بالأسقف «أوسابيوس» الذي قرر ألوهية المسيح أمام

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٢٩).

(٢) المصدر السابق (٣/٣٠)، وهداية الحيارى ص (١٧٧).

الملك خوفاً من سيفه لما رآه مائلاً إلى ذلك، ثم ذهب يدعو إلى مذهب «أريوس» المنكر لألوهية المسيح؟ هذه التساؤلات وغيرها تثير الشكوك والشبهات حول قرارات هذا المجمع.

ولم يقرر في هذا المجمع موضوع ألوهية الروح القدس، ومن أجل ذلك نشب حوله خلاف كبير بين أتباع المسيح مرة أخرى، فاجتمع في القسطنطينية مجمع آخر عام ٣٨١ م بأمر من الملك «تيئودوسيوس» الكبير، واشتهر باسم المجمع القسطنطيني الأول، وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفاً، فنظروا وبحثوا في مقولة «مكونيوس» (١) فوجدوها أن روح القدس مخلوق ومصنوع ليس بإله، فقال بطريك الإسكندرية: ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي، وذلك كفر به، فلعنوا جميع من يقول بهذه المقالة، ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبطارقتهم كانوا يقولون بمقالات آخر لم يرتضوها، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من إله حق، من طبيعة الأب والابن،جوهر واحد، وطبيعة واحدة، وزادو في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر «نؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الأب منبثق، الذي مع الأب والابن وهو مسجود وممجد».

هكذا انتهى هذا المجمع إلى الإقرار بألوهية روح القدس، وبينوا أن

(١) وهو من بطريك القسطنطينية الذي كان ينادي بها ويذيع أتباعه بأن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات.

الابن والأب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص، وأنها وحدة في تثليث، وتثليث في وحدة. وانتهى الأمر بإدانة «مكونيوس» ومن كان على رأيه من الأساقفة.

ويلخص الشهرستاني في الملل والنحل مفهوم القرارين بالعبارة التالية:

«نؤمن بالله الواحد، الأب، مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء من أجلنا، ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وحبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس، ودفن، ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين» [(١)].

وبذلك تقرر التثليث في الديانة المسيحية، وخرجت من دين التوحيد إلى دين الوثنية، واصبحت عقيدتها هذه عقيدة رسمية، يجب أن يعتنقها كل مسيحي، ويحكم بكفر من يقول بغيرها.

انتهى القرن الرابع والخامس بعد القرارين المذكورين بالمذاكرة

---

(١) الملل والنحل (٢/٦٣-٦٤).

والمناقشة وكتابة الشروح وتوضيح الغموض حتى سمي هذا العصر عند المسيحيين: «عهد المؤتمرات» (AGE OF CONCILS PERIOD) .

وفي القرن السادس انقسمت الدولة المسيحية أو الحكومة الوثنية إلى قسمين كبيرين: القسم الشرقي، والقسم الغربي، ويضم القسم الشرقي: البلقان، واليونان، ومصر، والحبشة، وبعض دول آسيا، وكانت عاصمته قسطنطينية، وسمي الراهب الأكبر في الكنيسة الشرقية «البطريك» وأما القسم الغربي فكان يضم أكثر الدول الأوروبية، وكانت عاصمته روما، وسمي الراهب الأكبر في الكنيسة الرومانية «بابا» ، ثم وقع صراع شديد بين الكنيستين الشرقية والغربية في ميادين السياسة، والاجتماع، والدين، حتى جاء دور الإسلام الْمُشْرِق، فأزال الوثنية النصرانية من الكنيسة الشرقية وخاصة من الجزيرة العربية، ولله الحمد.

## خلاصة ما أحدثه بولس في المسيحية

١) نقلها من التوحيد إلى التثليث.

٢) دعا إلى ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

٣) اخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر.

٤) جعل يوم الأحد مقدساً عند المسيحيين بحجة أنه قام فيه من القبر بدلاً من يوم السبت الذي كان مقدساً عند اليهود.

٥) جعل التشريع حقاً للرؤساء الروحانيين بعد أن كان للأنبياء والرسل، كما جعل فصل النزاع حقاً للمجامع المسكونية، وقد بلغ عدد المجامع حتى الآن عشرين مجمعاً أوله مجمع نيقيا ٣٢٥ م، وآخره مجمع روما ١٨٦٩ م الذي قرر عصمة البابا، فمن ذلك التاريخ جلس بابا الكنيسة في روما على كرسي بطرس، واصبح حكمه قطعياً، ومن القرارات السياسية الهامة التي اتخذتها كنيسة روما حديثاً تبرئة اليهود من دم المسيح.

٦) أعلن بنسخ التوراة لما وجد مقاومة شديدة من اليهود والمسيحين على السواء، وذلك تمهيداً لإدخال الوثنيين في المسيحية؛ لأن التوراة كانت حاجزة قوية في طريق بولس، وأعلن أمام الوثنيين بأن الإيمان بالمسيح يكفي للنجاة.

يقول في رسالته إلى أهل غلاطية:

«ولكن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البارّ بالإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها،

المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح» [١].

وانطلاقاً من نسخه التوراة استطاع بولس أن يلغي كثيراً من الأحكام كانت معروفة لدى اليهود والمسيح نفسه، ومنها: حكم الختان، يقول بولس:

«ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً، لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس» [٢].

ويقول أيضاً: «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظراً حسناً في الجسم هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلا يضطهدون لأجل صليب المسيح فقط... ثم يقول: لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا العزلة، بل الخليقة الجديدة» [٣].

هكذا ألغى بولس حكم الختان كما أباح للمسيحيين الجدد الداخلين في دينه أكل لحم الخنزير، وكان محرماً في الشريعة الموسوية [٤].

هكذا عمل بولس ونسخ شريعة التوراة، وألغى أحكامها، بينما أعلن

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٣/١١-١٣).

(٢) المصدر السابق (٥/٢-٣).

(٣) المصدر السابق (٦/١٢-١٥).

(٤) انظر على سبيل المثال: أمثال (١) (١١/٢٢)، ومتى (٧/٦) ورسالة بطرس الثانية (٢/٢٢).

المسيح أنه لم يأت لينسخ التوراة، يقول متى على لسان المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» [1].

يقول سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، من رجال القرن السابع الهجري في كتابه «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث»:

«وتغيير أحكام التوراة كإباحة لحم الخنزير، وترك الختان، والغسل مروي عن الحواريين، لا عن السيد المسيح، فإنه لم يزل متمسكاً بأحكامها إلى أن قبضت عليه اليهود، وكان يأمر بها وقال: ما جئت لأنقضها، وحيث أنكروا عليه توهموه تفريطاً في بعض أحكامها بين لهم أنه ليس بتفريط، وأوضح لهم ذلك مما يقضيه فقههم وشرعهم كما هو مذكور في الإنجيل، وبقي أصحابه على التمسك بها مدة طويلة إلى أن أظهروا المخالفة لها والإعلان بنسخها، وأنها إنما كان يلزم العمل بها إلى حين ظهور السيد المسيح لا غير، وأكثر ذلك عن رأي بولس الرسول» [2].

ولما فشل بولس في إقناع الشرقيين من اليهود والنصارى على السواء، توجه إلى الأقطار الأوروبية، وأحدث في المسيحية فكرة جديدة وهي: عالمية المسيح، بينما كانت دعوة المسيح لليهود فقط.

وكان بعض الوثنيين عيروهم بالمسيحيين فقال بطرس مخاطباً لهم:

---

(١) إنجيل متى (٥/١٧-١٨).

(٢) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص (٥٤).

«وإن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم» (١)، ولذا نرى أن القرآن الكريم تجنب هذا الاسم وخاطبهم بوصفهم الصحيح وهو «النصارى».

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٢).

وقد أكد غير واحد من العلماء أن المسيحية كانت تعتبر فرقة من فرق اليهود إلى حدود ٧٠م، وتسمى «النصرانية» (٣). لأن الأناجيل الموجودة تعلن على لسان المسيح أنه ما جاء إلا لإصلاح اليهود. ففي إنجيل متى: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (٤). وفي إنجيل برنابا: «وقد أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء» ، لذا اختار المسيح اثني عشر تلميذاً بعدد أسباط اليهود، ففي إنجيل متى: «فأجاب بطرس

---

(١) رسالة بطرس الأولى (١٦/٤).

(٢) سورة آل عمران (٥٢).

(٣) انظر: فجر المسيحية ص (٧٢) لمؤلفه: بروس، و:

(HISTORY OF CHRISTIANITY VOL: ١, P. ٣٧٧) ويقول شارل جنبير: «المسيحية حركة يهودية، وهي تبدو أولاً وعلى وجه التخصيص كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود، وتتميز بها البيئة الفلسطينية، ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودي، وقد بدأت بهذه الحركة».

انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص (٢٥).

(٤) إنجيل متى (٢٤/١٥).

حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا، فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان(١) على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (٢).

وفي إنجيل متى أيضاً: «وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، إلى مدينة السامريين، لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (٣).

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة في عدة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾ (٥) إلى

(١) يقصد المسيح نفسه، لأنه ابن الإنسان المخلوق، وليس بإله خالق كما يدعي المسيحيون.

(٢) إنجيل متى (١٩/٢٧-٢٨).

(٣) إنجيل متى (١٠/٥-٦).

(٤) سورة آل عمران (٤٩).

(٥) سورة الصف (٦).

آيات كثيرة تؤكد أن دعوة المسيح إنما كانت لليهود خاصة، وعلى هذه الفكرة كان الحواريون والتلاميذ إلى أن جاء بولس فغير هذه المفاهيم، والكُتّاب المسيحيون يعترفون بهذا في كتبهم.

يقول حبيب سعيد المسيحي المؤرخ المتعصب في كتابه «أديان العالم»: «إن الإنجيل في جوهره رسالة جامعة شاملة، فليس فيها ما يقتصر فقط على أمة واحدة أو جنس واحد، أو طبقة واحدة من الناس، ولم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية، وعرف أنها لليهودي، والأممي، والبربري، واليوناني، والذكر والأنثى على دون تفريق أو تمييز، إن إعلان الله في المسيح قد خلا من كل نعرة عنصرية أو نزعة ضيقة هو يسع البشرية قاطبة، وإنجيل الخلاص من الخطيئة لجميع الناس» [1]. وهو رأي «وليم باثون» أيضاً في كتابه: «أديان العالم الكبرى» ، إلا أن بولس لم يأت بشيء من كلام سيدنا المسيح دليلاً لما ذهب إليه من عالمية المسيحية.

---

(١) أديان العالم ص (٢٨٤).

# المصادر النصرانية

لقد استقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة، وأطلقوا عليها اسم العهد الجديد (NEW TEST MENT) وهذا الاسم في مقابل العهد القديم (OLD TEST MENT) وهي أسفار مقدسة لدى اليهود.

ويضم «الكتاب المقدس» (HOLY BIBLE) أسفار العهدين. والمسيحيون يدعون الإيمان بالكتاب المقدس.

وقد درسنا العهد القديم، والآن ندرس العهد الجديد.

فأسفار العهد الجديد تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أو ثلاث مجموعات وسفرين.

المجموع الأول: الأناجيل الأربعة.

والمجموع الثاني: مجموعة رسائل بولس، وهي أربع عشرة رسالة.

والمجموع الثالث: الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل.

وأما السفران:

فالسفر الأول: سفر أعمال الرسل، للوقا.

السفر الثاني: سفر رؤيا يوحنا.

إن الكتب المسيحية ألفت في قاتم التاريخ، وذلك لسببين رئيسيين:

أحدهما: استمرار اضطهاد المسيحيين.

وثانيهما: اغتنام بولس هذه الفرصة.

**السبب الأول**: وهو اضطهاد المسيحيين، لقد سبق القول بأن المسيحيين واجهوا كثيراً من الاضطهادات والشدائد من قبل الحكام الروم، والفئات اليهودية منذ بدأ السيد المسيح دعوته بين اليهود، إلى أن انتهى أمره بصدور حكم الإعدام عليه، ولم تنته هذه الاضطهادات بنهاية المسيح، بل استمرت إلى القرون المتأخرة، وبالتحديد إلى أوائل القرن الرابع الميلادي.

وهذا الظلام سنح للكُتّاب أن يكتبوا ما يشاءون، ويحذفوا منها ما يشاءون، لأن الرقابة المفروضة عليهم من قبل المجتمع المسيحي الحقيقي كانت قد انتهت، ولم يبق هناك رادع يمنع الكتاب والمؤرخين والدجاجلة والوضاعين عن تصرفاتهم الخبيثة.

وقد اعتذر بعض المسيحيين عن الاضطرابات والتناقضات الموجودة في الأناجيل بأنها دونت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى.

**والسبب الثاني**: وهو اغتنام بولس هذه الظروف المحيطة بالمسيحية، وأوضاع ضعف المسيحيين، فادعى كذباً دخوله في المسيحية، وقد كان له ثقافات عالية في الديانة الرومانية الوثنية، كما كان له اتصال بالفلاسفة الرواقيين، وهم أتباع زينون (ZENON) مؤسس المدرسة الرواقية في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد كان المذهب الرواقي سائداً في أثينا في القرن الثاني قبل الميلاد، ومنه انتقل إلى المستعمرات الرومانية.

وكان هذا المذهب يدعو إلى الاعتراف بوجود روح يدير العالم، ثم يقرر أن يكون هذا الروح جزءاً من العالم يسري في مادته سريان الماء في

العود، أو النار في الجمر، ثم انتهى القول بأن العنصرين المادي والروحي في الكون، ليس لأحدهما وجود مستقل بذاته، بل يتألف منهما شيء واحد وهو الوجود الحقيقي، وهو ما يسمى عند الرواقيين بوحدة الوجود.

وقد كان لبولس حظ وافر من هذه الفلسفة قبل دخوله في المسيحية، فخلّط دين التوحيد بالوثنية، وملأ رسائله ومواعظه بالفلسفة الإلحادية الرواقية.

وما كان كُتّاب الأناجيل من تلامذة المسيح مباشرة، فاقتبسوا من أفكار بولس الإلحادية والوثنية أشياء كثيرة، ونسبوها إلى السيد المسيح على غفلة من أتباع المسيح المضطهدين، لأن الأناجيل: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا المعتبرة لدى المسيحيين لم تعرف إلا في أوائل القرن الثالث، وأول من ذكرها أرينوس سنة ٢٠٩م. ومن هنا ارتفعت الثقة عن هذه الأناجيل والكتب المسيحية.

وقد شعر المسيحيون القدامى بخطورة هذا الموقف الرهيب الذي سيقلب دعوة المسيح إلى الوثنية، إلا أن شعورهم هذا لم يكن مؤيداً بالحكم والسلطة، فما لبث أن انهار أمام السيل العارم الذي اجتاح المسيحية في فجر تاريخها، وذهب ضحيتها كثير من الأناجيل والرسائل والمواعظ، ومن المؤكد أن هذه الكتب المفقودة كانت تشتمل على دعوة المسيح الصحيحة، ولولا ذلك لما عمد أتباع بولس اليهودي الوثني إلى إخفائها وإعدامها.

قال صاحب كتاب «الفاصل بين الحق والباطل»:

«أخبرني أيها المغرور! أي ضمان عندكم على صدق رواة دينكم،

وأي شهادة لكم على صدق أقوال مؤسسي مذهبكم؟ أنتم تعلمون علم اليقين، وتقرون مع الناس أجمعين، أن عيسى عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقاً، ولم يترك شيئاً مسطوراً من أقواله، ولم يكلف أحداً بجمع مقالاته، ولا أملى إنساناً شريعته، إنما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاهاً، لم تحصرها الدفاتر، ولا سطرتها الأقلام في زمن المسيح عليه السلام، ولا في زمن متقارب منه، لأن دينكم نشأ في الناصرة بين جماعة من صيادي الأسماك... قليلي العدد، ولاختطلاطهم باليهود، واستيلاء الجهل عليهم لم يقدروا على كتابة شيء من أقوال المسيح عليه السلام» [١].

ثم يقول وهو يذكر التناقضات والاضطرابات الموجودة في الأناجيل:

أقدم الكتابة للأناجيل يرجع ما بين ٦٠-١٢٠، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها. والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لم ينقلوا قطّ من هذه الأناجيل المعروفة[٢].

وإليكم جدول الزمن التقريبي لكتابة الأسفار والرسائل المسيحية:

---

(١) نقلاً من الدكتور محمد شامة، تحقيق كتاب أبي عبيدة الخزرجي: بين الإسلام والمسيحية ص (١٧٤).

(٢) قصة الحضارة (١١/٢٠٧).

| م | سنة ميلادية | اسم السفر والرسالة | تصنيف هذه الأسفار |
|---|---|---|---|
| ١-٢ | ٥٠ | الرسالة الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي | هذه رسائل بولس |
| ٣ | ٥٠-٥١ | الرسالة إلى أهل غلاطية | |
| ٤-٥ | ٥٥ | الرسالة الأولى والثانية إلى أهل كورنتوس | |
| ٦ | ٥٦ | الرسالة إلى أهل رومة | |
| ٧ | ٥٩-٦٠ | الرسالة إلى أهل فيليبي | |
| ٨ | "-" | الرسالة إلى أهل فليمون | |
| ٩ | "-" | الرسالة إلى أهل كولوسي | |
| ١٠ | "-" | ومن المحتمل كذلك الرسالة إلى أهل أفسس | أكثر الأناجيل وسفر أعمال الرسل |
| ١١ | ٦٨ | إنجيل مرقس | |
| ١٢ | ٩٠ | إنجيل لوقا | |
| ١٣ | ٩٥ | أعمال الرسل | |
| ١٤ | ٩٥-١١٢ | إنجيل متى | مجموعة رسائل كاثوليكية |
| ١٥ | ٩٥ | رؤيا يوحنا | |
| ١٦ | ٩٥ | الرسالة إلى العبرانيين | |
| ١٧ | ٩٥ | رسالة بطرس الأولى | |
| ١٨ | ٩٥ | رسالة يهوذا | |
| ١٩ | ٩٥ | رسالة يعقوب | رسائل دعوية |
| ٢٠-٢١ | ١٠٠ | الرسالة الأولى إلى أهل تيمورثاوس والثانية | |
| ٢٢ | ١٠٠ | الرسالة إلى تيطس | رسائل ضد الغنوسطية (١) |
| ٢٣ | ١٠٠-١٢٥ | إنجيل يوحنا | |
| ٢٤ | | رسائل يوحنا الأولى | |
| ٢٥ | | رسائل يوحنا الثانية | |
| ٢٦ | | رسائل يوحنا الثالثة | |
| ٢٧ | ١١٠-١١٥ | رسائل احناتيوس | |
| ٢٨ | | رسائل بوليكارت | |

| م٢ | سنة ميلادية | اسم السفر والرسالة | تصنيف هذه الأسفار |
|---|---|---|---|
| ٢٩ | ١٣٥ | رسالة برنابا | كتب رسوليه متأخرة |
| ٣٠ | | تعاليم الاثني عشر رسولا | |
| ٣١ | ١٥٠ | رسالة بطرس الثانية | |
| ٣٢ | ١٥٠ | تحديد قانونية الأناجيل الأربعة | |
| ٣٣ | | رسالة كليمنت الثانية. | |

(١) الغنوسطية: حركة روحانية ظهرت قبل المسيح، واستطاعت أن تحول المسيحية إلى خرافة تأملية، وكان رئيس هذه الحركة أيام التلاميذ «سيمون» وقد سماه أتباعه «المسيح» وكان هذا الرجل يجذب عواطف العوام بالسحر، فدخل كثير من المسيحيين الأوائل في مذهبه.

هذا الجدول الذي وضعه «فريديرك جرانت» لا يهدف كما يقول إلى التحديد النهائي لتواريخ هذه الكتب. إذ نجد في أحوال كثيرة أن هذه التواريخ إما غير مؤكدة، أو أنها تقريبية فقط[1].

وهذا الجدول يعلق عليه الأستاذ أحمد عبد الوهاب صاحب كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية بقوله:

«ومن الملاحظ أن كثيراً من الكتب المسيحية التي يشتمل عليها العهد الجديد قد كتبت ثم نسبت إلى أشخاص ماتوا أو قتلوا قبل التواريخ المقررة لها (في الجدول) بعشرات السنين، ومثال ذلك ما نسب إلى بطرس وبولس اللذين قتلا قبل ٧٠م ببضع سنين، إذ تنسب إلى الأول رسالة بطرس الأولى (حوالي ٩٥م) ورسالة بطرس الثانية (١٥٠م)، كما تنسب إلى الثاني الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس (١٠٠م).

ثم يقول: وفي جميع الأحوال يجب أن نتذكر أن التاريخ المرجح لنهاية حياة المسيح على الأرض، ورفعه إلى السماء هو حوالي ٣٣م، وبذلك يكون أقدم الأناجيل (مرقس) قد كتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاماً، وأن أحدث الأناجيل (إنجيل يوحنا) قد كتب بعد المسيح بفترة تتراوح ما بين ٧٠-٩٠ عاماً، وكل ذلك حدث في عهود اشتهرت بالقسوة والوثنية»[2].

وبعد هذه المقدمة نرجع إلى دراسة المصادر التي تسمى العهد الجديد وهي على ثلاثة أنواع:

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص (٣١).

(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص (٣١).

## (النوع الأول): الأناجيل الأربعة

### إنجيل متى:

المعروف أن كاتب هذا الإنجيل هو متى العشار، أحد الحواريين الاثني عشر، وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان في كفر ناحوم في فلسطين، فلما دعاه المسيح إلى دينه آمن به فاتخذه تلميذاً له. جاء في إنجيله:

«وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه، وبينما هو متكئ في البيت إذا عشارون وخُطاة كثيرون قد جاءوا وأكلوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخُطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصِحّاء إلى طبيب، بل المرضى»(١).

وذلك أن اليهود كانوا ينظرون للجباة نظرة ازدراء، لأنها تحمل صاحبها على الظلم، كما أن العامل في الدولة الرومانية المغتصبة من اليهود معين للدولة في إرساء قوائمها.

وقد اعتمد متى في كتابة إنجيله على مصدرين:

**أحدهما**: لوكيا – وهي مجموعة من المواعظ للنبي عيسى عليه السلام، جمعها متى نفسه، ثم ضاعت في العصور المبتكرة، إلا أن متى أدخل بعضها في إنجيله.

---

(١) إنجيل متى (٩/٩-١٢) قصة ذكر متى في هذه الفقرات بهذا الأسلوب تجعلنا نشك أنه متى الحواري.

**الثاني**: فقرات كثيرة اقتبسها من إنجيل مرقس [١]، بل وقد نقل منه ستمائة وست آيات من ستمائة وستين آية يشتمل عليه إنجيل مرقس [٢].

بعد أن رفع المسيح عليه السلام بدأ متى يطوف في البلاد مبشراً بدعوة المسيح إلى أن وصل إلى الحبشة، وقضى فيها أكثر من ثلاث وعشرين سنة حتى مات عام ٧٠م.

وقد اختلف الناس بخصوص لغة هذا الإنجيل. فذهب بعض مؤرخي العرب أن متى كتب إنجيله بالعبرية[٣]. وهو رأي ابن خلدون وغيره إذ يقول: كتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية، ونقله يوحنا بن زبدي منها إلى اللسان اللاتيني.

ولكن نسخة الإنجيل التي وصلت إلى أيدينا هي ترجمته باللغة اليونانية وكانت تمت إلى إثر انتهاء تأليفه في نفس عام ٦٠ م.

وقد اختلف الكتاب في تعيين المترجم، فقال بعضهم: إن متى هو الذي ترجمه إلى اليونانية، ويرى ابن خلدون وابن البطريق وأحد مؤرخي المسيحيين في القرن الثالث الهجري أن المترجم هو يوحنا صاحب أحد الأناجيل.

ومن الأمور المختلف فيها بين علماء النصارى، أن الإنجيل الذي ألفه متى بقي من عبث الزمان أو فقد؟

---

(١) انظر: قصة الحضارة (١١/٢٠٩).

(٢) أزلية الأناجيل (١/١٢٧)، والصحيح أن عدد آيات مرقص يبلغ ستمائة وثمانية وستين آية، وأما عدد آيات متى فيبلغ عشرة آلاف وإحدى وسبعين آية.

(٣) وهو رأي محرر قاموس الكتاب المقدس أيضاً ص (٨٣٣).

يرى بعض المؤلفين الأوربيين أن إنجيل لا يعرف مصيره، وأما الإنجيل المتداول بين الناس في زماننا فهو لمؤلف مجهول، ولم يكن معروفاً قبل ١٧٣ م. على رأي البروفيسور «هارنج» لأنه يقول:

«إن إنجيل متى ألف بين ٨٠-١٠٠م والناس يظنون أنه من تأليف متى الحواري، بينما الصحيح أن مؤلفه رجل آخر أخفى شخصيته لغرض ما» [١].

ويعتقد «ايرينوس» أيضاً أن هذا الإنجيل ليس من تأليف متى الحواري نظراً لوجود كثرة الاقتباسات من إنجيل مرقس، بل كتبه أحد أتباعه في حدود ٨٥-٩٠ م [٢]. وإن جهل تاريخ التدوين والمترجم يفقد الثقة بهذا الإنجيل المتداول بين المسيحيين.

يقول الشيخ أبو زهرة: «ولا شك أن جهل تاريخ التدوين، وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم، وحاله من صلاح أو غيره، وعلمه بالدين واللغتين التي ترجم عنها، والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين، وتاريخ الترجمة وملابساتها، ليمنعنه العلم من الاسترسال في التسامح حتى لا يرى أن السلسلة تكون كاملة إذا لم يعرف الذي ترجم، فلقد وددنا أن نعرف ذلك الأصل، لنعرف أكانت الترجمة طبق الأصل، أم فيها انحراف، لنعرف أفهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها، سواء أكانت هذه المعاني تفهم بظاهر القول أو بإشاراته، أم بلحن القول وتلويحاته، أم بروح

(١) انظر: تاريخ الصحف السماوية ص (١١١).

(٢) انظر: قصة الحضارة (١١/٢٠٨).

المؤلف وغرضه ومرماه الكلي من الكلام، ولكن عزّ علينا العلم بالأصل»[١].

وأهم شيء يتميز به إنجيل متى هو أنه امتداد للعهد القديم بشكل ما، في إثبات أن المسيح ما جاء إلا ليكمل تاريخ بني إسرائيل، ولذا يشير في أكثر من موضع إلى أن المسيح وجه تلاميذه إلى اليهود فقط، ومنعهم من الدخول في مدينة للسامريين.

ويلخص «موريس بوكاي» رأيه في إنجيل متى بقوله: «إن ما تميز به إنجيل متى أولا وقبل كل شيء هو أنه إنجيل طائفة يهودية»[٢].

## ٢- إنجيل مرقس:

مرقس اسمه يوحنا، ولقبه مرقس -باللغة اللاتينية- ومعناه: «مطرقة». ولد في أورشليم، حيث كانت أمه وهو من اصل يهودي. يقول كاتب قاموس الكتاب المقدس:

«ويظن أن مرقس هو الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليه»[٣].

وكان بطرس يخاطبه بالابن[٤]، وصاحب بولس، وبرنابا في رحلاتهما التبشيرية في قبرص وآسيا الصغرى، ثم صاحب بطرس كبير الحواريين، وقضى معه شطراً من حياته، وتبعه إلى روما.

فكانت العلوم التي حصل عليها مرقس مصدرها بولس والتلاميذ،

---

(١) محاضرات في النصرانية ص (٥٣-٥٤).

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص (٨٣).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (٨٥٣).

(٤) رسالة بطرس الأولى (٥/١٣).

وكان مرقس ابن أخت برنابا. يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوس: «ويسلم عليكم أرشرفوس المأسور معي، ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا» (١).

وكان مرقس سبباً للخلاف بين بولس وبرنابا: «ثم بعد أيا قال بولس لبرنابا: لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم، فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفلية و لم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرص» (٢). ثم يرجع مرقس إلى بولس ويخدمه (٣).

إن لوقا كاتب أعمال الرسل يصور هذا الخلاف كأنه من أبسط الأمور ولكن الكلمة التي استعملها غامضة، تنم عن أساس أقوى من هذا لهذا الخلاف.

يقول «بليك لاك» في تفسير أعمال الرسل: «والآن يبين لوقا أسباب الخلاف الذي وقع بين بولس وبرناباس، واللفظ الذي استعمله (PARAXUSMUS) والمترجم الإنجليزي «جيمس» زاد كلمة لفظ

---

(١) (٤/١٠) وكولوس هي مدينة فريجية في آسيا الصغرى، واقعة على نهر ليكوس قرب التقائه بأحد فروعه المدعو الميآندر على بعد ١٢ ميلاً من لاودكية.

(٢) أعمال الرسل (١٥/٣٦-٣٩).

(٣) انظر: رسالة بولس إلى فليمون (١/٢٤).

(SHARP) ثم يختلف بولس وبرناباس مرة أخرى»[١].

وإن لوقا لم يوضح أسباب هذا الخلاف أكثر من برناباس كان يرغب أن يرافق مرقس في أسفارهم التبشيرية، بينما رفض بولس هذا الاقتراح، ولا يظن أن يكون هذا هو السبب الوحيد لهذه المفارقة، بل هناك أسباب أخفى ذكرها كتّاب الأناجيل، وبالعبارة الصريحة يرجع سبب الخلاف إلى نظرية بولس الإلحادية في شخصية المسيح عليه السلام.

ونعود إلى موضوعنا ونقول: إن أول من ذكر إنجيل مرقس هو المؤرخ بي. سي. بي. المتوفى ٣٤٠ م في كتابه «تاريخ الكنيسة»، وقد اشترك في مؤتمر نيقيا، وكان قسيساً في الشام، يقول في تاريخه:

«إن مرقس من أصل يهود يونان، كان زميلاً لبولس وبرناباس، ثم اختلف عنهما، وذهب إلى بطرس، ولما قتل بطرس في اضطهادات «نيرون» توجه مرقس إلى كتابة سيرة السيد المسيح، وينقل هذا المؤرخ هذه الأخبار عن مؤرخ في القرن الثاني (بابياس) (PAPIAS) الذي كتب في عام ١٤٠ م، يقول «بابياس»: إني سمعت هذه الروايات عن شخص من رجال القرن الأول، إلا أنه لم يذكر اسم هذا الرجل»[٢] يرى المؤرخون أنه يقصد به مرقس.

---

(١) انظر: (COMMETORY ON ACTS, P. ١١٨) نقلاً من «ما هي المسيحية» ص١٢٨ بالأردية.

(٢) انظر: تاريخ الصحف السماوية ص (١١٨).

ويقول «باباس» أيضاً: «إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس» [1]. إلا أن مرقس لم يذكر في إنجيله قيام المسيح من قبره وارتفاعه إلى السماء؛ لذا قال: «وست كات» ، و «هورت» ، وغيرهما من مؤلفي القرن العشرين: إن قصة قيامة المسيح وارتفاعه ألحق بإنجيل مقرس في القرن الثاني بعد وفاة مرقس.

وبعد قتل الرسول بولس توجه مرقس إلى شمال إفريقيا ثم إلى مصر، ونشر فيها المسيحية، وأنشأ بها المدرسة الإسكندرية التي هي الآن في ولاية الأقباط الذين يرون أنهم خلفاء مرقس، ومات بها مرقس سنة ٦٧ مقتولاً. وهذا الإنجيل المنسوب إلى مرقس يقال: إنه ألفه في حدود ٦٣ م أو ٦٥م باللغة اليونانية في مدينة روما، إلا أن بعض علماء المسيحيين يقولون: إن مرقس لم يكن من تلاميذ المسيح، بل تعلم على «بطرس» وأنه بعد استشهاد بطرس في عهد الملك «نيرون» ، توجه إلى تدوين التعاليم المسيحية فكتبها باللغة اللاتينية في روما، إلا أنها ضاعت ثم ترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية وهو في متناول أيدينا اليوم ومن هذه اليونانية انتشرت تراجمها.

والعلماء المسيحيون يعترفون ببعض الأخطاء الصريحة في الترجمة اليونانية، وهذه الأخطاء لا تزال موجودة على رأي أرينوس زجوئيل، ويقال: إن مرقس وأستاذه بطرس كانا من منكري ألوهية المسيح عليه السلام ولذا يقول «ولس» (WELLS) : إن النقاد يميلون إلى أن أصح إنجيل يتحدث عن حياة المسيح هو إنجيل مرقس.

---

(١) قصة الحضارة (٢٠٧/١١).

### ٣- إنجيل لوقا:

يقول البروفيسور «بركات» عنه في كتابه «تاريخ الإنجيل» : «إنه من أصل يوناني، دخل في المسيحية من الوثنية، ورافق بولس زمناً طويلاً، وألف هذا الإنجيل في أواخر القرن الأول كما ألف كتابه أعمال الرسل»(١).

ولد لوقا في أنطاكيا، ودرس الطب، وزاوله بنجاح كبير، ثم اعتنق المسيحية، وكان مع بولس في كثير من رحلاته التبشيرية، ويخاطبه بولس بالطبيب الحبيب، ففي رسالته إلى كولوس يقول: «ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب».

إذن لم يكن لوقا من أصحاب المسيح وتلاميذه الذين رأوه أو خدموه، بل كان ممن اتبع بولس لما وصل إلى مدينة «تراوس» على ساحل بحر الروم، وسجل كل ما سمع منه، ويعتبر الإنجيل المنسوب إليه من أهم الأناجيل المعترف بها لدى المسيحيين.

والخلاف لا يزال موجوداً في تحديد اللغة التي ألفه لوقا بها بأنها اليونانية، أو اللاتينية، ويرجع تاريخ تأليفه إلى ٦٣م أو ٦٥م، وافتتحه بعبارة تدل على أنه كتبه لعظيم «ثيوفيلوس» وهي: «لقد كتب كثيرون في تاريخ الأحداث التي جرت لدينا حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهوداً لهذه الحوادث، ولما كنت قد قمت ببحث هذه الأحداث بحثاً دقيقاً، وتتبعتها من نشأتها الأولى، لذلك رأيت من الخير أن أدونها لسعادتك أيها العظيم «ثيوفيل» في صورة مسلسلة، حتى تقف على الرأي

---

(١) انظر: تاريخ الصحف السماوية ص (١٢٠).

اليقيني في التعاليم التي تلقيتها».

ويظهر من فاتحة الكتاب أنه كتاب في تاريخ الحوادث التي وقعت بين المسيحيين الأولين، لا في أقوال المسيح عليه السلام، ومع ذلك ففيه كثير من أقوال المسيح.

وقد اهتم لوقا بتنسيق الروايات السابقة عن المسيح، والتوفيق بينها، ويهدف إلى هداية الكفرة، لا اليهود، لأنه كان من غير اليهود، واقتبس كثيراً من كتابات مرقس، لأن إنجيل مرقس يشتمل على ستمائة وإحدى وستين آية، نقل منها لوقا ثلاثمائة وخمسين آية، وفي إنجيله كثير من الفقرات التي توجد في متى ولا توجد في مرقس، ويبدو أنه أخذها من متى، أو أنهما أخذا من مصدر مشترك لم نعثر عليه[1].

**٤- إنجيل يوحنا:**

كان يوحنا واحداً من كبار الحواريين الاثني عشر، وأبوه من السابقين الأولين إلى المسيحية، ومن كبار دعوتها، وكان المسيح يحبه ويسميه الحواري الحبيب، وينسب إليه أحد الأناجيل الأربعة، ويقال: إنه ألفه عام ٩٠م.

إذن هو أحدث الأناجيل تأليفاً، إذ تأخر عن الأناجيل الأخرى زهاء ثلاثين عاماً.

ولكن هل هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا صاحب المسيح، من تأليفه أو من تأليف غيره؟ هناك خلاف في هذا بين علماء المسيحية، فالقدامى منهم ينكرون نسبته إلى يوحنا.

---

(١) قصة الحضارة (٣/٢٠٩).

يقول محرر دائرة المعارف البريطانية: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما بعضاً، وهما القديسان يوحنا[1] ومتى. وقد ادعى الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً،ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثلاً لبعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى» .

وفي دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم «لا روس القرن العشرين»: «أنه ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة» كما أن العلماء المسيحيين في القرن الثاني أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري.

وجدير بالذكر أن هذا الإنكار كان من أرينوس الذي تتلمذ على بوليكارب التلميذ المباشر ليوحنا الحواري تلميذ المسيح، كما وجدت فرقة مسيحية في القرن الثاني اسمها: ألوجين تنكر هذا الإنجيل وجميع

---

(١) يريد: مرقس لأن اسمه يوحنا كما مر في بحث إنجيله.

ما أسند إلى يوحنا. ويرى كاتب محرر دائرة المعارف البريطانية أنه من تأليف «سرنتهاس» [1].

والسبب الذي قامت هذه المعركة لأجله: هو أن إنجيل يوحنا أول من أثبت ألوهية المسيح، والقول بالتثليث، والدليل على ذلك أن متى ولوقا ومرقس، الذين سبقوه لم يثبتوا في أناجيلهم تلك العقائد، وأما التراجم التي ظهرت في القرون المتأخرة فهي التي حرفت المعاني الأصلية ووضعت فيها بعض ما يشير إلى هذه العقائد الفاسدة.

وبهذا يلاحظ أن شخصية الكاتب لإنجيل يوحنا ما زالت غامضة، بل إن الباحثين للأديان لم يتفقوا بعد على الفترة التي ألف فيها هذا الإنجيل. والخوض في مباحث هذا الإنجيل يؤدي إلى فكرة أن مؤلفه لم يكن من الحواريين، بل إنه كان من الفلاسفة اليونان، لأنه أدخل فيه كثيراً من المباحث المتعلقة بالإلهيات في اليونان، وخاصة نظرية الفلسفي اليهودي «فيلو» [2] (FHILO) ، بينما المعروف لدى الباحثين أن يوحنا الحواري من الأميين.

فقد جاء في أعمال الرسل: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا» [3]. كما يظهر أن كاتبه كان

---

(١) ج (٩٨/١٣).

(٢) كان هذا اليهودي معاصراً للسيد المسيح، وانتشرت فلسفته في الإسكندرية وصارت له مدرسة فلسفية خاصة على منهج الفلسفة اليونانية.

(٣) أعمال الرسل (١٣/٤).

من الطبقة العليا في الشعب اليهودي[١]. بينما كان يوحنا من الصيادين. ثم إن أسلوب هذا الإنجيل يختلف عن أسلوب سابقيه في التعبير والبيان ومواد الكتاب. ويعترف «جيمس ميك كنن»: أن الكتاب خلطوا بين يوحنا الحواري ويوحنا الكبير الكاتب لهذا الإنجيل.

يقول العالم المسيحي الباكستاني القسيس «بركة الله»: «إن هذا الإنجيل لا يمكن أن يكون من تأليف يوحنا الحواري، لأن مواد هذا الكتاب تشهد بأن كاتبه من أهل السلطة في الكنيسة»، ثم يذكر بعد ذلك عدة فقرات من الإنجيل لإثبات دعواه هذه[٢].

أما إذا كانت في إنجيل يوحنا فقرات تشير إلى أن كاتبه كان ممن يحبه المسيح عليه السلام، فيقول عنها «ويست كوست» مفسر الأناجيل: «يبدو أن هذه الفقرات ألحقت بالإنجيل»، وهو في رأي «بشاب كَور» (BISHOP GORE) في العصر الحاضر. وعجيب أن هذه الفقرات لا توجد في نسخة سيناء، بل يصرح «ويست كوت» أن الذين يؤمنون بألوهية المسيح زادوا هذه الفقرات في إنجيل يوحنا لإقامة الحجة على منكريها.

كما أن مؤلف هذا الإنجيل لا يدعي أنه يترجم حياة المسيح في إنجيله كعادة زملائه. يقول «ول ديورانت»: إنه عرض المسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله وخالق العالم، ومنقذ البشرية، وهو يناقض الأناجيل

---

(١) انظر على سبيل المثال: أعمال الرسل (١٨/١٥، ١٦، ٣/١، ٧/٥، ١٩، ٣٨/١، ٤٥/٧، ٤٧/١١) وغير ذلك.

(٢) أزلية الأناجيل الأربعة ج (١٣١/٢).

الأخرى في كثير من التفاصيل، وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح.

وأما ما يوجد في الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان، بل بالمعرفة، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية، قد جعل كثيراً من الباحثين للدين المسيحي يترددون في تصديق أن واضعه هو الرسول يوحنا» [(١)].

وعلى ضوء هذه المعلومات نستطيع أن نقول: إن كاتبه كان متأثراً بأفكار بولس الإلحادية، وبإيعاز منه، أو من أحد أتباعه ألف هذا الإنجيل للرد على منكري أفكار بولس، وبعد مرور الزمان اتخذه المسيحيون كعادتهم مقدساً على ما فيه من دجل وتزييف.

**محتويات الأناجيل:**

بعد أن عرفنا الأناجيل الأربعة، ومؤلفيها، يجدر بنا أن نتكلم عن محتويات هذه الأناجيل بإجمال، فمن الأمور التي تحتوي عليها الأناجيل خمسة وهي: القصص، والعقيدة، والشريعة، والأخلاق والأسرة.

**١- أما القصص:**

فتشغل أكبر حيز من كل الإنجيل، كقصة مريم وحملها بالمسيح وولاته ودعوته إلى دينه.

فهذه الأناجيل مع الاختلاف في مؤلفيها واللغة التي ألفت بها فهي أكبر موسوعة توجد حتى اليوم للتعرف على سيرة المسيح عليه السلام.

(١) قصة الحضارة (١١/٢٠٩).

**٢- العقيدة:**

أما من ناحية العقيدة، فالأناجيل كلها تدور حول ألوهية المسيح وبنوّته للأب، وأن الإله عبارة عن ثلاثة أقانيم هي: الأب، والابن، وروح القدس، وأن المسيح صلب ليكفر عن الخطيئة الأزلية.

هذه هي المباحث التي تقتصر الأناجيل على ذكرها في باب العقيدة، ولكن لما لم تكن ألوهية المسيح أمراً مجمعاً عليه بين العلماء المسيحيين في القرن الأول، وكان بعض الحواريين الذين صاحبوا المسيح ما زالوا على قيد الحياة في هذا القرن، من أمثال بطرس وبرنابا، وكانوا ينكرون ألوهية المسيح وجدنا في الأناجيل -خاصة في إنجيل يوحنا- آيات كثيرة تشير إلى ناسوت المسيح أيضاً، وتقول: إنه لم يكن ابن الله، ولذا فإن هذه الأناجيل لم تخل من ذكر ناسوت المسيح رغم محاولات الكذابين والوضاعين.

يقول المسيح مخاطباً مريم: «لا تلمسيني، لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي، وأبيكم، وإلهي وإلهكم» [1] . فقوله: «إلهي وإلهكم» فيه رد على من ألّهه وجعله إلهاً من دون الله وإليه يشير القرآن الكريم: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾ [2].

---

(١) إنجيل يوحنا (٢٠/١٧).

(٢) سورة المائدة (١١٧).

يقول المسيح أيضاً: «إن أبي أعظم مني» (١). ففيه اعتراف بعظمة الله وانفصاله عنه، وأما كلمة « الابن» فكثيراً ما استعمل في التراث الإسرائيلي للمجاز لا للبنوة الحقيقية.

يقول المسيح أيضاً: «الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني» (٢). كما توجد فقرات في الأناجيل يخاطب فيها المسيح بأنه ابن الإنسان، وابن آدم، وابن مريم، وغير ذلك.

**٣- الشريعة المسيحية:**

يفهم من دراسة الأناجيل أن شريعة عيسى أقرت بما جاء في كتب العهد القديم، وبما شرعه موسى عليه السلام لليهود، ولم تستثن من ذلك إلا شيئاً يسيراً، فنسخت بعض الأحكام اليهودية، وعدلت بعضها.

ففي الوصية المشهورة المنسوبة إلى عيسى عليه السلام والتي تسمى وصية الجبل، أو خطبة الجبل، لأن عيسى ألقاها وهو على قمة جبل وسمعها جمع غفير من الناس فيها: «إن موسى لقساوة قلوب الناس أباح الطلاق، ولكن هو -أي المسيح- يقرر أن من يفارق امرأته إلا لعلة الزنا، فكأنه يجعلها تزني، وأن من يتزوج مطلقة فكأنه يزني بها» (٣). «وأن من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني» (٤).

---

(١) إنجيل يوحنا (٢٨/١٤).

(٢) إنجيل يوحنا (٢٤/١٤).

(٣) إنجيل متى (٥/٣١-٣٢).

(٤) إنجيل مرقس (١٠/١١-١٢).

وأن الزوجين بعد زواجهما يصبحان جسماً واحداً، فلا يعودان بعد ذلك اثنين، يقول المسيح: «فالذي جمعه الله لا يفرقه الإنسان» [١]. وجاء فيها عن القصاص:

«سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك، ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» [٢].

روى يوحنا في إنجيله بصدد رجم الزانية: «إن جماعة من فقهاء اليهود المنتمين إلى فرقة الفريسيين جاءوا يوماً إلى المسيح بامرأة ق قبض عليها وهي متلبسة بجريمة الزنا، وذكروا له أن موسى قرر في شريعته حد الرجم على الزاني، وطلبوا إليه أن يبين لهم رايه في هذا الموضوع، قاصدين بذلك امتحانه، لعله يحكم بغير ما أنزل الله، فيكون ذلك سلاحاً لهم بأيديهم للقضاء عليه وعلى دعوته، فأطرق قليلاً وأخذ يخط بيده على الأرض، وظلوا هم يكررون سؤالهم فرفع بصره وقال لهم: «ليبدا برجمها من لم يرتكب منكم خطيئة» ثم أطرق راسه وأخذ يخط بيده الأرض فأخذ بعضهم ينظر إلى بعض، ثم تسللوا واحداً بعد واحد حتى انصرفوا جميعاً، لأنه لم يكن واحد منهم مبرءاً من الخطيئة، فرفع المسيح بصره، فلم يجد

(١) إنجيل مرقس (١٠/٩).

(٢) إنجيل مرقس (١٠/٩).

أمامه إلا المرأة، فقال لها: أين هؤلاء الذين يتهمونك؟ ألم يبدأ أحدهم برجمك؟ فقالت: لا يا سيدي، فقال لها: وأنا أيضاً لا أعاقبك، اذهبي لسبيلك ولا ترجعي لما اقترفتيه» [(١)].

ومعنى هذا أن المسيح عليه السلام ألغى الرجم كحد للزنا كما كان في شريعة موسى، وهو لا يملك ذلك لأنه مكمل لشريعة موسى عليه السلام، لا ناسخ لها.

ونصت شريعة موسى على محبة الأحباء وبغض الأعداء، وأما المسيح فقال بمحبة الأحباء والأعداء جميعاً؛ ففي إنجيل متى: «قد سمعتم أنه قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك، أما أنا فأقول: أحبوا أعداءكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلّوا لأجل من يضطهدكم؛ لتكونوا بني أبيكم الذي في السموات، لأنه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين» [(٢)].

نهت شريعة موسى عن القتل، وأما المسيح فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، فنهى عن التفكير في الإساءة على العموم. يقول في إنجيل متى:

«قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل، فإن من قتل يستوجب الدينونة، أما أنا فأقول لكم: إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة» [(٣)].

---

(١) إنجيل يوحنا (٨/١١-١٠).

(٢) إنجيل متى (٥/٤٣-٤٦).

(٣) إنجيل متى (٥/٢١).

## ٤- وأما ما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة:

فالأناجيل عموماً تحذر من الزواج وترغب في الزهد والعزوبة.

يقول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس: «وأما من أقام راسخاً في قلبه، وليس له اضطرار، بل له سلطان على إرادته، وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسناً يفعل، إذاً من زوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن» (١).

ويقول بولس أيضاً: «وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة» (٢). إلا أن يخاف على نفسه فله أن يتزوج.

ويقول أيضاً: «ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن التزوج أصلح من التحرق» (٣).

والآن وقد انتهينا من الكلام على الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى جميع الفرق المسيحية، نتعرض لمصادر أخرى لتعاليم المسيحية وهي الأسفار المقدسة. وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رسائل الرسول بولس، وهي أربع عشرة رسالة.

القسم الثاني: الرسائل الكاثوليكية وهي سبع رسائل.

القسم الثالث: سفران: سفر أعمال الرسل، وسفر رؤيا يوحنا.

---

(١) (٣٧/٧-٣٨).

(٢) المصدر السابق (١/٧).

(٣) المصدر السابق (٨/٧-٩).

**القسم الأول:**

هذه الرسائل كتبها الرسول بولس في عصور مختلفة تبد من نحـو سـنة ٤٥ م، وتنتـهي إلى سـنة ٦٥م، وأرسـل بعضـها إلى البلـدان والشـعوب، وبعضها إلى تلاميذه.'ويرى محرر دائرة المعارف البريطانية أن أربع رسـائل من أربع عشرة رسالة منسوبة إلى بولس كتبـها أحـد تلاميـذ بولـس بعـد وفاته بعشرين سنة[1].

وإليكم بيان هذه الرسائل:

**١- رسالة إلى أهل رومية:**

ورومية: مدينة قديمة اسسها «روميولـس» في عـام ٧٥٣ ق.م. وصـار أول ملك فيـها، وصـارت هـذه المملكـة الصغـيرة إمبراطوريـة فيمـا بعـد، واستولت على حوض البحـر الأبيـض المتوسـط، وكـانت روميـة عاصمـة للإمبراطورية الرومانية، وهي مدينة «روما» اليوم، وقد كان بولس حصـل على الرعوية الرومانية وذهب إليها للتبشير، وقتل فيها في حدود ٦٨م.

**٢-٣ رسالتان إلى أهل كورنثوس:**

كورنثوس: عاصمة مقاطعة إخائيـة في بـلاد اليونـان، يبـدو أن بولـس كتب إليها في حدود ٥٧م، والداعي لكتابتهما وجود انشقاق بـين أتباعـه وأتباع بطرس في ألوهية المسيح.

**٤- رسالة إلى أهل غلاطية:**

غلاطية: ولاية في القسـم الأوسـط مـن شـبة جزيـرة آسـيا الصغـرى.

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (١٧/٤٧٦).

كتب بولس هذه الرسالة في حدود ٥٥م أو ٥٧م، عندما عرف أن الناس في هذه البلاد يكفرونه على أفكاره الإلحادية، وينكرون عليه لخروجه من تعاليم المسيح ﷺ، وقالوا: إنه دخيل على الإيمان، ومعرفته بالإنجيل جاءت غير مباشرة.

**٥- رسالة إلى أهل أفسس:**

أفسس: كلمة يونانية معناها: «المرغوبة» وهي عاصمة المقاطعة الرومانية «آسيا» على الشاطئ الأيسر من نهر الكايستر، كتب بولس هذه الرسالة من رومية في حدود ٦٢م، وأما موضوعها فهو دعوة أهل أفسس إلى ألوهية المسيح وبنوته والإيمان بالمسيح دون الشريعة الموسوية.

**٦- رسالة إلى أهل فيلبي:**

فيلبي: مدينة في مكدونية، والأرجح أنه كتب هذه الرسالة في حدود ٦٣م يدعو فيها أهل فيلبي إلى الإيمان بالمسيح، ويحذرهم من النظر إلى الإنجيل حتى لا يكشف ما يبطن هذا الرجل من الكفر والنفاق.

**٧- رسالة إلى أهل كولوس:**

كولوس: مدينة في آسيا الصغرى، تقع على نهر ليكوس، قرب التقائه بأحد فروعه، كتبها بولس في حدود عام ٦٢م، يدعو فيها أهل كولوس إلى الإيمان بالمسيح فقط، كما يزين لهم اللاهوت المسيحي، ويجعله شرطاً للنجاة.

**٨-٩- رسالتان إلى أهل تسالونيكي:**

تسالونيكي: مدينة في فكدونية، وتدعى الآن «سالونيك». يبدو أنه كتب أول رسالة في حدود ٥٢م، وأما الثانية فكتبت مباشرة شرحاً

للأولى، وإيضاحاً لبعض العبارات، وموضوع هذه الرسالة هو قيامة المسيح، وأن جميع المؤمنين بالمسيح سوف يقومون عندما تقرب ملكوت الله، وأن القيامة لتحدث عشية وضحاها.

**١٠-١١- رسالتان إلى تيموثاوس:**

تيموثاوس: كان رفيقاً لبولس ومساعداً له، وخاطبه بولس بالابن، والحبيب، وقد دخل الرجل في دين بولس الإلحادي ولازمه في بعض أسفاره.

**١٢- رسالة إلى تيطس:**

كان تيطس رفيقاً لبولس، وقد أرسله بولس إلى كورنثوس، وأناط به أمور المسيحيين هناك، ثم إلى كريت، وإليه وجه هذه الرسالة، بين فيها بعض التعاليم الخرافية التي كان يدعو إليها.

**١٣- رسالة إلى فيلمون:**

دخل فيلمون في دين بولس، وموضوع هذه الرسالة أن انسيموس عبد فيلمون كان قد هرب من سيده وأخذ معه شيئاً من المال، وعند وصوله إلى روما لقيه بولس فدخل في دينه، وتاب عما فعل، فأحب بولس أن يبقى معه إلا أنه رفض ذلك دون أخذ رأي سيده، فذهب إلى سيده وقبل سيده عذره.

**١٤- رسالة إلى العبرانيين:**

تختلف الكنيسة الشرقية القديمة عن الكنيسة الغربية في تعيين كاتب هذه الرسالة، فتهذب الأولى إلى أنها من كتابة بولس، وقد قال

«ثارتوليان» المؤرخ المسيحي في القرن الثاني: إنها من وضع برنابا، بينما ذهب «لوثر» إلى أنها من وضع «ابلوس» وموضوعها: الإيمان بالمسيح، وعدم الاهتمام بالعهد القديم.

وبالإجمال فإن هذه الرسائل تعرض صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى تقرير ألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ التثليث.

والمسيحية في هذا الزمان تعتمد على هذه الرسائل أكثر من اعتمادها على الأسفار المقدسة الأخرى حتى أن كلمة الرسول إذا أطلقت يراد بها عندهم هذا الرجل اليهودي الذي ادعى المسيحية.

وقد اتُّخذت هذه الرسائل مصدراً أساسياً لشرح الأناجيل وتوضيح غموضها في مجمع نيقيا وخاصة فيما يتعلق بألوهية المسيح.

**القسم الثاني: الرسائل الكاثوليكية: وهي سبع رسائل:**

**١- رسالة يعقوب:**

وهو المعروف بيعقوب الصغير ابن حلفي، كان من تلاميذ المسيح ويقال: إن كاتبه يعقوب بن يوسف النجار، كتبت هذه الرسالة في حدود ٥٠-٦٠ م وكاتبه كان متأثراً بأفكار بولس إلى حد كبير، ويرى «جيمس ميك» أن الدلائل تثبت أن كاتب هذه الرسالة ليس يعقوب.

### ٢-٣- رسالتا بطرس[(١)]

وبطرس هو رئيس الحواريين بعد المسيح عليه السلام، وإليه تنسب هاتان الرسالتان إلا أن المحققين يشكون في نسبتهما إليه لما كان لبطرس من مواقف حاسمة ضد قيامة المسيح وألوهيته. والرد على دعوة بولس الإلحادية.

### ٤-٥-٦- رسائل يوحنا:

هذه الرسائل الثلاث تنسب إلى يوحنا صاحب الإنجيل، ويقال: إنها كتبت في حدود ٩٠ م أو ١٠٠ م، وموضوعها إثبات ألوهية المسيح، وأنه قام من القبر، وأنه سيعود قريباً، وهي موافقة إلى حد كبير لإنجيل يوحنا. ويفهم من هذه الرسائل أن جماعة من المؤمنين كانوا ينكرون ألوهية المسيح، متمسكين بعقيدة التوحيد، رافضين دعوة بولس، فوجهت إليهم هذه الرسائل. ويوحنا هذا كما ثبت ليس من الحواريين.

### ٧- رسالة يهوذا:

وهو أخو يعقوب، وليس بالإسخريوطي، والرسالة عبارة عن نبذة دينية جدلية كتبت في النصف الثاني من القرن الأول، والغرض من كتابتها تحذير النصارى من الذين كانوا يدعون إلى المعرفة دون الإيمان.

وبالإجمال، فهذه سبع رسائل كتبت كلها في عهود مختلفة، يرجع أقدمها إلى حوالي ٥٠ م، وأحدثها إلى ٩٠ م. وهي مرتبة في العهد الجديد على الترتيب السابق، وفيها بعض الأحكام الأخلاقية، كما تشتمل على

---

(١) يرى كاتب دائرة المعارف البريطانية (٦٤٦/١٧) أن الرسالة الأولى كتبت بعد وفاة بولس.

العقائد المسيحية المتفقة مع أفكار بولس الإلحادية الوثنية.

ومجموعة هذه الرسائل يطلق عليها «الأسفار التعليمية» للعهد الجديد، لاشتمالها على الأحكام والشرائع.

وهذه الرسائل أيضاً كانت موضع شك حتى مجمع «نيقيا»، ثم استقر أمر المسيحية على أنها مصدر أساسي أيضاً لمعرفة الديانة المسيحية، وكان لها أثر كبير في تحويلها إلى الوثنية الإغريقية والرومانية.

**القسم الثالث: سفر أعمال الرسل، وسفر رؤيا يوحنا:**

سفر أعمال الرسل ينسب إلى لوقا صاحب الإنجيل، كتبه في حدود ٦٣م، أي في نفس عهد كتابة الإنجيل، وموضوعه: تاريخ حياة الحواريين وتاريخ طائفة من التلاميذ والتابعين لها أثر كبير في المسيحية.

فكلمة «أعمال» تعني تاريخ حياتهم أو ما عملوه، وما أثر عنهم، وكلمة «الرسل» -وهو عيسى- إلى مختلف شعوب العالم لنشر المسيحية بين الناس، وعددهم اثنا عشر حوارياً، وقد ضموا إليهم بولس الذي ظهر له المسيح بعد رفعه كما ادعى هو.

وفي ثنايا هذا العرض التاريخي لحياة الحواريين جاء البحث لكثير من الموضوعات الدينية والعقائد المسيحية، وقد عني لوقا بوجه خاص في سفره هذا بحياة بولس وجهاده في سبيل نشر المسيحية، وما ظهر على يديه من معجزات، وقد استغرق نصف السفر حياته فقط.

ويظهر من فاتحة الكتاب أنه ألفه أيضاً لنفس الشخص الذي ألف لأجله الإنجيل وهو «ثيوفيلوس» فيقول مخاطباً إياه: «الكلام الأول -يقصد

إنجيله- أنشأته ياثيوفيلوس، عن جميع ما ابتدأ يسوع بفعله، ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم، الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة، بعدما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله».

وهكذا يتكلم لوقا كثيراً عن شئون العقيدة والشريعة في هذا الكتاب.

**سفر رؤيا يوحنا:**

كتب هذا السفر صاحب الإنجيل يوحنا في عهد إمبراطور الدولة الرومانية الغربية عام ٨١م إلى ٩٦م. وهي رؤيا منامية ادعاها يوحنا، وادعى أنه أوحي إليه فيها كثير من حقائق الديانة المسيحية، وأحداث المستقبل، وهي مشتملة على الأمور الآتية:

١- تقرير ألوهية المسيح.

٢- تقرير سلطان المسيح في السماء، وإشرافه في عليائه على شؤون الكنيسة والقوّامين عليها، وبيان أعمال الملائكة في السماء، وخضوعهم للمسيح.

٣- تقرير بأن الناس سيبعثون يوم القيامة ويعرضون على المسيح، وأنه هو الذي سيتولى حسابهم على أعمالهم فيجزي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

٤- ذكر طائفة من الأحداث التي ستحصل في العالم الإنساني على العموم، وفي العالم المسيحي بالخصوص في صورة رمزية مبهمة. ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل إلا في حدود عام ٣٦٣م.

وأما قبل ذلك فكانت موضع شك كبير في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى يوحنا حتى أن «مجمع نيقيا» نفسه الذي انعقد في عام ٣٢٥م رفض الاعتراف بها. ولم يزل كثير من الباحثين يشكون في صحة نسبتها إلى يوحنا. وكان الإمام ابن حزم شديداً في الرد على هذه الرسائل، ووصفها بأنها كذب وتناقض وتحريف وكفر.

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل، فمن الملاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعية كتبه قد استغرقت حوالي ٣٥٠ عاماً، فكان يوجد كثير من البلبلة حتى بداية القرن الرابع.

ويصف «ايزبيوس» هذا الوضع فيقسم الكتب إلى ثلاث طبقات.

١- كتب قبلت وجه عام.

٢- كتب لا تزال موضع جدل، لكن قد اعترف بها على نطاق واسع.

٣- كتب مرفوضة.

**ويمثل الطائفة الأولى:**

١- الأناجيل الأربعة.

٢- أعمال الرسل.

٣- رسائل بولس.

٤- رسالة بطرس الأولى.

٥- رسالة يوحنا الأولى.

٦- وقد تضاف إليها رؤيا يوحنا.

**ويمثل الطائفة الثانية:**

١- رسالة يعقوب.

٢- رسالة يهوذا.

٣- رسالة بطرس الثانية.

٤- رسالتا يوحنا الثانية والثالثة.

**ويمثل الطائفة الثالثة:**

١- رسائل أعمال بولس.

٢- راعي هرمس.

٣- رؤيا بطرس.

٤- رسالة برنابا.

٥- بعض رؤيا يوحنا[1].

وهذه الكتب التي رفضها المسيحيون لم تكن إلا نزراً يسيراً من قائمة طويلة، وإليكم بيان أشهر الكتب المرفوضة كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية:

١- إنجيل طوما.

٢- إنجيل متى المكذوب.

٣- إنجيل العبريين.

٤- إنجيل الناصريين.

٥- إنجيل الاثني عشر.

---

(١) دائرة المعارف البرطانية (٢/٥١٤).

٦- إنجيل الأبيونيين.

٧- إنجيل المصريين.

٨- إنجيل بطرس، وكان معروفاً في الربع الأخير من القرن الثاني.

٩- إنجيل باسيليوس، وكان معروفاً في منتصف القرن الثاني.

١٠- إنجيل ماركيون -نسخة من إنجيل لوقا صنفها ماركيون.

١١- إنجيل أبللس -تلميذ لماركيون.

١٢- إنجيل ناسينس.

١٣- إنجيل فيليب.

١٤- إنجيل ماتياس.

١٥- إنجيل مريم.

١٦- برثولماوس.

١٧- إنجيل نيقوديموس.

١٨- إنجيل غمالائيل.

١٩- إنجيل الكمال.

٢٠- إنجيل أندراوس.

٢١- إنجيل برنابا.

٢٢- إنجيل الأنكراتيين.

٢٣- إنجيل هسيثيبوبس.

٢٤- إنجيل يهوذا.

٢٥- إنجيل تداوس.

٢٦- إنجيل الحق[1].

وبعد دراسة هذه الرسائل بالتفصيل تنشأ عدة تساؤلات:

منها: كيف كتبت هذه الرسائل؟ أبإلهام، أم باجتهاد من الكتّاب أنفسهم. وإذا صح الأول فما الدليل على إلهام أصحاب الرسائل وخاصة بعدما عرفنا أن بولس ليس من الحواريين، وبعضهم ينكر حتى صحبته، وإذا صح الثاني فهل يعتبر اجتهاد هؤلاء مصدراً أساسياً للدين؟

إذا كان الجواب بالإثبات، يلزم منه أن يستمر الاجتهاد وتصاف بعد كل فترة إلى المصادر الأساسية مثل هذه الرسائل والمؤلفات.

ومنها: متى أقرت قانونية هذه الرسائل؟ يبدو جلياً أن هذه الرسائل كانت بين الأخذ والرد قبل مجمع نيقيا عام ٣٢٥م، وقد تم الاعتراف ببعض هذه الرسائل، وتأخر الاعتراف ببعضها إلى مجمع «لوديسيا» عام ٣٦٤م، مثل رسالة بولس إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانيةن والثالثة، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا.

فما قيمة هذه الرسائل إذا لم تكن من المصادر الأساسية لمدة ثلاثة قرون وأكثر في فجر المسيحية؟

ومنها: ليس لهذا الرسائل سند متصل، لأنها لم تعرف إلا على لسان «أرينوس» في عام ٢٠٠م، و «كليمنس» في عام ٢١٦م.

ومنها: يتبين عند المقارنة بين هذه الرسائل عديد من الخلافات والتناقضات، فكيف يمكن تأويلها، وليس ذلك في الأحكام، بل وفي

(١) دائرة المعارف الأميركية (١٣/٧٠-٧١).

الوقائع والحوادث التي لا تتكرر؟

ومنها: تشير هذه الرسائل إلى وجود خلاف بين الكنائس المسيحية في الشرق والغرب في أمهات المسائل، وبالذات: ما يتعلق ببشرية المسيح وألوهيته، فهل من المعقول أن تقبل آراء أصحاب هذه الرسائل بدون دراسة وتمحيص؟ وبدون مقارنتها بآراء الآخرين؟ لا وكلا، فإنه ليس يمكن للباحث أن يمر بدون إجابة على هذه التساؤلات وغيرها.

## بولس وأفكاره في هذه المصادر

ويجدر بنا الآن أن نلقي نظرة سريعة على تأثر هذه المصادر بأفكار بولس ونظريته، ولا بد لذلك أن نعرف نوع علاقة كتّاب هذه المصادر ببولس:

١- إنجيل متى: مؤلفه ليس من الحواريين، ولكنه اقتبس إنجيله من إنجيل مرقس.

٢- إنجيل مرقس: مؤلف كان رفيقاً لبولس في جولاته.

٣- لوقا: حبيب بولس.

٤- يوحنا: مؤلفه ليس من الحواريين، وإنجيله يقدم نظرية بولس الإلحادية في ألوهية المسيح.

٥- أعمال الرسل: مؤلفها لوقا، كان حبيباً لبولس.

٦- رسائل بولس: هو كاتبها.

٧- رسالة يعقوب
٨- رسائل بطرس.
٩- رؤيا يوحنا.
١٠- رسال يهوذا.
تشرح نظرية بولس.

وهل بعد سرد الأقوال ومناقشتها وتحليل المواضع والموضوعات التي تحتاج إليه، من المعقول أن يقال: إن هذا الدين الذي دين به المسيحيون هو دين المسيح عليه السلام؟ لا وكلا، بل هو دين بولس اليهودي المنحرف[1].

---

(١) انظر مزيداً من التفاصيل: المسيحية في باكستان بالأردية ص (٩٥) للدكتور محمد =

## نسخ العهد القديم والجديد:

لا توجد نسخة أصلية من العهد القديم باللغة الأصلية التي كتب فيها باتفاق المؤرخين المسيحيين، والنسخة الموجودة هي ترجمة من الأصل، ومعلوم أن هذه التراجم تأخرت إلى القرن الرابع، واشتهرت ثلاث نسخ من هذه النسخ[1] هي:

### الأولى: نسخة فاتيكان

عثر عليها العلماء المسيحيون قبل خمسمائة عام تقريباً. والباحثون مختلفون في تاريخ كتابة هذه النسخة، فيرى البروفيسور «هيج» أنها كتبت في القرن الرابع، بينما ذهب القسيس «مارش» إلى أنها كتبت في حوالي القرن الخامس، ويذهب «مونت ناكن» إلى أنها كتبت في القرن الخامس أو السادس باللغة اليونانية، كما أن هذه النسخة ينقصها فقرات منها:

- من أول سفر التكوين في الإصحاح السادس والأربعين.
- ومن المزامير: من ١٠٥ إلى ١٣٧ من العهد القديم.

وما من العهد الجديد:

- من رسالة بولس إلى العبرانيين: ابتداء من الإصحاح التاسع إلى الرابع عشر.

---

= نادر الصديقي.

(١) انظر: كلمة BIBLE في دائرة المعارف البريطانية.

- ورسائل بولس إلى تيطس وفليمون ورؤيا يوحنا حتى ألحقها شخص في القرن الخامس عشر.

- وترك الكاتب بياضاً في إنجيل مرقس ابتداء من الإصحاح السادس عشر الآية ٩ إلى الآية ٢.

**النسخة الثانية: النص السكندري:**

وصلت هذه النسخة إلى الملك «جارلس الأول» ملك البريطانية في حدود ٨، ١٦م وهي موجودة الآن في المتحف البريطاني، وينقص منها بعض الأماكن وهي:

- من أول إنجيل متى إلى الإصحاح الخامس والعشرين إلى نهاية رقم الآية ٦.

-ومن إنجيل يوحنا -من الإصحاح السادس رقم الآية ٥٠ إلى الإصحاح الثامن رقم الآية ٥٢.

**النسخة الثالثة: نسخة سيناء:**

تروى عن الحصول على هذه النسخة قصة غريبة، وهي أن عالما ألمانيا وهو «تسندروف» كان مولعاً بالبحث عن النسخ القديمة للكتاب المقدس، فسافر إلى سيناء، ومر بخانقاه عند سفح جبل سنياء، ونظر صدفة إلى الأوراق القديمة التي جمعها الرهبان للاسدفاء بإشعال النيران فيها، فأسرع إلى أخذ هذه الأوراق، وبعد التأكد أنها أوراق منزوعة من الترجمة السبعينية، ألحّ على الرهبان أن يمنحوه إياها ويدلوه على مكان وجودها، ففطن الرهبان وعرفوا أنها أوراق ثمينة، فرفضوا طلبه فرجع بسرعة إلى

بلاده، وأعد عدته ااسفر مرة أخرى إلى مصر فاتصل بالحاكم المصري، ولكنه لم يقدم له أي تسهيلات للحصول على هذه النسخة، فاتصل بالسفارة الروسية الملكية، وأخرها عن هذه الأوراق، ومن ثم تمكن من السفر إلى سيناء ممثلاً عن السفارة الروسية عام ١٨٥٩م، وقام بالبحث عن هذه النسخة العتيقة في مكتبة الخانقاه حتى استطاع الوصول إليها بعد تقديم أموال كثيرة، فذهب بها إلى ملك روسيا «قيصر روسي» وقدمها إليه فأمر بوضعها في المتحف الملكي الروسي.

ويرى الباحثون أن هذه النسخة كتبت في القرن الرابع، وهي تشتمل على العهدين: القديم والجديد.

**وأبو كرفيا: (الأسفار الخفية).**

وهذه النسخة تنتهي بعد الآية الثامنة من الإصحاح الأخير من إنجيل مرقس بدون أي بياض بعده، ثم بدأ فيها إنجيل لوقا، فادعى كثير من العلماء بعد دراستها أن عبارتها بعد الآية الثامنة عن قصة قيامة المسيح من قبره، إلى آخرها قصة مصنوعة، ومكذوبة في إنجيل مرقس، الذي اعتمد عليها كُتّاب الأناجيل الأخرى[1].

وبعد العثور على هذه النسخة العتيقة نشط المسيحيون في تأليف «أكرافا ولوحيا» وهي كلمة إغريقية معناها «الكلام المروي شفاهياً بدون تدوين».

---

(١) انظر: تاريخ الصحف السماوية ص (١٢٤-١٢٧).

ويعتقد المسيحيون أن أحاديث المسيح عليه السلام لم يهتم أصحاب الأناجيل بتدوينها كما اهتموا بتدوين تاريخ المسيح، فحاول كثير منهم جمع هذه الأحاديث الشفوية المنسوبة إلى عيسى عليه السلام، ولكنهم فشلوا لظروف أحيط بها المسيحيون منذ ظهور المسيح عليه السلام، وقد نشط المؤلفون قبل نهاية القرن السابع عشر لجمع هذه الأقوال بعد العثور على نسخة سيناء[١].

---

(١) انظر التفاصيل الأخرى في «حكمة الأديان» ص (٨٦).

## إنجيل عيسى عليه السلام

نحن المسلمين نؤمن إيماناً راسخاً بأن الله تعالى أنزل على نبيه عيسى عليه السلام كتاباً سماه «الإنجيل» [(١)] أي البشارة، وكان عيسى عليه السلام يبشر به الناس ويطوف في المدن والقرى. والأناجيل الموجودة تشير إلى إنجيل كان عند عيسى عليه السلام. ففي إنجيل متى: «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مريض، وكل ضعف في الشعب» [(٢)]. وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة «الإنجيل» باليونانية. وفي إنجيل مرقس: «وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد أكمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» [(٣)].

فلا شك أن الإنجيل الذي يذكره متى ومرقس ليست المراد به الأناجيل المنسوبة إلى أصحابها، ولكنه إنجيل كان عند عيسى عليه السلام، فكان يبشر به ويطوف في القرى. ولا مانع أن يكون مؤلفو الأناجيل اقتبسوا بعض تعاليم المسيح من إنجيله هذا ووضعوها في أناجيلهم وبهذا

---

(١) إنجيل: مأخوذ من كلمة يونانية «أونجليون» ومعناه «خبر طيب» ، أو «البشارة والأخبار السارة»، وترجموها إلى الإنجليزية فقالوا: GOOD SPELL وهي مركبة من كلمتين GOOD, SPELL يعني الخبر الطيب.

(٢) إنجيل متى (٤/٢٣).

(٣) إنجيل مرقس (١/١٤).

مزجوا الحق بالباطل.

وأكبر دليل على وجود إنجيلٍ عند عيسى بعد ذكر الله له في القرآن الكريم هذه العبارة في رسائل بولس:

«أولا أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم، فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي ...»[(١)].

وهذه العبارة في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس: «لكننا لم نستعمل هذا السلطان، بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقاً لأجل إنجيل المسيح»[(٢)].

وقوله: «هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون»[(٣)].

وقوله: «وهكذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه»[(٤)].

هذه العبارات نقلناها من الأناجيل الموجودة لدى النصارى، وقد تكرر فيها هذا الاسم أكثر من مرة[(٥)]. فالإنجيل أو الكتاب الذي أشير إليه في هذه الآيات ليس المراد به أحد الأناجيل الموجودة والمنسوبة إلى مؤلفيها، بل هو إنجيل لا يوجد في هذه الأناجيل.

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية (٨/١).

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (١٢/٩).

(٣) المصدر السابق (١٢/٩).

(٤) المصدر السابق (٢٣/٩).

(٥) انظر على سبيل المثال: رومية (١/١)، وتسالونيكي الأول (٩،٢/٢)، ومرقس (١/١)، ورؤيا (١٩،١٥،١٦/١)، وكولوسي الأول (١٨،١٢/٩) وغلاطية (٧/١) وغيرها من الأماكن.

وقد اعترف علماء النصارى بوجود رسالة مختصرة وردت فيها أحوال المسيح، وهي الإنجيل الأصلي، والغالب في الظن أنه كان للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، فكان بمنزلة القلب، وكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب[١]. ولكن هذه الرسالة ضاعت أو ضيعها النصارى؛ لئلا تكون حجة عليهم فيما ذهبوا إليه من تأليه المسيح، وإنكار نبوة محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء ﷺ.

بعد هذه الدراسة للأناجيل ومؤلفيها، والمواد التي تشتمل عليها نستطيع أن نقول بكل صراحة: إن هذا التعاليم ليست من عند الله، لأنه لم يأمر بالشرك أبداً، ودينه دين التوحيد، وبه أرسل جميع أنبيائه، فأنى للمسيحيين أن يقولوا: إن هذا من عند الله! أما نحن المسلمين فنعتقد اعتقاداً جازماً بأن المسيح عليه السلام كان رسولاً من رسل بني إسرائيل، وهو الذي أنزل عليه الإنجيل، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم. ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٢]. ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[٣].

---

(١) محاضرات في النصرانية ص (٦٦).

(٢) سورة المائدة (٧٥).

(٣) سورة المائدة (٤٦).

# برنابا وإنجيله

**برنابا:**

كان على أرجح الأقوال أحد تلاميذ المسيح. كما صرح به في إنجيله، واسمه «يوسف بن لاوي بن إبراهيم» من اليهود اللاويين من أبناء قبرص. وكان من أسرة غنية، وبعد إيمانه بالمسيح تنازل عن جميع ممتلكاته، وبدأ يتبع المسيح في حله وترحاله حتى لقبه الحواريون «برنابا» وهي كلمة آرامية معناها «ابن الواعظ».

ففي أعمال الرسل: «ويوسف الذي دعى من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ، وهو لاوي قبرصي إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل» [١]. يقول الكاتب المسيحي «القمص بيشوى عبد المسيح»: «بعد أن تعرف برنابا على السيد المسيح، اختاره ضمن السبعين رسولاً الذين أرسلهم أمام وجهه للكرازة، ولكن برنابا لم يمكث طويلاً في اليهودية (أورشليم)، إذ أتته أخبار من قبرص جعلته يسافر إلى هناك، حيث وجد أن والده «لاوي» قد مات، ودفن هناك، وترك ميراثه لابنه برنابا» [٢].

وبرنابا هو الذي عرّف التلاميذ بإيمان بولس بعد أن كانوا يخافونه لاضطهاده تلاميذ المسيح[٣]، فلازمه زمناً طويلاً في تبشيره بالمسيحية، إلى

(١) أعمال الرسل (٤/٣٦-٣٧).

(٢) حياة برنابا ص (١٥).

(٣) أعمال الرسل (٩/٢٦).

أن عرف افتراءه على الله ورسوله ففارقه، واتفق مع ابن أخته «مرقس» صاحب أحد الأناجيل الأربعة، وقد شهدت الكتب المسيحية بصلاح برنابا وإيمانه وتقواه[١]. ولم يكن فراق برنابا لبولس كما يصوره كتّاب الأناجيل لعدم استصحاب بولس مرقس في جولاته التبشيرية، لأن هذا السبب زال لما صار مرقس من أكبر أعوان بولس.

وبقي برنابا على حذر من بولس ودعوته الإلحادية، وقد افتتح إنجيله بالرد على افتراءات بولس حيث يقول: «أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى» [٢].

ثم تحدث عن سبب تأليفه فقال: «وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء مباشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله» [٣]. وهو في هذه المقدمة يشير إلى أمر عظيم سبق بيانه وهو إلغاء أحكام الختان، وتحليل لحم الخنزير، وما إلى ذلك من الشريعة الموسوية للوثنيين الداخلين في المسيحية.

---

(١) أعمال الرسل (١١/٢٣،٢٤).

(٢) مقدمة إنجيل برنابا بقلمه.

(٣) مقدمة إنجيل برنابا بقلمه.

وكان برنابا حضر أول مجمع في أورشليم، وتحدث عن أسفاره ورحلاته بالتفصيل أمام المجتمعين في أنطاكيا وقبرص وآسيا، ودافع عن وجهة نظره تجاه دخول الوثنيين في المسيحية. ثم رجع إلى قبرص وبقي فيها يبشر بالمسيحية، إلى أن هاج اليهود على دعوته فقبضوا عليه وقدموه أمام «هيباتيوس» حاكم «سلاميس»، إلا أنه برأه من جميع التهم المنسوبة إليه، فأخذه اليهود وذهبوا به إلى ملعب الخيل خارج المدينة، وضربوه ضرباً أليماً، ثم رجموه بالحجارة حتى مات، وأضرم بعضهم ناراً ليحرقوا جثته، ثم عدلوا عنه فانصرفوا من المكان، ولما علم مرقس ذهب إلى الملعب وحمل جسده ولفه لفائف ووضعه داخل مغارة خارج المدينة[1]. ووضع فوق صدره نسخة من الإنجيل، وذلك في شهر حزيران سنة ٦١م. هذه نهاية برنابا الحواري.

في أوائل القرن الخامس بعد مجمع قبرص ٤٠١م اكتشفوا قبر برنابا، وعثروا على الإنجيل الذي وضعه على صدره مرقس، ولما انتشر هذا الخبر في أنحاء قبرص، طلب الملك أن ينظر في هذا الإنجيل، فأرسله إليه الأسقف «انثيموس» الذي يرجع إليه الفضل في اكتشاف القبر، وهو ممن شارك أيضاً في مؤتمر قبرص. هذا الخبر ينقله المسيحيون في كتبهم بالتواتر، ولكنهم إخفاء للحق يضيفون إليه كلمة، هي أن الإنجيل الذي عثر عليه في قبر برنابا كان من تأليف متى، ولكن المستحيل أن يكون إنجيل متى هو الذي وضع فوق صدره لوجوه منها:

(١) انظر: حياة برنابا ص (٦٧-٦٨).

١- اختلف المؤرخون في زمن تأليف إنجيل متى، وأصح الأقوال أنه ألف بعد ٦٥م.

٢- وعلى افتراض أنه ألف قبل هذا العام، فالحواري برنابا لم يكن في حاجة إلى قراءة هذا الإنجيل، لأن مرقس لما وضع نسخة من الإنجيل فوق صدره قال: إنه كان يحب قراءته، والحواري لا يحب قراءة كتاب ألفه من لم ير المسيح، ولم يشاهد ما كان يجري حوله. فالصحيح أنه من تأليفه.

٣- أن الملك أسرع في طلب هذا الإنجيل، إما لحسم فتنة كان يخشى وقوعها بعد اكتشافه، أو للاطلاع على محتويات هذا الإنجيل الجديد، فما الداعي إلى هذا الإسراع لو كان هذا إنجيل متى؛ لأن إنجيل متى كان معروفاً عنده وعند غيره.

٤- ثم اختفى هذا الإنجيل في البلاط الملكي.

## إنجيل برنابا في الوثائق القديمة:

وبعد العثور على إنجيل برنابا في قبره، اشتهر أمره بين الخاصة والعامة، وبدأ العلماء والوعاظ يستندون إليه في جولاتهم التبشيرية، فوقعت ضجة كبيرة في أوساط المسيحيين، ولما جلس البابا «جياسيس الأول» (GEIASIUS) على الأريكة البابوية في عام ٤٩٢م أمر بتحريم مطالعة إنجيل برنابا لمخالفته لكثير من المسائل المذكورة في الأناجيل الأخرى، وخاصة ما يتعلق منها بألوهية المسيح وصلبه.

## متى عثر على إنجيل برنابا؟

ثم اختفى هذا الإنجيل عن أعين الناس إلى القرن الثامن عشر، فعثر عليه كريمر أحد متشاوري ملك بروسيا[١] عام ١٧٠٩م باللغة الإيطالية، ثم انتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة كريمر إلى البلاط الملكي في فينا عام ١٧٨٤م، ومن الأصل الإيطالي ترجم إلى اللغة الإنجليزية، ونشر عام ١٩٠٧م من مطبعة كليرندن بأكسفورد. وفي أوائل القرن الثامن عشر وجدت نسخة أسبانية مترجمة من النسخة الإيطالية، وإليها يشير المستشرق «جارج سيل» في مقدمته لترجمة القرآن الكريم[٢]. وهذه النسخة الأسبانية ترجمها إلى الإنجليزية الدكتور منكهوس أحد أعضاء هيئة التدريس بالكلية الملكية في أكسفورد عام ١٧٨٤م، ودفع الترجمة مع أصلها الأسباني إلى هويت أحد الأساتذة المشاهير، فكان هويت يلقي شذرات من هذه الترجمة على الطلبة، وقد طالع الدكتور خليل سعادة هذه الشذرات فوجدها موافقة للنسخة الإيطالية[٣]. ثم توقف توزيع هذا الإنجيل المترجم إلى الإنجليزية من أوروبا مدة من الزمن، ويظهر من مطالعة المقدمة التفصيلية التي أودعها الدكتور خليل سعادة في مقدمته لترجمة إنجيل برنابا إلى العربية أن النسخة الإنجليزية مع أصلها الإيطالي كانت أساساً لترجمته إلى اللغة العربية.

---

(١) دولة من دول ألمانيا الشمالية قديماً، كانت عاصمتها برلين.

(٢) المودودي: اليهودية والنصرانية بالأردية ص (٤٦١).

(٣) انظر للتفصيل: مقدمة الدكتور خليل سعادة لترجمة إنجيل برنابا إلى العربية.

وأما الذي كشف النقاب عن النسخة الإيطالية فهو راهب لاتيني يدعى «فرامينو» وهو الذي كان قبل ذلك عثر رسائل «لايرينايوس» وفي عدادها، رسالة يندد فيها بالقديس بولس، وأسند تنديده هذا إلى إنجيل برنابا، فأصبح من ذلك الحين شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل، واتفق أنه أصبح لحين من الدهر مقرباً إلى البابا «اسكتس الخامس»، وذات يوم دخل معه مكتبة البابا فرأى الكرى على أجفان البابا، فأحب أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا، فوقعت يده صدفة على هذا الإنجيل، فكاد يطير فرحاً بهذا الاكتشاف، ولكنه خبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد ردنيه (أي كميه) ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالانصراف، وكان ذلك الكنز معه، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم، فعتنق على إثر ذلك الدين الإسلامي[1].

وقد قارن الدكتور خليل سعادة بين النسختين الأسبانية والإيطالية، فرأى أن الأسبانية تنطبق حرفياً على الإيطالية، إلا في أمرين طفيفين وهما: أن النسخة الإيطالية تقول: «إنه لما جاء يهوذا الخائن مع الجند الروماني ليسلم إليهم اليسوع كان يسوع يصلي في البستان بجانب الغرفة التي كان تلاميذه فيها نياماً، فلما أحس بالجنود خاف فدخل الغرفة، فلما رأى الله الخطر المحدق به أرسل ملائكته الأربعة فاحتملوه من النافذة إلى السماء الثالثة، فلما دخل يهوذا الخائن الغرفة غير الله بآية منظَره وصوته فصار نظير يسوع تماماً، فلما استيقظ التلاميذ ورأوه لم يشكوا في

(١) نقلاً من الدكتور خليل سعادة.

أنه يسوع». والرواية الأسبانية تنطبق حرفياً على الإيطالية، إلا أن الأولى تقول «إلا بطرس» أي أنها استثنت بطرس من عداد التلاميذ الذين لم يشكوا في أنه يهوذا هو يسوع، ثم ذكرت اسم أحد الملائكة الذين احتملوا يسوع من النافذة (عزرائيل) وهو في الإيطالية (أوريل).

## هل يشترط في كاتب الإنجيل أن يكون حوارياً؟

يقول عوض سمعان مؤلف «إنجيل برنابا مزيف»: «ولذلك لو فرضنا جدلاً أنه هو الذي كتب افنجيل المنسوب إليه في الوقت الحاضر، لما جاز لأحد أن يصدقه على الإطلاق، لأن الشرط الأساسي في صدق الإنجيل أن يكون كاتبه واحداً من تلاميذ المسيح أو رفيقاً له شاهد بنفسه كل أعماله» (١).

فهل لنا أن نسأل عوض سمعان وغيره من المسيحيين: أين كان شرطكم هذا في إنجيل لوقا، إذا كان لوقا كما يقول محرر قاموس الكتاب المقدس رفيقاً لبولس، وقد اشترك معه في إرسال التحية والسلام إلى أهل كولوسي، وقد كان بولس يخاطبه بقوله: الطبيب الحبيب، و«العامل معي»، وغيره من الألقاب، فكيف يجوز للمسيحيين أن يؤمنوا بهذا الإنجيل الذي يعتبر الإنجيل الثالث في الكتاب المقدس، ولم يكن كاتبه حوارياً ولا تلميذاً؟ بل كان رفيقاً لبولس اليهودي الذي ادعى المسيحية. وماذا يقول المسيحيون عن مرقس صاحب الإنجيل الثاني، وفي تتلمذه على المسيح شك معروف، وأكثر ما قيل فيه: إنه اتبع المسيح ليلة التسليم، أي

(١) إنجيل برنابا مزيف ص (٦٣).

لم يسمع شيئاً من خطب المسيح ومواعظه، بل رافق بولس بعد رفع المسيح، وبقي معه زمناً طويلاً حتى فارقه بعد ما علم خبثه وافتراءه على الله وعلى الرسول، فاتفق مع برنابا على التبشير بالمسيحية، فهل صحبة مرقس للمسيح ساعة من الليل تؤهله أن يكتب الإنجيل حيث إنه لم يشاهد الوقائع التي وقعت في حياة المسيح؟ بل وأن يكون إنجيله أصلاً لمعرفة سيرة السيد المسيح أكثر من أن يكون بشارة به فقط؟

يقول محرر قاموس الكتاب المقدس: «والمادة التي يقدمها مرقس في إنجيله يقدمها في تفصيل كثير، فيقدم قصة حياة المسيح وأعماله وصلبه وقيامته بسرعة ... ويوجه مرقس عناية خاصة إلى ما عمله المسيح أكثر مما يوجهه إلى تعليم المسيح، فيذكر أربعة فقط من أمثال المسيح، بينما يذكر ١٨ من معجزات المسيح ويسجل خطاباً واحداً». مع أن ذكر هذه الوقائع يتطلب الحضور والمشاهدة، فكيف يؤمن المسيحيون بهذا الإنجيل، مع أن صاحبه لم يشاهد هذه الوقائع بنفسه. ومن هنا يتبين خطأ عوض سمعان الذي اشترط لكاتب الإنجيل أن يكون من التلاميذ أو الحواريين، وعلى هذا ينكر على إنجيل برنابا. وإذا سلمنا بهذا الشرط الذي ذكره عوض سمعان لكتابة الإنجيل فإننا لا نجده إلا في الحواري «برنابا»، نعم في برنابا فقط، لأنه هو الذي آمن بالمسيح في حياته، ورأى ما يحدث في عهده من الوقائع والمعجزات، وسمع مواعظ المسيح بأذنيه في أماكن عديدة، ثم سجلها في كتابه، وهو الذي أوصاه المسيح أن يذب عنه بعد ارتفاعه إلى السماء، ويوضح للناس حقيقة دعوته ورسالته، اقرأوا الفصل

الحادي والعشرين بعد المائتين من إنجيل برنابا حيث يقول: «والتفت يسوع إلى الذي يكتب وقال: يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلي حتماً، وما حدث في شأني مدة وجودي في العالم، واكتب أيضاً ما حلّ بيهوذا ليزول انخداع المؤمنين، ويصدق كل أحد الحق، حينئذ أجاب الذي يكتب: إني لفاعل ذلك إن شاء الله يا معلم، ولكن لا أعلم ما حدث يهوذا لأني لم أر كل شيء، أجاب يسوع: ههنا يوحنا، وبطرس اللذين قد عاينا كل شيء، فهما يخبرانك بكل ما حدث، ثم أوصانا يسوع أن ندعو تلاميذه المخلصين ليروه، فجمع حينئذ يعقوب، ويوحنا التلاميذ السبعة مع نيقوديموس ويوسف وكثيرين آخرين من الاثنين والسبعين، وأكلوا مع يسوع، وفي اليوم الثالث قال يسوع: اذهبوا مع أمي إلى جبل الزيتون، لأنني أصعد من هناك أيضاً إلى السماء» (١).

وكل من يطالع إنجيل برنابا يجد تشابهاً بينه وبين الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى في التعبيرات والألفاظ والإحساسات فلا يمكن لمسلم أن يقول: «إن الله روح» لأن الروح مخلوقة، وكذلك إطلاق لفظ «مبارك» على الله فهو يعني أن هناك من باركه، والحق أن الله بارك ذاته بقوله: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ (٢) كما أن هذا الإنجيل يختلف كثيراً عن القرآن في تعاليمه، فمن المتعذر علينا أن ندعي أن مؤلفه كان مسلماً.

---

(١) الفصل الحادي والعشرون بعد المائتين.

(٢) سورة المؤمنون (١٤).

## إنكار النصارى نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا:

لما ظهر هذا الإنجيل وكان إلى حدٍ ما مصدِّقاً لما جاء به القرآن الكريم، حدثت ضجة كبيرة، واضطراب شديد في صفوف المسيحيين، فبادر الكتّاب والمؤلفون والخطباء والوعاظ منهم إلى التنديد به، فمنهم من ألف كتاباً مستقلاً في تزييف هذا الإنجيل المنسوب إلى الحواري برنابا، كعوض سمعان أحد المؤلفين المسيحيين المعروفين في العالم العربي بالمؤلفات الكثيرة في الدفاع عن المسيحية والدعوة إليها، فاقرؤا ملخص ما كتبه في كتابه «إنجيل برنابا إنجيل مزيف» ونخص بالذكر منه ما يتعلق بموضوعنا من الناحية الإسلامية:

١- إننا لو فرضنا أن إنجيل برنابا كان موجوداً عند ظهور الإسلام مع إنجيل المسيحيين المكتوب بواسطة متى ومرقس ولوقا ويوحنا، لكان القرآن قد حرضهم على التمسك بالأول دون الثاني.

٢- لو كان هذا الإنجيل موجوداً في المدة الواقعة بين القرن الثامن والرابع عشر وهي التي ظهر فيها قدامى المفسرين مثل الطبري، وابن كثير، لما اختلفوا في تحديد الشخص الذي قالوا: إنه صلب عوضاً عن المسيح، بل أجمعوا كلهم على أنه «يهوذا الاسخريوطي» كما جاء في إنجيل برنابا.

٣- إن جميع المؤرخين الذين عاشوا لغاية آخر القرن الرابع عشر الميلادي تقريباً، سجلوا أن إنجيل المسيحيين هو المكتوب بواسطة متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، مثل المسعودي في مروج الذهب، وابن كثير في البداية والنهاية، والمقريزي في القول الإبريزي، وابن الأثير في الكامل.

٤- إن المؤرخين المسلمين لم يسجلوا اسم «برنابا» في قائمة أسماء تلامذة المسيح، كما يقول «برنابا» إنه من تلامذة المسيح في ص ١٦، ٢٥، ٦٧، ٦٩، ١١٢، ١٣٨، ١٥٥، ١٦٨، ١٧١، ٢٤٨، ٣٢٣ بل اكتفوا بذكر أسماء من ذكرهم لوقا وغيره فقط، فهذا يؤكد أنه لم يكن موجوداً حتى القرن الرابع عشر. اهـ باختصار. ويرى الدكتور خليل سعادة: أن هذا الكاتب من أصل يهودي أندلسي اعتنق الإسلام بعد تنصره، واطلاعه على أناجيل النصارى، واستدل على ما ذهب إليه بما يأتي:

١- أن يسوع ينكر ألوهيته وبنوته لله.

٢- أن الابن الذي عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق.

٣- أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع، بل هو محمد، وذكر محمد باللفظ الصريح المتكرر بفصول ضافية الذيول، وقال: إنه رسول الله وإن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

٤- أن يسوع لم يصلب بل حمل إلى السماء، وإنما الذي صلب هو «يهوذا الخائن» الذي شبه به، فجاء مطابقاً للقرآن: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[1].

٥- الحكم بالختان.

---

(١) سورة النساء (١٥٧).

هذه هي وجهة نظر المسيحيين تجاه هذا الإنجيل، ذكرناها بتلخيص.

ونحن المسلمين لا يهمنا كثيراً أن تكون نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا صحيحة أو غير صحيحة؛ فإن كتاب ربنا قد ذكر بكل إسهاب ولادة المسيح ودعوته والمتاعب التي واجهها، وكيف كانت نهايته على الأرض، كما ذكر بشيء من التفصيل ما حصل من التحريف والتبديل في الإنجيل الذي أنزله على سيدنا عيسى عليه السلام.

فقضية نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا إنما هي قضية علمية محضة، إذ ظهر هذا الإنجيل في المحيط المسيحي، وبقي محفوظاً في إحدى المكتبات المسيحية التي لا يمكن السبيل إلى الوصول إليها لغير المسيحيين، وكذلك لا يرجع فضل العثور عليه وترجمته من الإيطالية إلى الإنجليزية ثم إلى العربية إلا إلى أحد من المسيحيين أنفسهم. فما الذي حملهم على إنكار نسبته إلى برنابا، بعدما اعترف المسيحيون أنفسهم بأن البابا «جلاسيوس» الأول، الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢م، أصدر أمراً يعد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها، وفي عدادها كتاب يسمى «إنجيل برنابا» كما ذكرناه آنفاً، أليس معنى هذا أن هذا الإنجيل كان معروفاً إلى أواخر القرن الخامس أي قبل بعث النبي ﷺ بقرن، وأنه كان يقرأ ويدرس إلى أن جاء البابا «جلاسيوس» فحرم مطالعته لما فيه من مخالفة صريحة لعقائد المسيحيين البولسيين وتعاليمهم التي منها ألوهية المسيح. ثم بقي هذا الإنجيل بعيداً عن أعين الناس. والمعروف في التاريخ أن المسلمين كانت لهم خبرة معروفة في دراسة الأديان الأخرى، من أواخر القرن الثاني الهجري

إلى أيام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فابن جرير الطبري، واليعقوبي، والمسعودي، والبيروني، وابن حزم، والشهرستاني ألفوا في الملل والنحل مجموعة من الكتب القيمة والنفيسة، ولم يعثر أحد على هذا الإنجيل المحرم، فلو ألف هذا الإنجيل في العصور الإسلامية كما يدعي الدكتور خليل سعادة لاطلع عليه هؤلاء الكتّاب والمؤرخون، ونقلوا عنه للرد على المسيحيين، وإبطال قولهم بألوهية المسيح وروح القدس. وكذلك اختلفوا في ذكر الشخص الذي شبه به، مع إن إنجيل برنابا يصرح بأنه «يهوذا الاسخريوطي». فلو عرف المسلمون هذا الإنجيل في عصورهم لما اختلفوا فيه.

أما اعتراض الدكتور خليل سعادة بأنه: «جاء مطابقاً لما في الشريعة الإسلامية في الختان وغيره»، فنرد عليه بسؤال: من الذي حرم الختان؟ هل المسيح، أو بولس؟ وبالتأكيد يكون جوابه بأن بولس هو الذي حرم الختان، والمعروف أن الختان كان من سنة إبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، كما جاء في كتب العهدين القديم والجديد. يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: «ها أنا بولس، أقول لكم: إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً، لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن لله ملتزم أن يعمل بكل الناموس» (١). ويقول أيضاً في رسالته إلى أهل كورنتوس: «دعي أحد وهو مختون فلا يصر أغلف، دعي أحد في العزلة فلا يختتن، ليس الختان شيئاً، وليست العزلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله» (٢).

---

(١) رسالة بولس إلى غلاطية (٥/٣-٢).

(٢) رسالة بولس إلى أهل كورنتوس (٧/١٨-١٩).

ويظهر من هذا أن ما ذكره «برنابا» كان موافقاً لتعاليم عيسى عليه السلام، فاستدلاله بذكر الختان في هذا الإنجيل على أن كاتبه كان مسلماً ليس بصحيح، بل لماذا لا نقول إنه كان متبعاً للمسيح عليه السلام الذي لم يُلْغ الختانَ، بل أقره لأتباعه.

أما إن إنجيل «برنابا» يذكر اسم النبي عليه السلام صراحة، ولا يذكره إشارة أو كناية مما أشكل فهمه على الدكتور خليل سعادة فذلك لما يأتي:

١- أن القرآن الكريم يذكر اسم النبي ﷺ على لسان عيسى عليه السلام صراحة وذلك في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (١). فما الذي يمنع برنابا أن يذكر اسم النبي ﷺ صراحة بعد أن ثبت أنه أخذ علمه من معلمه السيد عيسى عليه السلام مباشرة.

٢- لا يمكن أن يكون هذا الاسم مترجماً من اللغات الأجنبية، ويكون معناه في اللغة العربية «محمد، وأحمد» كما يقول العالم الإنجليزي «أودين جونس» في كتابه «نشأة الديانة المسيحية»: إن المسيحيين لا يمكنهم أن ينكروا لفظ «بير كليتس» أو «باركليت» ومعناه «محمد» وإن كان يدّعي هذا العالم أن المسلمين أدخلوا هذه الألفاظ في الأناجيل غفلة من النصارى.

---

(١) سورة الصف (٦).

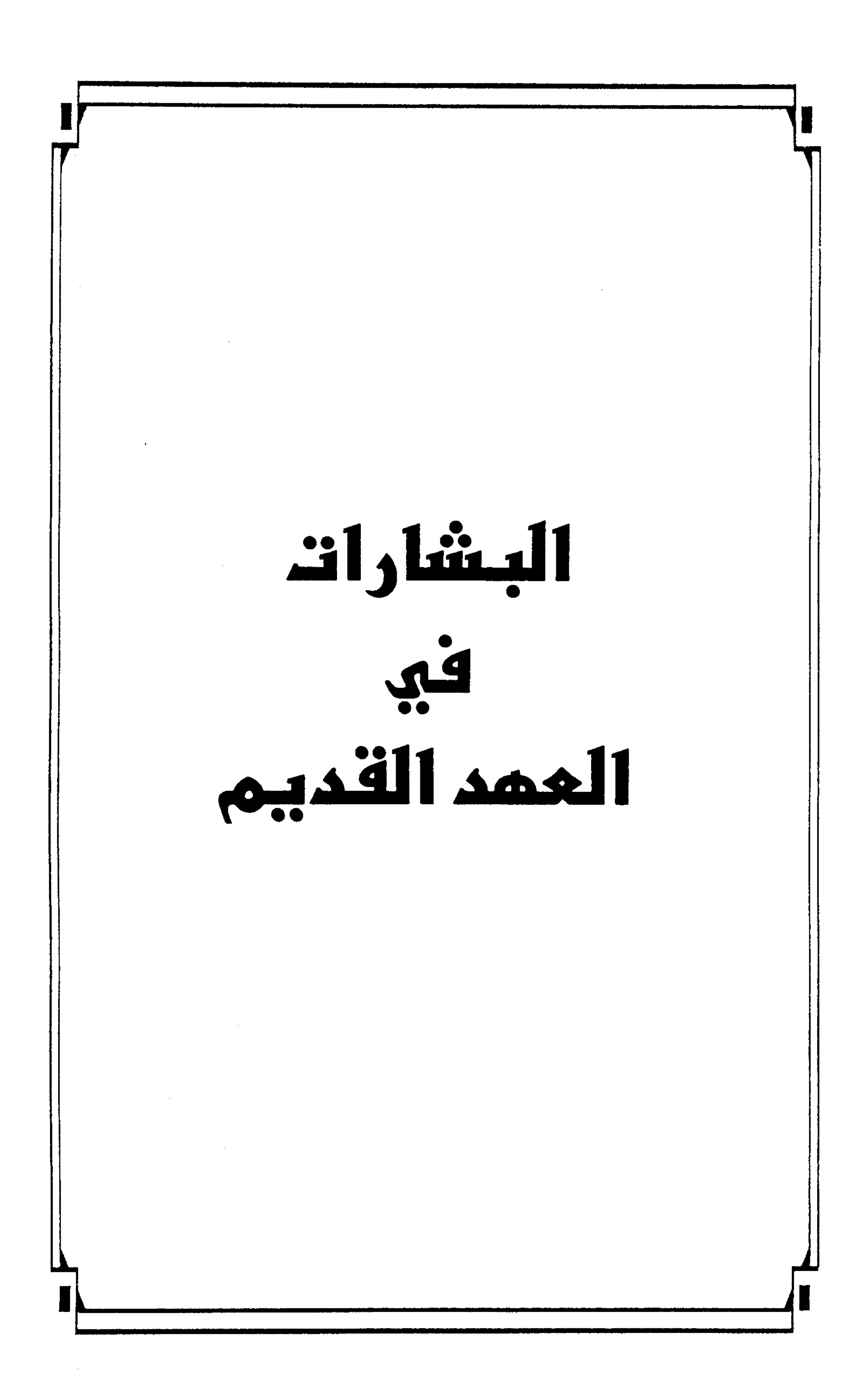
أضف إلى هذا ما قاله السيد محمد رشيد رضا في مقدمته لإنجيل برنابا، رداً على إشكال الدكتور خليل سعادة وهو:

وقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة إنجليزي، أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحميري قبل بعثة النبي ﷺ، وفيها يقول المسيح: «ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»، وذلك موافق لنص القرآن بالحرف. ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الأناجيل التي فيها البشارات الصريحة، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى، فلو ظهر لأزال كل شبهة عن إنجيل برنابا وغيره. على أنه لا يبعد أن يكون مترجم برنابا، باللغة الإيطالية، قد ذكر اسم «محمد» ترجمة، وأنه في الأصل الذي ترجم هو عنه، قد ذكر بلفظ يفيد معناه كلفظ «البارقليط»، ومثل هذا التساهل معهود عند المسيحيين في الترجمة كما بينه الشيخ رحمة الله بالشواهد الكثيرة من كتبهم في الأمر السابع من المسلك السادس من الباب السادس في كتابه «إظهار الحق»، وزاده بعد ذلك بياناً في البشارة الثانية عشر في العهد الجديد[1].

وبهذه المناسبة أنقل من العهدين القديم والجديد فقرات تشير إلى مجيئ نبي آخر الزمان محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) إظهار الحق (٢/٥٣١).



# البشارات
# في
# العهد القديم

# البشارات في العهد القديم

**أولاً:** قال سيدنا موسى عليه السلام:

«هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم» [(١)]. وفيه إشارة واضحة إلى الرسالات الثلاث: لموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم صلوات الله وسلامه- ولعل هذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [(٢)] فالأرض التي هاجر إليها غبراهيم، وولد فيها المسيح عليهما السلام، تنبت التين والزيتون، وهو المراد بقول موسى: وأشرق لهم من سعير، وطور سيناء مناجاة الله لموسى عليه السلام، وفاران في مكة.

والدليل على أن فاران هو مكة مولد الرسول ﷺ، أن التوراة عندما تذكر سيرة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع زوجته هاجر، ومهاجرته من بيت سارة تقول ما يأتي: ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق ... فقال الله لإبراهيم ...

(١) سفر التثنية (٣٣/١-٢).

(٢) سورة التين (١-٣).

في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك ... نادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشُدِّي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر[(١)].

ثانياً: وفيها أيضاً أن إشعياء قال: «أنا الرب، هذا اسمي ومجدي، لا أعطيه لآخر، ولا تسبحي للمنحوتات، هُوَ ذا الأوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها، قبل أن تنبت أعلمكم بها، غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار، لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الربُّ كالجبار يخرج كرجل حُروب يُنهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوي على أعدائه، ... الرب قد سر من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمها، ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد في الحفر كله وفي بيوت الحبوس اختبأوا، صاروا نهباً ولا منقذ، وليس من يقول: رُدَّ» [(٢)].

---

(١) سفر التكوين (٢١/٦-٢١) وانظر أيضاً: إثبات نبوة النبيﷺ للزيدي ص (١٥٨).

(٢) سفر إشعياء (٤٢/٨-١٣،٢١-٢٢).

هذه البشارة أكثر وضوحاً من سابقتها في الدلالة على مبعث نبي في الجزيرة العربية، وذلك لأمور آتية:

١- ((غنوا للرب أغنية جديدة)): المراد بالغناء الجديد للرب هو الشريعة الجديدة، والمعروف أن المسيح عليه السلام لم يكن صاحب شريعة مستقلة، إنما جاء مكملاً لشريعة موسى، ولا يمكن حمل هذه البشارة على عيسى عليه السلام لأمور سنذكرها، فلابد من حملها على محمد ﷺ لتنطبق عليه الصفات التي ذكرت فيها.

٢- ((ترفع البرية ومدنها وصوتها الديار التي سكنها قيدار))، المعروف أن قيدار اسم الابن الأكبر لإسماعيل عليه السلام، وكان يسكن الجزيرة العربية، إذن فهذه العبارة نص واضح على أن النبي الذي يأتي بالأغنية الجديدة يبعث من العرب، وأنه يكون من أثر بعثته رفعة سكان الجزيرة. وقد تحقق هذا فعلاً ببعثة الرسول ﷺ.

٣- ((لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر)) سالع أو سلع -اسم جبل في المدينة كما جاء في القاموس: سلع جبل بالمدينة، وسليع -بالتصغير- جبيل بالمدينة. وهذه الفقرة من البشارة بمثابة نص صريح على مبعث النبي ﷺ، فالمعروف أن الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وجبل عرفات وواديه له أهمية رمزية في الحج، حتى قال الرسول ﷺ: ((**الحج عرفة**)) والمراد به الوقوف في ميدان عرفات، وهناك يهتف الحجاج القادمون من أنحاء العالم ويسبحون ويهللون ويتضرعون، وأول من حج متبع محمد ﷺ ((هم سكان سالع)) أي

أهل المدينة، والنبي ﷺ سكن في «سالع» (المدينة) وخرج مع أصحابه في حجة الوداع لأول مرة، وكان عددهم حوالي مائة ألف جاءوا مهللين من أنحاء الجزيرة العربية، ووقف على الجبل مع أصحابه في غرفة، وهنا تحقق قوله «لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال...» الخ.

٤- وقوله: «الرب كالجبار يخرج...» الخ إشارة واضحة إلى شوكة العرب المسلمين وقوتهم التي بدأت من المدينة، فقهرت أعداء الإسلام. قديماً قال الغرب: «إن الإسلام قام غازياً كجبار، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه».

٥- وفي بداية النص قول إشعياء: «هو ذا الأولياتُ... قبل أن تنبت أعلمكم بها»: يدل صراحة أنه يقع في المستقبل وهو بمثابة بشارة لسيدنا محمد ﷺ الذي يتحقق على يده وجود أغنية جديدة (وهي الشريعة الإسلامية)، ورفعة العرب (وهو ذيوع صيتهم في أنحاء العالم) وغلبتهم على أعداء الإسلام.

<u>ثالثاً</u>: وقال أيضاً: «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه، **فيخرج الحق للأمم**، لا يصيح، ولا يرفع، ولا يسمع في الشرع صوته، قصبةً مرضوضةً لا يقصف، وفتيلةً خامدةً لا يُطفئ، إلى الأمان يخرج الحق، **لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته** هكذا يقول الرب... أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب **ونوراً للأمم**، لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن

الجالسين في الظلمة» [١].

قال أبو عبيدة (ت٥٨٢هـ) بعد ذكره هذا النص: «اعتبر هذا التصريح لمحمد ﷺ وصفاته ففيه الكفاية، فكم وكم من وجوه يمتنع عليكم أن تدعو فيها لغير محمد ﷺ» [٢].

في هذا النص عدة أمور تدل على أنه بشارة بمحمد ﷺ:

١ - «فيخرج الحق للأمم» ولا يمكن حمل هذه البشارة على السيد المسيح عليه السلام، لأنه عليه السلام لم يكن مرسلاً إلى الأمم (أي إلى غير العبرانيين) كما صرح به نفسه فقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني، فأجاب، وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز النبيين ويطرح للكلاب[٣]. وقال المسيح للحواريين حين أرسلهم لتبليغ رسالته: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلو، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[٤].

أما محمد ﷺ فبعث إلى الناس كافة: أخرج الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**» -أنه ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنّ أحد من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما**

(١) سفر إشعياء (٤٢/١-٧).

(٢) بين الإسلام والمسيحية ص (٢٢٥).

(٣) إنجيل متى (١٥/٢٤-٢٦).

(٤) انجيل متى (١٠/٥-٦).

**رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة».**

٢- «لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض»: هذا نص صريح على أن النبي الذي تنبأ به إشعياء يقوم بكل قوة أمام تحديات أعدائه وينتصر عليهم، ويظهر الحق في الأرض، أما المسيحيون الذين يحملون هذه البشارة فيعتقدون أن المسيح غلب وصلب بحكم الحاكم الروماني، وأي ضعف أكثر من ذلك.

٣- «تنتظر الجزائر شريعته»: وهذه الفقرة أيضاً دالة على عالمية نبوة النبي المرتقب ورسالته، والمعروف أن اليهود انتقلوا إلى الجزيرة العربية مراقبين ظهوره فيها، فسكنوا حوالي يثرب.

٤- «أحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم»: فيه إشارة واضحة إلى أن النبي المرتقب يؤدي رسالته في حفظ الله ورعايته، ولا يستطيع أحد أن يمسه بسوء، كما فيه إيذان بعمومية رسالته إلى بني إسرائيل وغيرهم، وهذا لا ينطبق إلا على محمد ﷺ كما قلنا آنفاً.

رابعاً: وقال أيضاً: «قومي استنيري، لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك، لأنه هاهي الظلمة تغطي الأرض، والظلام الدامس الأمم، أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى، فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك، ارفعي عينيك حواليك، وانظري قد اجتمعوا كلهم، جاءوا إليك، يأتي بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدي، حينئذ تنظرين وتنيرين، ويخفق قلبك ويتسع لأنه تحول إليك ثروة البحر، ويأتي

إليك غِنى الأمم، تغطيك كثرة الجمال، بكران يدبان و عيفة كلها تأتي من شبا، تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب، كل غنم قيدار[١] تجتمع إليك، كباش بنايوت» [٢].

ويؤخذ من هذا النص ما يأتي:

١- السلسلة النبوية التي ذكرها موسى عليه السلام بقوله: «هذه أسماء بني إسماعيل حسب مواليدهم...» [٣].

نجد ذكر بنايوت، وقيدار منهم في نص أشعيا هذا مع الرموز الخاصة التي تنطبق على العرب ودولة الإسلام وهي:

١- كثرة الجمال. ٢- وكثرة غنم قيدار. ٣- وكثرة كباش بنايوت.

٤- وفي قوله: «يأتي إليك غنى الأمم» أي خزائن الأمم المفتوحة.

٥- وقوله: «تصعد مقبولة على مذبحي» فيه إشارة إلى يوم النحر بمنى وجبل عرفات.

---

(١) قيدار: اسم لابن إسماعيل عليه السلام الثاني، كما جاء في التكوين (٢٥/١٣-١٥) ضمن أسماء أولاده، وهو اسم سامي معناه قد برأ واسودّ، وفي قاموس الكتاب المقدس: هو أب لأشهر قبائل العرب، وتسمى بلادهم أيضاً قيدار، وكانوا أصحاب مواشٍ كثيرة، وهم بارعون في الحرب ولا سيما في الرمي بالقوس.

(٢) بنايوت هو اسم الابن الكبير لإسماعيل عليه السلام، التكوين (٢٥/١٣-١٥) وإليه تنسب إحدى القبائل العربية التي وصفت بكثرة مواشيها.

(٣) التكوين (١٥/١٣-١٥).

**خامساً**: وجاء في سفر دانيال[1]: «قال دانيال: أنت أيها الملك: كنت تنظر، وإذا بتمثالٍ عظيم، هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل، رأى هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعيه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزفن كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وضارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان، أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً، وملأ الأرض كلها، هذا هو الحلم، فنخبر بتعبيره قدام الملك. «أنت أيها الملك ملك ملوك، لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً، وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها، فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القديمن والأصابع بعضها من خزف، والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد، من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف، فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن

(١) سفر دانيال (٢/٣١-٤٥).

لا يتلاصق هذا بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفي أيام[1] هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه المماليك، وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة، الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا الحلم حق، وتعبيره يقين».

في هذه العبارة تقص التوراة منام ملك بخت نصر وتعبيره الذي رأى فيه أموراً فزع منها، فدعا الكهنة والسحرة والمنجمين لتعبير هذه الرؤيا، وهددهم بالقتل إنْ لم يكن تعبيرهم صحيحاً، كما طلب منهم أن يبينوا له الرؤيا التي رآها الملك حتى يعرف صدقهم وتمكنهم من تعبير الرؤيا، فلم يستطع أحد إجابة الملك، فصدر الأمر بقتلهم إلى أن وصل الخبر إلى نبي الله دانيال الذي هو أحد كبار الأنبياء الاربعة في الشريعة الموسوية، فسال الله الإلهام والرشد والصواب لينجو من القتل، وبعد هذا ذهب إلى الملك وقصّ أمامه الرؤيا وتعبيرها، فسُرّ بها الملك، وفي هذا التعبير يشير دانيال إلى ظهور نبي الإسلام في آخر الزمان، وذلك لأمور آتية:

(١) وهذا الشق الأخير من الرؤيا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هكذا: «أما الحجر الذي رايت قد صكّ ذلك الصنم العظيم ففتته، فهو نبي يقيمه الله إله السماء والأرض من قبيلة بشرية قوية، فيدق جميع ملوك الأرض وأممها، حتى تمتلئ منه الأرض ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدين». الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٣-٤).

١- أن هذه الرؤيا وتعبيرها حق كما يقول دانيال النبي، ونرى الأدوار التي ذكرها دانيال واضحة جليلة في التاريخ، فنجد أن:

(١) سنة ٧٠١ ق.م. مملكة بابل، ورمز له دانيال برأس من الذهب في عهد بختنصر.

(٢) سنة ٦١٢ ق.م. مملكة الكلدانيين في عهد ميداس، ويرمز لها بالفضة.

(٣) سنة ٣٢٦ ق.م. المملكة الإغرقية في عهد الإسكندر المقدوني، ويرمز لها بالنحاس.

(٤) سنة ٥٣ ق.م. الإمبراطورية الرومانية في عهد بومبالي، ويرمز لها بالحديد.

(٥) سنة ٦١٢م، الإمبراطورية البيزنطية في الغرب، والإمبراطورية الفارسية الساسانية في الشرق.

(٦) سنة ٦٤٧م، الإسلام، وكتب الرسول ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، والغزو الإسلامي دفاعاً لهجوم أعداء الإسلام ، وتقويض الإمبراطورية البيزنطية في الغرب، والإمبراطورية الفارسية في الشرق.

جاء في سفر التثنية: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لها نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يستطيع لكلامي

الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً، لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي» [١].

وجاء في أعمال الرسل: «هذا هو موسى، الذي قال لبني إسرائيل نبياً مثلي سقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون» [٢].

جاءت هذه البشائر في ضمن وصايا موسى عليه السلام ومواعظه التي أعلنها أمام جميع بني إسرائيل، فجاء في الإصحاح الأول من التثنية: هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع بني إسرائيل في عبر الأردن ... كلم موسى بني إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم ... في أرض موآب ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة قائلاً: الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً ... [٣]، وجاء في الإصحاح الرابع: فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعلموها[٤]... وفي هذه الوصية التي أعلن موسى فيها الفرائض والأحكام وردت البشارة بنبي مرتقب عظيم الشأن. لقد حاول المسيحيون أن يطبقوا هذه البشارة على المسيح عليه السلام، يقول بطرس: «ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل ... فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون، في

(١) سفر التثنية (١٨/١٥-٢٠).

(٢) أعمال الرسل (٧/٣٧).

(٣) التثنية (١/١-٦).

(٤) التثنية (٤/١).

كل ما يكلمكم به ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب» [١]. ولا مانع من الموافقة على ذلك لو كان المسيح عليه السلام مثل موسى عليه السلام، لكن الواقع على خلاف ذلك من كل الوجوه سوى أن المسيح كان عبداً لله ورسوله، وبيان ذلك:

(١) يقول موسى: «نبياً من وسط إخوتهم»: والمعروف أن إخوة بني إسرائيل هم أولاد أقربائهم أو عمومتهم الذين يشاركونهم في النسب من جهة الآباء، وقد تعدد استعمال «الإخوة» بهذا المعنى في العهد القديم، ففي العدد: وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم «هكذا يوقل أخوك إسرائيل: قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا» [٢].

والمراد بقوله: «أخوك إسرائيل» الشعب الإسرائيلي أي أحفاد يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق، كما كان ملك أدوم من أحفاد عيسو ابن إسحاق[٣].

وجاء ذلك المعنى بصراحة في التثنية حيث قال: «أوص الشعب قائلاً: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير» [٤]. وقد تبين من هذا أن النبي المرتقب الذي ذكره موسى لا يكون من أولاد إسرائيل (يعقوب بن إسحاق)، لأنه لو كان منهم لقال: «نبياً من أنفسكم»،

---

(١) أعمال الرسل (٣/٢٠-٢٣).

(٢) العدد (٢٠/١٤).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، مادة: أدوم.

(٤) التثنية (٢/٤).

ولا من أولاد عيسو بن إسحاق لأنه لم يأت نبي من أولاده باتفاق المؤرخين، فلا يصدق قوله: «نبياً من وسط إخوتهم» إلا على محمد بن عبد الله ﷺ الذي يشارك بني إسرائيل في جدهم الأعلى إبراهيم ﷺ.

(٢) «مثلك» أو «مثلي»: هذه الكلمة بمثابة نص على البشارة بأن النبي المرتقب ما هو إلا محمد ﷺ، فهو النبي الوحيد الذي بعث على فترة من موسى عليه السلام، وعليه تنطبق أوصاف موسى المعبر عنها بقوله: «مثلك»، أو «مثلي».

أ- موسى عليه السلام كان صاحب شريعة جديدة مستقلة، مثله كان محمد بن عبد الله ﷺ صاحب شريعة جديدة مستقلة، ناسخة لما قبلها من الشرائع. أما عيسى عليه السلام فلم يكن صاحب شريعة مستقلة كما يقول هو نفسه: «ما جئت لأنقض بل لأكمل» [(١)].

ب- تزوج موسى عليه السلام قبل رسالته وكانت له ذرية، جاء في سفر الخروج[(٢)]: «أخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير». كذلك تزوج محمد بن عبد الله ﷺ قبل رسالته وكانت له ذرية. أما عيسى عليه السلام فلم يتزوج حتى رفع إلى السماء.

ج- تزوج موسى عليه السلام أكثر من واحدة بعد الرسالة، فامرأته الأولى «صفورة» ابنة كاهن مدين المديانية [(٣)]، ثم تزوج بامرأة كوشية فتكلم عليه هارون وأخته

---

(١) متى (١٧/٥).

(٢) سفر الخروج (٢٠/٢).

(٣) خروج (٢١/٢).

مريم فدافع عنه الرب[١]. وهكذا تزوج محمد ﷺ، بأكثر من واحدة، فتطاول اليهود والنصارى وأذنابهم ولا يزالون يتطاولون في تعدد الأزواج. وأما عيسى عليه السلام فلم يتزوج أصلاً.

د- كان موسى عليه السلام رجل حرب، وقاد بني إسرائيل في حروبهم[٢]. وقد حارب محمد ﷺ أعداء الله في كثير من الغزوات بنفسه.

وأما عيسى عليه السلام فكان يقول: «دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[٣].

هـ - ولد موسى عليه السلام من أب وأم بطريق طبيعي، وهكذا كانت ولادة محمد ﷺ.

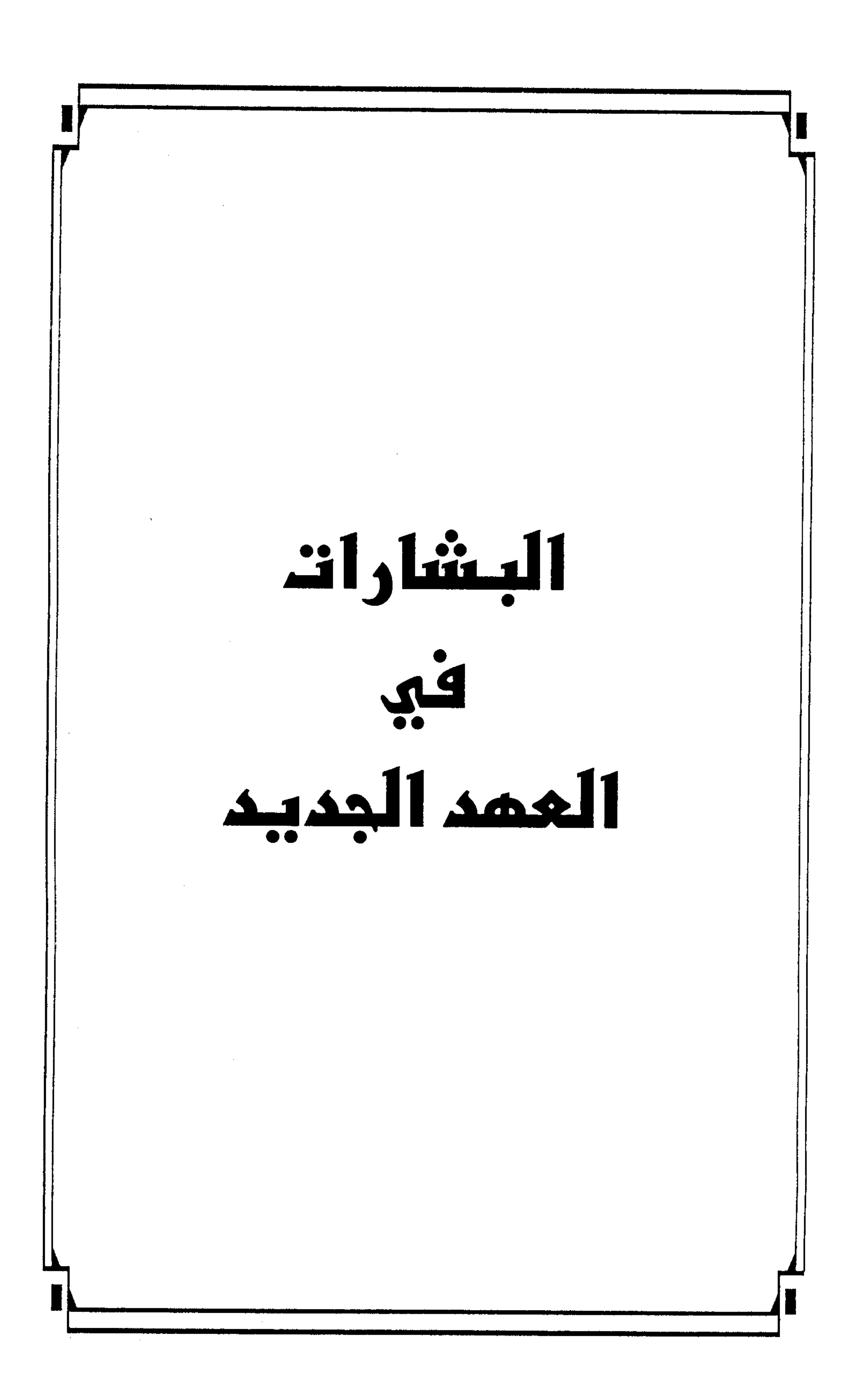
وأما عيسى عليه السلام فكانت ولادته من أم بدون أب من طريق معجزة إلهية.

---

(١) عدد (١٢/١-١٤).

(٢) انظر التفاصيل في: الخروج (١٧/٨-١١)، وعدد (١/١-٣،و٢١/٢١-٢٤) والتثنية (١٠/٤١-٤٤).

(٣) متى (٢٢/٢١).



# البشارات
# في
# العهد الجديد

# البشارات في العهد الجديد

نقل صاحب إنجيل «يوحنا» على لسان يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) ما يأتي: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر، إني لست أنا المسيح، فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. النبي أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية، قوِّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي، وكان المرسلون من الفريسيين، فسألوه وقالوا له: فما بالك تُعمِّد؟ إن كنت لست المسيحَ ولا إيليا، ولا النبي؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أعمد بماء، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه، هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي، لست بمستحق أن أحل سيور حذائه، هذا كان في بيت عبرة، في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد» (١). وكان بنو إسرائيل منتظرين لمجيء ثلاثة من الأنبياء «المسيح»، و «إيليا» (٢) و«النبي» .

ثم صاحب إنجيل «يوحنا» يسرد البشارات الأخرى ابتداء من الإصحاح الرابع عشر إلى السادس عشر قائلاً:

«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم

---

(١) إنجيل يوحنا (١/١٩-٢٨).

(٢) المجيء الثاني لنبي الله «إلياس».

معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» [١].

«بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [٢].

«لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء» [٣].

«ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي» [٤].

«لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة، وعلى بر وعلى دينونة» [٥].

«إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية» [٦].

هذه البشارات التي نقلها يوحنا في إنجيله واضحة في فحواها،

---

(١) إنجيل يوحنا (١٤/١٥-١٧).

(٢) إنجيل يوحنا (١٤/٢٥-٢٦).

(٣) إنجيل يوحنا (١٤/٣٠).

(٤) إنجيل يوحنا (١٥/٢٦).

(٥) إنجيل يوحنا (١٦/٧-٨).

(٦) إنجيل يوحنا (١٦/١٢-١٤).

لا تحتاج إلى كبير تدبر وتفكير، بل يرى القارئ بأدنى تدبر أن هذا الكلام ينطبق حرفياً على نبينا محمد ﷺ. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (١). ذلك لأمور آتية:

١- وصفه المسيح عليه السلام «بأنه المعزى، ولا يأتي إلا بعده». ومعلوم أن محمد ﷺ أرسل بعده مباشرة، ولم يكن بينهما نبي آخر، ونقل القرآن عن المسيح قوله: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ وتعزيته ﷺ لبني إسرائيل فهو واضح حين أخبر أنهم إذا آمنوا به لا تبطل أعمالهم الصالحة، بل يجزون عليها، بل أخبر بأن لهم أجرين، أجراً لإيمانهم بالمسيح، وأجراً لإيمانهم بالنبي ﷺ.

٢- ووصفه بأنه «يبكت العالم أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي»، وحقاً أن الرسول ﷺ أقر بنبوته عليه السلام بالدلائل والبراهين، وكفر من لا يؤمن به، وهددهم بعذاب أليم، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...... ﴾ (٢).
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الصف (٦).

(٢) سورة آل عمران (٥٥).

(٣) سورة آل عمران (٥٦).

وكما بكت العالم ووبخه وخطأه في مسألة ذهابه من الدنيا، وفيه جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

٣- وقوله: «إن لي أموراً كثيرة ... الخ»: وفيه إشارة إلى أن شريعة عيسى الطَّيْلا لم تكن تامة، لأن العقول البشرية لم تنضج بعد، فجاء محمد ابن عبد الله ﷺ المعبر عنه في قول المسيح «بروح الحق» متمماً لشريعته، ومصدقاً لها، فأقر التشريعات الخالدة التي لا تتأثر بالزمان والمكان كالتوحيد، ومسألة الصفات، وحدوث العالم، وحقيقة الجنة والنار، ونسخ التشريعات الموقوتة بآجال طويلة أو قصيرة بعد أن انتهى أجلها، وجاء بشريعة هي أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة. وقوله: لا يتكلم عن من نفسه .. الخ، فيه تصريح بأن النبي ﷺ يخبر عن المغيبات بوحي من الله تعالى، لا من تلقاء نفسه كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

وقال لهم يسوع أيضاً: أما قرأتم قط في الكتب؟ الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب

---

(١) سورة النساء (١٥٧).

(٢) سورة آل عمران (٤٤).

في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم[1].

في هذه الآيات يشير السيد المسيح إلى ما كانت عليه بنو إسرائيل من سوء الأخلاق، وعدم المبالاة بشريعة موسى، وعدم الاهتمام بما جاء به أنبياؤهم من بعده، وتمردهم على شريعة الله، فحذرهم المسيح قائلاً:

بأن الله سينزع ملكوت الله من أيديهم، ويعطيها أمة غيرهم؛ لأنها تعمل وفق شريعة الله وتجني ثمارها، ألا وهي أمة محمد بن عبد الله ﷺ، وقد ضرب المسيح عليه السلام مثلاً حياً لأعمال اليهود وتصرفاتهم السيئة فقال: كان أنساب رب بيت غرس كرماً، وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة، وبنى برجاً، وسلمه إلى كرّامين وسافر، ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك، فأخبر أن أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني. أما الكرامون لما رأوا الابن، قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه، فأخذوه، وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء، يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها[2].

---

(١) إنجيل متى (٢١/٤٢-٤٥).

(٢) متى (٢١/٣٣-٤١).

وبعد هذا المثال الحيّ لحالة بني إسرائيل قال المسيح قوله الذي قدمناه.

وفي هذا المعنى ورد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يقول فيه: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين**»[1].

والنص الذي قدمناه عن عيسى عليه السلام فيه أمور تستجلب انتباه القراء هي:

١ - «الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية».

قيل: المراد به جد الرسول سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[2]. وسياق النص يدل أن المراد بهذا الحجر الذي رفضه اليهود هي نبوة محمد ﷺ، وذلك بأن سلسة الأنبياء والنبوة كجدران صرح النبوة، لبنة فوق لبنة، ولما وصلت هذه السلسلة إلى عيسى عليه السلام، غفل عنها بنو إسرائيل وعجزوا عن حمل أعبائها بسبب أعمالهم السيئة، فجاء نبي الله محمد ﷺ فسدّ هذا الخلل وأكمل صرح النبوة، وختمت به هذه السلسلة، ونسخت به الشرائع السابقة، وفضل على جميع الأنبياء والمرسلين، وصح أن يقال: الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. وهذا ما يشير إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل**

---

(١) البخاري: في مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل المغرب.

(٢) انظر: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن.

**بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء ويقولون: ألا وضعت هذه اللبنة فيتم البناء، قال ﷺ: فأنا اللبنة، جئت فختمت الأنبياء»** (١).

إن المسيحيين لا يزالون متمسكين بأن يوحنا استعمل كلمة يونانية عبر بها عن النبي المنتظر وهي (PARACLETUS) ومعناها: الداعي إلى مكان، والمنادي لمساعدته، والمنذر، والمنبه، والملتمس، ويكون معناها في اللهجة الهيلنسية: الْمُسّلّي، باعث الراحة والاطمئنان، ولكن مفسري الأناجيل لم يتفقوا على ترجمة هذه الكلمة، فمرة يترجمه «أورجن» ORIGEN بلفظ CONSOLATOR ومرة بلفظ DEPRECTOR إلا أن المترجمين الآخرين لم يقبلوا هذه الترجمة، لأنه تخالف القواعد اليونانية، ولذا ترجمه بعضهم بلفظ (TEACHER) و «ترتوليان» و «أغستائن» رجحا لفظ (ADVOCATE) ورجح غيرهما (ASSISTANT) و(COMFORTER) و (CONSOLER) وغيرها، وتوجد كلمة أخرى باليونانية (PERICLYTOS) وهي بمعنى «محمد» من كل وجه، واشتقاقها قريب من كلمة (PARACLETUS) (٢).

وبذلك يبدو أن المسيح ؏ نطقها بالسريانية، وترجمها أهل الأناجيل إلى اليونانية، فما هو اللفظ الأصلي الذي جرى على لسان المسيح ؏. فإن الأناجيل الموجودة لا ترشدنا إلى معرفة هذا

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل.

(٢) المودودي: اليهودية والمسيحية ص (٤٥٩).

اللفظ، ولكن قام المؤرخون المسلمون بدراسة ميدانية لمعرفته فوجدوا أنه «مُنْحَمّنَا».

قال ابن إسحاق ناقلاً عن عيسى عليه السلام: «من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني، وأيضاً للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجاناً - أي باطلاً، فلو قد جاء «المُنْحَمّنَا» هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب، وروح القدس هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد عليّ، وأنتم أيضاً، لأنكم قديماً كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا»[1].

قال ابن إسحاق: «الأمُنْحَمَّنا» بالسريانية محمد، وهو بالرومية البرقليطس. فلا عجب أن يكون المسيح قد استعمل لفظ «منحمنا» بالسريانية، وهو بالعربية «محمد»، وباليونانية «فارقليط»، وقد شهد شاهد من أهله وهو النجاشي ملك الحبشة قائلاً: «مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجده في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه» [2].

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود في الجنائز، باب الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبيه. وله شاهد من حديث ابن =

يقول الشيخ المودودي -رحمه الله تعالى-: «قبل أن نحدد مفاهيم هذه البشارات، علينا أن نعرف لغة أهل فلسطين في عصر المسيح، كانت سريانية (SYRIAC) من «الآرامية» لأن اللغة العبرية ق انقرضت قبل المسيح بحوالي مائتين وخمسين سنة، في عهد السلوقين (SELEUCIDE)، وأما اللغة اليونانية فانحصرت في الطبقة المثقفة، العاملة في الوظائف الحكومية، فكان أهل فلسطين يتكلمون بلهجة خاصة من اللغة السريانية. وبهذا من الممكن أن تعرف أيضاً أن الأناجيل الموجودة التي تأخر تدوينها كتبت باللغة اليونانية، وأن أقوال المسيح ومواعظه لم تدون بلغته الأصلية وهي السريانية». فاعتمد أهل الأناجيل على الروايات الشفاهية التي كانت متداولة على ألسنة الناس، وترجموها إلى اللغة اليونانية لغة العلم والثقافة».

وبقي هنا سؤال، وهو ما إذا كان مصدر معلومات النجاشي عن هذا النبي المنتظر أهو إنجيل يوحنا؟ أم غيره؟

يمكن أن أجيب على هذا بجوابين: أحدهما: أنه قد يكون النسخة الأصلية من إنجيل يوحنا بقيت إلى زمان النجاشي فاطلع عليها، أو إن إنجيل برنابا الذي حرمت قراءته قبله بحوالي مائة عام، قد وصلت إليه نسخة منه، فعرف على اسم هذا النبي وصفاته المذكورة فيه، وقد تكون الروايات الشفوية مصدر معلوماته. فكل ذلك ممكن لمن يبحث عن الحق، ويبذل مجهوده الدائب للوصول إلى الحقيقة التي قد تكون حكماً في

=

مسعود في حديث طويل، أخرجه أحمد (٤٦١/١) من طريق زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عتبة، عن ابن مسعود.

الموضوع وفصلاً في المسألة. والله تعالى أعلم.

ثم نعود إلى كلام الدكتور خليل سعادة عن ورود ذكر النبي ﷺ صراحة في إنجيل برنابا وقوله: «ولو أشار إلى مجيء (الرسول) نبي المسلمين من طرف خفي بإشارات تنطبق عليه دون التصريح باسمه، لكان ذلك أصلح للغاية» الحقيقة أن قوله هذا دليل على صحة نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا، لأن كاتبه كما وصفه الدتور سعادة بالبراعة والفلسفة العالمية وكثرة الاطلاع... فكيف تخفى عليه حقيقة ابتدائية كهذه لو كان كاذباً[1].

**مقتطفات من إنجيل برنابا:**

قد انتهينا من سرد تاريخ إنجيل برنابا وكيفية عثوره، والدراسة حول صحة نسبته إليه من عدمه، يجدر بنا أن نذكر هنا بعض مقتطفات من هذا الإنجيل إتماماً للفائدة.

**١- البشارات بمحمد رسول الله ﷺ.**

**جاء في الفصل الثالث والأربعين:** «ونزل المسيح إلى التلاميذ الثمانية الذين كانوا ينتظرونه أسفل(١). وقص الأربعة على الثمانية كل ما رأوه(٢). وهكذا زال في ذلك اليوم من قبلهم كل شك في يسوع إلا يهوذا الاسخريوطي الذي لم يؤمن بشيء(٣). وجلس يسوع على سفح الجبل، وأكلوا من الأثمار البرية لأنه لم يكن عندهم خبز(٤). حينئذ قال اندراوس: لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيا، فتكرم بالتصريح لنا لكل شيء (٥). فأجاب يسوع: كل من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء

(١) انظر: المسيحية ص (١٨٥).

(٦). لذلك أقول لكم: إن الله لما كان بالحقيقة كاملاً لم يكن له حاجة لغنائه (٧). لأنه الغناء عند نفسه (٨). وهكذا لما أراد أن يعمل خلق قبل كل شيء نفس رسوله الذي لأجله قصد إلى خلق الكل (٩). لكي تجد الخلائق فرحاً وبركة بالله (١٠). ويسر رسوله بكل خلائقه التي قدر أن تكون عبيداً (١١). ولماذا وهل كان هذا هكذا إلا أن الله أراد ذلك؟ (١٢). الحق أقول لكم أن كل نبي متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله (١٣). ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه (١٤). ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده (١٥). فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه (١٦). وسيأتي بقوة على الظالمين (١٧). ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان (١٨). لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً، هكذا سيفعل نسلك(١٩). أجاب يعقوب: يا معلم! قل لنا بمن صنع الله هذا العهد؟ (٢٠). فإن اليهود يقولون «بإسحاق» (٢١) والإسماعيليون يقولون «بإسماعيل» (٢٢). أجاب يسوع: ابن مَنْ كان داود، ومن أي ذرية؟(٢٣). أجاب يعقوب: من إسحاق، لأن إسحاق كان أبا يعقوب، ويعقوب كان أبا يهوذا الذي من ذريته داود (٢٤). فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون؟ (٢٥). أجاب التلاميذ: من داود (٢٦). فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم(٢٧). لأن داود يدعوه في الروح رباً قائلاً هكذا، قال الله لربي: اجلس عن يميني

حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك(٢٨). يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك(٢٩). فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيا بن داود فكيف يسميه داود رباً؟ (٣٠). صدقوني لأني أقول لكم الحق أن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق(٣١) ».

**وجاء في الفصل الرابع والأربعين:** «حينئذ قال التلاميذ: يا معلم، هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق (١). أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب(٢). ولكن موسى لم يكتبه ولا يسوع(٣). بل أحبارنا الذين لا يخافون(٤). الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا(٥). لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله(٦). ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله(٧). حقاً يجب عليكن أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله(٨). فأجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله(٩). فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة(١٠). فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟ (١١). فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجليّ(١٢). لذلك قل لنا الحق لأننا نعلم أنك مرسل من الله(١٣). فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله(١٤). فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراؤن وصانعو الشر كل شيء اليوم(١٥). الأولون بالتعليم الكاذب والآخرون بمعيشة الخلاعة (١٦). حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً(١٧). ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب

عليهم إهانة وعذاباً في الجحيم(١٨). لذلك أقولك لكم: إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريباً (١٩). لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة (٢٠). روح الحكمة والقوة (٢١). روح الخوف والمحبة(٢٢). روح التبصر والاعتدال(٢٣). مزدان بروح المحبة والرحمة(٢٤). روح العدل والتقوى(٢٥). روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه(٢٦). ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم(٢٧). صدقوني أني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي(٢٨). لأن الله يعطيهم روحه نبوة (٢٩). ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً: يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك(٣٠). لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً، وقدوس الله (٣١). ولما قال يسوع هذا شكر الله(٣٢) )).

**وجاء في الفصل الرابع والخمسين** (بعد بيان ما سيقع قرب القيامة):

((فمتى مرت هذه العلامات تغشى العالم ظلمة أربعين سنة، ليس فيها من حي إلا الله وحده الذي له الإكرام والمجد إلى الأبد(١). ومتى مرت الأربعون سنة يحيي الله رسوله الذي سيطلع أيضاً كالشمس بيد أنه متألق كألف شمس(٢). فيجلس ولا يتكلم لأنه سيكون كالمخبول(٣). وسيقيم الله أيضاً الملائكة الأربعة المقربين لله الذين ينشدون رسول الله(٤). فمتى وجدوه قاموا على الجوانب الأربعة للمحل حراساً له(٥). ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الملائكة الذين سيأتون كالنحل ويحيطون برسول الله(٦). ثم يحيي الله بعد ذلك سائر أنبيائه الذين سيأتون جميعهم تابعين لآدم(٧).

فيقبلون يد رسول الله واضعين أنفسهم في كنف حمايته(٨). ثـم يحيي الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون: (اذكرنا يا محمد) (٩). فتتحرك الرحمة في رسول الله لصراخهم(١٠) ».

**وجاء في الفصل الخامس والخمسين:** «ويكلم الله رسوله قائلاً: (مرحبا بك يا عبدي الأمين (١٦). فاطلب ما تريد تنل كل شيء) (١٧). فيجيب رسول الله: (يا رب، أذكر أنك لما خلقتني قلت إنك أردت أن تخلق العالم والجنة والملائكة والناس حباً فيّ ليمجدوك بي، أنا عبدك (١٨). لذلك أضرع إليك أيها الرب الإله الرحيم العادل أن تذكر وعدك لعبدك) (١٩). فيجيب الله كخليل يمازح خليله ويقول: (أعندك شهود على هذا يا خليلي «محمد»؟ (٢٠). فيقول باحترام: (نعم يا رب) (٢١). فيقول الله: (اذهب وادعهم يا جبريل) (٢٢). فيأتي جبريل إلى رسول الله ويقول: (من هم شهودك أيها السيد؟) (٢٣). فيجيب رسول الله: (هم آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وداود ويسوع بن مريم) (٢٤). فينصرف الملاك وينادي الشهود المذكورين الذين يحضرون إلى هناك خائفين (٢٥). فمتى حضروا يقول الله لهم: (أتذكرون ما أثبته رسولي؟) (٢٦). فيجيبون: (أي شيء يا رب؟) (٢٧). فيقول الله: (إني خلقت كل شيء حباً فيه ليحمدني كل الخلائق به؟) (٢٨). فيجيب كل واحد منهم: (عندنا ثلاثة شهود أفضل منا يا رب (٢٩). فيجيب الله: (ومن هم هؤلاء الثلاثة؟) (٣٠). فيقول موسى: (الأول الكتاب الذي أعطيتنيه)، ويقول داود: (الثاني الكتاب الذي أعطيتنيه) (٣١). ويقول الذي

يكلمكم: (يا رب إن العالم كله أغراه الشيطان فقال: إني كنت ابنك وشريكك (٣٢). ولكن الكتاب الذي أعطيتنيه قال حقاً إني أنا عبدك (٣٣). ويعترف ذلك الكتاب بما أثبته رسولك (٣٤). فيتكلم حينئذ رسول الله ويقول: (هكذا يقول الكتاب الذي أعطيتنيه يا رب) (٣٥) ».

**وجاء في الفصل السادس والتسعين:** «ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال: قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لأمتنا (١). أجاب يسوع بن مريم: من نسل داود بشر مائت (ميت) ويخاف الله وأطلب أن لا يعطى الإكرام والمجد إلا لله(٢). أجاب الكاهن: إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مسيا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله، وسيأتي للعالم برحمة الله (٣). لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيا الله الذي ننتظره؟ (٤). أجاب يسوع: حقاً إن الله وعد هكذا، ولكني لست هو، لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي (٥). أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله (٦). لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مسيا؟ (٧). أجاب يسوع: لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي أني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض (٨). ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله (٩). فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً (١٠). حينئذ

يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله (١١). الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام (١٢). وسينزع من الشيطان سلطته على البشر (١٣)، وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به (١٤). وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً (١٥)».

**وجاء في الفصل السابع والتسعين:** «فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور (٤). ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل راءٍ كاذب فيّ، وسيمتد دينه، ويعم العالم بأسره، لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم (٥). وإن ما يعزيني هو أنه لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً (٦). أجاب الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله؟ (٧). فأجاب يسوع: لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله (٨). ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني (٩). لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي (١٠). أجاب هيردوس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل؟ (١١). أجاب يسوع: من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته، لذلك أقول لكم: إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً، وأحب الكاذبين، كما يشاهد في أيام ميشع وإرميا لأن الشبيه يحب الشبيه (١٢). فقال حينئذ الكاهن: ماذا يسمى مسيا، وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟ (١٣). أجاب يسوع: إن اسم مسيا عجيب، لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه، ووضعها في بهاء سماوي (١٤). قال الله: (اصبر يا «محمد» لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة

والعالم، وجماً غفيراً من الخلائـق الـتي أهبـها لـك، حتـى أن مـن يبـاركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً (١٥). ومتى أرسلتك إلى العـالم أجعلـك رسـولي للخـلاص، وتكـون كلمتـك صادقـة حتــى أن السـماء والأرض تهنان، ولكن إيمانك لا يهن أبداً) (١٦). إن اسمـه المبـارك محمـد (١٧). حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله! أرسـل لنـا رسـولك، يا محمد! تعال سريعاً لخلاص العالم (١٨) ».

## وجاء في الفصل السادس والثلاثين بعد المائة على لسان المسيح:

«أفيدكم أنه حتى رسول الله يذهب إلى هناك (يعني الجحيم) ليشـاهد عدل الله (١٠). فترتعد ثمـة الجحيـم لحضـوره (١١). وبمـا أنـه ذو جسـد بشـري يرفـع العقـاب عـن كـل ذي جسـد بشـري مـن المقضـي عليـهم بالعقـاب، فيمكـث بـلا مكـابدة عقـاب مـدة إقامـة رسـول الله لمشـاهدة الجحيم (١٢). ولكنه لا يقيم هناك إلا طرفة عـين (١٣). وإنمـا يفعـل الله هذا ليعرف كل مخلوق أنه نال نفعاً من رسول الله (١٤). ومتى ذهب إلى هناك وَلْوَلت الشياطين وحاولت الاختباء تحت الجمر المتقد قائلاً: اهربوا، اهربوا، فإن عدونا «محمد» قد أتى (١٥). فمتى سمع الشيطان ذلك يصفع وجهه بكلتا كفيه ويقول صارخاً: ذلك بالرغم مني وهـذا إنمـا فعـل ظلمـاً (١٦). أما ما يختص بالمؤمنين الذين لهم اثنان وسـبعون درجـة متـع أصحـاب الدرجتين الأخيرتين، الذين كان لهم إيمان بدون أعمال صالحة، إذ كان الفريق الأول حزيناً على الأعمال الصالحـة والآخـر مسـروراً بالشـر، فسـيمكثون في الجحيم إلى الأبد سبعين ألف سنة (١٧). وبعـد هـذه السـنين يجـيء المـلاك

جبريل إلى الجحيم ويسمعهم يقولون: يا محمد! أين وعدك لنا أن من كان على دينك لا يمكث في الجحيم إلى الأبد؟ (١٨). فيعود حينئذ ملاك الله إلى الجنة، وبعد أن يقترب من رسول الله باحترام يقص عليه ما سمع (١٩). فحينئذ يكلم الرسولُ الله ويقول: ربي وإلهي! اذكر وعدك لي، أنا عبدك بأن لا يمكث الذين قبلوا ديني في الجحيم إلى الأبد؟ (٢٠). فيجيب الله: اطلب ما تريد يا خليلي، لأني أهبك كل ما تطلب (٢١)».

**وجاء في الفصل الثاني والأربعين بعد المائة على لسان رؤساء الكهنة والكتبة والفريسين:** «ولكن إذا صار هذا الرجل (أي المسيح) ملكاً فلن يسترضي إلا إذا رأى عبادة الله كما كتب موسى (١٦). وأنكى من ذلك أنه يقول: إن مسيا لا يأتي من نسل داود -كما قال لنا أحد تلاميذه الأخصاء- بل يقول: إنه يأتي من نسل «إسماعيل» (١٧). وأن الموعد صنع بإسماعيل، لا بإسحاق (١٨). فماذا يكون الثمر إذا تركنا هذا الإنسان (أي المسيح) يعيش؟ (١٩). من المؤكد أن الإسماعيليين يصيرون ذوي وجاهة عند الرومانيين، فيعطونهم بلادنا ملكاً (٢٠) وهكذا يصير إسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديماً (٢١)».

**براءة عيسى من الذين اتخذوه إلها:**

**جاء في الفصل الثاني والخمسين:** «الحق أقول لكم متكلماً من القلب أني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً (١٠). وعلى أن أقدم لأجل هذا حساباً (١١). لعمر الله الذي نفسي واقفة في حضرته أني رجل فان كسائر الناس (١٢). على أني وإن أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل

صحة الضعفاء، وإصلاح الخطاة خادم الله (١٣). وأنتم شهداء على هذا، كيف أني أنكر على هؤلاء الأشرار الذين بعد انصرافي من العالم سيبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان (١٤). ولكني سأعود قبيل النهاية (١٥). وسيأتي معي أخنوع وإيليا (١٦). ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة (١٧). وبعد أن تكلم يسوع هذا أذرف الدموع (١٨). فبكى تلاميذه بصوت عال، ورفعوا أصواتهم قائلين: اصفح أيها الرب الإله وارحم خادمك البريء (١٩). فأجاب يسوع: آمين آمين (٢٠) ».

**وجاء في الفصل الثالث والتسعين:** «حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت (١). وقال: إنكم لقد ضللتم ضلالاً عظيماً أيها الإسرائيليون، لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان (٢). وإني أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً مسلماً إياها لاستعباد الغرباء (٣). لعن الشيطان الذي أغركم بهذا ألف لعنة (٤). ولما قال يسوع هذا صفع وجهه بكلتا كفيه (٥). فحدث على إثر ذلك نحيب شديد حتى لم يسمع أحد ما قال يسوع (٦). فرفع من ثم يده مرة أخرى إيماء للصمت (٧). ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى (٨). أشهد أمام السماء، وأشهد كل شيء على أني بريء من كل ما قد قلتم (٩). لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية، وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام، وشقاء البرد والحر كسائر البشر (١٠) .... فاقترب يسوع من الكاهن باحترام، ولكن هذا كان يريد أن يسجد ليسوع (١٦). فصرخ يسوع: حذار ما أنت فاعل يا كاهن، الله الحي، لا تخطئ إلى الله (١٧). أجاب الكاهن:

إن اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله، فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس (١٨). فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك (١٩). لأن فريقاً يقول: إنك الله، وآخر إنك ابن الله، ويقول فريق: إنك نبي (٢٠) أجاب يسوع: وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة؟ (٢١). هل جننت أنت أيضاً ؟ (٢٢). هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً؟ أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان (٢٣) ».

**وجاء في الفصل الرابع والتسعين:** «ولما قال يسوع هذا عاد فقال: إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر (١). لأني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء اعام (٢). لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته أنك أيها الكاهن قد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته (٣). ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة (٤). فقال الكاهن: ليغفر الله لنا، أما أنت فصَلِّ لأجلنا (٥). ثم قال الوالي وهيرودس: يا سيد، إنه لمن المحال أن يفعل بشر ما أنت تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول (٦). أجاب يسوع: إن ما تقوله لصدق، إن الله يفعل صلاحاً بالإنسان، كما أن الشيطان يفعل شراً (٧). لأن الإنسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه (٨). ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملكي، أنتما تقولان هذا لأنكما أجنبيان عن شريعتنا، لأنكما لو قرأتما العهد وميثاق إلهنا لرأيتما أن من

موسى حول بعصاه البحر دماً، الغبار براغيث، والندى زوبعة، والنور ظلاماً (٩). أرسل الضفادع والجرذان على مصر فغطت الأرض، وقتل الأبكار، وشق البحر وأغرق فيه فرعون (١٠). ولم أفعل شيئاً من هذه (١١). وكل يعترف بأن موسى إنما هو الآن رجل ميت (١٢). أوقف يشوع الشمس، وشق الأردن، وهما مما لم أفعله حتى الآن (١٣). وكل يعترف بأن يشوع إنما هو الآن رجل ميت (١٤). وأنزل إيليا النار من السماء عياناً، وأنزل المطر، وهما مما لم أفعله (١٥). وكل يعترف بأن إيليا إنما هو بشر (١٦). كثيرون آخرون من الأنبياء والأطهار وأخلاء الله فعلوا بقولة الله أشياء لا تبلغ كنهها عقول الذين لا يعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد (١٧) ».

## صلب يهوذا الخائن بدلاً من عيسى:

**جاء في الفصل الثاني عشر بعد المائة:** «فاعلم يا برنابا أنه لأجل هذا يجب عليّ التحفظ، وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود (١٣). وعليه فإني على يقين من أن من يبيعني يُقتل باسمي (١٤). لأن الله يسصعدني من الأرض، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي (١٥). ومع ذلك فإنه لما يومت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم (١٦). ولكن متى جاء «محمد» رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة (١٧). وسيفعل الله هذا لأنني اعترفت بحقيقة مسيا الذي سيعطيني هذا الجزاء أي أن أعرف أني حي وأني بريء من وصمة تلك الميتة (١٨) ».

**وجاء في الفصل التاسع والثلاثين بعد المائة:** «أما يسوع فوجده الذي يكتب (يعني نفسه برنابا) ويعقوب ويوحنا (١). وهم باكون: يا معلم، لماذا هربت منا؟ (٢). فقد طلبناك ونحن حزانى، بل إن التلاميذ كلهم طلبوك باكين (٣). فأجاب يسوع: إنما هربت لأني علمت أن جيشاً من الشياطين يهيئ لي ما سترونه بعد برهة وجيزة (٤). فيسقوم عليّ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، وسيطلبون أمراً من الحاكم الروماني بقتلي (٥). لأنهم يخافون أن أغتصب ملك إسرائيل (٦). وعلاوة على هذا فإن واحداً من تلاميذي يبيعني ويسلمني كما بيع يوسف إلى مصر (٧). ولكن الله العادل يسوثقه كما يقول النبي داود: (من نصب فخاً لأخيه وقع فيه) (٨). ولكن الله يسخلصني من أيديهم وسينقلني من العالم (٩). فخاف التلاميذ الثلاث (١٠). ولكن يسوع عزّاهم قائلاً: لا تخافوا لأنه لا يسملني أحد منكم، فكان لهم به شيء من العزاء (١١)».

# الفرق المسيحية

سبق أن تحدثنا عن تاريخ المسيحية عبر القرون ومن خلال هذه الدراسة قررنا أن المسيحية مرت بمرحلتين أساسيتين وهما:

١- المسيحية من بعثة المسيح إلى مجمع نيقيا.

٢- المسيحية بعد مجمع نيقيا.

وفي كلتا المرحلتين وجدنا أن المسيحية اتجهت اتجاهين مختلفين:

الاتجاه الأول: الشرك والبدع والخرافات.

الاتجاه الثاني: التوحيد.

**فالاتجاه الأول** كانت تمثله الفرق التالية:

**فرقة المرقيونيين:**

تنسب إلى قسيس يدعى «مرقيون» أو «مرسيون» ، وكان من رجال القرن الثاني وحكم عليه بالطرد والحرمان لاعتقاده بوجود إلهين:

أحدهما: العادل الذي أنزل التوراة على موسى وجعله شعباً مختاراً.

الثاني: الذي تمثل بشخصية عيسى عليه السلام الذي خلص الإنسان من خطاياه، ومن أهم أحكام هذه الفرقة في شئون الشريعة أنها حرمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفرادها.

**٢- فرقة البربرانية:**

كانت تنادي بألوهية المسيح وأمه. ولعلها هي التي يشير إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ

ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾(١)

وقد انقرضت هذه الفرقة، ومع ذلك فقد تركت آثاراً سيئة على المسيحية.

**٣- فرقة اليان:**

تؤله المسيح، وتقرر أنه ابن الله، وتصور حقيقته وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة، ترى أن القتل والصلب كانا على الخيال والظن لا على الحقيقة.

**٤- فرقة التثليث:**

التي كانت زعيمتها كنيسة الإسكندرية وكانت ترى أن الإله له ثلاثة أقانيم وهي الأب والابن وروح القدس. وهذه الفرقة هي التي أصبحت فيما بعد المذهب المسيحي الرسمي لجميع المسيحيين بعد مجمع نيقيا.

**الاتجاه الثاني: التوحيد:**

كان التوحيد منذ رفع المسيح إلى مجمع نيقيا غالباً على الفرق المسيحية، ولكن بدأ يضمحل بعد دخول بولس شاول في المسيحية حتى غلب أهلُ الشرك والبدع والخرافات أهلَ التوحيد في مجمع نيقيا.

---

(١) المائدة (١١٦).

ومن أهم الفرق المسيحية التي كانت تؤمن بالتوحيد، وتحملت في سبيل الحفاظ على دينها المتاعب والاضطهادات هي:

**١- فرقة أبيون:**

وهم أتباع قسيس «أبيون» ، وكانت هذه الفرقة تؤمن بجميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تتحدث عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر ورسول. وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص يسمى «إنجيل أبيونيين»، وهو في عداد الأناجيل المحرمة قراءتها وغير المعتبرة لدى المسيحيين، ثم انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الرابع الميلادي بقوة الحكم والسلطان بعد قرار مجمع نيقيا.

**٢- فرقة الشمشاطي:**

تنسب إلى بولس «الشمشاطي الأنطاكي» الذي كان في حدود ٢٦٠م، وكان ينكر ألويهة المسيح ويرى أنه بشر ورسول. يمجد ابن حزم هذا القسيس ويقرر مذهبه أنه كان يقول: إن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام. ويقول: لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس[١].

**٣- فرقة الأريسيون:**

تنسب إلى القسيس «أريوس» المصري الذي كان من رهبان كنيسة الإسكندرية، ثم بدا له أن يقاوم الكنيسة الإسكندرية في قولها بألوهية المسيح وبنوته للأب.

---

(١) الفصل في الأهواء والملل والنحل.

## أشهر الطوائف المسيحية:

يمتاز تاريخ المسيحية بكثرة الفرق والطوائف، بالنسبة لتاريخ سائر الأديان في العالم. وهل يصدق إذا قيل: إن أمريكا وحدها توجد فيها أكثر من مائتين وخمسين فرقة مسيحية. وقد قام مندوب وكالة الأنباء العالمية في الثاني عشر من أغسطس عام ١٩٥٧م بتقصي الفرق المسيحية في إفريقيا، فأعلن في إحدى نشراتها: أنها بلغت أكثر من ألف وأربعمائة طائفة. ومن الصعب جداً دراسة جميع هذه الفرق بالتفصيل. لذا أكتفي بإلقاء الضوء على ثلاث فرق رئيسية توجد اليوم في العالم المسيحي، أما الطوائف الأخرى فهي منبثقة من هذه الثلاثة إلى حد كبير.

### ١- الكاثوليك:

أصلها من كلمة (KATHOLIKOS) اليونانية بمعنى العام أو العالمي. أي أن الكاثوليكية هي الديانة المسيحية العالمية. وينسب إلى هذه الفرقة عامة المسيحيين في الغرب؛ لذا تسمى كنيستها الكنيسة الغربية أواللاتينية أو البطرسية نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين، لأن هذه الفرقة ترى نفسها وارثة لبطرس. وتتبع النظام البابوي، والبابا[1] هو المشرع بعد عيسى عليه السلام، وجميع بابوات روما خلفاؤه، والبابا في نظر الكاثوليكيين معصوم لا يصدر عنه الخطأ، فإرادته إرادة إلهية، وأوامره أوامر إلهية يجب اتباعها

(١) تتدرج الألقاب الكهنوتية على النحو التالي:

١- شماس ٢- قسيس ٣- اسقف ٤- مطران ٥- بطريك ٦- بابا.

والبابا هو صاحب السلطة العليا في المسيحية.

بدون المناقشة والجدل. والبابا من أصل كلمة (POPE) اللاتينية، ويقال في اليونانية «بترياك» (PATRIARCH) يقول مؤلف دائرة المعارف لتاريخ العالم: في عام ٤٢٥م كان عدد البابوات في العالم المسيحي خمسة: أربعة منهم في الشرق. وهي القسطنطينية وأورشليم وأنطاكية وإسكندرية والخامس في روما[١].

ولما ضعفت الكنائس الشرقية لأسباب عدة زاد نفوذ كنيسة روما حتى صار البابا فيها ممثلاً لجميع الكنائس الكاثوليكية، بحجة أنه مجاور لمقبرة بطرس الذي قتل في روما. ويعتبر البابا نفسه التلميذ الأكبر للمسيح على الأرض، وكأن المسيح بعد رفعه جعله في مقامه لتوضيح وتفسير العقيدة والشريعة، وهو في نظر المسيحيين معصوم لا يصدر عنه الخطأ[٢]. ورئيس هذه الكنيسة في الوقت الحاضر هو رئيس دولة الفاتيكان. وأوامره لا تقبل الجدل والمناقشة. يقول «فرانسيس سومورريل»: إن المسيح كان له سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية وسلطة قضائية. ونقل هذه السلطات الثلاث إلى تلاميذه، وهم بدورهم نقلوا إلى خلفائهم فتجمعت لدى البابويات جميع هذه السلطات[٣].

ينقل القسيس خورشيد عالم في تاريخ كنيسة روما: إن البابا من حقه نسخ الشريعة، وله أن يلغي جميع الأحكام المذكورة في العهدين القديم

---

(١) ج (١٥٢/٢).

(٢) الأديان في كفة الميزان ص (٤٤).

(٣) ص ٩ :CHIRST IS KING

والجديد. وقد جعل «كاردينال زابيلا» البابا فوق الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) عام ١٥٦٧م[1].

يقول تقرير عن نشاطات التبشير في الهند: «إن البابا في المسيحية ملك الجنة وملك الأرض، وملك الطبقة الدنيا من الناس» [2]. وقد اغتنم رجال الدين والبابويون مناصبهم؛ فانتشر الفساد في صفوفهم من شرب الخمر والزنا والسرقة وما إلى ذلك.

يقول «جاد المنفلوطي»: إن غالبية رجال الدين في تلك الأيام كانوا مدمني الخمر، مستعبدين للعديد من الخطايا كخطيئة الزنا، وكانوا يعيشون في بحبوحة من العيش، يسعون وراء المتع العالمية، مهملين القيام بواجبات الخدمة الموكولة إليهم.

ويقول: ولم تكن البابوية بمنجاة من هذه المساوئ التي كانت هي الطابع المميز لحياة الكنيسة عامة في ذلك العصر. وعلى مدى مائة وخمسين سنة بدءاً بسنة ٨٩٠م وصلت حالة البابوية إلى أحط دركات الانحطاط. ثم يقول: ولعدة سنوات ظل هذا المنصب في أيدي بعض من النسوة المغمورات المنتميات لإحدى العائلات، هؤلاء كن يعطين ذلك المنصب لمن يروقْنّ لهن[3].

---

(١) تاريخ كنيسة روما ص (٦٦).

(٢) ص (٣١) في عام ١٩٥٦م.

(٣) تاريخ المسيحية في العصور الوسطى ص (٤٠-٤١).

ويقول القسيس «بركة الله» عن ثلاثة من البابويات «إنهم كانوا من الزناة، وغصبوا الأواني والشياء الثمينة التي كانت في ملك الكنيسة». ويقول: «أنا لا أتعجب إذا قرأت عن هؤلاء أنهم كانوا مدمني الخمر يأخذون الرشوة ويزنون» والمبشرون العاملون في «تاتار» كانوا يتزوجون عدة نسوة ويملكون زودات أبيهم بعد وفاته[1]. يقول المؤرخ الأمريكي «ول درانت»: وفي عام ٩٥٥م عين «جان مازونيه» حفيد مازونيه على منصب البابا، وكان قصره مركزاً للبغاة وقطاع الطريق ومقراً للفواحش والمنكرات» [2].

وأخشى أن يطول بنا القول لو بدأنا نسرد تاريخ البابويات في المسيحية، وسوء تصرفاتهم للمنصب الديني الذي احتلوه[3]. فأكتفي بهذا القدر وأعود إلى موضوعنا فأقول: من واجبات البابا إرسال المبشرين إلى أقطار العالم، فتوسع نفوذ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية حتى خضعت كنيسة إنجلترا لسلطان البابا، وتمركز الكاثوليكيون في الغرب في إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية. ويبلغ عدد الكاثوليكيين التابعين للكنيسة الكاثوليكية زهاء ستمائة مليون. ومن محدثات الأمور التي

---

(١) تاريخ كنائس آسيا والهند في القرون الوسطى ص (٤١٦-٤١٩).

(٢) AGE OF FITH (٥٣٨/٤) المطبوع في نيويورك ١٩٥٠م.

(٣) وللحفاظ على منصبهم أنشأوا محكمة بابوية باسم (INQESITION) وأصدروا من هذه المحكمة لأمثر نت ١٠٦٥٩ قراراً على مخالفيهم لإحراق أحياء و٢٩١٤٥٠ قراراً الأشغال الشاقة في السجون، وكل ذلك في الفترة ما بين ١٨٨١- ١٤٢١م.

أصدرها البابا تبرئة اليهود من دم المسيح بعد ألفي عام.

ومن أهم أعمال البابا: إصدار صكوك الغفران من الذنوب (INDULGENCE)، ما مضى منها وما هو آت، دون حاجة إلى توبة أو ردِّ المظالم إلى أهلها، فإذا أراد البابا أن يجمع مالاً لأمر من أمور الدين يطبع الصكوك ويوزعها على أتباعه لبيعها كما تباع الأسهم في الشركات. وشراء صكوك الغفران هو في الحقيقة إذن عام لارتكاب جميع الجرائم لأن الجنة ضمنت لمن يشتريها. إن مؤلف كتاب: (BOOK,S THOLOGICAL - DICTIONARY) يذكر أشياء طريفة في صكوك الغفران.

منها مثلاً: كان الناس يتسابقون في فتح الوكالات لبيع هذه الصكوك ويكتبون عليها: «أيها الناس تقدموا إلى شراء صكوك الغفران، فإن باب الجنة مفتوح، إن لم تدخل الآن فمتى تدخل؟ لك أن تدخل أباك الجنة بمقابل اثني عشر بنساً. هل أنت بخيل إلى هذا الحد». وكان هؤلاء قد جعلوا لك إثم ثمناً معلوماً. فمثلاً لشهادة الزور تسع جنيهات. وللسرقة اثنا عشر جنيهاً، للزنا بالبكر تسع جنيهات، بالمدخولة سبع جنيهات ونصف جنيه.

وتحت عنوان «مكانة المطران عند المسيحيين» يقول القسيس «حنا مقار العيسوي» في رسالته إلى أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ: «وقد جعل الله في أيدي المطارين ما لم يجعله في يد أحد، وذلك أن كل ما يفعله في الأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذنبنا «فهم الذين يقبلون

التوبات ويعفون عن السيئات، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات»[1].

**وإليكم نص صك الغفران:**

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا ... (يكتب اسم الذي سيغفر له) ويحللك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها، مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لابننا الأقدس البابا، وللكرسي الرسولي وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة. وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر .... باسم الأب والابن والروح القدس».

**أهم عقائد هذه الفرقة:**

١- تؤمن هذه الفرقة بأن روح القدس نشأ من الله الأب والابن معاً.

٢- تعتقد هذه الكنيسة بالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن.

٣- تعتقد هذه الكنيسة بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين -يعني اللاهوتية والناسوتية.

٤- يعتقد هؤلاء بوجود جحيم صغير بمكان في قلب الأرض، تحترق فيه الأنفس التي ارتكبت في حياتها خطيئة حتى تنتقي من أوزارها وتصبح أهلاً للدخول في الفردوس السماوي. وهذه العقيدة ليس مصدرها الإنجيل

(١) بين الإسلام والمسيحية ص (٩١).

بل هو البابا غريغوريوس الكبير في عام ٥٩٣م.

٥- إن صلوات كهنة الكنيسة ترفع العذاب عن النفوس المتألمة، ومن هنا نشأت عقيدة الغفران وهي أن ممثلي الكنيسة قادرون على تخليص الأرواح الهالكة في العذاب بالدعاء لها والصلاة عليها.

٦- الاعتراف، وهو أن يبوح الإنسان لقسيس بما فعل من آثام، ثم يظهر له الندم ويؤكد له عدم العود إليها، فيقبل القسيس منه ذلك ويدعو له بخير ويصدر له صك الغفران. وهذه العقيدة لم تكن معروفة في أوائل النصرانية ثم جعلت إجبارياً في المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥م، وتقرر فيه أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

٧- العشاء الرباني: (EUCHARIST) يقصدون به عشاء عيسى مع تلاميذه، ويزعمون أن الخبز والخمر اللذين يعدهما المصلون، ويتناولونهما في بعض الأعياد يستحيلان إلى جسم المسيح ودمه.

ففي إنجيل متى: الإصحاح السادس والعشرون:

«بينما هم يأكلون أخذ يسوع قطعة خبز، وبعد أن باركها كسرها وأعطاها لتلاميذه وقال: خذوا وكلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ كأساً (من الخمر) وبعد أن باركها أعطاها لهم وقال: اشربوا جميعاً من هذه الكأس، فهذا هو دمي دم العهد الذي يسفك من أجل كثير لمحو الخطايا».

وقد قرر مجمع ترنت المنعقد عام ١٥٤٥م و١٥٦٣ بإيجاب هذه العبادة. فالناس يجتمعون يوم الأحد، ويستمعون إلى خطبة القسيس، ثم يقدم كل منهم حسب استطاعته هدية إلى القسيس، ثم يأكلون الخبز

ويشربون الخمر بعد أن يسجدوا، ظناً منهم بأن المسيح موجود في هذا العشاء الرباني. وعلى من يحضر العشاء الرباني أن يصوم من نصف الليل. ومعنى الصوم الاحتراز من الأكل، ولهم أن يشربوا من الماء وللمسافرين رخصة في الإفطار.

٨- تحرم الكنيسة الكاثوليكية الطلاق تحريماً باتاً، ولا تبيح فسخ الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه، حتى الخيانة الزوجية لا تعد مبرراً للطلاق.

٩- الاصطباغ (PAPTISM) ويقال أيضاً: التعميد، والمعمودية وهو طقس الغسل بالماء. وتتفق جميع الفرق المسيحية على ضرورة التعميد.

وقد كان نبي الله يحيى بن زكريا -على زعمهم الباطل- يعمد قبل ذلك في وادي الأردن جنوب أريحا. ففي إنجيل مرقس: «كان يوحنا يعمد في البرية، ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا»(١).

وهو تعبير عن غسل أجسام المذنبين ليدفعهم إلى التوبة، وكان المسيح أيضاً ممن عمده يحيى(٢). ولذلك وصف بالْمُعمِّدان -بكسر الميم على صيغة اسم الفاعل من فعل «عمّد» بمعنى: غسل. وأما زيادة الألف والنون فليست للتثنية، ولكن بدون معنى- وتلاحظ في كثير من كلمات السريانية فيقال: هاجوبيان من هاجوب، ويعقوبيان من يعقوب(٣).

---

(١) إنجيل مرقس (٤/١).

(٢) إنجيل متى (١٣/٣).

(٣) انظر مزيداً من التفاصيل: يوحنا المعمدان: لعبد الرزاق نوفل -دار الشعب بالقاهرة.

وبعد معمودية يسوع قتله «هيرودس أنتيباس» .

يقول المؤرخ اليهودي المعاصر للمسيح «يوسفين»: «إن يوحنا كان رجلاً كبير القلب والعقل، حث الشعب اليهودي على السعي نحو الكمال، وحضهم على أن يتمسكوا بالعدل في تصرفاتهم نحو إخوانهم، وفي الإمضاء أمام الله. وفي التقدم للمعمودية. إذ يهرع إليه الناس من كل حدب وصوب، انزعج «هيرودس» خشية أن يؤدي نفوذ هذا الإنسان إلى الفوضى والاضطراب، ومسوقاً بهذه الريب والشكوك وضع هيرودس القيود في يديه وزجه في قلعة مكاريوس وهناك قطعت رأسه» (١).

وأما طريقة التعميد فهي أن من يريد الدخول في النصرانية يؤتى به إلى غرفة خاصة في داخل الكنيسة، ويضطجع موجهاً إلى المغرب ويرفع يديه قائلاً: أيها الشيطان إني أتبرأ منك ومن جميع عملك، ثم يتوجه إلى المشرق ويعلن الإيمان بالعقائد المسيحية، ثم يؤتى به إلى غرفة أخرى، فيتعرى عن جميع ملابسه، ويقوم القسيس بادهان جسمه بزيت رقي فيه بدعاء خاص، ثم يلقى في حوض الاصطباغ ويسأله القسيس: هل تؤمن بالأب والابن وروح القدس بالتفاصيل المعروفة. فإذا أجاب بالإثبات يخرج من الحوض ويدهن مرة أخرى بالزيت، ثم يقدم له لباس أبيض وهو إشارة إلى الخروج من جميع الذنوب. ويحق له بعد ذلك أن يشترك في العشاء الرباني، ويعد من المؤمنين المخلصين بالمسيحية.

---

(١) انظر لمحات من التاريخ في الإنجيل ص (٥٤-٥٥).

يقول صاحب كتاب الأصول والفروع عن التعميد:

«فريضة مقدسة يشار إليها بالغسل بالماء باسم الأب والابن وروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح»، وهي ختم عهد النعمة كما كان الختان في الشريعة الموسوية، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم، وطاعتهم للأب والابن وروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد. ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله[1].

أما المسيح عليه السلام فلم يعمد أحداً كما ينص على ذلك الأناجيل الموجودة[2].

## ٢- فرقة الأرثوذكسية:

وهي أيضاً كلمة يونانية مركبة من كلمتين إحداهما (ORTHOS) بمعنى الحق، والثانية (DOXA) بمعنى المذهب يعني المذهب الحق. وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية في عام ١٠٥٤م لأمور اختلفتا عليها. وهي تتبع نظام الأكليروس، ويبدأ من البطريك وينتهي إلى القساوسة.

وأتباع هذه الفرقة منتشرون في الشرق وفي بلاد اليونان وتركيا وروسيا. ولهم في الوقت الحاضر أربعة بطارك: بطريك في القسطنطينية وهو أكبرهم. والثاني: بطريك الإسكندرية. والثالث: بطريك إنطاكية. والرابع: بطريك أورشليم.

---

(١) يسوع المسيح (٢١٠) ص. من المسيحية ص (١٤٣) للدكتور شلبي.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا (٢/٤).

**أهم مبادئ الكنيسة الأرثوذكسية:**

١- تذهب هذه الكنيسة إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده.

٢- تبيح الكنيسة الأرثوذكسية الفصل بين الزوجين في حالة الخيانة الزوجية، مع تحريمها الزواج بين المطلّق والمطلقة.

٣- وترى بعض الكنائس الأرثوذكسية أن المسيح من طبيعة إلهية، بينما تدعي الكنائس الأخرى بأن المسيح له طبيعتان، طبيعة إلهية لأنه ابن الله وطبيعة ناسوتية من الناسوت لأنه ابن إنسان، فاجتمع فيه اللاهوت والناسوت. وقرر هذا رسمياً في عام ٤٥١م.

**٣- البروتستانت: المعارضون:**

كانت النصرانية تتهيأ لإصلاح ديني عام على نطاق واسع تخلصاً من إفراطات الكنيسة الرومانية منذ القرن الثاني عشر، لأن استبداد البابا جعل النصرانية مجموعة من الرسوم والطقوس مجردة عن معانيها الروحية والخلقية، فبدأت الشعوب النصرانية تتطلع إلى حريتها الدينية والفكرية. فظهرت عدة جماعات في كثير من البلاد المسيحية كلها كانت متأثرة بروح الانشقاق على الكنيسة الرومانية.

ومن أشهر زعماء هذه الجماعات: الكانار في الإيطاليا و «تاتشليم» و «أودون»، وادعى الأخير أنه هو عيسى نفسه قد ظهر ليرد الناس عن غوايتهم، فقبض عليه عام ١١٤٨م، وسجن حتى مات و «بيرودرويس» الذي أحرق حياً في مدينة تولوز بفرنسا في عام ١١٢٤م. كما ظهر في إنجلترا «جان ويكف» و «جان هوس» اللذان كان لهما أثر واضح في الكنيسة الرومانية.

قويت شوكة المصلحين المسيحيين في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا. وتبعهم خلق كثير في هذه البلاد إلى أن ظهر «مارتن لوثر» في ألمانيا، وكان ولد في عام ١٤٨٢م من أبوين فقيرين، ولكن أباه أجهد نفسه وأراد أن يحرز ابنه أقصى درجات الثقافة، ومكّن له أن يكون قانونياً فأرسله إلى الجامعة، إلا أنه لم يجد من نفسه رغبة كافية في متابعة هذه الدراسة، لشدة ميله إلى دراسة اللاهوت، ثم سيطرت عليه نزعة دينية، وكان شديد الورع مبالغاً لسيئاته، فأخذه رجال الكنيسة ووضعوه تحت رعايتهم إلى أن عيّن مدرساً للفلسفة.

وقد دفعته النزعة الدينية لأن يذهب إلى روما للحج، ويتبرك بلقاء رجال الدين، ولكن ما أن وطئت قدماه أرض روما حتى رأى ما صدم حسه وأزعج نفسه. لقد توقع أن يرى النسك والعبادة والزهد والتعفف. فوجد مدينة روما المقدسة غارقة في اللهو، ورجاله منغمسين في الرذيلة، زاعمين أن بيدهم مفاتيح الملكوت في السماوات والأرض، وأنهم يملكون قبول التوبة فيغفرون لمن يشاءون ما يشاءون. فأصيبت نفس «مارتن لوثر» الحساسة بصدمة عنيفة، فبدأ يعلن براءته من تصرفات رجال الكنيسة، ويدعو إلى إنكار عصمة البابا وحقه في إصدار صكوك الغفران، ويقول: إن أحداً من الخلق مهما بلغ من القدسية لا يملك حق الغفران لأحد، ولا أن يستر له ذنباً قد ارتكبه. فبدأ العامة والخاصة يتأثرون بدعوته لأنه أوتي من الحجج والبراهين ما لم يؤت أحد من الأقاوسة في زمانه.

ولم تكن الكنيسة صامتة أمام هذه الثورة الجديدة التي كانت أشد في لهجتها وأهدافها من الثورات السابقة، فطلبته للمحاكمة لخروجه على البابا المقدس المعصوم، فلم يجب دعوة البابا، ولم يحضر للمحاكمة أمامه، لأن بعض الأمراء ساندوه، فلم يجد البابا بدأً من إصدار قرار بحرمانه بجميع المناصب الدينية، وكذلك أصدر الإمبراطور قراراً بحرمانه من جميع الحقوق المدنية، فاشتد غضب «لوثر» على تصرفات بابا، وبدأ ينادي بالجهاد ضد استبداد الكنيسة علناً. ومن هنا سميت هذه الفرقة «البروتستانت» أي المحتجين على تصرفات البابا إلى أن مات لوثر. وبقيت دعوته تزدهر وتقوى، حتى خاف البابا على نفسه، فدعا رجال هذه الفرقة للمصالحة، وقد تم ذلك بعد وفاة لوثر. وبعد ذلك أنشئت الكنائس الجديدة التي سميت فيما بعد كنائس بروتستانت.

**أهم مبادئ الفرقة البروتستانية:**

١- ليس للكنيسة البروتستانية سلطان على كنيسة أخرى، فكل كنيسة حرة في رئاستها وتصرفاتها وربطها بالكنيسة المركزية هو بمثابة ربط الإدارات بالوزارة.

٢- الكتاب المقدس هو المصدر والوحيد للنصرانية.

٣- يجوز لكل مسيحي أن يدرس الكتاب المقدس ويفهم معانيه بعد الحصول على القواعد الأساسية لمعرفة الكتاب المقدس، فترجم الكتاب باللغة الألمانية ليقرأه كل ألماني.

٤- ليس للكنيسة حق الغفران، إذ هذا من اختصاص الخالق.

٥- أنكر أن المسيح يحل في بدن كل من يأكل العشاء الرباني، كما أنكر استحالة الخبز إلى عظام المسيح، والخمر إلى دم المسيح، واكتفى بكون العشاء الرباني تذكيراً لما قام به المسيح من فداء للخليقة.

٦- تنكر هذه الكنيسة جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، وترى أن كل هذه الأمور من المحدثات.

٧- عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، إذ هي من مظاهر الوثنية. ويرى بعض الباحثين أن ذلك الفكر أخذه النصارى المصلحون من المسلمين.

٨- عدم الصلاة بلغة غير مفهومة: كانت العادة في المسيحية أن تكون الصلاة بلغة لا يفهمها المصلون كاللاتينية والقبطية، لأن الأساس في ذلك أن تكون عبادة القسيس عبادة لمن هم تحت سلطانه، فجعل لوثر ومن معه من أتباعه الصلاة باللغة المفهومة، لأن الصلاة دعاء من العابد للمعبود، وانصراف القلب إليه فوجب أن تكون بألفاظ يفهمها العابد.

٩- الخضوع لبعض قرارات المجامع ورفض بعضها: كان منطق العقل يدعو المصلحين إلى أن ينظروا من جديد إلى قرارات المجامع وإسنادها وقيمتها الدينية، ويزنوها بميزان الكتاب المقدس، فما وافقه يأخذون به، وما خالفه يرفضونه، ولكن المصلحين لم يستعملوا هذه المعايير لدراسة قرارات المجامع والأفكار المفروضة عليهم، خشية أن يتخلوا عن قرارات مجمع نيقيا الذي فرض عليهم ألوهية المسيح وألوهية روح القدس.

١٠- لا تختلف هذه الفرقة عن غيرها في عقيدة التثليث، وألوهية المسيح وبنوته وصلبه وقيامه وتكفيره عن خطيئة البشر الأزلية التي ارتكبها آدم.

وقد كان منطق العقل يدعو الزعماء البروتستانيين أن يعيدوا النظر في هذه المسائل الريسية، إذ ليس مصدرها الكتاب المقدس، ولا أقوال المسيح. إنما مصدرها بولس اليهودي، الذي ادعى المسيحية وشوَّه وجه التعليم المسيحي، بإدخال كثير من تقاليد الفريسيين، وتعاليم العهد القديم، وسخافات التلمود والفلاسفة الرواقيين. فقد فعل بولس كل هذا باسم السيد المسيح. وبقي العلماء المسيحيون والأخص بالذكر البروتستانت مكتوفي الأيدي أمام تعاليمه الوثنية، مع أن المؤمنين المسيحيين في أوائل فجر المسيحية من بطرس، وأريوس، إلى رينان وتولستوي، رفضوا هذه الطرحات.

وقد انتشرت الفرقة البروتستانية في كثير من البلاد الأوربية التي منها إنجلترا، وألمانيا، والدانمارك، وسويسرا، وهولندا، والنرويج، والولايات المتحدة الأمريكية، ونظراً لإمكانياتها الهائلة بدأت تغزو كثيراً من معاقل الكاثوليكية في السودان الجنوبي، والصين، واليابان، ولهم مبشرون في البلاد الإسلامية.

# عقيدة التثليث وإبطالها

**عقيدة التثليث:** (TRINITARIAN, DOCTRINE)

لقد استقر أمر النصارى على عقيدة التثليث[1] بعد مجمع نيقيا الذي عقد في عام ٣٢٥م، وكان المسيحيون قبله مختلفين في هذه العقيدة؛ فمنهم من كان يؤمن بالتوحيد، ويدعو إليه وينكر ألوهية المسيح، وعقيدة التثليث، ويشن الحرب على الرسول بولس وأتباعه، ويتهمه بأنه أفسد الديانة المسيحية بعد أن عجز عن القضاء عليها بالسيف والسلطان، فدخل في المسيحية وأخرجها من التوحيد إلى الوثنية.

والمسيحيون الذين لبوا دعوة بولس كانت لهم نزعات مختلفة من يهودية ووثنية وفلسفية، وكان لهجرات الآريين بطريق الشام ومصر لمدة ألف سنة أو أكثر قبل المسيح أثرٌ واضحٌ في أهل هذه المناطق، وكان دين آريا قد استقر في آخر أمره إلى التثليث، وهو أن الإله كان قبل الوجود، فأحب أن يعرف الخلق، فخلق العالم فسمى نفسه «البرهما» (الخالق) ثم

(١) كلمة التثليث مشتقة من الثلاث. وكانت هذه الكلمة معروفة في اللغة العربية قبل الإسلام، واستعملها القرآن في عدة مواضع منها: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ وهي معربة من الكلمة اليونانية «ثرياس» أو من الكلمة اللاتينية «ترنيتاس». أما الكلمة اليونانية فأول من استعملها هو «تيفولوس» أسقف أنطاكيا في عام ١٧٠م. وعلى هذا فالثالوث عند المسيحيين من العقائد المستحدثة في القرن الثاني، ولم تكن معروفة في القرن الأول.

انبثق منه الإله الثاني لرعاية هذا العالم، وحفظه فسمى نفسه في هذه المرحلة «فشنو»، ولما كان مصير الممكنات إلى الفناء والانتهاء، لأنه لا يدوم العالم كدوام الخالق، انبثق منه الإله الثالث، وسمى نفسه في هذه المرحلة «شيفا»، وهو في الحقيقة إله واحد، له ثلاثة أوصاف ذاتية، فكل منها تمثل ذاتاً مستقلة، فلا شك أن أهل تلك المناطق وسكانها تأثروا بهذا التعبير البدائي.

فلما أراد بولس أن يحارب المسيحية من داخلها، ابتكر معاني جديدة قريبة لهذه المفاهيم، التي كانت تعتبر نهاية الفكر الإنساني في تلك الأيام، فأدخل الوثنية الهندوسية في المسيحية ليخرجها من دين التوحيد. ويرى بعض الباحثين أن المسيحية تأثرت بعقائد البابليين الذين كانوا يؤمنون بثلاثة آلهة وهم:

١- إله السماء والأرض والبحر.

٢- وإله الشمس والقمر.

٣- وإله العدالة والتشريع.

يقول حبيب سعيد: كانت هذه العقيدة منتشرة في أهم الأديان الوثنية قديماً وحديثاً. ففي ديانة الفينقيين كان لكل عاصمة من عواصهم ولكل مستعمرة من مستعمراتهم ثالوث. وقد وجد المنقبون في جبيل ثالوثا.

وإليكم جدول التثليث في الأديان السابقة للمسيحية:

| الفينيقيون | المصريون | الهندوس | البابليون |
|---|---|---|---|
| ١- ايل (أي القدر | أوزيرس | برهما (الخالق)[١] | إله السماء والأرض والبحر. |
| ٢- شموز (أي السيد) | أزيس | فشنو (الرازق) | إله الشمس والقمر |
| ٣- عولم (أي الأزلي) | هودس | شيفا (المدمر) | إله العدالة والتشريع |

وكان عند الصينيين أيضاً ثالوث يعبرون عنه بمثلث متساوي الأضلاع والزوايا[٢]. ولعل البابليين هم أول من قالوا بالثالوث، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد. فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً - أي جعلوها مجموعات- كل مجموعة منها متميزة المكان والقدرة. فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون من إله السماء، إله الأرض، إله البحر. أما المجموعة الثانية فإله القمر، وإله الشمس. وأما المجموعة الثالثة فإله العدالة والتشريع[٣].

وقد تحدث عن هذا الأستاذ «جون هيك» (JOHNHICK) وهو أستاذ اللاهوت في جامعة «برمنجهام» بانجلترا في فصلٍ من كتابه «عيسى والأديان العالمية» وعقد مقارنة بين عيسى وبوذا في التجسد فقال: «إن

---

(١) الصواب ما أثبتناه كما مر، وذكر حبيب سعيد كالتالي: ١- بوذا ٢- براهما ٣- فشنا، ويأتي التفصيل في بحث الهندوسية. أما قوله: « بوذا» فهو خطأ.

(٢) أديان العالم ص (٣٠٤).

(٣) تاريخ الفلسفة ص (٦) للدكتور مدكور.

جوتاما[١] الإنسان أصبح ينظر إليه على أنه تجسد الإلـه الأزلي أو أنـه ابـن الإله. وفي كتاب «الماهايانا» يتحد بوذا المتعالي مع الحق المطلق كما يتحـد في المسيحية شـخص الابـن الخـالد مـع الإلـه الأب» [٢]. ثـم قـال «جـون هيك»: «ولكن علينا ألا ننسى أن العقيدة الدينية المسيحية لو انتقلت شرقاً إلى الهند، بدلاً من أن تنتقـل غربـاً إلى الإمبراطوريـة الرومانيـة، كـان مـن الممكن أن تظهر أهمية عيسى الدينية وتقبل في الحضارة الهنديـة في صـورة «أوتار» (AWTAR) المقدس» [٣].

وأضيـف إلى هـذا وأقـول للكـاتب: لعيسـى اعتبـار في بعـض الكتـب الهندوسية مثل «بران» أوفتـار «فشـنو» وبشـرت الملائكـة بمجيئـه، وغنـوا بمجده في السماء. و «أوتار» عند الهندوس من العقـائد الرئيسـية، ومعناهـا في لغتهم الأصلية النزول. ويقصدون به: نزول الله «برهما» أو «فشنو» أو «شـيفا» إلى الأرض في قـالب البشـر لفـترة معينـة، ولغايـة خاصـة، وهـذا الموضـوع سـنتعرض لـه بمزيـد مـن التفصيـل في كتابنـا عـن الهندوسـية[٤] إن شـاء الله. ويؤكـد العـالم الهندوسـي «بـهاري لال ورمـا» أن المسـيحية تأثرت بالبوذية[٥].

---

(١) وهو البوذا الذي كان قبل المسيح بخمسة قرون تقريباً.

(٢) عيسى والأديان العالمية ص (١١٩).

(٣) نقلاً من الشيخ عبد الصمد شرف الدين: أسطورة تجسد الإله ص (٢٤-٢٥).

(٤) وهو الجزء الثاني لهذا الكتاب.

(٥) ويشو دهرم درشن ص (٢٥٧) يعني «أديان العالم».

يقول القسيس «حنا مقار العيسوي» في رسالته إلى أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ: «إن الله هبط بذاته من السماء، والتحم في بطن مريم العذراء البتول، أمّ النور فاتخذ لنفسه منها حجاباً كما سبق في حكمته الأزلية، لأنه في البدء كانت الكلمة هو الله، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، وهو خلق جسمه، وهو خلق أمه، وأمه كانت قبله في الناسوت، وهو كان من قبلها في اللاهوت، وهو الإله القائم وهو الإنسان التام»[1]. وهو نفس (AWATAR) عند الهندوس.

وأيضاً يرى الباحثون أن التثليث في المسيحية من نتاج تفكير الأفلاطونية الحديثة، وذلك أن أفلاطون (PLOTIN) زعيم مدرسة الإسكندرية الذي كان في عام (٢٠٥-٢٧٠م) يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه أن الله هو منشئ الأشياء، لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث، فليس بجوهر ولا عرض، وليس فكره كفكرنا ولا إرادته كإرادتنا، يتصف بكل كمال يليق به، ويفيض على الأشياء نعمة الوجود، ولا يحتاج إلى موجد، وإن أول شيء صدر من هذا المنشئ هو «العقل»، ومن العقل انبثقت «الروح» التي هي وحدة الأرواح. من هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء. وقد كان هذا المذهب معروفاً قبل مجمع نيقيا بأمد طويل، وكان هو المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية. وكان بطريك الإسكندرية أكبر مدافع عن عقيدة التثليث في مجمع نيقيا، فلا غرو إن قلنا: إن عقيدة التثليث في المسيحية نشأت عن تأثرها بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

---

(١) بين الإسلام والمسيحية (٨٣-٨٤).

ومهما يكن من أمر في تأثر عقيدة التثليث في المسيحية، بأية اتجاهات وثنية، فإنها ليست من دعوة المسيح، ولم تكن من عقيدته. وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] ولكن كيف انتقلت هذه الأفكار إلى المسيحية؟ فالجواب سهل وهو أن «بولس» دخل في المسيحية، وكان ملماً بالفلسفة الإغريقية التي كانت تمثلها مدرسة الإسكندرية، واغتنم وضع المسيحيين وحالتهم المؤلمة، فأوجد لهم أفكاراً ونظريات جديدة مماثلة إلى حدّ بعيد للنظرية الوثنية القديمة، فأقبل عليها الوثنيون الداخلون في المسيحية. وقد قاوم بعض الحواريين دعوة بولس هذه، إلا أن هذه المقاومة لم يكتب لها النجاح لقوة شخصية بولس وأفكاره.

يقول «ليون جوتيه» (GAUTHIER): إن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية. فاللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المَعِين الذي صبت فيه نظرية الأفلاطون الحديثة، ولذا نجد بينهما مشابهات كثيرة(١).

وأما المسيح فلم يبين في حياته عقيدة التثليث، ولم يشر إليها أبداً، ولم يقل: إن الله مركب من ثلاثة أقانيم أو إني أنا الله نزلت إلى الأرض

---

(١) المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص (٩٣) نقلاً من المسيحية ص (١١٢) للدكتور أحمد شلبي.

لأغفر خطاياكم بل كان يصلي لله ويدعوه أن يغفر خطيئته. كما قال أكثر من ستين مرة في الأناجيل الموجودة: إنه «ابن آدم».

وقد شعر المؤلفون المسيحيون في العصور المتأخرة بصعوبة إثبات عقيدة التثليث بشيء من دعوة المسيح، فنرى كثيراً منهم تبرءوا منها وانتقدوها.

وقد اشتهر منهم في أوائل القرن العشرين البروفسور «هارنيك» (HARNIC) العالم الألماني الذي اشتهر بمحاضراته في النصرانية بالألمانية، وجمعت محاضراته هذه (DAS WESEN DES CHRISTENTUMS) وترجمت إلى الإنجليزية باسم (WHAT IS CHRISTIANITY?) وقد أبدأ القول وأعاده في هذه المحاضرات بأن المسيح عليه السلام لم يدع إلى عبادته قط، بل كان دائماً يدعو إلى الله، الخالق الأب في السماء، ويجعل أمره تابعاً لأمره ثم يمتثله ويتحمل في سبيله أنواعاً من المصائب والمشاق، يستسلم لأمره وقضائه وقدره. هذه هي الحقائق التي نراها موجودة في الأناجيل(١).

وكان من المنكرين لعقيدة التثليث في منتصف القرن الثالث «سبيليوس»، الذي من أقواله: «إن التثليث ليس أمراً حقيقياً في الله، لكنه مجرد إعلان خارجي، فهو حادث موقت وليس أبدياً».

ثم ظهر في القرن الرابع «أريوس المصري» الذي نادى بأن الأب وحده هو الأزلي، بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر المخلوقين. ثم جاء «اسناسيوس» الوثني الذي أقام الحجج والبراهين على عقيدة التثليث وقبلها المسيحيون في مجمع نيقيا.

---

(١) انظر: ص (١٤٧) مطبوع في نيويورك ١٩١٢م.

## معنى التثليث عند المسيحيين؟

يقول كاتب قاموس الكتاب المقدس: طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، الله الابن، الله روح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق، وإلى الله الابن الفداء، وإلى الله روح القدس التطهير. غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء. نحن فهمنا الله الأب فما معنى الله الابن، والله روح القدس؟

### يقول المسيحيون:

١- إن الذات الإلهية هي الله الأب، وهو خالق السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير. ومن صفاته الأساسية: الخلق والعدل والفداء والتخليص.

٢- والكلمة التي ألقاها في مريم هي الابن، له ألوهية مثل ألوهية الأب بدون أدنى فرق، لأنه يمثل العقل والمحبة.

٣- وصفة الحياة والعلم اللازمتان للذات الإلهية، هي الروح القدس.. (HOLY SPIRIT) وإلى الروح القدس ينسب عملية التطهير.

فهؤلاء ثلاثة أقانيم يعبر بها عن ذات إلهية واحدة، فالثلاثة في واحد والواحد في ثلاثة..

(١) GOD THE FATHER.

(٢) GOD THE SON.

(٣) GOD THE HOLY CHOST.

وهناك تعبير آخر وهو: الله واحد، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، في إنجيل متى: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس» (١).

فالأب خلق العالمين بواسطة الابن، والابن أتم الفداء وقام به، والروح القدس يطهر القلب والحياة، غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معاً في جميع الأعمال الإلهية على السواء(٢).

وأقنوم: كلمة سريانية معناها: شخص أساسي (PERSON) أو شخص رئيسي. وهي مماثلة من اللفظة اليونانية (NOMOS) أي القانون. ولكن فضلت الكنائس الشرقية أن تستعمل لفظ «أقنوم» بدلاً من «شخص» لأن المقصود في التثليث أن يكون كل أقنوم قائماً بذاته وأن يكون له كيان خاص.

هذا هو مبلغ العلماء المسيحيين من فهم معنى التثليث. والحق أن يقال: إن الإنسان كلما بدأ دراسة معنى التثليث عندالمسيحيين وقع في حيرة شديدة ولم يقدر بما يرتاح إليه ضميره، ولذا اخترع المسيحيون

---

(١) إنجيل متى (٢٨/١٩).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس (١٠٨)، ويفسر البعض الروح القدس بقوله: لما رفع عيسى إلى السماء أرسل روحاً تسكن بين المؤمنين وتحل في قلوب المؤمنين، فحلت هذه الروح في بطرس رئيس الحواريين وبولس الرسول الذي ادعى المسيحية بعد رفع المسيح، فكانت معارفه وتعاليمه مأخوذة من هذه الروح التي تسمى الروح القدس.

جملتهم المشهورة في حق العامي والعالم والمفكر على حد سواء وهي: «أؤمن ولا أفهم»، ولا أدري ما فائدة دين لا يفهم ولا يعقل.

وعلى كل حال فالواقع أن علماء النصارى أنفسهم لم يستطيعوا أن يقيموا أدلة يمكن فهمها على معنى التثليث فكيف بغيرهم، ولذلك فقد عاش في ظل المسيحية جماعة من المفكرين منذ رفع المسيح إلى يومنا هذا ينكرون التثليث ويؤمنون بالتوحيد. فبرنابا الحواري، وأريوس المصري في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، وسرفيتيوس الألماني في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وشربري المتوفى قبل منتصف القرن السابع عشر، وآلاف من المفكرين المسيحيين غيرهم قد أنكروا التثليث، وقالوا باستحالة فهمه، غير أن صيحتهم ذهبت سُدًى، ولم تعر لها الكنيسة آذاناً صاغية، لأنها خافت منها على نفسها، لأنها تجردها من القدسية التي تتمتع بها بين العوام والجهال، فمن يطلب منها صكوك الغفران بعدها؟

وهنا أسرد لكم قصة وقعت بين ثلاثة أشخاص تنصروا بجهود قسيس كان علمهم مبادئ المسيحية وخاصة عقيدة التثليث، فلازموه يقدمون له ما يحتاج إليه من خدمات، حتى جاء واحد من أصدقائه لزيارتهم، ولما سمع أنهم دخلوا في المسيحية فرح بهم وأحب أن يتأكد من صحة إيمانهم بالتثليث. فسأل أحدهم عن معنى عقيدة التثليث فأجاب قائلاً: إن مولاي القسيس أنعم عليّ فعلمني أن الآلهة ثلاثة: واحد في السماء، والثاني ولد في بطن مريم، والثالث نزل في صورة حمام على الإله الثاني

بعد أن بلغ من عمره ثلاثين سنة. فغضب القسيس وطرده من رحمة الله، وقال: هذا مجهول، ثم سأل الثاني، فأجاب: إن مولاي علمني أن الآلهة كانوا ثلاثة فصلب منهم واحد والآن بقي الاثنان، فغضب عليه القسيس ولعنه وطرده، وجاء دور الثالث، وكان ذكياً، وخاف أن يطرده القسيس ويلعنه، فحمد الله ثم أثنى على المسيح، ثم قال: إن مولاي القسيس ببركة الإله المسيح علمني أن معنى التثليث أن الواحد في ثلاثة والثلاثة في واحد، فسُرّ به القسيس، وكان يعلن نجاحه، لولا أن المسكين استمر في الجواب قائلاً: وصلب واحد فمات. فمات الجميع لأجل الاتحاد وإلا لزم نفي الاتحاد. فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده. هذا هو معنى التثليث، فكلما أردت أن تفهمه وقعت في مشكلة أشر وأعظم، ومع هذا أبين لك ما قاله النصارى في موضوع التثليث.

## عقيدة الكاثوليك في ذات الله سبحانه وتعالى

يقول الكاثوليكيون: إن الآلهة ثلاث متميزون منفصلون: الأب والابن والروح القدس، ويفسرون الآية الألوى من إنجيل يوحنا: «والكلمة كان عند الله» بقولهم: إن الكلمة متميزة عمن ولده، فالأب غير الابن، والابن غير الأب، غير أنهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة والوجود. وعلى هذا فإن المسيح -عندهم- مساوٍ للأب بحسب لاهوته، ودون الأب بحسب ناسوته، وهو رأي البروتستانت أيضاً، وإلى هؤلاء يشير القرآن الكريم بقوله:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1] وفي هذه الآية ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[2].

وقد دار نقاش طويل حول هذه الأقانيم الثلاثة ولا يزال النصارى يدافعون عن عقيدتهم الفاسدة في ذات الله سبحانه وتعالى بشتى الوسائل، ولكن هيهات أن تكون هذه العقيدة مقبولة لدى العقلاء منذ عشرين قرناً. اسمع مزيداً من الخزعبلات كما وردت على لسان أحد القسيسين وهو إلياس مقار:

١- من أراد الخلاص وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي، أي الإيمان الجامع العام بالكنيسة المسيحية.

٢- وهذا الإيمان كل من لا يحفظه دون إفساد يهلك بدون شك هلاكاً أبدياً.

٣- والإيمان الكاثوليكي هو أن نعبد إلهاً واحداً في تثليث وثالوثاً في توحيد.

٤- لا تمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر.

٥- إن للأب أقنوماً على حدة، وللابن أقنوماً على حدة، وللروح

---

(١) سورة المائدة (٧٢).

(٢) سورة النساء (١٧١).

القدس أقنوماً آخر.

٦- ولكن الأب والابن والروح القدس لاهوت واحد، وجد متساو، وجلال أبدي معاً.

٧- الأب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح غير مخلوق.

٨- كما هو الأب كذلك الابن، وكذلك الروح القدس.

٩- الأب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠- الأب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد.

١١- ولكن ليسوا ثلاثة سرمدين. بل سرمد واحد.

١٢- وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محدودين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

١٣- وكذلك الأب ضابط الكل، والابن ضابط الكل، والروح القدس ضابط الكل.

١٤- ولكن ليسوا ثلاثة ضابطي الكل، بل واحد ضابط الكل.

١٥- وكذا الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله.

١٦- ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧- وهكذا الأب رب، والابن رب، والروح القدس رب.

١٨- ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد.

١٩- كما أن الحق المسيحي يكلفنا أن نعترف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله ورب.

٢٠- كذلك الدين الكاثوليكي ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة

وثلاثة أرباب.

٢١- فالأب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق، ولا محدود.

٢٢- والابن من الب وحده غير مصنوع ولا مخلوق، بل مولود.

٢٣- والروح القدس من الأب والابن، ليس بمصنوع ولا مخلوق، ولا مولود، بل منبثق.

٢٤- فإذاً أب واحد، لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد، لا ثلاثة أرواح قدس.

٢٥- وليس في هذا الثالوث من هو قبل غيره أو بعده، ولا من هو أكبر، ولا أصغر منه.

٢٦- ولكن جميع الأقانيم سرمديون معاً ومتساوون.

٢٧- ولذلك في جميع ما ذكر يجب أن نعبد الوحدانية في ثالوث، والثالوث في وحدانية.

٢٨- إذاً من شاء أن يخلص فعليه أن يتأكد هكذا في الثالوث.

٢٩- وأيضاً يلزم له الخلاص أن يؤمن كذلك بأمانة بتجسيد ربنا يسوع المسيح.

٣٠- لأن الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأمانة بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله هو إله وإنسان.

٣١- هو إله من جوهر الأب، مولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه، موجود في هذا الدهر.

٣٢- إله تام وإنسان تام، كائن بنفس ناطقة وجسد بشري.

٣٣- مساو للأب بحسب لاهوته، ودون الأب بحسب ناسوته.

٣٤- وهو وإن يكن إلهاً وإنساناً إنما هو مسيح واحد لا اثنان.

٣٥- ولكن واحد ليس باستحالة لاهوته إلى جسد، بل باتخاذ الناسوت إلى اللاهوت.

٣٦- واحد في الجملة لا باختلاط الجواهر، بل بوحدانية الأقنوم.

٣٧- لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان مسيح واحد.

٣٨- وهو الذي تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم[1] وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات.

٣٩- وصعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الأب الضابط الكل.

٤٠- ومن هناك يأتي ليدين الأحياء والأموات.

٤١- الذي عند مجيئه يقوم أيضاً جميع البشر بأجسادهم، ويؤدون حسابهم عن أعمالهم الخاصة.

٤٢- فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية.

٤٣- هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين[2].

---

(١) أي عالم الأرواح أو الهاوية، أو بقاء المسيح تحت سلطان الموت إلى اليوم الثالث كما فسره مؤلف كتاب إيماني ص (٦٥).

(٢) أقانيم النصارى (٦٩-٧٢).

# عقيدة الأرثوذكس في الله تعالى

يقولون: إن الله واحد في أقانيم ثلاثة. وتفسيره عندهم أنه نزل من السماء (تعالى الله عما يقولون) واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها نطفة، ثم علقة ثم مضغة ثم أصبح جنيناً كاملاً، ثم خرج طفلاً اسمه عيسى، ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ من عمره الثلاثين أعطيت له الرسالة والنبوة، وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه ثم دفن في القبر، وبعد ثلاثة أيام قام من القبر وظهر للتلاميذ أربعين يوماً، ثم صعد إلى السماء وجلس يمين الله. فهو الأب قبل التجسد. وهو الابن بعد التجسد. وهو الروح القدس لأنه كان واسطاً بين الأب والابن. وعلى هذا فالله هو عيسى، وعيسى هو الله، لأن كلمة الشهادة عند المسيحي أن يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، واحد أحد في أقانيم ثلاثة: الأب والابن والروح القدس، له المجد والكرامة والسلطان إلى أبد الآبدين».

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أومن به في العالم، رفع في المجد» (١).

ويقول حبيب جرجس العالم الأرثوذكسي:

«إن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده، وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسداً حقيقاً بنفس عاقلة ناطقة، فحبل به بقوة الروح القدس في

(١) (٣/١٦).

بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء، آخذاً كل ما لنا ما عدا الخطيئة لأنه قدوس القديسين)).

وقد مثل آباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت بمثل تقريبي يبين لنا هذا الاتحاد الشريف، وهو أن الإنسان مركب من جزئين، أحدهما الجسد الكثيف المأخوذ من التراب، وثانيهما النفس العاقلة والناطقة، ومع وجود هذين الشيئين واتحادهما بدون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة. هكذا اتحاد اللاهوت بالناسوت، هو الجزء الكثيف مع النفس الناطقة، وباتحادهما معاً بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة، جوهراً واحداً، طبيعته واحدة مشيئته واحدة[1].

فكأن الله حسب معتقدات المسيحيين. انقلب إلى جسم إنسان في قالب المسيح، ونزل من السماء إلى الأرض لتكفير خطايا بني آدم، وعاش بين الناس حياة طبيعية، ثم صلب ودفن ثم قام من القبر وصعد إلى السماء. فالله والمسيح شيء واحد، ولهما طبيعة واحدة ومشيئة واحدة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإلى هذا المذهب يشير قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ ﴾[2].

---

(١) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص (٢٨).

(٢) سورة المائدة (١٧).

وقوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ ﴾[1].

ويمكن الرد على مفتريات النصارى في ذات الله سبحانه وتعالى بعدة أمور منها:

١- إن كان مرادهم بهذه الأقانيم ثلاث ذوات تقوم كل منها بنفسها فهو باطل، لأن الله واحد وليس بثلاثة. وأيضاً هذا على خلاف معتقدهم في التوحيد.

٢- وإن كان مقصودهم أن أحدها ذات والباقيين صفتان، يقال لهم: هلا جعلتم صفة القدرة أقنوماً؟ وصفة العلم أقنوماً، وكذا سائر ما يوصف به الله تعالى من الصفات؟

٦- وإن قالوا إن اللاهوت والناسوت اتحدا فصارا أباً وابناً يقال لهم: إن الشيئين إذا اتحدا فإما أن يكونا موجودين أو معدومين، أو يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، فالصورة الأولى مستحيلة، لأن الاثنين لا يصيران واحداً، والصورة الثانية معدومة أصلاً، فلا حاجة إلى بيان بطلانها، والصورة الثالثة مخالفة للعقل فإن الموجود لا يتحدان.

٤- وإن كان مرادهم بالاتحاد الامتزاج والمخالفة والتركيب، فهذا غير معقول، لأن الاتحاد بالامتزاج والمخالطة والتركيب لا يكون إلا في الأجسام الكثيفة، والكلمة عندهم ليست بجسم.

---

(١) سورة المائدة (٧٢).

٥- وإن كان مرادهم بالاتحاد، التركيب من جزئين كالجسد والنفس الناطقة للإنسان، يقال: إن هذا يؤدي إلى احتياج أحدهما إلى الآخر. ونحن نعلم يقيناً أن الله كان موجوداً قبل عيسى بزمن غير محدود، فإن صفته اللاهوتية لا تحتاج إلى الصفة الناسوتية.

٦- وإن كان مرادهم بالاتحاد اتحاداً كاتحاد نقش الفص بالشمع فإن عنوا به أن ذات المسيح صارت مثلاً للبارئ، فهو محال لاستحالة أن يصير الجسم المحدث منزهاً قديماً. وإن عنوا به أنه حصلت له خاصية قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره، فلا يقتضي هذا أن يكون المسيح إلهاً، وإلا كان كل من ظهر على يده معجزات من الأنبياء والرسل إلهاً.

٧- وإن كان مرادهم بالاتحاد أن الأب أوجد ولداً من نفسه، فهذا يؤدي إلى التسلسل، فإن الابن يوجد ابناً إلى ما لا نهاية له.

٨- ويقال لهم: إنكم إن اتخذتم المسيح إلهاً لكونه ولداً من غير أب، وهو أمر عجيب، فولادة آدم وحواء أعجب منه، وهما أحق بالألوهية، فهلا اتخذتموهما إلهين، وإن اتخذتموه إلهاً من أجل أن الله رفعه إلى السماء، فقد رفع قبله النبي إيليا -على اعتقادكم- بعد ما ظهرت على يده معجزات كثيرة، ولم يصبه في بشريته سوء، فلو جازت عبادة البشر لكان أحق بذلك من الذي حبس وأهين وعذب وصلب كما تزعمون.

٩- وأما كونه سمي في الأناجيل المزيفة ابن الله، فقد سمى قبله إسرائيل ابناً لله، وذكر أصحاب الأناجيل أشخاصاً آخرين خوطبوا بأبناء الله[1].

(١) انظر: إنجيل لوقا (٣) ويرمياه (٩/٣١) ومزامير (٨٩/٢٧) وأشعيا (١٦/٦٣)
=

والمسيح نفسه سمى الحواريين إخوته.

ويذهب العالم الفرنسي «شارل جنيبير» إلى تأويل آخر لكلمة «الابن» فيقول: «والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه «ابن الله»، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير «ابن الله» على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما» (١).

١٠- وأن جبريل لما جاء إلى مريم بشرها بأنها ستلد ولداً ولم يقل أنها تلد إلهاً.

---

= وأيوب (٧/٣٨) والتكوين (٢/٦) وانظر كذلك التفاصيل الأخرى في إظهار الحق، الباب الثالث، الفصل الثاني. والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٩٦/٣).

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩) ويقول المؤلف: «ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه «عبد الله» وتقدم للناس بهذه الصفة. والكلمة العبرية «عبدي» كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني «خادماً» و «طفلاً» على حد سواء، وتطور كلمة «طفل» إلى كلمة «بن» ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم ابن الله نبع من العالم الفكري اليوناني» انتهى.

١١- وقد اعترف المسيح ببشريته وأنكر أن يكون إلهاً، ففي إنجيل مرقس أنه لما أخبر بشيء من أهوال الساعة وأشراطها، قال: إن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمها إنسان ولا ملائكة ولا الابن إلا الأب وحده.

١٢- وكيف يمكن أن يكون هذا الإنسان إلهاً وقد طهره يحيى بن زكريا بالماء[1].

١٣- وكيف يكون إلهاً وقد كان يصلي ويقول في صلاته: «يا أبي نجني إن أمكن، وتجوز عني هذه الساعة، وقد ينادي في الصليب على رأسهم: إيلي إيلي لما شنقتني».

١٤- كيف يكون إلهاً وقد شرب الخمر كما يقولون، وأكل السمك، وتعب حتى كان عرقه يسيل على وجهه من الضعف، وأنه اختطفه الشيطان فذهب به حيث لا يحب[2].

١٥- قال سعيد بن البطريق: إن اتحاد الأب والابن مثل ما أن شعاع الشمس المولود من عين الشمس الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره من غير مفارقة لعين الشمس التي تولد منها حقاً، لأنه لم ينقطع من العين ولا من الضوء، كذلك سكن الله في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، فهو مع الناسوت، وهو مع الأب، وهو مع روح القدس حقاً، فيقال: هذا التمثيل لو قدر أنه صحيح، فإنما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول: إنه بذاته في كل

(١) إنجيل مرقس (١/٩) ولوقا (٣/٢١).

(٢) انظر تفصيل ذلك في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٨٥).

مكان، كشعاع الشمس الذي يظهر في الهواء والأرض. وأما النصارى فإنهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت. ولو مثل بهذا من يقول: إنه بذاته في كل مكان لكان باطلاً. فكيف النصارى؟ فإن الضوء إنما يكون في الهواء وسطوح الأرض، لا يكون تحت السقوف والغيران وباطن الأرض ثم هذا التمثيل باطل من عدة وجوه[1].

١٦- وكيف يكون إلهاً وكان لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه[2].

١٧- ويدعون أن المسيح وُلِدَ معصوماً فهوابن الله، فيجب أن يصدق على ذلك نبي إن كان موجوداً في زمانه. بينما نرى أن يحيى عليه السلام وهو أحد أنبياء بني إسرائيل كان موجوداً في عهده، ولم يعترف ببنوته ولا بألوهيته، والمعروف أن النبي يكون أعلم شخص في موضوع الإلهيات في زمانه.

١٨- إن ذات الله وصفاته الكمالية أزلية غير متأثرة بالزمان والمكان والأشخاص، فلو كان التثليث هو التوحيد الحقيقي للرب، لكان من الواجب على موسى عليه الصلاة والسلام صاحب التوراة -الذي على شريعته كان عيسى عليه السلام - أن يبين هذا التثليث ويبين ألوهية المسيح المنتظر، لئلا يقع الناس في الكفر والضلال.

ولكن نجد في العهد القديم ما يخالف هذه العقيدة، ففي سفر الخروج، الإصحاح العشرون، والرابع والثلاثون: «لو دعا نبي، أو من يدعي الإلهام في المنام إلى عبادة غير الله، يقتل هذا الداعي وإن كان ذا معجزات كثيرة،

(١) انظر: تفصيل ذلك في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٨٥/٣).

(٢) انظر: إنجيل يوحنا (٣٠/١٩/٥).

وكذلك لو أغرى أحداً من الأقرباء أو الأصدقاء إليها يرجم، ويرجم معه هذا المغري ولا يرحم عليه».

وفي الإصحاح السابع عشر من السفر المسطور: «إنه لو ثبت على عبادة غير الله يرجم رجلاً كان أو امرأة». وفي كتب العهد الجديد -وهي الأناجيل ورسائل الرسل- صراحة بأن الله لم يره أحد قطّ[(١)].

والمسيح الذي يدعونه بألوهيته رآه جمع غفير من الناس، بل عذبوه وآلموه، بل وصلبوه حسب زعمهم. فإن قال قائل: إن التعبير عن ألوهية المسيح مجازي، يقال له: وما فائدة هذه الألوهية وناسوتيته إذا كانتا مجازيتين، ولا سيما وقد اعترفتم بأن الله لا ينظر إليه أحد، والمسيح نظر إليه الناس فلس بإله إذن.

١٩- يقولون: إن التثليث والتوحيد حقيقتان لذات إلهية واحدة، ففيه اجتماع الضدين وهو محال، لأنه إذا وجد التوحيد انتفى التثليث وإذا وجد التثليث انتفى التوحيد، ولا يمكن أن يكون القائل بالتثليث موحداً ولا القائل بالتوحيد مشركاً.

٢٠- يقولون: إن المسيح اجتمع فيه الجوهر اللاهوتي والجوهر الناسوتي. فنقول: إن الاتحاد بين حقيقة الجوهر اللاهوتي وحقيقة الجوهر الناسوتي محال، لأن حقيقة الجوهر اللاهوتي تختلف عن حقيقة الجوهر الناسوتي، وذلك أن الأول قديم وأزلي، والثاني حادث ممكن، واجتماع القديم والحادث محال.

---

(١) إنجيل يوحنا (١/١٨، ٥/٣٧)، ورسالة بولس إلى أهل كولوس (١/١٥)، ورسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس (١/١٧)، والرسالة الثانية إلى تيموثاوس (٦/١٦).

٢١- يقولون: إن المسيح حل في أقنوم الإله، وهذا باطل، لأنه إما أن يكون هذا الحلول كحلول الماء في الورد والدهن في السمسم والشراب الحلو في قصب السكر، ففي هذه الحالة كل من الحال والمحلول فيه يفتقر إلى جسم، وإما أن يكون الحلول كحلول اللون في الورد، فيكون الجسم المحلول فيه جوهراً والحال فيه عرضاً، ففي كلتا الحالتين يكون أقنوم الإله الذي هو الجوهر محتاجاً إلى جسم، وما يحتاج إلى جسم يكون حادثاً، وأما العرض فلا يحتاج إلى جسم، والمسيح كان له جسم، وكلا الحالين باطل، لأنه إذا اعترفنا بالجسم يكون حادثاً، وإن لم نعترف بالجسم فمن الذي عذب وصلب وهو خلاف للواقع.

**عقيدة الكفارة وأثرها في عقيدة التثليث:**

إن عقيدة التثليث أساسها الكفارة عند النصارى، وهي أن الله الابن اختار الصلب لتطهير بني آدم من الخطايا والآثام، وأنه لولا صلبه بقي الإنسان إلى يوم القيامة نجساً غير طاهر من الخطايا[1].

(١) وهي نظرية مستحدثة في النصرانية، فإن «أدولف هرنك» يشير إلى خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من ذكر الصلب، ونظرية الفداء والكفارة. يقول في كتابه «تاريخ العقيدة» لا يوجد في أي مكان من تعاليم الاثني عشر أي ذكر للخلاص الذي يقدمه المسيح، وحتى في إعلان الإنجيل (المتعلق بموته وقيامته) لم يلاحظ شيء عنه. إن كتابات هرمس المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثاً وقع، ولا يوجد فيها أي ذكر على الإطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته... رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التي يذكر فيها ذلك. إنه يصف عمل يسوع بأنه:

١- حفظ الشعب من الخطيئة.

=

يقول النصارى: إن الإنسان مذنب منذ ولادته، لأن نبي الله آدم عليه السلام وزوجته وهي المرأة الأولى على الأرض ارتكبا خطأ ينتقل منهما إلى نسلهما بواسطة النطفة أو المني، وإن الأعمال الصالحة لا تكون سبباً للنجاة، لأن الله إذا رحم عباده لأجل أعمالهم الصالحة، فإن صفة رحمته تغلب صفة عدله، وإن العدل هو أن يحاسب الله جميع بني آدم لأجل الخطأ الذي ارتكبه آدم، وانتقل ذلك الخطأ إلى ذريته بواسطة النطفة. ويقولون: إن العدل والرحم لا يجتمعان، فاختار الله نفسه أن يولد بشكل المسيح في بطن مريم، وكما لا يكون عليه الخطأ لم يشأ أن يولد بالنطفة، فولد بدون اتصال رجل بأمه فصار معصوماً. ثم قدم نفسه للفداء والتطهير لنجاة بني آدم. فالإله الثاني عندهم -وهو الإله الابن- عمل للبشرية ما لم يعمله الإله الأب.

محرر دائرة المعارف البريطانية يقرر معنى الكفارة بهذه الألفاظ: «يراد بعقيدة الكفارة لدى النصارى الفداء والتضحية التي قدمها المسيح لنجاة بني آدم، فبهذه العقيدة تقرب الإنسان إلى رحمة الله بعد أن طرد منها لأجل الخطأ الذي ارتكبه آدم، فصفة الله الكلامية تمثلت واختارت صورة الإنسان الابن ليقرب الإنسان إلى رحمة الله من جديد».

---

=

٢- تنقية الشعب من الخطيئة.

٣- تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهي.

انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص (٢٧٥).

ولكن نستطيع أن نبين بطلان هذه العقيدة بعدة أمور منها:

١- يرى النصارى أن جميع بني البشر منذ آدم إلى المسيح وما بعده مذنبون. ولكن الكتاب المقدس يرد هذا الافتراء حين يصف يحيى نبي الله، وهابيل ابن آدم، ودانيال نبي الله، وزكريا نبي الله، وزوجته، والملك حزقيا، وصموئيل نبي الله، بأنهم كانوا من المعصومين أنهم لم يقترفوا شيئاً من الذنوب.

فالكتب النصرانية ترد هذه العقيدة المخترعة.

٢- لقد اختار المسيح الصلب ليتحمل خطايا بين البشر، فمن آمن به فقد تطهر من جميع الذنوب والآثام، وإن ارتكب الفواحش والمنكرات، فالإيمان بالمسيح وحده كاف لنجاته ولا حاجة إلى العمل. هذه العقيدة أيضاً مردودة حسب تعاليم الكتب النصرانية، لأنها تقول بكل صراحة أن أحداً لا يحمل وزر أحد. ففي كتاب الاستثناء وهو الكتاب الخامس في العهد القديم: أن لا يقتل الأولاد عن الآباء والأجداد، ولا يقتل الآباء والأجداد عن الأولاد، بل كل إنسان مئول عن أخطائه ويقتل لأجلها[١].

وفي كتاب حزقيال: «النفس التي تذنب هي التي تموت، والابن لا يتحمل خطأ أبيه، ولا الأب من خطأ ابنه» [٢].

وعلى هذا فمن تعاليم الكتب المقدسة لدى المسيحيين أنفسهم أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن عمل سيئة فعليها. وهذه الآيات البينات من

---

(١) (٣٤/١٦).

(٢) (١٨/٢٠).

العهد القديم كافية للرد على النصارى الذين يقولون: إن المسيح تحمل جميع خطايا بني البشر، وقدم نفسه فداء لهم.

٣- دعوى النصارى بأن الخطأ الذي ارتكبه آدم في الجنة حتى أبعد عنها انتقل إلى نسله بواسطة النطفة، دعوى بلا دليل، بل يلزم منها أن ينتقل الخطأ بواسطة المرأة لا بواسطة نطفة رجل، لأن حواء هي التي دعت إلى المعصية لا آدم، كما قد صرح به كتابهم المقدس. إذن كيف يكون المسيح معصوماً لأنه ولد من المرأة، وكانت هي الداعية إلى الخطايا والذنوب. فقولهم: إن المسيح ولد معصوماً ليطهر جميع بني البشر قول غير منطقي.

وبعد هذا أقر بأني لم أفهم معنى الواحد في ثلاث، والثلاث في واحد، ولن يفهمه أحدٌ، لأن الله لم يكلف الإنسان أن يفهم ما لا يعقل أو يفهم ثم يؤمن به على غير فهم، والذي أعلمه ويعلمه جميع الناس:

هو: ١+١+١=٣. وأما: ١+١+١=١. فهذا الحساب لا أعلمه أنا ولا يعلمه غيري. ويجعل القمص باسيليوس إسحاق مؤلف كتاب «العلم بالتثليث» فوق الإدراك، ويقول «منصور» في كتابه «التثليث والتوحيد» إنه من العبث أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة.

ويقول «عوض سمعان» في كتابه «الله ذاته ونوع وحدانيته»: «إننا لا ننكر أن التثليث فوق العقل والإدراك، ولقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله، أو بالحري عن ثالوث وحدانيته، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، لأنهم انحرفوا عن أقواله، واعتمدوا على عقولهم وحدها».

ويقول القس «توفيق جيد» في كتابه «سر الأزل»: «إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك هو كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه».

وإزاء هذه الأقوال من علماء المسيحية لا نستطيع إلا أن نقول: إذا كان الفلاسفة والأساقفة وكبار الأساتذة قد عجزوا جميعاً عن فهم هذا الثالوث، فكيف يفهمه عامة الناس؟ وهل يكلف الإنسان أن يؤمن بالإله المركب من ثلاثة أجزاء وهو واحد، فالويل كل الويل لمن يقول ذلك. صدق الله العظيم ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف (١٧٩).

## المقارنة بين الإسلام والنصرانية

| الإسلام | النصرانية |
|---|---|
| ١- الإسلام يدعو إلى توحيد الله في ذاته وصفاته، ويقول: إنه هو وحده مستحق للعبادة لا غيره. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤] | ١- النصرانية تدعو إلى عقيدة التثليث الإله الأب، والإله الابن، والإله الروح القدس، وتقول: إن الثلاثة جميعاً يستحقون العبادة. |
| ٢- إن المسيح عبد الله ورسوله. | ٢- إن المسيح ابن الله. |
| ٣- جاء المسيح ليخرج الناس من الضلال إلى الهدى. | ٣- جاء المسيح ليكون مخلصاً للناس من الخطيئة. |
| ٤- الإسلام يدعو إلى الإيمان والعمل ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٦٢] | ٤- النصرانية تدعو إلى الإيمان بالإله الابن وهو المسيح، والإيمان بالكفارة. |
| ٥- كان المسيح باراً بوالدته ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم:٣٢] | ٥- كان المسيح غير مؤدب بأمه، ومنكراً لفضلها. يوحنا (٢/١-٤)، ومتى (١٢/٤٧-٤٨). |
| ٦- إن الله أيد المسيح بروح القدس وهو جبريل ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧] | ٦- إن روح القدس لم يساعد المسيح لينجو من الصلب. |

| | |
|---|---|
| ٧- كان المسيح وجيهاً في الدنيا والآخرة ﴿ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [آل عمران:٤٥] | ٧- إن الجنود ضربوا المسيح وبصقوا على وجهه، ثم صلبوه. |
| ٨- كان المسيح معصوماً مثل غيره من الأنبياء. | ٨- كان المسيح غير صالح. |
| ٩- كان المسيح مصدقاً للأنبياء السابقين. | ٩- جعل المسيح الأنبياء والرسل السابقين قطاع الطرق على حد زعم الأناجيل. |
| ١٠- إن الله أبطل مكر اليهود فلم يمكنهم من قتله. | ١٠- إن اليهود جلدوه وصلبوه. |
| ١١- السلام على المسيح في جميع الأحوال ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم:٣٣] | ١١- إنه صلب لأجل خطيئة بني آدم فكان موته ميتة الملعون على حد زعم الأناجيل. |
| ١٢- إن الحواريين لبوا دعوة المسيح ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف:١٤]. | ١٢- إن الحواريين هربوا من وجه المسيح وتركوه في المحن والابتلاء. |

| | |
|---|---|
| ١٣- إن الله غفور رحيم يقبل توبة العباد ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٢] ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦]. | ١٣- إن الله جبار لم يقبل توبة آدم حتى انتقم من ابنه بالصلب. |
| ١٤- إن الله لا يحتاج إلى الواسطة في قبول العبادة. | ١٤- إن الله لا يقبل التوبة والعبادة إلا بطريق البابا. |
| ١٥- إن الشريعة الإسلامية هي مصدر الهداية والسعادة. | ١٥- إن الشريعة لعنة في عنق المسيحيين. |
| ١٦- إن الأنبياء والرسل في نظر الإسلام من عباد الله الصالحين. | ١٦- إن الأنبياء والرسل في نظر العهدين القديم والجديد أخس من الناس العاديين، فمنهم من زنى بابنته، ومنهم من شرب الخمر وتعرى أمام الناس... |
| ١٧- العصمة للأنبياء. | ١٧- العصمة للبابا. |
| ١٨- لا يملك نسخ حكم من أحكام الإسلام إلا الله ورسوله. | ١٨- البابا له حق في نسخ الشريعة المسيحية. |
| ١٩- القرآن كتاب الله المعجز. | ١٩- الأناجيل الموجودة لدى المسيحيين من تأليف فلان وفلان.. |

| | |
|---|---|
| ٢٠- ذكر القرآن على لسان المسيح: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ | ٢٠- كان المسيح دعا على الفريسيين والصدوقيين بالهلاك والدمار. |

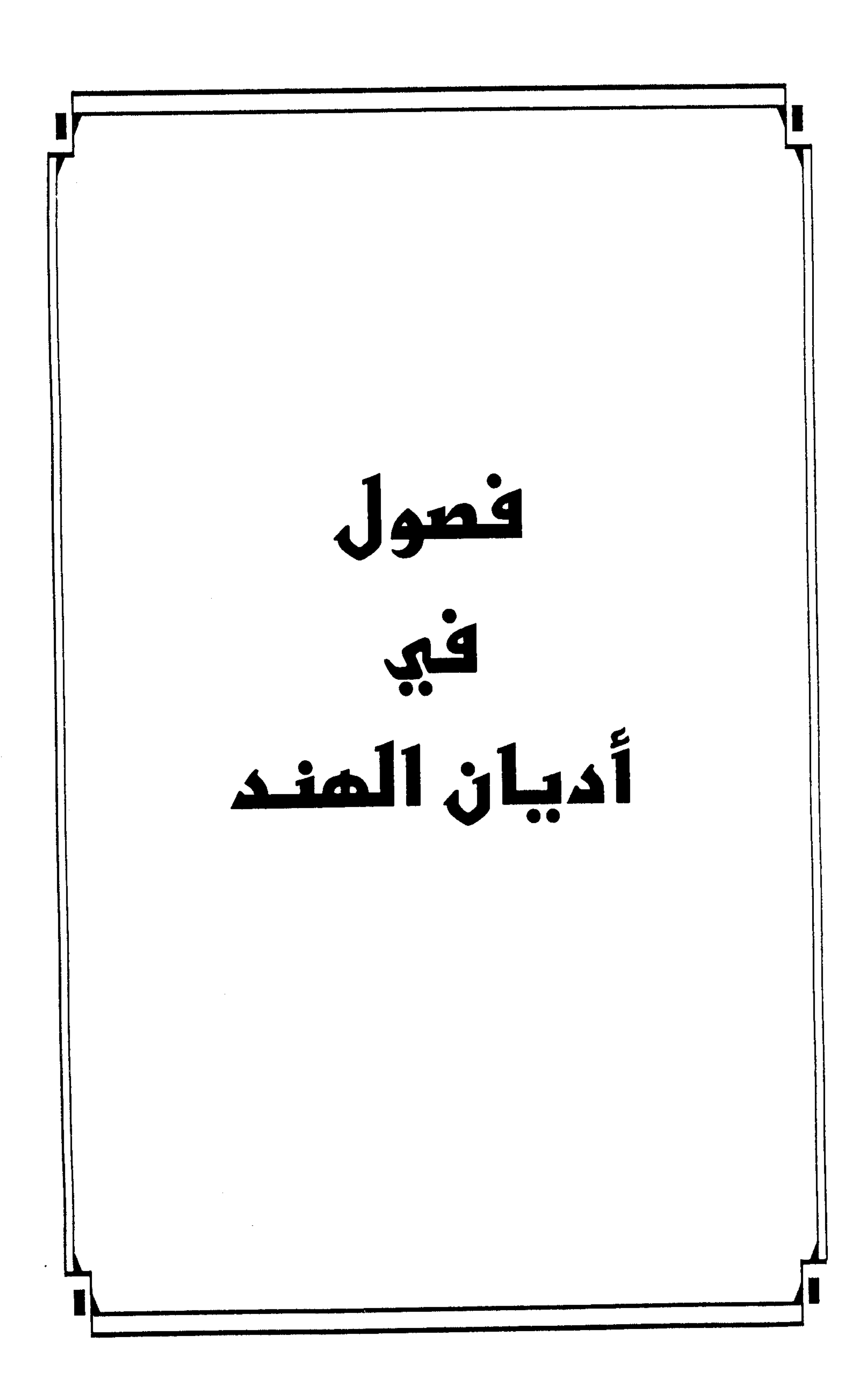
هذه المقارنة السريعة بين الإسلام والمسيحية، توضح بجلاء كيف جعل المسيحيون نبي الله المسيح في أرذل المنازل، وأما الإسلام فرفع من شأنه، وأعلى من منزلته، وبرّأه من تهم كثيرة نسبت إليه.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

**ويليه فصول في أديان الهند.**

******



# فصول في أديان الهند


http://kotob.has.it



# الهندوسية


http://kotob.has.it

# مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والصلام على رسول اللّه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة عن أديان الهند -الهندوسية والبوذية والجينية والسّيخيّة. وكانت علاقتي بهذا الموضوع منذ أكثر من عشرين سنة عندما كتبت عدة مقالات عن الهندوسية في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ثم انقطعت عنها لانشغالي ببحوث أخرى. ولكن لم أزل منذ ذلك الوقت أمعن النظر في كتب القوم كلما وجدت فرصة.

وعندما صدر كتابي «اليهودية والمسيحية» في عام ١٤٠٩هـ كان لِزاماً عليَّ أن أكمل هذا الجزء المتعلق بأديان الهند وفاءً للوعد الّذي وعدته في مقدمته.

والحمد لله قد جاء هذا اليوم، وأنا أنتهي من تأليف هذه الرسالة. وتغمرني السعادة النفسية لما أرى المسلم يعيش متمسكاً بدينه وعقيدته، وهو يرى حوله الملايين من البشر يتيهون في ظلمات الغَيّ والضلال فيسجد شاكراً لله القائل:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٢).

فيا أخي القاري الكريم عليك أن تفهم دين اللّٰه، وتتفقه فيه. ومن أعظم الفقه معرفة توحيد اللّٰه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته. وسوف ترى في الصفحات التالية كيف ضَلَّ شعبٌ بأكمله، فاتخذ من دون اللّٰه آلِهةً كثيرةً من الشجر والحجر، ومن الإنس والجن، ومن القوى الطبيعية، وصدق القائل: فرُّوا من إلهٍ واحدٍ فوقعوا تحت أيدي آلهةٍ كثيرةٍ.

وقد قيل أيضاً:

إن سَجْدةً واحدةً لله تعالى تُنَجِّيك من آلاف السجود للآلهة الكثيرة.

**المنهج الّذي سرت عليه في هذا الكتاب:**

١- حاولتُ عرض المسائل على ضوء آراء أصحابها.

٢- حاولتُ أن لا أسُبَّ آلهتهم، ولا أصفهم إلا كما وصفوها مُتَّبعاً في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤١).

(٢) سورة الحج: الآية (٧٣).

فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١).

٣- ولم أكتفِ بعرض المسائل فقط، فكثيراً ما أوجه إليها النقدَ تاريخياً وعقلياً من خلال كتبهم.

٤- حاولتُ أن أعرض القضايا باختصار شديد، ولم أدْخل في تفاصيلها. فإنها لا تنتهي لكثرة الخلافات فيما بينهم، لأنهم جمعوا في كتبهم آراء متناقضةً، وذلك لغياب الإسناد والعقيدة الأساسية. فليس شيء في دينهم موثوقاً به يمكن الاعتماد عليه. فمعظم الروايات تعتمد على الشهرة، وقد اعترف كثير من علمائهم بأن الهندوس لم يحافظوا على تاريخهم وتراثهم مثل العرب واليونان.

٥- وكان اعتمادي في الغالب على ما كتبه الهندوس أنفسهم في كتبهم، فترى خلال البحث ذكر كثيرٍ من علمائهم القدماء، وعلمائهم المُحْدَثين الذين لهم وزن وثقل في دينهم، وأغفل أحياناً ذكر المصادر لأجل الشهرة، واعتماداً على معلوماتي.

وكان من فضل الله عليَّ أن كُلِّفتُ بتدريس مادة الأديان والفرق في كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عامي ١٤٠٠هـ و١٤٠١هـ، فتجمعتْ لديَّ مواد لابأس بها، فأصدرت منها الجزء الأول «اليهودية والمسيحيّة» في عام ١٤٠٩هـ.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

والآن بعد التهذيب والترتيب والإضافة إليها، أقدم الجزء الثاني وسميته «فصول في أديان الهند» ليستفيد منه طلبةُ العلم عُموماً، والقائمون بالدعوة والإرشاد في المجتمعات الوثنية خصوصاً، سائلاً اللّٰه عزوجل أن يهدينا سبل السلام، ويُميتَنا على الإيمان والإسلام.

وصلى اللّٰه على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

**المؤلف**

عفا اللّٰه عنه

تم تحرير هذا الكتاب بمدينة الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم

بتاريخ ١٤١٢/٦/١٥هـ

وأعيد النظر فيه بتاريخ ١٤١٦/١٢/٢٥هـ

## لمحة تاريخية عن جغرافية الهند

إن بلاد الهند تعتبر قارة مستقلة في حد ذاتها لكبر مساحتها، ولكثرة سكانها، وأنواع معادنها الطبيعية، فإذا قيل: بلاد الهند يتبادر إلى الذهن الهند الَّتي تحيط بها سلسلة من جبال «هماليا»[(١)] من الشمال ممتدة إلى بلاد «كشمير» وإلى «بوتان» وفي الجنوب «كانيا كماري» وفي الغرب بلاد «السند» وفي الشرق «بورما»، فالبلد الَّذي يقع في هذه الأراضي الواسعة تسمى الهند، ولكن الَّذي يظهر من دراسة الكتب القديمة أن بلاد الهند لم تكن معروفة بهذه السعة، «فالهندُ الفَيْدِية» (VEDIC INDIA) هو ما كان بين بلاد كشمير إلى جزء من ولاية «آنْدْرَا بَرادِيش»، ومن بلاد «السِند» إلى خليج «البَنْغَالْ»، وأما ولايات جنوب الهند، وجزء كبير من ولاية «مَها رَاشْتَرا» و «آنْدْرَا بَرادِيشْ» فلم تشمله الهند الفيدية.

**أصل سكان الهند:**

لم يدون تاريخ شعوب العالم أصل سكان الهند الذين عرفوا منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد في بلاد السند، وقد كانت لهم حضارة مزدهرة عرفت حديثا في اكتشافات «مُوهَانْ جُودَار» (MOHAN JODAR)، يرى بعض الباحثين أن هذه الاكتشافات تدل على وجود جيل ممتزج بالعرق، واللون، والأوصاف الجسمانية، فيقولون: إن هؤلاء عرفوا في التاريخ باسم «الدَرَافِيدْ» وهم قوم خليط من «الكول» البدو المتنقلون والمستوطنون في

(١) هكذا النطق الأصلي..

الغابات والجبال، وعلى شواطي الأنهار الذين يسميهم التاريخ باسم الإنس الوحشي، والتورانيين الذين كان مسكنهم بلاد تركستان ثم نزحوا إلى الديار الهندية قبل الميلاد بآلاف السنين فأخضعوا الشعب الكولي، وبمرور الزمن اتحد العرق التوراني «بالعرق الكولى» ونتج من هذا الاتحاد ظهور شعب جديد عرف فيما بعد باسم «الدرافيد».

وتمركز هؤلاء «الدرافيد» في وادي السند: وكانت مدينتا «هرابا» و «موهان جودار» مسكنهم الحقيقي. وتوجد في هذه المنطقة آثار قديمة اكتشفت الآن ولاتزال الدراسات مستمرة حول هذه الاكتشافات.

وخرج «الدَرَافِيد» من وادي السِند إلى جنوب الهند، وانقسموا إلى أربع فئات حسب لغاتهم وهي: «اللغة الكَنَادِية» و «اللغة المَالِيبَارية» و «اللغة التِيلْغُوية» و «اللغة التَامِلِية». وهؤلاء هم الذين قاوموا «الآريين» مئات السنين حتى غُلِبُوا. لأن «الآريين» كانوا أكثر منهم قوة، وأرقى منهم حضارة، وأعلم منهم في صناعة آلات الحرب، فقد استخدموا في هذه الحروب أنواعاً من الأسلحة الحديدية بينما لم يكن لدى «الدَرَافِيد» إلا الأسلحة المصنوعة من العظام والأخشاب والأحجار.

ونجد في هذا العهد وهو من سنة ألف وخمسمائة قبل المسيح إلى ظهور «البُوْذَا» و «المَهَابِير سُوَامِي» الفوضى وعدم الاستقرار، والحروب الطاحنة بين القبائل الهندية أولاً، ثم بين «الدَرَافِيد» و «الآريين» ثانياً.

وهذه الحروب لم تكن في ميدان السياسة والحكم فقط، بل في جميع الميادين: الثقافية، والحضارية، والعقدية، وقد استمرت حتى القرن الخامس

قبل الميلاد، حيث تمت الغلبة «للآريين»، ووقع السكان الأصليون بأيديهم فبدأ الآريون ينظمون شئون حياتهم، ويدخلون السكان الأصليين في المجتمع الفيدي: وقَسَّمُوا سكان الهند إلى أربع فئات:

**الفئة الأولى: (البَرَاهِمَة)** وهم من أصل الآريين.

**الفئة الثانية: (الكَشْتَرِي)** وهم الجنود وكان أصلهم من «رَاجَبُوتْ» والأرجح أنهم أيضاً من «الآريين» وكانوا من أبناء الملوك الذين فتحوا الهند في أوائل التاريخ.

**والثالثة: (الوَيْش)** وهم من التورانيين والكول الذين سموا فيما بعد باسم (الدَرَافِيد).

**والرابعة: (الشُودَرْ)** وهم من الدرافيد الذين لم يستسلموا للآريين، ولم يقبلوا انضمامهم إلى المجتمع الفيدي وصاروا عبيداً لهم، وسأتحدث عن كل فئة من هذه الفئات بالتفصيل فيما بعد.

كما بدأ الآريون يشتغلون بالتصنيف والتأليف، واتخاذ الآلهة من القوى الطبيعية، واختراع أنواع من العبادات والأناشيد الدينية حتى ظهر «البوذا» ليحارب معتقدات الآريين وطقوسهم وتقسيمهم البشر إلى فئات مختلفة.

## هجرات الآريين إلى بلاد الهند:

كلمة الآريا في اللغة السَنْسَكِرِتية تطلق على النبلاء. وهم شعب ذوو جلود بيض، وشعور سود، يتكلمون اللغة السنسكرتية، ثم استعملت في قوم مشكوك في أصلهم، فيرى بعض الباحثين أنهم قوم نشأوا ببلاد

«الدانوب» بأوروبا، ثم هاجروا إلى آسيا عند ما ضاقت بهم الأرض، وتوضح التحقيقات الجديدة أن لونهم كان أشبه بلون الذهب، وهو لون مرغوب لإلههم «إنْدَرا» كما جاء في «ريج فيدا» و «ياجورفيدا» (أن إلههم «رُودْرَا» كان لونه ذهبياً).

وجاء في الباب الأول من «ريج فيدا»: (أن عابداً كان يدعو اللّٰه أن يهب له ولداً يكون لونه كالذهب). ومن هذا التشابه ادعى الباحثون بأن الآريين كانوا من أجناس أوروبا، وقد وجدت الجماجم في شمال أوروبا تشبه إلى حدٍّ ما جماجمَ الآريين، فيقولون: إنهم نزحوا من مساكنهم طالبين الرزق عبر سواحل نهر «دينيوب» ثم «باسفورس» و «دارد نالس» و «إيران» و «أفغانستان» حتى وصلوا إلى «السند»، وقد تركوا جماعة منهم في تلك البلاد الّتي عبروها، فبدأت الحرب بينهم وبين أهل السند. بينما لم يقاوم أهل تلك البلاد. واستمرت هذه الحروب قرابة ألف سنة. وفي النهاية استسلم أهل السند، وهربوا إلى الغابات والجبال. وقد هاجر جماعة منهم إلى شمال الهند وانضموا في النهاية إلى المجتمع الفيدي. ومن بقي منهم بأيديهم صاروا عبيداً لهم وهم الذين كانوا يسمون باسم «الدرافيد».

ويرى غستاف لوبون: أنه كانت لهم طريقان للهجرة:

**إحداهما**: الطريق المؤدية إلى أوروبا.

**والأخرى**: الطريق المؤدية إلى إيران.

ويرى باحثون آخرون أن الجنس الآرى آسيوى الأصل، كان يعيش في وسط آسيا في بلاد تركستان بالقرب من نهر «جيحون»، ثم زحفت

أفواج ضخمة من هذا الجنس في أزمنة غير معروفة، واتجهت إلى جهتين فئة ذهبت إلى أوروبا، وفئة هاجرت إلى الهند عبر إيران، بينما يرى غستاف لوبون أن أصل الآريين من إيران نفسها، يقول في كتابه «حضارات الهند»[1]:

«ولا أحاول هنا أن آتي بافتراض جديد في أصل الآريين، بل أذكر أن المحتمل أكثر من سواه على ما يظهر، وهو أن الآريين كانوا سكان إيران الأصليين، وأن المجاورين منهم للهند هم الذين دخلوها على دفعات متتابعة لا ريب، كما استولى أجدادهم على أوروبا من قبلهم، وأن تأثيرهم في دماء الشعوب المقهورة كان ضعيفاً إلى الغاية كما يبدو لي خلافاً للرأى السائد». انتهى.

وإني أضيف هنا دلالة لغوية لكون الآريين من أهل فارس فأقول:

تشترك اللغة السنسكرتية مع الفارسية في كثير من الألفاظ والمعاني ولم يثبت في التاريخ أن أهل الهند خرجوا إلى فارس ليقتبسوا بعض الكلمات، لذا يجزم علماء اللسان بأن المتكلمين بالسنسكرتيه وهم آريون، والفرس كانوا من منطقة واحدة.

وإليكم بعض هذه الكلمات ومعانيها بالعربية:

---

(١) ص ٢٦٠.

| الألفاظ الفارسية | الألفاظ السنسكرتية | المعنى بالعربية |
|---|---|---|
| انكَشت | انكَشت | الإصبع |
| بازو | باهو | العضد |
| دست | هست | اليد |
| جرم | جرم | الجلد |
| زانو | جانو | الفخذ |
| نر | نر | الذكر مقابل الأنثى |
| پائ | پاؤ | الرجل |
| خون | شون | الدم |
| سر | شر | الرأس |
| أبرو | آبهرو | الحاجب |
| كَدو (كَل) | كَل كَدو | الزهر |
| خواب | شواب | النوم |
| شب | شبا | الليل |
| بدر | بتر | الأب |
| مادر | ماتر | الأم |
| برادر | بهرادر | الأخ |
| دختر | دهتر | البنت |
| خسر | سؤسر | الصهر |

| الألفاظ الفارسية | الألفاظ السنسكرتية | المعنى بالعربية |
|---|---|---|
| روم | روم | شعر الجسم |
| بنج | بنج | خمس |
| بنجم | بنجم | الخامس |
| هفت | سبت | سبع |
| هفتم | سبتم | السابع |
| ششم | ششتم | السادس |
| نهم | نوم | التاسع |
| دهم | دشم | العشرة |
| يك | ايك | الواحد |
| تارا | تارا | النجم |
| هور | سوريه | الشمس |
| ماه | ماس | الشهر |
| روز | روج | اليوم |
| شام | شانم | المساء |
| مهر | مهر | الشمس |
| هوا | وايو | الهواء |
| سرد | شرد | البرد |
| آب | آب | الماء |
| تشنه | ترشنا | ظمآن |

| الألفاظ الفارسية | الألفاظ السنسكرتية | المعنى العربية |
|---|---|---|
| سياه | شيام | الأسود |
| سايه | جهايا | الظل |
| ديوا | ديوار | الجدار |
| جنكَل | جنكَل | الغابة |
| نام | نام | الاسم |
| نو | نو | الجديد |
| جال | جال | الشبك |
| ارج | ارج | القيمة |
| شير | كشير | اللبن |
| كاؤ | كَئو | البقرة |
| خر | كهر | الحمار |
| شاخ | شاكها | الغصن |

هذه بعض الألفاظ من اللغتين الفارسية والسنسكرتية ذكرتها كمثال ونقلتها من «الفيد ومسألة قدمه» للمؤلف أكبر شاه خان.

ويقول المؤلف: يطول الفهرس لمثل هذه الألفاظ وقد يصل إلى الألوف، وأنا أكتفي هنا بذكر مائة لفظ فقط للمقارنة بين اللغتين وهذه القائمة الصغيرة كافية لإثبات الدعوى وهي أن اللغة السنسكرتية أخذت من الفارسية[١]. انتهى.

(١) وقد اختصرته أيضا فذكرت تسعة وأربعين لفظاً فقط.

وبهذا يستدل على أن أهل اللغة السنسكرتية وهم الآريون كانوا من سكان فارس.

ويدعي بعض علماء الهندوس الجدد منهم الدكتور «اويناش جندرا» و «سوامي شنكرانند» و «راي بهادر راما برساد» والعالم الألماني «جير» أن الآريين لم ينزحوا من بلد آخر، بل هم سكان بلاد الهند الأصليون بناء على بعض الآثار الّتي وجدت في حفريات «موهان جودار».

ولكن الأرجح أنهم من جنس أوروبي لوجود التشابه في اللون والهيئة العامة الّتي تُخالِف الجنس الهندي الأصيل[١].

يقول ويج (WEECH): ففي البنجاب نجد السكان أطول قامة، بشرتُهم بيضاء، أو أميل إلى البياض، ملامحهم أدق، وهم بهذا يخالفون باقي الهنود حيث تنتشر ملامح التورَانيين، أو حيث توجد ملامح السكان الأصليين بالجنوب، وتقل ملامح الآريين كلما اتجهنا جنوباً أو شرقاً كما أن «الدرافيد» لا يزالون يكيدون لهم كيداً رغم مرور آلاف السنين فإن هذا الحقد ورثوه أبا عن جد، فلو كان الآريون من أصل سكان الهند لما حدث كل هذا.

---

(١) وقد ادعى المستشرق «بونز» أن اللغة السنسكرتية متحدة في أصولها مع لغات أوروبا.

## انضمام أهل الهند إلى المجتمع الهندوسي:

لما تم فتح الهند كلها على يد الآريين، بدأ الشعب الآري ينظم شؤون حياته الاقتصادية والاجتماعية، والسياسة، وفتح الباب لأول مرة لضم أهل الهند إلى معتقداتهم. وانتهى هذا العهد في نهاية القرن السادس قبل الميلاد.

## غارة الأفكار الجديدة:

وبعد القرن السادس قبل المسيح بدأت الأفكار الجديدة ترد إلى الهند من اليونان ومصر وبابل والصين، ووقع تصادم شديد بينها وبين أفكار وتعليمات الفيدا فانقسم علماء الآريين إلى قسمين، قسم يحارب هذه الأفكار الجديدة، وقسم: ينقح ويهذب أفكار «الفيدا» على ضوء العلوم الجديدة، فبدأ الدِّين الهندوسي يتجه إلى الفلسفة وينهج منهجها، واستمر هذا الدور إلى نهاية القرن الثالث قبل المسيح، وأُلِّفتْ في هذا العهد أهم الكتب الهندوسية وهي «الأبانشاد» و «البهكفت كيتا».

## مؤسس الهندوسية:

لم يسجل تاريخ الأديان اسم شخص معين، يقال له إنه مؤسس الديانة الهندوسية، كما هو الحال في أديان الهند الكبرى، فالبوذية أسَّسها «البوذا»، والجينية أسَّسها «المهابيرسوامي»، والسّيخيّة أسَّسها «كرونانك».

يقول الدكتور «رادَهَا كِرِشْنَا»[1]: «إن الديانة الهندوسية لا تنتمي إلى

---

(١) وهو أحد فلاسفة الهندوس المعاصرين. ولد سنة ١٨٨٨م. وفي الخمسينات تولى رئاسة جمهورية الهند. له أكثر من مائة وخمسين كتاباً في الفلسفة والدين. وكان شديد النقد على الفلسفة الاشتراكية الماركسية.

شعب من الشعوب، بل هي ثمرات لتجارب الأمم الّتي أدت دورها في تكوين الفكر الهندوسي.

**مشكلة العقيدة في الهندوسية:**

مما لاشك فيه، أن لكل أمة من الأمم الحاضرة والماضية عقيدة رئيسة تؤمن بها، وتسير على وفقها في معالجة مشاكلها، وإصلاح أحوالها، في أفرادها وجماعاتها، والعمل بمقتضاها، وإن الباحث يدرك حقيقة الأنظمة والأحزاب والجماعات بدراسة عقيدتها وأهدافها، فإذا تخلت الأنظمة أو الأديان عن العقيدة المركزية كانت كجسم بدون روح. ولذلك فإن أهم ما يؤخذ على الديانة الهندوسية أنها خالية من العقيدة الرئيسة.

وعلماء الهندوس يشعرون بخلوها من العقيدة، بل ويفتخرون بذلك.

يقول الزعيم الهندي «غاندي»: ومن حظ الديانة الهندوسية أنها ليست لها عقيدة رئيسة، فإذا سئلت عنها فأقول: إن عقيدتها هي عدم التعصب والبحث عن الحق بطرق حسنة، وأما الاعتقاد بوجود الخالق وعدمه فكلاهما سواء، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهو هندوسي سواء آمن أم لم يؤمن.

ويقول في موضع آخر من كتابه: «هِنْدُو دَهَرَمْ» (HINDU DHARM): من حسن حظ الديانة الهندوسية أنها تخلت عن كل عقيدة، ولكنها محيطة بجميع العقائد الرئيسية، والجواهر الأساسية للأديان الأخرى».

ولذا نجد أن علماء الهندوس يقدسون كل جديد، ويظنون أن ذلك هو المطلوب والمقصود، وأنهم يعتبرون كل مصلح رسولاً منزلاً من

السماء، وإلهاً بصورة البشر، ولو خرج على بعض معتقداتهم إذا بقي في الإطار الهندوسي، ولم يعلن صراحة خروجه من الهندوسية إلى الإسلام أوالنصرانية، والسبب كما قلت هو: أنه لا يوجد في الهندوسية مقياس تقاس عليه أمور دينهم، فمن ينتمي إلى الهندوسية فهو هندوسي إلى الأبد.

فالتعريف الصحيح للهندوسي: هو الذي وُلِد بين أبوين هندوسيين بغضِّ النظر عن العادات والتقاليد والعبادات. ومن الممكن أيضاً أن الغالبية العظمى من النصارى تأثروا بالهندوسية في تخليهم عن العادات والتقاليد النصرانية.

**اسم الهندوسية:**

بسبب خلو الهندوسية من العقيدة الأساسية فإنها تغيرت وتبدلت إلى حد لا يتصور حتى فقد اسمها الحقيقي وهو «وَيْدِكْ دَهَرَمْ» (VEDIC DHARM) أو «آريا دهرم» وسميت باسم الهندوكية الَّتي ليس لها أصل في اللغة السنسكرتية. لأن هذه الكلمة مستحدثة لم تستعملها الكتب القديمة[1]. فقد كان دين أهل الهند يسمى في الماضي بكلمة «الدين الآري» (ARYA DHARM) أو بكلمة «سَنَاتَنْ دَهَرَمْ» (SANATAN DHARAM) يعني الدِّين القديم.

أما كلمة الهندوسية فإنها اشتقت من كلمة «سند» لأن أهل فارس واليونان كانوا يتجولون على سواحل «سند» ويغيرون حرف السين إلى الهاء، فقالوا: (الهند)، وكلمة «استهان» معناها «المقر» كانت ثقيلة عليهم

---

(١) هندو دهرم كوش ص (٧٠٢).

فجعلوها «استان» بحذف الهاء فقالوا «هندوستان» أي مقر أهل الهند، وقالوا للسكان: «هندو» وإليها نسب دينهم فقالوا: الهندوسية أوالهندوكية. وقالوا لأهل هذا الدِّين: هندوسي أو هندوكي، وجمع الكلمة الأولى في اللغة العربية بالواو والنون وهو جمع المذكر السالم: «هندوسيون».

كما تستعمل كلمة الهندوس للجنس كالقوم أي في حالة الإفراد والجمع، وجمع الثانية جمع تكسير: «هنادك».

وأما أهل الإنجليزية فغَيَّرُوا الهاء من الهند إلى الهمزة فقالوا: اند (IND) وزادوا إليها (IA) للنسبة فصارت كلمة «اند»: «انديا» (INDIA).

## مراحل تدوين الكتب الهندوسية:

بعد ما وصل الآريون إلى الهند، وبدأوا يخوضون الحروب مع أهلها اشتغل جماعة من علمائهم بالتصنيف والتأليف، واستمرت فترة تصنيف الكتب الهندوسية الأساسية أكثر من ألف سنة تقريباً.

وإليكم بيانا بالأدوار الّتي مر بها التصنيف في هذه المدة.

### الدور الأول:

أول عمل قام به هؤلاء العلماء هو استكمال تأليف الفيدات الأربعة[1]. و «الفيد»: كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة «ود» ومعناها العلم والمعرفة.

---

(١) وهي: الريج فيدا، وياجور فيدا، وسام فيدا، وأتور فيدا. وسيأتي تفصيل لكل هذه الفيدات.

**الدور الثاني:**

عصر المتكلمين الهندوس: فإنه قد توجه جماعة من العلماء المتكلمين إلى تأليف كتب «أبانشاد» وهي في الحقيقة خلاصة لفلسفة «الفيدا» وتشتمل كتب «أبانشاد» على مبادئ التصوف من الذكر إلى الفناء.

يقول البروفسور «روئيس» (ROYEC):

(جميع أحكام التصوف دُوِّنَتْ في هذه الكتب).

وكذلك تشتمل كتب «أبا نشاد» على حضارة الآريين الثقافية والأدبية وانظر التفاصيل الأخرى في باب المصادر.

**الدور الثالث:**

دور الفقهاء الذين وجهوا عنايتهم إلى تدوين الفقه الهندوسي من أحكام الطهارة والعبادة والمعاملات، والعلاقات، وأحكام الزواج والفراق، وما إلى ذلك.

وكان اعتماد هؤلاء الفقهاء على الروايات المنتشرة على ألسنة الرهبان والزهاد والنساك، وبجهودهم ظهرت كتب «إسمرتي» يعني المذكرات، ويبلغ عددها أكثر من خمسين كتابا والمعروف منها «منو إسمرتي».

**الدور الرابع:**

بعد امتزاج أهل الهند بالآريين. ذهبت آلهة الآريين إلى الخفاء، وهم «إِنْدَرا» (إله الرعد الَّذي يسبب الأمطار)، و «اَغْنِي» (إله النار)، و «أَرُونا» (إله السماء)، و «أُوْشَا» (إله الصبح)، وبدأت تظهر آلهة الهند وهم «فِشْنُوا» (إله الرزق)، و «سَيفا» (إله التدمير والإبادة) -فمن هنا بدأت حركة

التصنيف للحمد والثناء على الآلهة الجديدة، فألفت كتب «بُرَانْ» ومعناها القصص والأساطير القديمة وتناولت هذه الكتب عدة مواضيع وهي قصة الخلق، والقيامة، والفترة الّتي تستغرق بين الاثنين من «مَنُو» والمقصود به بين التدميرين للكائنات فإن هذه الدنيا دمرت ملايين المرات، ثم أعيد خلقها، ويستمر هذا العمل إلى اللانهاية، لأنها قديمة وأزلية حسب عقيدتهم.

**الدور الخامس:**

تأليف كتب الملاحم والحروب: تتحدث هذه الكتب عن زعماء الآريين الذين خاضوا الحروب الطاحنة ضد أعدائهم إلى أن تم لهم النصر وهذه الكتب هي:

«مَهَا بَهَارَاتْ» و «كِيَتا» و «رَامَايَانْ» وقد صارت هذه الكتب من الكتب الشعبية. وكثر الاهتمام بها في المجتمع الهندوسي.

وسوف أتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الكتب في الباب التالي.

**الدراسة حول المصادر الأساسية لدى الهندوس:**

بما أن الهندوس لا يتقيدون بعقيدة خاصة، لذلك يسهل عليهم الإيمان بالله وبغيره من الآلهة الكثيرة من القوى الطبيعية وغيرها، لذلك افترقت كلمتهم في عد المصادر الأساسية، فكل فرقة من فرقهم لها كتب خاصة بها وإن كان غيرهم يشاركهم في تمجيدها وتقديسها. لذا فلن أتقيد في ذكر هذه المصادر الخاصة بفرقة من الفرق، فكل كتاب ألف في تمجيد إله من الآلهة وتقديم القرابين له صار مقدساً عندهم، وهذه الكتب هي الّتي

مر ذكرها بالإجمال في مراحل التدوين- وإليكم بعض التفاصيل عنها:

١- **(الفيدا)** معناه «العلم» في القديم كان يطلق لفظ فيدا على جميع الكتب الهندوسية من «سَنْهَتا» و «بَرَاهْمَان» و «آرْنِكْ»، و «أُبَانِشَادْ» ثم خص لفظ «فيدا» بأربعة كتب وهي:

«ريج فِيدا» ، و «يَاجُور فِيدا» ، و «سآم فِيدا» ، و «آتُورَ فِيدا» .

ويعتبر الفيدا من أهم الكتب المقدسة لدى الهندوس. ونال شهرة كبيرة من الجماهير، والفيدا ليس اسم كتاب مؤلف على الأبواب والفصول وإنما هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهاد والنساك في القرون المظلمة قبل الميلاد، وكلمة الفيد مشتقة من كلمة «ود» ومعناها باللغة السنسكرتية: العلم. ولقد حرص النساك الهنادك على حفظ التعليمات المبعثرة، ثم أملوها على تلاميذهم وقيدوها على اللوحات الحجرية والجلدية. ويقال لهؤلاء الحفاظ «شاستري» (SHASTRY).

ويدعي الهندوس أن الفيدا أزلي وقديم كقدم العالم. ألهمه رجل يسمونه «منو» .

يقول العالم الهندوسي «بهاري لال ورما» إن الفيدا ليس اسم كتاب بل هومجموعة من أفكارالنساك الهندوس. ومعنى كلمة «ود» حصول العلم، ويعني بذلك أن الفيدات جمعت فيها شتى العلوم الروحانية، وفيها الأناشيد الدينية للعبادة».

ويقول عالم هندوسي آخر وهو «البندت شري رام شرما» في مقدمة تفسير «ريج فيدا» إن هذا الكتاب يشتمل على أفكار ثلاثمائة ناسك.

والفيدا ينقسم إلى قسمين:

**أحدهما:** سَنْهَتا - أي المتون.

**وثانيهما:** بَراهَمَنْ - أي الشروح.

ويرى العالم الهندوسي «سوامي ديانند» أن القسم الأول إلهامي، والثاني غير إلهامي.

أما الذين قسموا الفيدات إلى ثلاثة أقسام فزادوا قسماً آخر وهو «الآرنيك» (ARNICK) وهذا القسم يشمل تعليمات تاركي الدنيا، والأسفار المقدسة الّتي ألفت بعد ذلك وسميت باسم «أبا نشاد»اقتبست من هذا القسم الثالث، هذه الأسفار يبلغ عددها حوالي مائة وثمانية أسفار. ولكن المعتبر منها عند الهندوسي ستة عشر سفراً فقط على حد تعبير شنكراجاريا[١].

ولكن من أغرب الأمور أن يوجد بعض «الآرنيك» بعد «البوذا» بزمان كما يدعي العالم الهندوسي «دهر مانند كوسمبا» في كتابه المعروف «الحضارة الهندية» وهذا يؤيد القول بأن كتب الهندوس المقدسة لا تزال في ظلام التاريخ.

---

(١) ولد «شَنْكَرا جَارَيا» في منطقة «مليبار» في عام ٧٧٨م واختار سلوك النساك وعمره ثماني سنوات، وتوفي وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة. يقولون إن «شنكرا جاريا» كان أصغر زعيم في تاريخ الأديان الهندية، وهو أول من دعا إلى وحدة الوجود، وأقام الأدلة والبراهين من الفيدات، وأسس مراكز التعليم في أنحاء الهند لنشر أفكاره، وهي تسمى «ماتها» [MATH] وفي كل مركز يُعَيّن راهب يلقب بـ«شنكراجاريا» ، وهو أعلى لقب للرهبان الهندوس.

وأعود إلى الحديث عن أصل الفيدا فأقول:

الفيدات مجموعة من الكتب يبلغ عددها أربعة وهي:

١- **ريج فيدا** (RIG VEDA) ومعناه الدعاء والثناء.

يقال هذا هوالأصل الأشهر وهو أشمل أيضا من غيره، يدعي علماء الهندوس أن ريج فيدا من أقدم المؤلفات في العالم، ولكنهم يختلفون في تحديد زمان تأليفه، ويجزم علماء الغرب أن تأليفه كان على مراحل ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠ قبل الميلاد.

يقول العالم الغربي «منترتان» : إن تأليفه كان في زمان يقارب ٢٥٠٠ ق م، وهذا العهد أقرب إلى ما يقدره علماء الهندوس.

وهو ينافي قولهم: (إنه أزلي كقِدم العالم).

والكتاب يشتمل على عشرة «مَنْدَلْ» أي الأجزاء، وعلى أربعة وستين «أدهيايا» أي الأبواب، وعلى (١٠١٧) «سوكت» أي عناوين الأبواب، و١٠٥٥٢ «منترا» أي الأبيات، وأشهر الإلهة الذين ورد ذكرهم في «ريج فيدا» «أغنى» (إله النار)، لأن جامع الفيدا وهو «ويد وياس» كان في زمن «زرتشت» زعيم الفرس وكان يدعو إلى عبادة النار، ويذكر بعض المؤرخين أن «ويد وياس» سافر إلى فارس لمناقشة هذا الزعيم الجديد فتأثر بمذهبه ودعوته، ورجع إلى الهند حاملاً أفكار «زرتشت» فأدخل جزءاً كبيراً من تعليمات «زرتشت» في الفيدا.

وأما مفسر ريج فيدا «البندت شري رام شرما» فذكر في مقدمته أسماء الآلهة الّتي جاء ذكرها في ريج فيدا. فبلغ هؤلاء أكثر من مائة

وخمسين إلها ومن هؤلاء:

أَغْنِي : إله النار.

فَايو : إله الهواء.

إِنْدَرا : إله الرعد.

ارَوُنا : إله السماء.

سُوَرَيا : إله الشمس.

أوشا : إله الصبح.

كيان : إله العلم.

كام : إله الشهوات.

ويعلق على هذا بعض العلماء بقولهم: إن الهندوسية تتخذ من القوى الطبيعية آلهة كما أنها توزع الآلهة حسب المناطق، وكل هؤلاء يقربون إلى الله كما هو حال الجاهليين قبل الإسلام.

هذه هي حقيقة «ريج فيدا» وهو أم الكتب الهندوسية، والهنادك يقدسون هذا الكتاب. ويتغنون بأناشيده، ويرتلونها في الصلوات صباحاً ومساء ويتبركون بتلاوتها في حفلات زواجهم، ويقرؤون أبياته على موتاهم عند تحريق جثثهم.

**٢- ياجُور فِيدا** (YAJUR VEDA).

وهو كتاب يتحدث عن قوانين القرابين، هذا الكتاب يبلغ حجمه ثلثى حجم ريج فيدا، وهو مكتوب بالنثر وفيه تعليمات لتقديم القرابين للآلهة، وكثير من العلماء الهندوس ينكرون أن يكون «ياجور فيدا» من الفيدات المقدسة لديهم.

**٣- سام فيدا** (SAM VEDA) ومعناه الأمن والراحة.

وهو يشمل (١٨١٠) بيتاً، وجميع هذه الأبيات توجد في ريج فيدا ما عدا خمسة وسبعين بيتاً. والهندوس يتغنون بهذه الأبيات عند إقامة الصلوات، ودعوة آلهتهم لنجدتهم، وسبعةُ الألحان المعروفة في الموسيقي الهندية مصدرها هذا الكتاب العتيق.

ويقول بعض علمائهم: إن «سام فيدا» ليس بأقل قدراً من «ريج فيدا» بالنسبة للموسيقي الهندية ورقيها.

**٤- أتور فِيدا** (ATHER VEDA) يعني رقى السحر.

هذا الكتاب يشتمل على مجموعة من الأبيات، والبابان التاسع عشر والعشرون أخذا من «ريج فيدا» ، وفيه مقالات في السحر والرقى لإبعاد الشياطين والأغوال، وفيه أدعية للحفظ من الحيوانات المفترسة، كما أن فيه أدعية لحصول الراحة والأمن والربح في التجارة والقمار.

وإن «آتور فيدا» من آخر الكتب الفيدية، وهو مختلط بالحضارة الآرية وغيرها، لذا لايوجد ذكره في الكتب الآرية القديمة.

**الاتجاهات التفسيرية للفيدات:**

اتجه مفسروا **الفيدات** إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة:

**أحدها**: تفسير ستارام سايان (SUTRAM SAYAN) وهو من المفسرين القدماء الذين فسروا الفيدات الأربعة على أساس الطقوس الدينية الّتي كانت سائدة في عصره، كما فسر الفيدات بالأدلة التاريخية مقتبسا من كتاب «مَهَابَهارَتْ» والعلماء الهندوس يقدرون هذا الرجل، ويجعلونه

في قمة من الذكاء والفهم لمعاني الفيدات، ويقولون: لـولا ستارام سـايان لما فهمنا أسرار «الفيدات» .

وينقل عن «ماكس مولار» أنه قال: لـولا سـهل لنـا «سـتارام سـايان» الطريق لما استطعنا أن ندخل هذه الحصون المنيعة.

**ثانيـها**: تفسـير مـاكس مـولار ((MAX MULLER هــذا الأوروبـي الإنجليزي لـه مكانـة كبيرة عنـد الهنـدوس، لأنـه أول مـن حــاول فــهم الفيـدات علـى منـهج الغربيـين وقـام بنشـر تعليمـات الفيـدات في أوروبـا وأمريكا، حتى لقب عند الهندوس بـ «موكش مـولار» أي مـولار النـاجي من جولان الروح.

**ثالثـها**: تفسـير ديـانند (DIYANAND) وهـو المصلـح المعـروف لـدى الهندوس الّذي دعـا إلى إحيـاء الحضـارة الآريـة في الهنـد في القـرن التاسـع عشر، وأنكر الطقوس والرسوم الّتي كانت معروفة منذ أقدم العصور. كما أنكر الوقائع التاريخية الّتي جاء ذكرها في الفيدات، وانتـهج بذلـك منـهجا خاصاً لم يسبقه أحد قبله. وأوّل كـل شـيء يخـالف توحيـد الربوبيـة مثـل الأصنام والأوثان الّتي يكـثر ذكرهـا في الفيـدات. أوَّلهـا إلى مظـاهر قـدرة الخـالق لتحقيـق الوحـدة الإلهيـة. ففـي رأيـه أنـها الأعـداد المتفرعـة منــه، ولا وجود إلا وجوده المطلق. وأكثر من استعمال الاسـتعارات والمجـازات والتشبيهات في تفسيره.

وهذا الرجل له تأثير كبير في الشعب الهندوسي المعاصر وإليكم تاريخـاً موجزاً عنه.

ديانند (١٨٢٤م –١٨٨٣م) مؤسس جمعية «آريا سماج» (ARYA SAMAJ) وهي جمعية هندوسية متعصبة أسست عام ١٨٧٥م بمدينة بمبائ لإحياء الدعوة الهندوسية من منابعها الأساسية وهي الفيدات وشروحها.

ومن أخطر أهداف «آريا سماج» الدعوة إلى «شدى» يعني التطهير. ويقصدون بذلك إعادة المسلمين الجدد إلى الهندوسية. وأنه بدخوله في الإسلام والنصرانية قد تنجس فلزم تطهيره.

وقد قاوم المسلمون هذه الدعوة بشدة وكان على رأسهم المجاهد الكبير، والمناظر الموفق الشيخ ثناء اللّه الأمرتسري رئيس جمعية أهل الحديث في الهند الّذي استطاع بما منحه اللّه من الذكاء أن يسترد ثقة المسلمين بدينهم وعقيدتهم.

هكذا تمكن المسلمون من إخماد هذه الفتنة إلا أن «آريا سماج» لم يتخَلَّ عن فكرته.

والكتاب الأساسي لدى هذه الفرقة اسمه «ستيارتها بركاش» ألفه ديانند نفسه، واهتم المصنف في هذا الكتاب بالرد على جميع الأديان المعروفة. وجعل له أربعة عشر بابا. خصص الباب الرابع عشر للرد على الإسلام، وقد قام بالرد عليه رئيس جماعة أهل الحديث في الهند وهو الشيخ ثناء اللّه الأمرتسري رحمه اللّه فألف كتابا سماه «حق بركاش» ثم قام الشيخ إمام الدِّين الرام نكري رحمه اللّه رحمة واسعة فألف كتابا سماه «دلائل القرآن في افتراء ديانند والبهتان».

وقد ترجم كتاب «ستيارتها بركاش» إلى عشرات اللغات الهندية والأوروبية.

وفي مطلع عام ١٩٧٨م أقامت جماعة «آريا سماج» احتفالاً بمرور مائة عام على تأليف هذا الكتاب، فليتأمل المسلم العاقل كم أفسد هذا الكتاب من البشر في الشرق والغرب.

ثم يحق لنا أن نسأل هذا المصلح وجماعته «آريا سماج» أين إيمانهم «بالفيدات» الّتي تنادي بأضحية الحيوان وهم يُحرِّمون أكله، وتجيز بناء المعابد للأصنام وهم منعوها، وتدعو إلى الإيمان بآلهة كثيرة وهم اكتفوا بالتثليث.

تقول الملائكة يا «إندرا» (إله المطر) إن «فشنو» (إله الرزق) يطبخ لك مائدة من الجاموس[1].

وفي موضع آخر: «هم يطبخون الثور، وأنت تأكله»[2].

وفي موضع آخر: إن «إندرا» مع العباد يطبخ الثور السمين[3].

وفي موضع آخر: يقول «إندرا»: «اطبخ لي خمسة عشر ثوراً، وأنا آكله فأكون سميناً»[4].

(١) الريج فيدا ٦/١١/١٧.

(٢) الريج فيدا ١٠/٢٨/٣٠.

(٣) الريج فيدا ١٠/٢٧/٣٠.

(٤) الريج فيدا ١٠/٨٦/١٤.

والباب الثاني والعشرون إلى الخامس والعشرين من «الياجور فيدا» مملوء بأضحية الحيوان.

كما أنهم اكتفوا بعبادة إله واحد مع أن «الفيدات» تدعو إلى الإيمان بآلهة كثيرة مثل «إندرا» و «أغنى» و «سوم» و «ورن» و «الرجابتي» و «فشنو» و «يم» ، وغيرهم إلا أن تُؤول هذه الفقرات كما فعل ديانند وجعل للفيدات ظاهراً وباطناً، ولكن جماهير الهندوس لم يقبلوا تأويله.

٢- الأبانشاد (UPNISHAD) ومعناه: الجلوس عند الشيخ لتلقي العلم، وهي أسفار تفسيرية للفيدات، وفيها علوم وتجارب الرهبان والنساك من الهنادك الذين مارسوا حياة الرهبانية، واتخذوا الغابات والجبال الشامخات مقرا للرياضة لكشف أسرار الكون، والتغلب على حقيقة الموت، ليحصل لهم السرور السرمدي بعد الحياة المادية. وقد كان لهذه الكتب تأثير على السذج من الأوروبيين والهنود على حد سواء.

فالتصوف الهندي، والتقشف الأوروبي تأثر بهذه الكتب أكثر من غيرها. ولكن حقيقة هذه الكتب لا تزال يكتنفها الغموض والظلمات التاريخية. فلا يعرف مؤلفها ولا عهد تأليفها، حتى قيل: إن من جملة هذه الكتب كتاباً اسمه «الله أبانشاد» وهو يتحدث عن الألوهية في الإسلام، وكان تأليفه في عهد أمبراطور الهند جلال الدِّين أكبر.

هكذا بدأ تصنيف هذه الكتب من عهد الآريين واستمر إلى عهد المغول، فأي قداسة لهذه الكتب الَّتي ألفت من خلال ألفي عام.

ولكن كما قلت إنه لأجل فقدان العقيدة الرئيسية جعل الهندوس يقدسون كل شيء يتحدث عن دينهم وتجارب رهبانهم، وسلوك نساكهم، ولا تعدو وأن تكون هذه الكتب مثل الفتوحات المكية وفصوص الحكم لابن عربي.

**عدد الأبانشاد:** يبلغ عدد هذه الكتب ما يقارب ثمانية ومائة كتاب حسب ما ذكر في فهرس «آديار» (ADYAR LIBRARY) في مدراس وقامت هذه المكتبة بنشر واحد وسبعين كتابا باسم «أبا نشاد» . وبذلك بلغ عدد «أبانشاد» مائة وتسعة وسبعين كتابا كما طبع في مدينة «بريلي» ثمانية ومائة كتابٍ بتعليق «باندت شري رام شرما» وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

١- كيان كهاند - أي باب العلم.

٢- برهما وديا كهاند - أي علم البرهما.

٣- سادهنا كهاند - أي علم اليوجا.

ولكن الكتب المعتبرة والمعروفة باسم «الأبانشاد» هي اثنا عشر كتاباً.

| | |
|---|---|
| ١- إيش واشيا | (ISHAVASYA) |
| ٢- كين. | (KEN) |
| ٣- كَتَ. | (KATH) |
| ٤- بَرَشْنَ. | (PRASHNA) |
| ٥- مُنْدَكْ. | (MUNDUKYA) |
| ٦- مَانْ دُيوك. | (MANDUKYA) |
| ٧- اِيْتَ راي. | (ETREY) |

٨- تِيتِي رَاى. (TETEREY)

٩- شَانْدُوكيا. (CHANDOCYA)

١٠- بِرهدا رَانايَاك. (BRIHDARYAK)

١١- كوشي تاكي. (KOSHTAKI)

١٢- شواتاشتر. (SHWETASHWATER)

وقد قام بتفسير هذه الأُبانشاد كل من «شنكراجاريا» و «رَامَانُج» و «نِمبارك» و «مَاديا» و «بَلاب» وغيرهم كل حسب أصوله ونظرياته[1].

ويرى الفيلسوف الهندي الدكتور «رادها كرشنا» أن تأليف «أبانشاد» يرجع عهده إلى ما قبل الميلاد بستة قرون، ويوجد فرق بين هذه الكتب، فالتي ألفت في العهد القديم تركز على التفكير في الكائنات بينما الَّتي ألفت في العهود المتأخرة تركز على العبودية للبرهما، والانقياد للفرائض الدينية». وأحد هذه الكتب وهو «برشنو أبانشاد» يتحدث عن أصل حقيقة «أنا الحق» الَّتي نادى بها في العهد الإسلامي حسين بن منصور الحلاج وحُكم عليه بالإعدام في عام ٣١٠هـ في مدينة بغداد، وقد جاء إلى الهند وتعلم العلوم الهندوسية واليوجا والسحر[2]، ثم رجع إلى بغداد ودعا بدعوة «أنا الحق» يقول ابن حوقل في رحلته:

«ظهر من فارس الحلاج ينتحل النسك والتصوف، فمازال يترقى طبقاً عن طبق حتى آل به الحال إلى أن زعم: أنه من هذَّبَ في الطاعة

---

(١) قاموس الهندوس (ص١١٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٨-٣١٩.

جسمه، وشغل بالأعمال قلبه، وصبر عن اللذات، وامتنع من الشهوات يترقى في درج المصافاة، حتى يصفو عن البشرية طبعُه، فإذا صفا حل فيه روح اللّه الّذي كان منه إلى عيسى، فيصير مطاعاً. يقول للشيء: كن فيكون»[1].

وسرمد الصوفي الهندي المشهور كان يهودياً فادعى دخوله في الإسلام. وهاجر من وطنه تركستان إلى بلاد الهند ينشر الأفكار اليهودية والهندوسية بين المسلمين. وكان يعيش عارياً من اللباس وهو يدعى الاجتذاب، وينطق كلمة الكفر، فاجتمع العلماء عند الملك «عالمكير» ملك الهند وأطلعوه على خطورة هذا المجذوب وأفتوا بقتله فقُتل.

هذه المدارج والمنازل الّتي كان يدعو إليها الحلاج وسرمد وغيرهما من المتصوفين القائلين بوحدة الوجود توجد في كلمة «أوم» السنسكرتية عند متصوفي الهنادك. وكانت أسفار أبانشاد هي المصدر الحقيقي لوحدة الوجود.

يقولون: حضر ستة من الرهبان الهندوس إلى شيخهم «ببلاد» **PIPLAD** وسأل كل منهم ما بدا له، وكان سؤال الخامس: إن الإنسان الّذي يشتغل بالعبودية طيلة حياته الدنيوية ماذا يكون مصيره؟ فيجيب الشيخ بقوله: إن كلمة «أوم» مركبة من ثلاثة حروف، الحرف الأول: يكشف لك أسرار عالم الإنس، والحرف الثاني: يكشف لك أسرار العالم الأعلى، والحرف الثالث: يكشف لك أسرار عالم البرهما. فالذي وصل إلى هذه المنزلة العليا فقد انكشف له حقيقة «أوم» ويصير هو سرمديا برهميا».

---

(١) المصدر السابق ١٤/٣٤٧.

قارن بين منزلة «أنا الحق» عند الحلاج وبين «أوْمَ» عند أصول «أبانِشَاد»[1].

٣- البُرَانْ (PURAN) وهو الكتاب الّذي يتحدث عن أساطير الأولين. يعتبر «البران» الفيدا الخامس عند جماهير الهندوس، لأن فهم الفيدا موقوف عليه. ويدعي علماء الهندوس أنه موجود منذ القدم كوجود الفيدا، فالذي يريد أن يعرف حقيقة الفيدا فعليه بالبران، لأنه يوضح كل حكاية رمزية في الفيدا بالتمثيل والرواية القصصية، ويشتمل «البران» على العناوين التالية:

١ - علم الكائنات.

٢- وسعة الكائنات.

٣- عهود «منو» أي الرسل، والحوادث التاريخية لعهد كل واحد من هؤلاء.

---

(١) وفي العصر الحاضر كان «السوامي رام تيرث» «(١٨٧٣م-١٩٠٦م)» يشبه الحلاج في الانجذاب والنشوة. وكان زميلا للدكتور محمد إقبال الشاعر المعروف في التدريس في مدينة لاهور. وقد برع في علم الرياضيات ثم تخلى عن جميع أسباب الحياة. واختار حياة الرهبان، وذهب إلى جبال هماليا للمراقبة والرياضة. وبقى مدة في كهوفها. وكان مجذوباً إلى حد كبير. ومات غرقا في نهر جنجا.
هذا الصوفي الهندي له جولة واسعة في الولايات المتحدة والدول الأوروبية حيث ألقى فيها عدة محاضرات، وأسس المراكز لتعليم اليوجا والتصوف الهندي. وكان يقول: أنا في راما - وراما فيّ
ويُردِّد كلمة: أوم أوم، وهو في حالة الاجتذاب.

٤- أحوال ملوك سوريا بنسى وجندرا بنسى.

يظهر من طالعة «البران» أنه كان يشمل أولاً ثمانية عشر باباً فأخذ كل باب على حدة، وألف عليه البُران مستقلاً. والمقاصد الكبرى لكتب «البُران» إثبات عقيدة «أفتار» وهو نزول الإله إلى الأرض بصورةالبشر، وسيأتي الكلام على هذه العقيدة.

ويبلغ عدد «البُران» أكثر من مائة وثمانية. ولكن المعتمد عند علماء الهنادك ثمانية عشر. وأعظمه رتبة، وأكثره تداولا بين الناس «البهكفت البُران» (BHAGWAT PURAN) فالهنادك يتلونه كل يوم بعد الصبح بكل أدب واحترام.

وقد وقع خلاف شديد بينهم في مؤلف هذه الكتب فذهب جلهم إلى أن مصنفه هو مصنف «الفيدات» يعني «ويد وياس» وهذا كذب واضح فإن شخصاً واحداً لا يقدر أن يصنف أو يؤلف في حياته القصيرة جميع هذه الكتب، وقد ذكر في «بادام بران» اسم الفلسفي الهندوسي «شنكرا جاريا» وهو من مواليد القرن الثامن الميلادي وقد كان بعد (ويد وياس) قطعاً.

كما يوجد اختلاف واضح بين هذه الكتب، فمثلاً أصحاب (بران سيفا) جلعوا «سيفا» الإله الأكبر، والآلهة الأخرى خداما له، وبينما جعل أصحاب (بران ديوي) الّذي لم يذكر من جملة «بران» أن «الديوي» هي الّتي خلقت العالم، والآلهة الأخرى خداما لها وهكذا.

ولهذه الأسباب المذكورة يجزم العالم الهندوسي الدكتور «هربرشاد

شاشتري» أن جميع البرانات ماعدا «فشنو بران» و «امان بران» محرفة ومكذوبة.

وينكر سوامي ديانند مؤسس «آريا سماج» أن تكون «البرانات» من المصادر الأساسية للهندوسية.

الحمد لله هذه شهادات علمائهم، والآن نسأل جماهير الهنادك الذين لا يزالون يرتلون البران صباح مساء، ويتبركون به في حفلات الزواج، ويبدأون بتلاوته الحفلات الدينية أليس كل هذا في ظلمات ودياجير الجاهلية العمياء.

**٥- مها بهارت** (MAHA BHARAT)

اسم الكتاب مركب من كلمتين «مها» أي العظيم و «بهارت» أي الهند وعنوان الكتاب يحدث عن محتواه، وهو تاريخ الحرب الكبرى الّتي وقعت في الهند. واشترك في تأليفه ثلاثة من المؤلفين الهنادك وهم: «وياس» و «ويشمبايان» و «سوتي».

وكان اسم الكتاب أولا «جَي» يعني الفتح ثم سمى باسم «بهارت» ولما اشتهر لقب باسم «مها بهارت».

والكتاب لم يصل إلينا كما ألف، بل طرأ عليه عدة تغييرات بالزيادة والنقصان، والعلماء يقدرون أن يكون الكتاب مشتملاً على أكثر من ألفي باب، فيه أكثر من مائة وعشرين ألف بيت.

يقول أحد علماء الهندوس «شري بال ديو» في كتابه: تاريخ الحضارة والثقافة في الهند: ومما هو معروف أن «مها بهارت» ألف قبل الميلاد بثلاثمائة سنة وكان يحتوي على مائة ألف بيت.

## سبب تأليف هذا الكتاب:

سبق أن بينت بأن الآريين تم لهم الفتح قبل الميلاد بسبعمائة عام، وبدأوا ينظمون حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية. وكانت لهذه البداية صدمة عنيفة بين الآريين أنفسهم. فافترقت كلمتهم، وانقسموا إلى ثلاث فرق دينية مستقلة وهي: فرقة برهما، وفرقة فشنو، وفرقة سيفا، وسأذكر فيما بعد اختلافات هذه الفرق.

كما ظهر دينان جديدان وهما: البوذية والجينية. مؤسس الأول «بوذا»، ومؤسس الثاني «مهابير»، وقام هذان الرجلان بالهجوم على معتقدات الفيدات. والحضارة الآرية مما اضطر علماء الهندوس إلى تأليف كتاب واحد تعترف به الفرق الثلاث فظهر هذا الكتاب وهو «مها بهارت» يجمع بين دفتيه الفرق الثلاث بالإضافة إلى أفكار «الفيدانت» و «اليوجا» فتوحدتْ كلمتُهم، واعترف الهندوس جميعاً بهذا الكتاب، وجعلوه مقدساً.

والكتاب عبارة عن قصة تاريخية لا ندري صحتها وقعت بين أسرة ملكية بسبب امرأة تسمى «دروبدي» وانتهت بفوز أحد الفريقين. ولكن هذه القصة تتخلّلها الأفكار الفلسفية في الدِّين والسلوك على لسان أحد الأبطال وهو «كرشنا» مما جعل هذا الكتاب في القمة في الأخلاق والآداب والسلوك عند الهندوس. وترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات عالمية بما فيها العربية. وقد ترجمه أحد المسلمين في الهند وهو عبد الحميد النعماني، إلا أني لم أر هذه الترجمة، بل كنت أحاول أن يكون اعتمادي

دائماً على أصل الكتاب بالسنسكرتية مع ترجمته بالهندية.

**٦- الكيتا: (GEETA)**

يعد الكيتا من أهم الكتب الهندوسية. وكان له أثر عميق في التفكير الهندي، وهو يشتمل على تعليمات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي «كرشنا» أمام قائد الجيش «أرجن» فمن جملة هذه النصائح، ذكر وظائف الجيش ألا وهي الدفاع عن الوطن، حتى ولو كان المحاربون من أقرب الأقربين، وهي تسمى بالحرب المقدسة. وفيه التأملات في الذات الإلهية؛ إذ أن كرشنا حسب زعمهم كان أفتار برهما (أنه الإله الّذي نزل إلى الأرض بصورة البشر) وفيه تعليمات لحصول النجاة بالطرق الثلاث وهي: طريق العلم، وطريق التعبد، وطريق العمل، وطريق العلم: هو أن ترى جميع المخلوقين في الروح الأعلى، والروح الأعلى في جميع المخلوقين، فإذا وصلت إلى هذا العلم ترفع عنك التكاليف الدينية.

وأما طريق التعبد، فهو أن تعبد اللّه وتفنى حياتك في عبادته، فالمقصود أن تعذب نفسك في هذا السبيل لا غير.

وأما طريق العمل فهو أن تمكث في الأرض وتؤدي الواجبات الدنيوية بدون تطلع إلى ثمراتها، حتى تتطهر نفسك من جميع العلائق وتسمو إلى الملأ الأعلى، وهنا تتحد بالجزء الأكبر.

بالإضافة إلى هذه التعليمات، ففي الكيتا التعليمات التالية:

١- إن الروح أزلية، والإنسان لا يموت ولا يحيي، بل يتغير جسمه كما يتغير لباسه.

٢- من أعظم وظائف الكشترى الخوض في الحرب.

٣- جاهد نفسك لإماتة شهواتك، ولا تكن فريسة لها.

٤- الإنسان عدو نفسه وصديقها.

٥- مسكن الإله قلوب العارفين.

٦- لا شيء أفضل من العلم.

والكتاب يشتمل على ثمانية عشر بابا، وفيه سبعمائة ألف بيت، وفي الحقيقة أن «الكيتا» جزء من كتاب «مها بهارت».

هذا هو كتاب «الكيتا» الّذي نال شهرة عالمية بين الكتب الهندوسية لاحتوائه على العلوم المتنوعة ففيه فلسفة «كرما» يعني قانون الجزاء، وفيه واجبات الزهاد والنساك، وفيه العلوم السياسية، وفيه الأحكام السلطانية، وفيه طريق النجاة من جولان الروح، ومع هذا فإن كبار علماء الهندوس يرون أن هذا الكتاب تخييلي وتمثيلي وهم لا يؤمنون بوجود بطل اسمه «كرشنا» ووقوع الحرب الهندية الأهلية الكبرى الّتي أهلكت آلاف البشر، وأفنت أموالا طائلة كما ذكر في الكتاب.

يقول الزعيم الهندي «غاندي» أنا لا اعتقد بوجود «كرشنا» ولا علاقة بينه وبين التاريخ.

ويقول الدكتور «رادَها كِرِشْنَا» إن أفكار «الكيتا» مجموعة من المتناقضات ولا نجد فيه مشعل العلم والهداية وقد اشترك في تصنيفه مؤلفون كثيرون.

وقد طعن بعض المحققين الجدد على هذا الكتاب لأنه كان سبباً للحرب الهندية الكبرى، ولا يزال ينادي هذا الكتاب بالحرب والجدل، وهذا يكون منافيا لأصل الديانة الهندوسية القائلة في أصولها «أهِنْسَا برمو دهرما» يعني (أفضل الدِّين الابتعاد عن الإيذاء) وكان غاندي من أكبر الدعاة لهذه العقيدة.

هذه هي حقيقة كتاب «الكيتا» وبطله «كرشنا» الَّذي نال شهرة عالمية فمن يمر بالهند يجد في كل معبد ومحطة ومطار تمثال كرشنا وصورته للعبادة والتقديس.

**٧- رامايان: (RAMAYAN)**

هذا الكتاب عبارة عن قصة تاريخية وقعت بين رجل اسمه «راما» وبين ملك سيلان اسمه «رافان» حارب الرجلان وانتهت القصة بفوز «راما» ولكن هذه القصة تشير إلى أمر مهم جداً وهو الحرب بين الخير والشر، والقصة التاريخية. وإن لم تكن صحيحة وأظنها كذلك، ولكن معركة الخير والشر الَّتي وقعت منذ وجود آدم تظهر بقوة وبشكل روائي في هذا الكتاب. لذا قد انتشرت هذه الرواية القصصية في أنحاء الهند من قبل الميلاد ولاتزال هذه الرواية تأخذ مكانة عظيمة في قلوب الهندوس. وبعبارة أخرى: إن هذا الكتاب يعد من الكتب الشعبية الَّتي تحظى بأعظم تقديس واحترام لدى جماهير الهندوس، وترجم إلى جميع اللغات الهندية، وانتشر في خارج الهند في بلاد إندونيسيا، والهند الصينية، وبورما، وتِبَّتْ وغيرها.

وهو أكثر انتشاراً من كتاب «الكيتا» ، لأن «الكيتا» يحتوي على فلسفة دقيقة يصعب فهمها، بينما كتاب «رامايان» كتاب قصص روائية يجذب القارئ العادي إلى قراءته.

وأذكر هنا القصة باختصار ثم أناقشها تاريخياً.

كان لملك «أيودَهَيا» [1] -اسمه «دَشَارَتْ» - ثلاث زوجات كان «راما» ابن «دشارت» من أكبر زوجاته إلا أن الزوجة الثانية كانت أحب إلى الملك. لأنها ساعدته في إحدى الحروب، فمنح لها الملك وعداً، ولما أراد الملك أن ينصب ابنه الأكبر «راما» ملكاً على سلطنته، طلبت منه الزوجة الثانية تنصيب ابنها «بهارت» ملكاً، كما طلبت منه أن ينفي «راما» من سلطنته لمدة أربعة عشر عاماً، فوفى الملك بوعده وأجلى ابنه الأكبر «راما» عن الملك، ونصب ابنه الأوسط وهو «بهرت» ملكاً على سلطنته، فخرج «راما» مع زوجته «سيتا» وأخيه الأصغر من غير أمه «لكشمان» إلى الغابات والصحاري، وهنا تعرض له الملك «رافان» ملك سيلان (وهي تسمى اليوم سريلنكا) فاغتصب زوجته «سيتا» ولما علم «راما» باغتصاب زوجته جمع جيشاً من القردة وأغار على سيلان، وكان «هنومان» قائد القردة، فأحرق سيلان وأخذ «سيتا» وردَّها إلى «راما»

(١) هذه هي البلدة الَّتي يقع فيها المسجد البابري التاريخي يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي. وقد قام المتطرفون من الهندوس بهدمه وأقاموا عليه معبد «راما» يوم الأحد ٦ ديسمبر عام ١٩٩٢م مما أدى إلى وقوع مصادمات عنيفة في أنحاء الهند راح ضحيتها آلاف من المسلمين.

وقتل في هذه المعركة ملك سيلان.

والأساطير الّتي نسجت حول هذه المعركة هي الّتي تغري الهندوس لتقديس «راما» .

تقول هذه الأساطير: لما ظفر «رافان» باختطاف «سيتا» ، وذهب بها إلى وطنه، جمع «راما» جيشاً من القردة ولكن حال بين الجيشين المحيط الهندي فوقف الجيش على شاطئ المحيط ثلاثة أيام، فغضب «راما» من هذا الوقوف، وأمر أخاه «لكشمان» أن يأتيه بالقوس، فرمى بسهم ناري في قلب البحر فما لبث البحر أن اشتعلت فيه النيران وخاف (البحر) من عاقبته من الجفاف وقام أمام «راما» مستغيثاً به قائلا: يا صاحب القداسة، أنا أحترق من غضبكم، فاسمحوا لي، ومروني، فأنا في خدمتكم.

فتبسم «راما» ضاحكاً وقال له: دعنا نعبر.

قال البحر، يا صاحب القداسة، إن في جيشكم قردين عظيمين وهما «نيل» و «نال» لهما قدرة عظيمة على حمل الجبال، ووضعها في البحر فأمرهما أن يأتيا بالجبال، ويلقياها في البحر، فتكون الجبال بمثابة السفن، فأمر «راما» «نيل» و «نال» فامتثلا، وعبر الجيش بسلامة وعافية وفتح مملكة سيلان.

هذه هي رواية تاريخية في قصة «رامايان» يعني سيرة «راما» وجعلته في مكان الإله الأعظم، ولكن ألا يتعجب القارئ من هذا الإله الّذي كان يجهل بوجود «نيل» و «نال» في جيشه، ويعجز عن عبور البحر حتى يتوقف ثلاثة أيام بدون جدوي.

وبعد هذه الأسطورة نرجع إلى أصل الكتاب فنقول:

لم يتفق علماء الهندوس على زمن تصنيف «رامايان» فمنهم من قال: إنه ألف بعد الفيدات بقليل، ومنهم من ادعى: أنه ألف بين ٥٠٠-٢٠٠ق م، وكذا اختلفوا أيضاً في عصر المؤلف وزمان تأليفه وإن كانوا قد اتفقوا على أن «بالاميكي» (BALMIKI) هو مؤلف هذا الكتاب فمرة قالوا: إنه كان في عهد «راما» وكان يسير معه، ومرة قالوا: إن «بالاميكي» ألف «رامايان» بعد قرون من عهد «راما» . ويظهر من هذا أنه لم يؤلف في وقت واحد بل زاد فيه مؤلفون آخرون أشياء مثل الباب الأول الّذي يسمى «بال كاند» أي عهد الطفولة.

ويرى المحققون الغربيون أن «رامايان» ألفه رجال من أسرة «أشوواكو» الملكية بالأبيات، وكان هذا الكتاب يشتمل على اثنى عشر ألف بيت، وكان المتسولون الهنادك يتغنون به عند السؤال، ويزيدون عليه قدر حاجتهم ومذاقهم حتى زاد حجم «رامايان» أضعافاً مضاعفة.

ثم جاء «بالاميكي» ورتب هذه الأجزاء المنتشرة، ولكن لم يكتب لهذا الكتاب انتشار واسع في العهود القديمة إلى أن جاء «تلسي داس» [١٥٣٢م-١٦٢٣م] في القرن السادس عشر الميلادي في عهد الملك جلال الدِّين أكبر. فترجمه إلى اللغة الهندية، فانتشر في جميع القطاعات الهندية، وأقبل الناس على قراءته ولكن «تلسي داس» لم يؤد الأمانة فخان في ترجمته وزاد على «بالاميكي» ماشاء كما جعل لـ «راما» مقام الألوهية الكبرى بينما هو في «بالاميكي» مع أسطورته رجل حازم عظيم القدر،

ولذا لم يرض علماء الهنادك على تصرفات «تلسي داس» وانتقدوه أشد انتقاد وخاصة في ضرب النساء، والاستهزاء بالمنبوذين، ولكن بعد فوات الأوان، فإن «تلسي رامايان» وقع موقع القبول عند جماهير الهنادك.

ونهاية القصة: إن راما وَفى بعهد أبيه، ومكث أربعة عشر عاما في الغابات والجبال بعيدا عن ملذات الدنيا وراحتها، ولكن أخاه الأصغر وهو «بهارت» الّذي طلبت له أمه الملك والسلطة رفض أن يكون ملكاً.

وأخوه «راما» يعيش في الغابات وقد حاول إعادة «راما» إلى الملك ولكنه ألح على البقاء وقضاء المدة الّتي حددها أبوه. فرجع «بهارت» إلى وطنه آخذا معه حذاء «راما» ووضع هذا الحذاء على العرش وتصور أنه «راما» جالساً على عرش الملك إلى أن رجع «راما» إلى وطنه ونصب ملكاً على «أجودهيا» وحكم البلاد بالعدل حتى ضرب به المثل في الأدب الهندي في عدالة الحكم، وكان «غاندي» من كبار الدعاة لإعادة هذا الحكم إلى الهند وهو يسميه رام راج، أي نظام حكم «راما» .

## ٨- الفِيدَانْتَ (VEDANT) «معناه زبدة الفيدا».

يعتبر «الفيدانت» من الكتب الفلسفية والأخلاقية لدى الهندوس. وهو أصغر حجما، وأكبر تأثيرا على الفكر الهندي الفلسفي والصوفي من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسية[1].

وهذا الكتاب يقال له أيضا «برهما سوترا» ويدعي بعض علماء الهندوس أنه من تأليفات «ويد وياس» المؤلف المشهور، ولكن اتفقت

(١) انظر تأثير «الفيدانت» على الفكر الصوفي في عقيدة «النرفانا».

كلمتهم فيما بعد على أنه من تأليف «بادارايان» (BADARAYAN) الّذي عاش في فترة بين البوذا والمسيح عليه السلام، لأنه ينتقد كثيراً من تعليمات البوذا الإلحادية.

والكتاب يشتمل على أربعة أبواب، وستة عشر فصلاً.

يحتوى **الباب الأول** على عبادة «**البرهما**» وطريقتها.

**والباب الثاني** على وحدة الوجود، والرد على المبادئ البوذية والجينية الإلحادية.

**والباب الثالث** على طريقة حصول النجاة وهي طريقتان، طريقة العبودية الكاملة والفناء فيها، وطريقة العلم الإلهي المتصل بمبدأ الفيض.

**والباب الرابع** على جزاء المجتهد في العبادة، كما يشتمل هذا الباب أيضا على أحوال الأرواح الّتي اتحدت بالروح العليا.

وبالإجمال فإن كتاب «الفيدانت» يشتمل على عشر مقالات مهمة من أمهات المسائل الفلسفية الهندوسية وهي: معرفة الإله، والروح، وجولان الروح، والأحوال بعد الممات، وقانون الجزاء، والعبودية المطلقة، والعلم الإلهي، والمغريات، والنجاة.

كما أن هذا الكتاب يعترف بثلاث حقائق أبدية وهي:

**الأولى**: بارمارتهك.

يعني أزلية الروح وقدمها.

**الثانية**: بيوهارتهك.

يعني الكون هو الإله وأنه يتجلى بالصورة البشرية لأنها أكمل وأجمل.

**الثالثة**: برات باسك.

يعني ظهور التمويه، والتستر بالحقائق.

**اتجاهات مفسري الفِيدَانْتَ:**

اتجه مفسرو الفيدانت اتجاهين مختلفين:

**أحدهما**: وحدة الوجود وسموه: أدويت واد.

**والثاني**: الاعتراف بحقيقتين وسموه: دويت واد.

دعا إلى الاتجاه الأول العالم الهندوسي الفلسفي المعروف «شنكرا جاريا» الّذي سبق ذكره.

ودعا إلى الاتجاه الثاني العالم الهندوسي «رامانج».

**وأهم الفَروق بين الاتجاهين ما يأتي:**

١- إن شنكرا جاريا ينفي جميع الصفات الذاتية والوصفية من برهما ويسميه «نرنكار» يعني الإله المطلق[1] بينما يثبت رامانج الصفات الذاتية، يقول: «إن برهما لا يتصور وجوده بدون الصفات فهو كالمعدوم».

٢- يقول شنكرا جاريا: الّذي نراه بأعيننا ليس بحقيقة وإنما هو خدعة النفس، ثم تتلاشى، والعالم يشبه الحلم الّذي لا حقيقة له في الوجود، وهو كالحبل الّذي يراه الإنسان في الظلام ثعبانا، فإذا انتهى هذا العمل الّذي يشبه اللعب لم يبق في الوجود سوى ذات «برهما».

ويقول أيضاً: «يجب أن يفهم الإنسان أن شخصه الخارجي الّذي يشبه غيره في شيء، ويختلف عنه في شيء، والذي يولد ويموت، ويأكل

(١) وهذا التصور يشبه إلى حد كبير ما قال به الجهمية.

ويشرب ليس في الحقيقة شيئاً مذكوراً، وإنما الَّذي يجب أن ينظر إليه في شخصه هو الحقيقة الإلهية. ولهذا يصح أن يقال له: أنت الإنسان والإله، وأنت الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود.

وقال أيضاً: إن الإنسان لا يصل إلى «برهما» إلا إذا تحققت لديه المعرفة الكاملة، وتخلص من جميع علائق المادة، إذ هو في هذه الحالة وحدها يصل إلى درجة الغيبوبة الكاملة، أوالتفاني في الإله، أو السعادة الأبدية» .

والشرك عنده أن يزعم الإنسان أنه يعرف الله، فهذه العبارة تفيد الثنائية قارن بما دعا إليه «شنكرا جاريا» وبما قال ابن عربي الصوفي:

«فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها» .

وقال:

فما نظرتْ عيني إلى غير وجهه وما سمعتْ أذني خلاف كلامه[1]

بينما يرى «رامانج» أن الكائنات غير «برهما» مع أنها جزء منه، والحقيقتان منفصلتان بعضهما عن بعض. وهما موجودتان بأتم صورتيهما. والنفس لها حرية مطلقة في عمل الخير والشر، ومدارنجاتها محض التفات «برهما» إليها.

بالإضافة إلى هذين الاتجاهين فهناك اتجاهات أخرى في تفسير «الفيدانت» ولكنها لم تنتشر في الأوساط الهندوسية، ومن هذه الاتجاهات التفسيرية فكرة «نمبارك» (NIMBARAK) الَّذي يرى الوحدة في اثنين،

(١) الفتوحات المكية ٢/٦٠٤.

والاثنين في الوحدة، وفكرة «مادهيا جاريا» الّذي يؤمن بقدم «برهما» والعالم. ويفرق بين الخالق والمخلوق.

**٩- اليُوجَا فَاسِشْتَا: (YOGAVASISHTA).**

يعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب الهندوسية، ومؤلفه أيضا مجهول كسائر الكتب المقدسة لدى الهندوس، ويرجع عهد تأليفه إلى القرن السادس وما بعده قبل الميلاد، وهو العهد المعروف لدى علماء الهندوس لتأليف كتبهم، إذ انتهى الآريون من الحروب الطاحنة. وبدأوا ينظمون حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية، كما بدأ علماؤهم بتأليف الكتب الدينية على نمط القصص الروحانية، وفيها دروس فلسفية لاهوتية وأخلاقية.

وهذا الكتاب يحتوي على أربعة وستين ألف بيت، وكان الراهب «فاسشتا» (VASISHTA) يعلم تلميذه البار «رام جندرا» العلوم اللاهوتية، والعلوم الروحانية وعلوم المراقبة، الّتي توصل الإنسان إلى العالم الروحاني، والملأ الأعلى حتى يتصل بـ«برهما» على حد زعمهم.

هذا الكتاب فيه ثلاث طرق لليوجا:

**أحدها**: الاعتقاد بالوحدة، وهو أي يرى أن برهما هو وحده في العالم.

**ثانيها**: طمأنينة القلب، وهو أن يقهر نفسه حتى تكون تابعة له، ومن صارت نفسه نفسا مطمئنة فكأنه نجا من الآلام والمصائب الدنيوية الّتي تعترض كل إنسان كما يزعمون.

**وثالثها**: مخالفة النفس، لأن هذا الكتاب يصور الحياة كأنها مليئة

بالخطايا والذنوب، والرغائبُ النفسية تجر الإنسان إلى الهلاك والزوال، فتقع البشرية في أحزان وآلام مستمرين إلى أن تختار النفس إحدى الطرق الثلاثة لتنتهى هذه الآلام والأحزان، وتحصل للإنسان حياة سرمدية مليئة بالمسرات والأفراح، وذلك باتصال النفس بالبرهما «عالم الملكوت» .

وقد عرفت من كتاب الدكتور أحمد شلبي «أديان الهند الكبرى» أن بعض أجزاء هذا الكتاب ترجمت إلى العربية ونقل منها بعض الفقرات في كتابه، وها أنا انقل هذه الفقرات من كتاب أحمد شلبي[1]:

«السعادة لا سبيل لها في هذا العالم الّذي خُلِقَتْ كل نفس فيه لتموت، كل شيء في هذا العالم سائر إلى الزوال والفناء، مسرات هذه الحياة ليست إلا خدعا وأوهاما، وقد سقطت الأفراح على الأحزان، أجل لم يشترنا أحد كما يُشترى العبيد، ولكننا نعمل كأننا عبيد مسخرون.

الرغبة فينا متقلقلة دائما كالقرد، والنفس لا تشبع أبدا، ولا تقنع بما في اليد، ولاتزال وثابة إلى ما لاتناله، ومهما أشبعتها ازدادت جوعاً وطموحاً.

لاخير في الجسد، إنه محل للعاهات، ووعاء لسائر الآلام وهو سائر إلى الانحلال، اتصفت الطفولة بالضعف والتوقان والعجز، وعدم القدرة على الكلام، والتجرد من العلم، وياترى ماذا يجود علينا به زمن الشباب؟ وهل الشباب إلا كومضة برق، تخطف أبصارنا ثم لا تلبث أن تختفي، مفسحة الطريق للشيخوخة بآلآمها الثلجية القاسية.

(١) (ص٧١).

ما الحياة إلا كنور السراج الموضوع في الخلاء تلعب به الرياح من كل جهة، وليس بهاء الأشياء كلها إلا كومضة برق تنير لحظة، ثم تختفي إلى الأبد». هكذا يصور هذا الكتاب الحياة، ويبعث في النفس اليأسَ والقنوطَ وهو مخالف تماماً لما يدعو إليه الإسلام. يقول اللّه تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

وبالإجمال فإن أكثر الرهبان الهنود قد تأثروا بهذا الكتاب، فقطعوا علاقاتهم الدنيوية، واتخذوا الكهوف والغابات مقراً للرياضة والمجاهدة. وكان الراهب «سوامي رام تيرث» (RAM TIRATH) خير مثال للرهبنة في العصر الحاضر. فقد صار مجذوباً في آخر حياته. وكان يدعى: ما أُلِّفَ كتابٌ تحت أديم السماء أعظم من كتاب «يوجا فاسشتا» فاقتضت الحكمة الإلهية أن تنسخ جميع الأديان السابقة، ويجعل القرآن الكريم دستوراً للحياة إلى الأبد لئلا يعود الإنسان إلى الجاهلية الأولى. فالحمد لله على نعمة الإسلام.

**١٠ - دَهَرمْ شَاسْتَرا: (DHARAM SHASTRA)**

وهي مجموعة من الكتب الفقهية للديانة الهندوسية، وهي أصل «الفيدانت» وفقهها، إلا أن أغلب هذه الكتب ضاعت ولم يبق منها إلا ستة عشر كتاباً وأشهرها «منو اسمرتي» أي شريعة «منو» أومذكرات «منو».

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.

**محتويات دهرم شاستزا:**

تحتوي هذه الكتب على ثلاثة عناوين رئيسة وهي:

**الأول:** الأحكام لأدوار حياة الإنسان الّتي تنقسم إلى أربعة وسيأتي ذكرها بتفصيل.

**الثاني:** الحدود والجنايات.

**الثالث:** العقاب الّذي يلحق الهندوسي إذا لم يخضع لقوانين وأحكام الشريعة.

وأما «منو» هذا فإن أقوال الهندوس تتضارب حول التعريف به، فأحيانا يقولون هوأول إنسان وجد على وجه الأرض بعد الطوفان الّذي أغرق جميع المخلوقات، ومنه بدأ الخلق من جديد، وأحيانا يقولون: هو الراهب الأكبر الّذي يقبل القرابين، ويحددون زمنه بين ١٠٠٠-٦٠٠ ق م.

وبعد هذا التعريف بشخصية «منو» أرجع إلى أصل الكتاب فأقول:

هذا الكتاب يشتمل على اثني عشر بابا، وفيه ٢٦٩٤ بيتا. وإليكم ذكر أسماء الأبواب فقط:

**الباب الأول:** يتحدث عن خلق العالم، وكيفية وجود الحياة في الكون، وحدوث القيامة، ثم فناء العالم نهائيا.

**الباب الثاني:** يتحدث عن أحكام «برهما جاريا أشرم» (وهو الدور الأول من عمر الإنسان).

**الباب الثالث:** يتحدث عن أحكام النكاح، وأقسامه، وتقديم القرابين لبرهما.

**الباب الرابع:** يتحدث عن أحكام «جارهستا أشرم» (الدور الثاني من عمر

الإنسان) والانقياد لأحكام «الفيدانت» ، والتحذير من الأعمال السيئة.

**الباب الخامس:** يتحدث عن أحكام الزوجين، وثواب المرأة الوفية لزوجها.

**الباب السادس:** يتحدث عن «فان برستا آشرم» أي أحكام ترك الدنيا (وهو الدور الثالث من عمر الإنسان). ودراسة «الفيدانت» ، والتفكر في معانيها.

**الباب السابع:** يتحدث عن أحكام السلطان، وإقامة الحدود، وأحكام قائد الجيش، وحالة الحزن والألم في حياة الإنسان.

**الباب الثامن:** يتحدث عن أحكام المحاكم، والعقاب على ترويج الحكايات الكاذبة، وأنواع العبودية تجاه السلطان.

**الباب التاسع:** يتحدث عن أحكام الرجل والمرأة، كما يتحدث أيضا عن أحكام السلطان.

**الباب العاشر:** يتحدث عن وظائف الطبقات الأربع في المجتمع الهندوسي، وسيأتي بعض تفاصيلها قريبا.

**الباب الحادي عشر:** يتحدث عن أنواع الفقر عند النساك.

**الباب الثاني عشر:** يتحدث عن أنواع قانون الجزاء، وكيفية حصول النجاة من جولان الروح.

هذا هو كتاب «منو» شريعة الهندوس وستجدون في الصفحات القادمة اقتباسات من هذا الكتاب، فإنه بمثابة الفقه عند الهندوس، وهو مستمد من أصول تعاليم «الفيدات» .

## الطبقات في المجتمع الهندوسي

من الأمور المأخوذة على الديانة الهندوسية إقرارها بوجود الطبقات في المجتمع الهندوسي. فإن الدِّين الآري يقسم الإنسان حسب نسبه إلى أربع طبقات، ويضع لكل طبقة أحكاماً ووظائف لاتتجاوزها. فخصص جميع أعمال الشرف والكرم لطبقة «البراهمة»، وجعلها في أعلى الطبقات البشرية، وزعم أن وجودها مستمد من وجود «البرهما» (الخالق)، وهو المصدر الأعلى لهذه الطائفة، ومرجعها الاتحاد والحلول في ذاته العليا. وجعل «الشودرا» (المنبوذين) في أرذل الطبقات البشرية، وجرَّدهم من جميع الخصائل الإنسانية فهم كالحيوان بل أذل منه، إذ تقدس البقرة وتعبد، بينما تستهان طائفة «الشودرا»، والله إنه لجور وعدوان على الجنس البشري، ولا سبيل إلى إنقاذ هذه الفئة من الناس إلا بدعوتهم إلى سماحة الإسلام الّذي يجعل التقوى مقياسا للشرف والكرم ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [١].

والمصدر الأساسي لخلق هذه الطبقات هو كتابهم المقدس «ريج فيدا» وتلي ذلك شريعة «منو» لوضع التفاصيل الدقيقة، وتوزيع وظائف كل طبقة منها.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

وإليكم ما جاء في «ريج فيدا»:

«خلق اللّه طائفة «البراهمة» من فمه، «والكشتري» من عضده، «والويش» من فخذه، «والشودرا» من رجله»[١].

هذه الفقرة من ريج فيدا، هي الحد الفاصل بين الطبقات الهندوسية ولن تنتهي هذه الطبقات مادامت هذه التعليمات موجودة في الكتب المقدسة لدى الهندوس. والجهود الّتي تبذل في إزالة الحواجز الطبقية مصيرها الإخفاق بلاشك.

بل لم يتحرج علماء الهندوس أن يخاطبوا طائفة الشودرا بالجندال (CHANDAL) أي الرجل النجس، والدني والحقير، ففي أبانشاد (CHANDOCYA) سميت هذه الطبقة باسم: البراهمة، والكشتري، الويش والجندال[٢]. وأحياناً تتجاهل الكتب الهندوسية ذكر طائفة الشودرا وكأنهم ليسوا من جنس البشر[٣].

وتمجد الكتبُ الهندوسيةُ طائفةَ البراهمة وتجعلها فوق المسئولية وكأنها جنس ملكوتي، ففي إحدى فقرات «ريج فيدا» أن الزوج الحقيقي للمرأة على وجه الأرض هو رجل برهمي، وإن كان لها زوج من الكشتري أو الويش[٤].

---

(١) الريج فيدا ١٢/٩٠/١٠.

(٢) ٧/١٠/٥.

(٣) آتور فيدا ٩/١٧/٥، وميترايانى سنهتا ٥/١/٣، وتيتاري براهمان ١٢،٩،٢/٣، وتيتاري سنتها ٥،٢/٦.

(٤) آتور فيدا ٢٤/٤-٢٥.

ومعنى هذا أن البرهمي يجوز له أن يتزوج بأية امرأة حتى ولو كانت متزوجة من الكشتري أو الويش فإن زوجها الحقيقي هو رجل برهمي.

وهنا لم تذكر طائفة الشودرا احتقارا لها، لأنه إذا جاز للبرهمي أن يتزوج بامرأة الكشتري أو الويش فبامرأة الشودرا أولى.

وفي كتاب «شات بات براهمان» إن ابنة الملك «شريات» الّتي كانت تسمى «سوكينا» كانت متزوجة برجل اسمه «جيوان» (CHAYAWAN) ثم تزوجت أيضاً برجل برهمي[١] وكذلك ابنة «رات ويتي» (RATHVITI) الّتي كانت متزوجة برجل اسمه «شيا واشيا» ثم تزوجت أيضاً برجل من البراهمة[٢].

هكذا نجد في الكتب الهندية أن الآريين فرضوا سيادتهم على الطبقات الأخرى، وأهانوها شر إهانة، وأشاعوا بين الناس أنهم من سلالة البرهما (الخالق) حتى لا يجرَؤ عليهم أحدٌ بالجرح والنقد، ولو عملوا عملاً مخالفاً للشرف.

وفي اعتقادي أن أغرب الأمور في تاريخ البشر أن يصير الفاتح مقدسا، والمغلوب نجسا، والتاريخ يحدثنا عموماً عن كراهية المغلوبين للفاتحين في أكثر الأحيان.

وبعد هذه الكلمات الموجزة أذكر تفاصيل وظائف كل طبقة من الطبقات الهندوسية ليتجلى الأمر ويكون أكثر وضوحا عن وضع المنبوذين في الهند البالغ عددهم أكثر من مائتي مليون نسمة.

---

(١) شات باب براهمان ٤/١،٥،٧.

(٢) برهاد يوتا ٥/٥٠.

**الطبقة الأولى: البراهمة:**

معناه: العارف بالله، وحامل العلم والمعرفة.

وإليكم وظائفهم وواجباتهم على نحو ما جاء في شريعة «منو» (MANUSMIRTI).

١ - «تقوم طائفة البراهمة بتعلم أسفار الفيدات وتعليمها»(١).

٢ - «البراهمة لهم السيادة على جميع الطبقات الأخرى»(٢).

٣ - «يكون البرهمي موضع تقديس وعبودية ولو عمل عملا مخالفا للشرف»(٣).

٤ - «كما أن «أغنى» يعد من الآلهة الكبيرة، فكذلك البرهمي يعد إلهاً من الآلهة الكبيرة»(٤).

٥ - «أفضل الأعمال للبراهمة تعلم الفيدات، وأفضل الأعمال للكشتري الدفاع عن الوطن، وأفضل الأعمال للويش الاشتغال بالتجارة»(٥).

٦ - «يجوز للبرهمي إذا ما افتقر أن يتسول، ولا يعاب عليه، كما يجوز له أيضا أن ينهب أموال الآخرين»(٦).

---

(١) الباب العاشر: ١.

(٢) الباب العاشر: ٣.

(٣) الباب التاسع: ٣١٩.

(٤) الباب التاسع: ٣١٧.

(٥) الباب العاشر: ٨٠.

(٦) الباب العاشر: ١٠٣-١٠٤.

٧- «إذا كان للبرهمي أزواج من جميع الطوائف فيجعل ميراثه بسبع حصص ونصف، فتأخذ المرأة البرهمية ثلاث حصص، وتأخذ المرأة الكشترية حصتين، وتأخذ المرأة الويشية حصة ونصف حصة، وللمرأة الشودرية حصة واحدة فقط[1].

٨- «على السلطان أن يتجنب قتل برهمي ولو ارتكب أبشع الجرائم، ولكن له أن يَطرُده إذا رأى ذلك على أن يترك له جميع أمواله، وألا يصيبه بأذى».

٩- «لا يجوز للسلطان أن يتعامل مع البرهمي معاملة الضيق حتى في حالة القحط، لأن ذلك سيعدم حكمه»[2].

١٠- «الولد البرهمي البالغ من عمره عشر سنوات يكون موضع احترام لدى غيره وإن كان عمره مائة عام»[3].

**الطبقة الثانية: الكَشْتَرِي:**

معناه: الشجاع، صاحب السلطة والحاكم.

وتسمى أيضاً الطائفة الراجبوتية. وهي منسوبة إلى الولاية الواسعة الممتدة من السند إلى مداخل مدينة آجرا، ومن جنوب البنجاب إلى غواليار، وكان أغلب ملوك الهند من راجبوت. وهم رجال أقوياء، لأنهم عاشوا في صحرائها الكبرى. وحياتهم كانت شبه بدوية، وكانت من مماليكهم الشهيرة مدينة لاهور ودهلي وقنوج وأجودهيا، وقد حارب

(١) الباب التاسع: ١٥١-١٥٢.

(٢) الباب التاسع: ٣١٣.

(٣) الباب الثاني: ١٣٥.

راجبوت المسلمين في القرن الرابع عشر وتم الفتح عليهم في عهد جلال الدِّين أكبر (١٥٥٦م-١٦٠٥م) أمبراطور الهند.

وقد رأى الآريون بعدما تم لهم الفتح على الهند أن ينصبوا راجبوت ملكا على البلاد لإخماد الثورات الداخلية. وجعلوا أنفسهم وزراء لهم، لأن راجبوت رجال أقوياء في الأجسام وضعفاء في العقول، هكذا تمكن الآريون أن يستعمروا بلاد الهند ويضمنوا لأنفسهم البقاء إلى الأبد، فوضعوا لطائفة الكشتري وظائف دينية وهي أشبه بالأحكام السلطانية.

وإليكم بعض هذه الوظائف:

١- «ينصب الملك من الكشتري».

٢- «إن الذين تغذت عقولهم بتعاليم الفيدات هم الذين يصلحون أن يكونوا قوادا، أو ملوكاً، أو قضاة، أو حكاما للناس».

٣- «لا يجوز للملك أن يأخذ أموال البراهمي الَّذي يموت بلا وارث، بينما يجوز له أن يأخذ أموال الطوائف الأخرى في حالة عدم الوارث».

٤- «يأمر الملك بقطع يد السارق ثم يصلبه».

٥- «يأمر الملك بقطع أصابع السارق في المرة الأولى، فإذا عاد إلى السرقة يأمر بقطع يديه ورجليه، وإن عاد الثالثة يأمر بالقتل، والذي يؤوي السارق ويقدم له الطعام واللباس، ويحفظ أموال السرقة يعامل معاملة السارق في العقوبة».

٦- «الذي يأخذ الرشوة في الحكم تصادر أمواله».

٧- «تأخذ الحكومة من الويش الثُمنَ من أموال التجارة، ونصفَ العُشر من الزراعة».

**الطبقة الثالثة: الوَيْشَ:**

معناه: الزراع والتجار.

ويقال لهم: التورانيون، إنهم قوم من تركستان وتوران هاجروا إلى الهند منذ آلاف السنين. ووقعت معارك طاحنة بينهم وبين أصل سكان الهند، وفي النهاية استسلم أهل الهند أمام هؤلاء الغزاة الذين كانوا رجالاً أقوياء في الجسم وعدة الحرب، والتقى الآريون بالتورانيين، وتصالحوا في سياسة الأمور فكان من نصيبهم أن يشتغلوا بالتجارة والزراعة لخبراتهم الواسعة في هذا الميدان، ووضعت لهم القوانين في شريعة «منو»، وهذه بعض منها:

١- «تقوم طائفة الويش بالزراعة والتجارة وتربية المواشي»[(١)].

٢- «إذا عجز الويش عن كسب العيش يجوز له أن يعمل عمل الشودرا من خدمة البراهمة وغيرها. فإذا استغنى عنها تركها»[(٢)].

٣- «على الويش بعد أن يتزوج أن يسعى إلى تحصيل رزقه بما فرض عليه من أعمال وتربية المواشي، لأن إله المخلوقات كما عهد بالمخلوقات حين خلقها إلى البرهمن والكشتري، فكذلك عهد بالمواشي وتربيتها إلى الويش».

٤- «على الويش أن يكون عالما بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والثياب والعطور والبهارات».

---

(١) الباب التاسع: ٣٢٨.

(٢) الباب العاشر: ٩٨.

٥- «كما يجب عليه أن يكون عالما بكيفية بذر البذور، وبصلاح الأرض وفسادها، وبالموازين والمكاييل».

٦- «ويجب عليه فوق ذلك أن يكون عالما بجيد البهارات ورديئها، وبحالات البلاد، وبمرابح التجارة وخيراتها، وبطرق تنمية المواشي وتربيتها».

٧- «وعليه أن يكون عالما بواجبات العمل والخدم، كما يجب عليه أن يكون عالما ببضع لغات، وبطرق التجارة وأساليبها، وبأصول البيع والشراء».

٨- «وعليه أن يجاهد نفسه لتنمية أمواله بالطرق المشروعة، وأن يطعم كل المخلوقات».

**الطبقة الرابعة: الشُوَدَرا:**

ومعناه: الذليل والمهين.

وهم قوم من أصل سكان الهند والتورانيين. وهم الذين حاربوا الآريين طوال ألف سنة تقريباً، وفي النهاية استسلموا لهم، ووقعوا أسارى في أيديهم. فعذهبم الآريون أشد عذاب، ومن بقي منهم لجأ إلى قمم الجبال. كما هربت جماعة منهم إلى شمال الهند، وقد تمكن الآريون أن يخرجوا من قلوبهم فكرةَ حياةٍ كريمةٍ حرةٍ ووضعوا لهم وظائف وأعمالا دينية في شريعة «منو» والحرب لا تزال قائمة بين هذه الطائفة وبين الآريين في جنوب الهند.

وسأستعرض بعض صور من كراهيتهم وحقلهم للآريين في الصفحات القادمة

وإليكم الآن وظائف الشودرا كما في شريعة «منو».

١- «يجب على طائفة الجندال (أي الشودرا) أن يعيشوا في خارج القرى، ويستعملوا الأواني من الطين، ويكون من أموالهم الحمار والكلاب، ويلبسوا أكفان الموتى، والحليةَ من الحديد، ولا يتجولوا من مكان إلى مكان، ويكون تعاملهم مع طوائفهم فقط، ويحظر عليهم التجول في الليل في القرى والمدن»[(١)].

٢- «لا يجوز للشودري أن يجمع أموالا زائدة عن حاجته، لأن ذلك يؤذي البراهمة»[(٢)].

٣- «إذا لم يجد الشودري من خدمة البراهمة قوت حياته، يجوز له أن يخدم الكشتري والويش، ولكن من العزيمة أن يصبر على خدمة البراهمة ليفوز بالجنة، لأنه من أفضل أعماله، ولا يجوز له أن يتدخل في أمور الدين»[(٣)].

٤- «خدمة البراهمة توصل الشودري إلى الجنة»[(٤)].

٥- «الشودر الّذي يكون تحت البراهمة يولد في الحياة الثانية في طبقة عليا»[(٥)].

---

(١) الباب العاشر: ٥١-٥٤.

(٢) الباب العاشر: ١٢٩.

(٣) الباب العاشر: ١٢١-١٢٢،١٢٤.

(٤) الباب التاسع: ٣٣٤.

(٥) الباب التاسع: ٣٣٥.

٦- «الشودر الَّذي يحاول النيل من البراهمة سيحاكم وينزل عليه أشد عقاب»[١].

٧- «ولد البراهمي من المرأة الشودرية لا يستحق الإرث»[٢].

٨- «لقد أمر اللَّه الشودر بأمر واحد وهو خدمة الطوائف الثلاث ولا يجد في نفسه حرجاً»[٣].

هذه بعض الوظائف للطبقات الأربعة في الهندوسية، والقارئ يلاحظ بوضوح جورَ الهندوسية على طائفة الشودرا الَّتي هي من أصل سكان الهند، وهي الطائفة الَّتي قاومت الآريين ووقفت أمامهم سدّاً منيعاً مئات السنين، وفي النهاية خسرت المعركة المصيرية ووقعت في أيدي الغزاة، وعوملت معاملة سيئة، وعوقبت شر عقاب على شجاعتها وبطولتها.

وهذا النظام الطبقي لا يزال سائداً في أنحاء الهند، وقد كان في الزمن الماضي صراعٌ شديدٌ نحو هذه الطبقة المظلومة.

وأذكر قصة بقيت في حافظتي وهي أنه في حدود ١٩٣٦م ترأس على هذه الطائفة (شودرا) الدكتور «أمبادكر» أحد رجال القانون، وهو من واضعي دستور الجمهورية الهندية، فبعد بحث وتحقيق تأثر بالإسلام أكثر من غيره. وأعلن في خطاب ألقاه في مؤتمر «دلّتْ» بعنوان: لماذا نحن ندعو إلى الخروج من الهندوسية؟ وقال يخاطب طائفته الشودرا:

---

(١) الباب التاسع: ٢٤٨.

(٢) الباب التاسع: ١٥٥.

(٣) الباب الأول: ٩١.

«إن المجتمع الهندوسي يراكم أنتم عدواً لدوداً له، وأنتم عندهم أذلّ من الأنعام» وقال أيضاً: «إنه لايوجد على وجه الأرض دينٌ أفضل من الإسلام، ولكن المسلمين فرقوا هذا الدِّين إلى فرق كثيرة يكفر بعضها بعضاً، فلا فائدة لنا بالدخول في الإسلام لأننا نبقى كما كنا كافرين» ، فأمر أصحابه أن يدخلوا في الديانة البوذية[١]. ثم ماذا حصل؟ فبدخولهم في البوذية لم يحصلوا على بغيتهم وهي العزة والكرامة والإنسانية. فتوجه جماعة منهم إلى الإسلام .

## قضية دخول المنبوذين في الإسلام:

في أوائل الثمانين الميلادية في القرن الماضي دخل جماعة من المنبوذين في منطقة «تامل نادو» في الإسلام. وأحدث ذلك ضجةً كبيرةً في الأوساط الهندية. وإليكم بعض الشيء عن هذه القضية:

## موقع تاَمِل نادو:

تقع منطقة «تامل نادو» في أقصى جنوب الهند.

**عدد السكان:** يبلغ عدد سكان «تامل نادو» ٤٨ مليون نسمة.

**عدد المسلمين:** ثلاثة ملايين.

**عدد النصارى:** ثلاثة ملايين ومئتا ألف.

والباقون من الهندوس، منهم عشرة ملايين من المنبوذين.

لقد قام في النصف الأول من القرن الماضي: «راما سوامي ناتكر» (RAMASWAMI NATAKER) بإصلاح واسع في طبقة المنبوذين، وأسس لهذا الغرض جمعية (DRAWID KAZHCAM) وقد أثمرت جهود هذا

(١) صحيفة (زمندار) عام ١٩٣٦هـ.

الرجل فتوجه كثيرٌ من المنبوذين إلى دراسة الأديان الأخرى من النصرانية والبوذية والإسلام، وإن كثيراً منهم تأثروا بالإسلام أكثر من البوذية والنصرانية لوجود تصور واضح عن اللّه سبحانه وتعالى، كما أنهم تأثروا أيضاً بنظرية المساواة في الإسلام بين جميع البشر، إلا أن دخولهم في الإسلام لم يكن بأفواج، وفي الأعوام الماضية قام العلماء والدعاة بالدعوة والتبليغ بنطاق واسع، فنشروا عشرات الكتب الإسلامية باللغة التاملية، فبدأ الناس يدخلون في الإسلام أفواجاً، وقد أثارت قضية دخولهم في الإسلام ضجة كبيرة في أنحاء الهند.

وأذكر هنا بعض مقتطفات من الصحف الهندية.

**١- الصحف التاملية:**

كتبت صحيفة (DAILY DINA MALAR) في ١٩٨١/٦/٢٩م تحت عنوان «العبرة الّتي أخذناها من ميناكشي بورم»[(١)]: «إن عدد سكان ميناكشي بورم يبلغ ٩٤٥ نسمة، وقد أسلم منهم ٥٥٨، ومستواهم التعليمي والثقافي أحسن من غيرهم، منهم طبيبان ومهندس وجملة من الأساتذة، وفي ١٩٨١/٢/١٩م غيروا اسم قريتهم فسموها «رحمت نكر» ولما قيل لهم: إن الحكومة الهندية سوف تسحب جميع التسهيلات الّتي منحت لهم، قالوا بلسان واحد: نحن دخلنا في الإسلام كي نعيش عيشة كريمة، ونحن مستعدون أن نتخلى عن جميع التسهيلات الحكومية».

(١) وهي إحدى القرى في أقصى جنوب الهند أسلم أكثر سكانها وسموا القرية «رحمت نكر» يعني مدينة الرحمة.

وكتبت الصحيفة نفسها في ١٩٨١/٦/٢٥م:

«إن أحد رجال الحكومة أعلن أن الحكومة قررت أن تسحب جميع التسهيلات الّتي منحت للمنبوذين بعد دخولهم في الإسلام، منها التعليم المجاني، والمنح الدارسية للدراسات العليا، والكتب الدارسية المجانية، وتخصيص ١٨٪ من الوظائف الحكومية، كما أن الحكومة تمنح لهم قروضاً للزراعة، وبناء المساكن، وأن من يدخل في الإسلام سوف يحرم من هذه التسهيلات.

ونشرت هذه الصحيفة في يوم ١٩٨١/٦/٢٧م مقابلة صحفية مع بعض المسلمين الجدد منهم من يسمى أحمد أنه قال: كنت إلى أمس أعبد (MURUGAN) وأما اليوم فأعبد اللّه وحده لاشريك له الّذي بيده الحياة والموت ، وأذهب إلى المسجد، وأصلي مع المسلمين، ولم يسلم أحد من أهل بيتي، وإنّي لن أكره أحداً على ذلك.

وقالت الصحيفة: والذين دخلوا في الإسلام غيروا كثيرا من أحوالهم الاجتماعية وجعلوها طبقاً للإسلام.

وقد تحمس أحد المسلمين الجدد في الإجابة وانتقد الحكومة الهندية الّتي تفتري عليهم، بأنهم دخلوا في الإسلام من أجل المادة، وقال: «من يثبت أني أخذت مالاً لأجل الإسلام فليكن مصيري الإعدام» وقال: «إذا أراد أهل الهند أن يعيشوا بالأمن والاستقرار فعليهم أن يعملوا على الإسلام.

هذه بعض مقتطفات الصحف التاملية.

## ٢- الصحف الأردية:

ومن الصحف الأردية ما تسمى «برتاب» يرأسها رجل هندوسي متعصب وهو «كى برينذ» بدأ هذا الرجل يفتري على الدول الإسلامية منذ دخول المنبوذين في الإسلام، وأنقل هنا بعض مقتطفات من هذه الصحيفة.

في ١٩٨١/٦/٢م كتبت الصحيفة وقالت: «إن دخول المنبوذين في الإسلام يعتبر مؤامرة من الداخل والخارج ضد الطوائف الهندوسية، وقد طالب ثلاثةٌ من كبار زعماء «آريا سماج» من الحكومة الهندية أن تتخذ خطوات لازمة لمنع انتشار الإسلام في طبقة المنبوذين، وإلا فسوف تضطر جماعة «آريا سماج» لأخذ موقف متشدد تجاه هذه القضية، وقد طالب هؤلاء أيضاً بإغلاق المركز الإسلامي في جنوب الهند الَّذي يقوم بتعليم المسلمين الجدد.

وكتبت الصحيفة في ١٩٨١/٥/٢٣م تحت عنوان: «ماذا حدث في ميناكشي بورم» إن دخول المنبوذين في الإسلام في «ميناكشي بورم» أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الهندية. وقد توجه إلى هذه المنطقة جماعة من الهندوس لاستطلاع أحوال المسلمين الجدد، فتبين لهم أن المؤامرات الخارجية ضد الهندوسية وراء دخول هؤلاء في الإسلام، وقالوا أيضا: إن الدول العربية تنفق أموالاً طائلة لإدخال هؤلاء في الإسلام، وقالوا أيضا: نحن رأينا عشرات الآلاف من البنات الهندوسيات يصدرن إلى الدول العربية لخدمة العرب، وسوف يكون مصيرهن الدخول في الإسلام.

وكتبت الصحيفة في ١٩٨١/٦/١٥م تحت عنوان: «على الهندوس أن

ينتبهوا» وقد طالبت الصحيفة من الهندوس أن لا يحقروا المنبوذين، وإلا فإنهم يدخلون في الإسلام أفواجاً.

هذه بعض افتراءات صحيفة «برتاب» لإحداث فتنة بين المسلمين والهندوس، ومن المتوقع أن تحدث هذه الفتنة بين عشية وضحاها.

وأما صحيفة «الحياة» فقد كتبت في ١٩٨١/٦/٢١م تحت عنوان «لماذا هذه الضجة الكبيرة لدخول المنبوذين في الإسلام» وسألت الصحيفة ألم تكن حياة المنبوذين في الهند أذل من الحيوان. وماذا عملت الحكومة الهندية لإصلاح هؤلاء بعد تحرير الهند. ولما التجأ هؤلاء المظلومون إلى الإسلام فلماذا هذه الصيحات والضجات.

وكتبت صحيفة «الدعوة» اليومية الّتي تصدرها الجماعة الإسلامية في الهند تحت عنوان «بعد ظلم الهندوس اختار المنبوذون الإسلام» وغيروا اسم مدينتهم ميناكشي بورم وسموها (رحمت نكر) إن جماعة «آريا سماج» تقوم بحملة واسعة لارتداد هؤلاء عن الإسلام.

### ٣- الصحف الإنجليزية:

وقد توجه مندوب جريدة «إندين إكسبريس» (INDIAN EXPRESS) الصادرة من مدينة «مدراس» إلى المناطق الّتي يكثر فيها الدخول في الإسلام، وكتبت في ١٩٨١/٦/١٧م مقالات طويلة مدعمة بالصور وألخص منها ما كتب هذا المندوب:

١- الذين دخلوا في الإسلام أنكروا إنكارا شديداً، بأنهم أكرهوا على ذلك، أو أعطيت لهم رشوة للدخول في الإسلام وقالوا: «نحن دخلنا في الإسلام

برضا ورغبة منا بعد قناعة تامة بأن الإسلام هو دين الحق، يخرج الإنسان من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، ولا فرق في الإسلام بين إنسان وإنسان إلا بالتقوى.

وقال: إن المسلمين رحَّبوا بالمسلمين الجدد، ونتيجة لذلك فقد تغير أسلوب حياتهم بين عشية وضحاها. وبدأ الخوف يسيطر على الهندوس بأن جميع أهالي هذه المنطقة سوف يدخلون في الإسلام، ولا يبقى أحد على الهندوسية في الأعوام القادمة.

وقال: «إن الهندوس الآخرين ينتظرون مصير إخوانهم الذين دخلوا في الإسلام، فإذا اصلحت أحوالهم، فهم أيضا سوف يدخلون في الإسلام.

وقد اشتكى بعض الزعماء الهندوس بأن كل ما حدث كان نتيجة للطمع والخوف إلا أن مندوب الصحيفة غير مقتنع بهذا.

وكتبت الجريدة نفسها في ١٩٨١/٦/٢١م وفي ١٩٨١/٦/٢٣م بأن المنظمات الهندوسية تخطط لارتداد هؤلاء عن الإسلام.

وكتبت الصحيفة في ١٩٨١/٦/٣٠م أن ماحدث في «تامل نادو» كان نتيجة لظلم الهندوس للمنبوذين، وقد أعلن أحد زعماء المنبوذين وهو السيد «ويلو» بأن خمسين ألفاً من المنبوذين مستعدون للدخول في الإسلام، لأن الإسلام هو الدِّين الوحيد الَّذي يخرجهم من ظلم الهندوسية.

ويقول مندوب الجريدة: «أينما توجْهنا وجدنا المنبوذين يكرهون الهندوسية كُرهاً شديداً، وكل يرغب أن يدخل في الإسلام، ومن المتوقع أن يدخل الناس في الإسلام أفواجاً بعد خروج زعمائهم من السجون.

وكتبت جريدة «سندي» (SUNDAY) الصادرة من مدينة «كلكتا» في ١٩٨١/٦/٧م مقالاً خاصاً في موضوع انتشار الإسلام في «تامل نادو» وبينت فيه الأسباب والدوافع الّتي جعلت هؤلاء يدخلون في الإسلام.

وكتبت صحيفة «هندوستان تايمز» (HINDUSTAN TIMES) في ١٩٨١/٥/٥م أن جماعة «آريا سماج» اتهمت المسلمين بأنهم أكرهوا المنبوذين على الدخول في الإسلام، ولكن الحكومة لم تؤيد هذا الاتهام، وقالت الصحيفة: لم يثبت لدى الحكومة الهندية حتى الآن أنهم دخلوا في الإسلام مكرهين.

وقالت الصحيفة: إن المسلمين الجدد وقعوا في عدة مشاكل، إلا أنهم واثقون بأن أولادهم سوف يتمتعون بنعمة الإسلام إن لم يتيسر لهم ذلك.

هذه بعض مقتطفات من الصحف الهندية.

وأما رد فعل الهندوس فإنهم دعوا إلى عقد مؤتمر هندوسي كبير في عاصمة الهند دلهي في ١٩٨١/٩/١٨م فتجمع أكثر من مائة ألف من الهندوس من أنحاء الهند. وترأس المؤتمر السيد «كران سنغ» الوزير المركزي الأسبق وقال في افتتاحية المؤتمر: إن دخول الهندوس في الأديان الأخرى (خاصة الإسلام) سوف يحدث عدة مشاكل، واعترف في كلمته بأن الهندوسية لا تعترف بحقوق المنبوذين الإنسانية، وتأسف على هذا، ولكنه دعا الهندوس إلى الاتحاد والتضامن، ونبذ الخلاف فيما بينهم، والقيام بالإصلاح العام في المجتمع الهندوسي...[1]

---

(١) صحيفة الدعوة اليومية ١٩٨١/٩/٢٠م.

واتهم السيد «جَاكَجِيوَنْ رَام» زعيم المنبوذين بأن الحكومة الهندية أوعزتْ إلى جماعة «أر - إيس - إيس» (جمعية هندوسية متعصبة) بعقد هذا المؤتمر الهندوسي الكبير، وقال: إني لا أعتقد أن دخولهم في الإسلام يصلح أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، ولكن سوف يزيل عنهم الظلم والاستبداد من قبل المجتمع الهندوسي[1].

أقول: إن الغرض الأساسي لعقد هذا المؤتمر هو توعية الهندوس توعية هندوسية، وإشعارهم بخطورة الإسلام على الهندوسية في شبه القارة الهندية، وقد نجح المؤتمر في بعض مقاصده، فقد تم بعد ذلك تكوين عدة جمعيات دينية متعصبة تقوم بنشاطات واسعة ضد الإسلام في المناطق الَّتي يكثر فيها دخول المبنوذين في الإسلام، وكان من أكبر تجمع ديني هندوسي لهذا الغرض هو دعوة الرهبان الهندوس من أنحاء الهند للقيام بحملة واسعة ضد الإسلام. وقد تقدم للتسجيل أكثر من ثلاثة آلاف من الرهبان، والمتوقع أن يزداد هذا العدد للغرض المذكور أعلاه في المستقبل.

وسوف يقوم هذا الفوج بهيئته الرهبانية بجولات واسعة في مدن الهند الرئيسة، لمنع المنبوذين من دخولهم في الإسلام. وفي نية هؤلاء أن يأكلوا ويشربوا مع المنبوذين (وهو محرم عليهم شرعاً) ليشعروهم بأخوتهم في الهندوسية، وتعاطفهم في الإنسانية.

وكل هذا يدعو المسلمين إلى التفكير الْجِدِّي في قضية المنبوذين.

---

(١) صحيفة الدعوة اليومية ٢١/٩/١٩٨١م.

## الفقـه الهندوسي

## (أحكام الأدوار الأربعة للحياة الهندوسية)

الديانة الهندوسية تقسم الإنسان إلى أربعة أدوار حسب أعمارهم، وتضع الأحكام الخاصة لكل دور من هذه الأدوار، وكل دور من هذه الأدوار يستغرق خمسا وعشرين سنة باعتبار أن متوسط العمر مائة عام.

يقول «منو» في شريعته:

«والآن أذكر أحكام الرهبان وهم على أربع فئات:

**الفئة الأولى:** «**بَرَهْمَا جَارَيا آشَرَمْ**» يعني به دور التربية والتعليم.

**الفئة الثانية:** «**كِرْهَسْتَا آشَرَمْ**» يعني به دور الحياة العائلية.

**الفئة الثالثة:** «**سَنَّياسْ آشَرَمْ**» ، يعنى به دور التربية الجسدية والروحية.

**الفئة الرابعة:** «**بَانبرَستَ آشَرَم**» ، يعني به دور الحياة الرهبانية.

ثم يقول:

«هذه الأقسام كلها مستمدة من دور الحياة العائلية فكما أن جميع الأنهار تنصب على البحر فكذلك جميع الأقسام تتصل بـ«**كرهستا آشرم**»[1].

وإليكم بعض أحكام لكل هذه الفئات:

### الدور الأول: برهما جاريا آشرم: (مرحلة طلب العلم)

يبدأ هذا الدور من ثماني سنوات إلى أربع وعشرين سنة، ومن آكد الواجبات لهذا الدور أن يتجنب الطالب استعمال العطور، والتزيين الظاهري، ويبتعد عن النساء.

(١) الباب السادس: ٩٠-٩٤.

يقول «ديانند» :

«وإن تزوج الطالب في دور «برهما جاريا» فعليه أن لايقرب من زوجه، ولا يبت معها»[١].

يقول منو:

«أول عمل يقوم به الطالب في الدور الأول من الأدوار هو التسول من أمه، أو أخته، أو خالته، أو من أي امرأة لا ترفض»[٢].

و «عليه أن يأكل وجبةً واحدةً في كل يوم»[٣].

و «في بداية الدرس ونهايته يسجد الطالب للشيخ، ويقف أمامه كما يقف المصلي أمام اللّه إلى أن يأذن له بالانصراف»[٤].

و «يجب على الطالب أن يسيطر على جميع شهواته، ويبيت في بيت شيخه ويستحم يوميا لتقديم القرابين للآلهة»[٥].

«يحرم على الطالب شرب الخمر، وأكل اللحم، واستعمال الطيب، وقرب النساء، وقتل الحيوان، كما يحرم عليه النظر إلى امرأة بشهوة، لكي يحافظ على المني ولو في المنام، وإن احتلم بعد كل هذه التدابير فعليه أن

---

(١) ستيارتها بركاش، الباب الثالث ص٦٨.

(٢) منو، الباب الثاني: ٥٠.

(٣) منو، الباب الثاني: ٥٥.

(٤) منو، الباب الثالث: ٧١.

(٥) منو، الباب الثاني: ١٧٥-١٧٦.

يستحم ويصلي للشمس طويلاً»[١].

«على الطالب أن يقوم بالتسول من الأسرة المتمسكة بتعاليم «الفيـدا» ويتجنب السؤال مـن أسرته الخاصـة، وعوائـل شـيخه إلا إذا لم يجـد مـن يتصدق عليه فلا بأس بالتسول من هؤلاء»[٢].

«الطالب الّذي يستمع إلى غيبة شيخه يولد في الحياة الثانيـة في جنـس الحمار، والذي ينتقده يولد في هيئة الشيطان، والذي يضيع أمواله يولد في حالة الحشرات»[٣].

«يحـرم علـى الطـالب الجلـوس مـع شـيخه في العربـات، والحصـير، والكرسي، والركوب على السفينة احتراما وتعظيماً له»[٤].

«إذا لم يستيقظ الطالب من النوم قبل طلوع الشمس فعليه أن يصـوم يومه ويسبح للشمس، وإذا غابت بدون علمه فيصـوم اليـوم الثـاني، لأنـه يلحق به ذنب كبير عند طلوع الشمس وغروبـها في حالـة النـوم والغفلـة (لأن الواجب عليه أن يصلي لها)»[٥].

«يجب على الطالب أن يقضـى ستة وثلاثـين عامـا في خدمـة شـيخه حتى يتقن تعاليم الفيدات، فـإن لم يسـتطع فثمانيـة عشـر عامـاً، أو تسـع

---

(١) منو، الباب الثاني: ١٧٧، ١٨٢.

(٢) منو، الباب الثاني: ١٨٣-١٨٤.

(٣) منو، الباب الثاني: ٢٠١.

(٤) منو، الباب الثاني: ٢٠٣-٢٠٤.

(٥) منو، الباب الثاني: ٢٢٠.

سنوات على الأقل، ثم يدخل في الدور الثاني (الحياة العائلية))[١].

يقول ((منو)) بعد سرد أحكام طالب العلم في الدور الأول في نهاية الباب الثاني:

((الّذي يلتزم بهذه الأحكام والآداب في دور ((البرهما جاريا)) تكون له الجنة، ولا يرجع إلى هذه الدنيا مرة أخرى))[٢].

إلى هنا انتهت الأحكام المذكورة في شريعة ((منو)).

وفي إحدى كتب أبانشاد: دور حياة التربية والتعليم على ثلاثة أقسام.

قسم ينتهي إلى أربع وعشرين سنة ويسمى ((**كنشتا برهما جاريا**)).

وقسم ينتهي إلى أربع وأربعين سنة ويسمى ((**مادهيام برهما جاريا**)).

وقسم ينتهي إلى ثمان وأربعين سنة ويسمى ((**أتام برهما جاريا**))[٣].

ويقول ديانند:

((العمر المناسب للزواج بعد أربعين سنة؛ لأنه تكمل القوى الكامنة في الجسم، وتكون الأعضاء على أكمل الوجود، وعلى طالب العلم أن يقضي هذه المدة في طلب العلم، ويعيش حياة البرهما جاريا))[٤].

ويجيب ديانند على سؤال: هل الطالب والطالبة في حياة البرهما جاريا سواء؟ يقول: لا بل خمس وعشرون سنة للطالب تكون بمقابل ست

(١) منو، الباب الثالث: ١-٢.

(٢) منو، الباب الثاني: ٢٤٩.

(٣) شاندوجيا أبانشاد ١٦/٣.

(٤) ستيارتها بركاش، الباب الثالث ص٧٠.

عشرة سنة للطالبة، وثلاثون سنة للطالب تكون بمقابل سبع عشرة سنة للطالبة، وست وثلاثون سنة للطالب تكون بمقابل ثماني عشرة سنة للطالبة، وأربعون سنة للطالب تكون بمقابل عشرين سنة للطالبة، وأربع وأربعون سنة للطالب تكون بمقابل اثنتين وعشرين سنة للطالبة، وثمان وأربعون سنة للطالب تكون بمقابل أربع وعشرين سنة للطالبة، ثم تنهي حياة البرهما جاريا(١).

والزعيم الهندي غاندي كان يفضل حياة «البرهما جاريا» إلى الأبد، وإن تزوج فعليهما أن يعيشا كالأخ والأخت، وبدون ممارسة الحياة الزوجية.

**الدور الثاني: كِرْهَسْتَا آشَرَمْ، (الحياة العائلية):**

الهندوسية في هيئتها الاجتماعية تميل إلى الرهبانية أكثر من ميلها إلى الحياة العائلية. لأن الرهبان الهندوس دائماً يذمون الحياة المادية ويرغبون أتباعهم في ترك العلائق الدنيوية، وقد شعر علماء الهندوس بخطورة الرهبانية على مستقبل الديانة الهندوسية فبدأوا يدافعون عن الحياة العائلية وأول من قام بتفضيل هذا الدور على الأدوار الأخرى هو «منو»، يقول في كتابه «منو اسمرتي».

«دور «كرهستا آشرم» أفضل من جميع الأدوار»(٢).

ويقول ديانند: «دور الحياة العائلية تهيّء للرهبان والنساك الصدقات،

---

(١) ستيارتها بركاش، الباب الثالث ص٧٠.

(٢) منو، الباب الثالث: ٧٨.

الدور فهو مذموم»[١].

ومن واجبات الهندوسي في هذا الدور أن يتزوج، ويشتغل في كسب العيش لنفسه ولأولاده.

**الدور الثالث: بَانَ بَرَسْتَ آشَرَمْ. (دور التربية الجسدية والروحية):**

يقول منو:

«إذا بلغ الإنسان من العمر عتيا، وأبيض رأسه، وتغضن وجهه، وولد أولاد لأولاده يجب عليه أن يترك الحياة الدنيوية، ويتوجه إلى الغابة ويصحب معه زوجته إذا رغبت في ذلك، وإلا يتركْها عند أولادها، ويعيش على الثمار والغلات الّتي تُنْبِتُها الأرض، ويلبس جلود الغزال، ويستحم كل يوم، ويربي شعر رأسه، ويُوْفر لحيته، وشواربه، ولا يقلم أظفاره»[٢].

«ولا يبالي بالراحة الجسدية، ويعيش حياة برمجارية، يعني لا يقترب من زوجته وإن كانت معه، وينام على الأرض، ويتخذ من أصول الشجرة بيتاً ويستظل بظلها»[٣].

كما يعيش على الخضروات والزهور والثمار الّتي تنبتها الأرض وتثمرها الأشجار، ويتجنب أكل اللحم وشرب الخمر»[٤].

---

(١) ستيارتها بركاش، الباب الرابع ص١٥٩.

(٢) منو، الباب السادس: ٢،٦.

(٣) منو، الباب السادس: ٢٦،٨.

(٤) منو، الباب السادس: ١٣.

«ويحرم عليه أكل الغلات الَّتي زرعت في الحقول، وإن كان جائعاً»[١].

«يأكل يوما ويصوم يوماً، أو يأكل يوما ويصوم يومين، أو يأكل يوماً ويصوم ثلاثة أيام»[٢].

«يكون مستلقيا على الأرض، أو يقف طول اليوم على مقدم رجليه»[٣].

«يتحمل شدة الحر، فيجلس تحت الشمس المحرقة، ويعيش أيام المطر تحت السماء، ويرتدي اللباس المبلل بالماء في الشتاء هكذا يقهر جسمه ويعذبه»[٤].

ويقول:

«هكذا يقضي دوره الثالث الَّذي يبدأ من خمسين سنة من عمره ويستمر إلى خمس وسبعين سنة ثم يختار الدور الرابع».

**الدور الرابع: سَنَّيَاسَ آشَرَمْ - (الحياة الرهبانية):**

يدخل هذا الإنسان الَّذي مر بالمراحل السابقة في حياة جديدة وهي الحياة الرهبانية والمعلمية، ويظهر أمام الناس كالشيخ الكامل المطاع، مرفوع التكليف، ويصير عقلا بلا شهوة، وتحل ناسوتيته في لاهوتيته، فهو معبود يعبد كما يعبد الله، والصوفية يعبرون عن هذا المنزل بقولهم:

فمن الله فاسمعوا * وإلى الله فارجعوا

(١) منو، الباب السادس: ١٦.

(٢) منو، الباب السادس: ١٩.

(٣) منو، الباب السادس: ٢٢.

(٤) منو، الباب السادس: ٢٢.

ومن هنا أخذ الصوفية قولهم: بتعظيم الشيخ والانقياد له، والسمع والطاعة ولو كان أمره مخالفا لأوامر الشرع.

وإليه يشير الحافظ الشيرازي (الشاعر الفارسي المعروف):

بمي سجاده رَنگين كُن گَرَتْ پير مغان گويد
كه سالك بي خبر نَبوَد زراه ورَسم منزلها

وترجمته: اصبغ السجادة بالخمر إذا أمرك الشيخ بذلك، فإنه مطلع على الدروب المؤدية إلى المنزل، وآداب السير فيها.

يقول منو: «وفي هذا الدور يحلق رأسَه ولحيتَه وشواربَه ويُقلّم أظافرَه ويحمل معه الكشكول»[(١)]. «وعليه أن يتسول في اليوم مرة واحدة فقط»[(٢)].

يقول ديانند: «يقطع حبه من المخلوقين والأموال والأولاد، ويختار حياة المتسولين، ويستغرق في معرفة الأسرار، ويمضي وقته في المراقبة التامة والاجتذاب والغيبوبة حتى يحصل له «النرفان» أي النجاة من تكرار المولد»[(٣)].

وهو في اصطلاح الصوفية: «الفناء الكامل».

ويخصص ديانند الحياة الرهبانية الكاملة لطائفة «البراهمة» فقط إذ أنهم أفضل الخلق على الإطلاق، وأفضل الأعمال البشرية هو اختيار الحياة الرهبانية فوجب أن تكون مقصورة على طائفة البراهمة[(٤)].

---

(١) منو، الباب السادس: ٥١.

(٢) منو، الباب السادس: ٥٥.

(٣) ستيارتها بركاش الباب الخامس ص١٨٥.

(٤) ستيارتها بركاش الباب الخامس ص١٩١.

# أحكام الأسرة

## النكاح:

كان النكاح في المجتمع الآري يتم بثلاثة طرق:

**الطريق الأول:** أن يبحث الأب عن زوج لابنته(١).

**الطريق الثاني:** الزواج بالغصب كأن يغتصب صاحب السلطة بنت أحد ليتزوجها على رغم رضاء والدها(٢).

**الطريق الثالث:** أن يقدم أحد ابنته هدية للعالم.

وكان حفل النكاح يعقد في بيت العَرُوس حيث يحضر الزوج مع أصدقائه وأقاربه، فكانت تشعل النيران في مكان طاهر من البيت ويصب فيها السمن الخالص من البقرة، ويربط ذيل كل من العروسين بالآخر، وهما يطوفان حول النار عدة مرات، ورجل عالم من طائفة البراهمة يقوم بقراءة بعض فقرات من الفيدا، وهكذا تنتهي مراسيم النكاح»(٣).

## تعدد الزوجات:

الهندوسية تبيح اختيار أكثر من زوجة، وكان أبطال الهندوس يبالغون في عدد الزوجات فالبطل «أرجنا» اتخذ عدة زوجات منها: «دروبتي» و «سوبهادرا» و «جتانغا» كما أن البطل الهندوسي الآخر وهو «كرشنا»

---

(١) ريج فيدا ١٥/٨٥/١٠.

(٢) ريج فيدا ٧/٣٩/١٠، و١٩/١١٢/١.

(٣) ريج فيدا ٥٣٤/٨/١٠، و٨/١٨/١٠.

يقولون: كان له سبعة عشر ألف زوجة، إلا أن تعاليم الفيدا تحث على الاكتفاء بزوجة واحدة[١]، ولذا نرى أن الهندوس يختارون أنواعاً من الحيل لأجل التعدد.

## نكاح الأرامل:

لا نجد في الفيدا ذكر نكاح الأرامل بل إن تعاليم الفيدا تحث الأرامل على اختيار الموت مع الزوج المتوفى، فكانت المرأة الهندوسية تجلس مع زوجها المتوفي على النار وتحترق معه.

ويعتبر هذا من أعمال البر والفضيلة للمرأة الهندوسية. ففي الكتب القديمة جلست «سلوجنا» مع زوجها المتوفى «ميدناتها»، و «ماري» مع زوجها «باندو» وفي كتاب «مها بهارت» أن عددا من زوجات «كرشنا» أحرقن أنفسهن معه.

وهذه العادة كانت سائدة في أنحاء الهند ذكرها مؤرخو اليونان في كتبهم العتيقة قبل الميلاد.

وأما الآن فإن القوانين الهندية تمنع من هذه العادة البشعة، ففي عام ١٨١١م توفى أخو «رَاجَا رَامَ مُوهَانْ» أحد مفكري الهند، ومؤسس «المجتمع البرهمي». وحرقت زوجته نفسها معه فتأثر «راجارام موهان» بهذه الحادثة المؤلمة كثيراً، وبدأ يطالب الحكومة البريطانية بسَنِّ قانون يمنع

---

(١) ريج فيدا ٨/١٠٥/١، و٢/٣٣/١٠.

وفي رواية أخرى: يجوز للبرهمي أربع زوجات، وللكشتري ثلاث زوجات، وللويش زوجتان، وللشودر زوجة واحدة.

«ستى برتها» (أي حرق المرأة نفسها مع زوجها المتوفى عنها) واستجابت الحكومة، فسَنَّت قانونا في عام ١٨٢٩م في أيام الحاكم البريطاني «لارد وليم وينتك» يمنع من هذه العادة.

ونتيجة لذلك فقد كثرت الأرامل في الهند وخاصة في السن المبكرة، ففي إحدى الإحصائيات في القرن الماضي توجد من الهندوسيات ١٣,٧٧٨ من الأرامل، وسِنَّهن أقل من خمس سنوات، و٦٤,٠٤٠ من الأرامل وسِنَّهن أقل من عشر سنوات، وقس على ذلك الأرامل اللاتي بلغن أكثر من هذه السن.

والأرملة الَّتي تبقى على قيد الحياة تعيش حياة قاسية.

وفي الغالب أنها تقدم هدية للمعابد لخدمة المعبد والراهب، والصحف الهندية دائماً تنشر الفضائح التي ترتكب مع الأرامل في المعابد. وأما اللواتي يبقين في البيوت فلهن أحكام قاسية.

يقول منو: يجب على الأرملة أن تعيش على الخضروات وتضعف جسمها ولا تفكر في زوج آخر[١].

حتى البنت الَّتي مات عنها زوجها قبل الدخول بها يحرم عليها أن تتزوج برجل آخر، وخاصة إذا كانت من طائفة البراهمة والكشترية والويش.

وأما الرجل فيجوز له أن يتزوج بامرأة أخرى إذا ماتت زوجته الأولى[٢].

إلا أن «ديانند» ينكر ذلك ولا يجوز للرجل النكاحَ مرة أخرى[٣].

---

(١) منو، الباب الخامس: ١٥٧.

(٢) منو، الباب الخامس: ١٦٨.

(٣) ستيارتها بركاش، الباب الرابع ص١٦٧.

الحرمة بالمصاهرة:

يقول منو: يتزوج من المرأة الَّتي لا تتصل قرابتها بالزوج من جهة الأب أو الأم إلى سبعة أجيال ماضية[١].

## الزواج في السن المبكر:

«البنت الَّتي لم يزوجها أبوها أو أخوها الأكبر للسنة العاشرة من عمرها وهي سن البلوغ في الهند كلهم يدخلون النار»[٢].

وأما «منو» فيشترط مضى ثلاث سنوات بعد البلوغ للزواج[٣].

المتعـــة:

يبيح ديانند المتعة للأرامل وغيرها، ويحرم الزواج الثاني ويسمى «نيوج». يقول:

«يجوز للمرأة المتوفي عنها زوجها أن تتمتع برجل أجنبي لكي تحمل مرتين لنفسها، وأربع مرات لأربعة رجال، وكذلك يجوز للرجل الَّذي ماتت زوجته أن يتمتع بالمرأة المتزوجة لتلد له مرتين، وأربع مرات لأربع نساء»، ويستدل على ذلك بأبيات من ريج فيدا[٤].

«أيها «الإندر» عليك أن تجامع هؤلاء النسوة المتزوجات، والأرامل لتمنح لهن الأولاد الأقوياء، فللمرأة المتزوجة عشرة أولاد، وكذلك أيتها

(١) منو، الباب الثالث: ٥.

(٢) براشري، قسم لاكهو ٦/٧.

(٣) منو، الباب التاسع: ٩٠.

(٤) ٤٥/٨٥/١٠.

المرأة المتزوجة عليك أن تباشري هؤلاء الرجال لتلدي لهم عشرة أولاد»[١].

**الحجاب:**

المرأة الهندوسية لم تكن تتحجب بحجاب معروف ولها أن تختلط بالرجال في حالات منها: حفلات الزواج، وتقديم القرابين للآلهة، كما يجوز لها أن ترقص أمام الصنم للحصول على رضائه.

**الاعتزال في حالة الحيض:**

يقول منو:

«يجب على المرء أن يحذر من المرأة في حال الحيض فلا ينام معها، ولا يجامعها، فإن من فعل ذلك يُبْتَلَي بالضعف في الجسم والباءة والنظر، كما ينقص من عمره»[٢].

---

(١) ستيارتها بركاش الباب الرابع ص١٦٤-١٦٥.

(٢) منو، الباب الرابع: ٤٠-٤١.

# الفرق الهندوسية

في الهندوسية عدة فرق. وأذكرها هنا باختصار فرقتين معروفتين في أنحاء الهند وهما **فرقة فشنو، وفرقة سيفا**.

**فرقة فشنو:**

ففشنو هو اسم أحد آلهة الهندوس، جاء اسمه في «الفيدا» وأهل هذه الفرقة يجعلونه عالم الكل، ويصفونه بجميع صفات البرهما (الخالق) ويعتقدون فيه أنه يحفظهم في النوازل.

ومن اختصاص هذه الفرقة أنها ترى أن أفضل الأعمال هي عبادة فشنو وبمرور الزمن بدأت فرقة فشنو تعبد «كرشنا» إيمانا منها بأن «كرشنا» أفتار فشنو، لأنه يرجع مرة بعد أخرى إلى الأرض بصورة البشر كلما اقتضت الحاجة لنصرة عباده، ويقولون إن فشنو اختار حتى الآن عشرة أفتار أهمها أفتار «راما» و «كرشنا» ، هذه الفرقة تقيم عيدين: أحدهما يمثل فيه «راما» ويسمى «دشهرا» .

والثاني يمثل فيه «كرشنا» ويسمى «كرشنا جنماستمي» .

ولهذه الفرقة معابد كثيرة في أنحاء الهند يوضع فيها تمثال فشنو للعبادة.

ومن أهم تعليمات **فشنو**:

١- مشيئة الله غالبة على كل شيء.

٢- تحصل النجاة حتى في «كرهستا آشرمْ» يعني في الدور الثاني من العمر بدون الدخول في الدور الثالث أوالرابع.

٣- من ملك نفسه ملك غيره.

٤- روح واحدة تنتقل في جميع المخلوقات.

**فرقة سيفا:**

هذه الفرقة كانت معروفة في السند، ولها ذكر في «ريج فيدا» وهو «رودر» الّذي اختار في النهاية اسم «سيفا» ومن أهم وظائفه: الإعدام والتدمير، وله قوة هائلة حتى لقب بـ«مهاديو» (الإله الأعظم) لأنه انتصر على الآلهة الأخرى بقوته، وعلى النساك والزهاد بعلمه.

ومن أهم معتقدات هذه الفرقة أنها تؤمن بأن «سيفا» ليس له وجود ولا عدم، وهو محيط بكل شيء.

ومن أعمال هذه الفرقة: أنها تفضل الجوع على الشبع، وإن احتاجت إلى الأكل تأكل في الجماجم، وتستأنس بالوحشة القاتلة، كما تحب البقاء ساعات في محلات تحريق الجثث.

انتشرت هذه الفرقة في الهند أكثر من غيرها. وتوجد لها معابد خاصة في طول الهند يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل المسيح.

لقد قام السيَّاح الصيني «هيون سيانج» بزيارة الهند في القرن السادس، ورأى أن عبادة «سيفا» كانت غالبة على عبادة غيره من الألهة في جميع مناطق الهند، كما نجد في كتب المؤرخين الهندوس في تلك الفترة أنهم يمجدون «سيفا» ويفضلون عبادته على غيره إلى أن جاء البيروني فرأى أن عبادة سيفا انتقلت إلى عبادة «شكتى» و «سوريا» و «برهما» و «إندرا» و «أغنى» و «كوبيرا».

## عبادة الأصنام

لا يعرف بالتحديد العهد الّذي ابتدأت فيه عبادة الأصنام في الهند وقد وجد علماء الآثار مجموعة كبيرة من الأصنام في حفريات «موهان جودور» و «هاروبا» وأكثر هذه الأصنام عارية من اللباس، وفيه إشارة واضحة إلى أن النجاة لا تحصل مادام الإنسان يعيش حياة دنيوية، وراغبا في الملذات والملابس.

كما أنه بمقابل ذلك وجدت أيضا أصنام مزينة بأنواع من الألوان الجذابة، ومحلاة بأنواع من الحلي والملابس، ولاشك أن هذه الأصنام من أعمال فرقة «فشنو» الّتي اهتمت بالمظاهر الخارجية لجذب الناس إلى جماعتها.

وكذلك كانت عبادة الأصنام معروفة أيضا بشكل الذكر والفرج «لِنج» و «يوني» فإن «سيفا» وزوجته «بارواتي» رمز للذكر والفرج، وخُلِقَ العالمُ بالتقائهما.

فكان من الطبيعي أن يعبد أهل الهند الذكر والفرج اللذين هما مصدر الخلق واستمرار الحياة على وجه الأرض.

ففي حفريات «موهان جودور» وجدت مجموعة من الأحجار بشكل «لنج» و «يوني» .

يقول المستر «وارتها» (VARTH): من زمن بعيد كان الهندوس يبحثون عن آلهتهم الطبيعية، فوقعت أيديهم على أحجار «لِنج» ، و «يوني» وهؤلاء الهندوس الذين يعبدون اللّه بصورة الرجل والثور لم يستبعد منهم

أن يعبدوا الذكر والفرج فإن عبادتهما أقرب إلى مزاجهما من عبادة القوى الطبيعية الأخرى[١].

ولم يغفل الآريون ذكر عبادة «لنج» والتنديد بها في كتابهم المقدس «الفيدا».

ففي ريج فيدا:

«هو «الإندرا» الّذي يخوض الحرب بحسن تدبيره، ويغنم الأموال من «شترى ديوي» (عدوه) ولو كانت هذه الأموال محفوظة بين مئات الأبواب، ويُبْعِدُ الأرواح الخبيثة الّتي تعبد «لنج»[٢].

كما وجد ذكر «لنج» في «رامايان» فإن ملك السيلان «رافان» كان يحمل معه دائماً «لنج» من الذهب.

ويصف «سرجان مارشال» هذه المجموعة من الأحجار الّتي وجدت بشكل «لنج» وصفا دقيقا بالمقاس والمواد الّتي نحتت منها[٣].

ومن الأصنام التي اشتهرت عبادتها في الهند «ما ترى ديوي» (MATRIDEVI) أي أرض الوطن.

وقد وجدت بعض أصنام «ما ترى ديوي» في منطقة بلوجستان، ويمجد الفيدا عبادتها باسم الأرض، لأن الأرض هي أول مهد تقوم برعاية الطفل ثم يتخذ الإنسان مستقرا له طيلة حياته، فكان من الطبيعي أن

---

(١) RELLGION OF INDIA, P.٢٦١

(٢) ريج فيدا ٩/٥/٢١.

(٣) MOHAN JODOR IN INDUS CIVILISATION.

يتخذ أهل الهند صنما باسم «ما ترى ديوي» كعادتهم.

كما وجدت في حفريات «موهان جودور» مجموعة من أصنام «سيفا» وله ثلاثة وجوه: واضع يديه على ركبتيه، وجالس في هيئة «اليوجا» على سرير من الخشب، مستغرقا في التفكير، وحوله تماثيل من الحيوانات، ونقش على بعض أصنام «سيفا» صورة الثعبان. وكأنه عقد في عنقه، فجعله الهندوس إله الحيوان.

يجزم علماء الأديان بأن الآريين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام، فلما اختلطوا بأهل الهند بدأوا ينحتون لآلهتهم تمثالاً محاكاة لأهل الهند، وبالتقاء الحضارتين، الحضارة الهندية القديمة، والحضارة الآرية ظهر مذهب جديد عرف بالهندوسية، فنجد أحياناً غَلَبة آلهة الآريين وهم «إندرا» و «ورون» و «أغنى» على آلهة أهل الهند وهم «فشنو» و «سيفا» وفي حين آخر يغلب آلهة أهل الهند على آلهة الآريين إلى أن جاء «بوذا» و «مهابير سوامي» قبل ميلاد المسيح بخمسة قرون، فأثَّرا على الهندوسية تأثيرا قويا فصارت الهندوسية مزيجا من اعتقادات الآريين، وخرافات أهل الهند، وتعاليم بوذا، وطقوس مهابيرا.

## عبادة الأبقار:

حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة، وأرفع درجة، وأعلى منزلة، لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانوا في حاجة إلى العطف عليها وتربيتها؛ لأنها تدر لهم فوائد كثيرة فوضعوا في كتابهم المقدس أبياتا لتمجيدها ففي «ريج فيدا» :

«إن البقرة أم الأبطال الذين يقهرون الأعداء، وهي ابنة الإله، وأخت أبناء «آدت» (اسم الإله) ومركز للحياة، فإني أطلب من الرجال الغيورين عدم ذبحها»[1].

«إن الَّذي يضرب البقرة برجله يستحق العقاب»[2].

«نحن جعلنا البقرة مصدرا للعلم، والأبقار تقوم بخدمة «الإندرا»»[3].

وتوجد أبيات أخرى أيضا في الفيدات في تمجيدها.

ولذا فإن الهندوس يعبدونها ويقدسون روثها.

وكان أحد أبطالهم وهو «كرشنا» شغوفا بها فكان يرعاها ولقب بـ«كوبال» أي -مربي البقرة-.

وأحب الصدقات إلى الهندوس صدقة البقرة، بل إن الصدقة بالبقرة تعتبر من أقدس الصدقات في المناسبات الدينية وعند الزواج[4].

وقد كان غاندي من أكبر الدعاة إلى عبادة البقرة وتقديسها ومنعها من الذبح من قبل المسلمين، وكان يثير حماسة الهندوس بقوله:

«الديانة الهندوسية ستبقى على وجه الأرض مادام الهندوس يحافظون على البقرة» .

---

(١) ريج فيدا ١٥/١٠١/٨.

(٢) آتور فيدا ٤٦/٩/١٣.

(٣) ريج فيدا ١/١٧٣/١.

(٤) ريج فيدا ٦/٧٥/١١، ٩/١٢١/١، ٢٦/٤٧/٦.

ولكن لو قيل لغاندي هل ترضى أن تجعل من جلود البقرة فراشاً ومن عظامها سلاحاً، كما كان الآريون يفعلون؟[1].

وما أظن أنه يرضى بهذا، لأنه جعل البقرة أفضل من أمه الحقيقية من عدة وجوه.

(١) ريج فيدا ١١/٧٥/٦،٩/١٢١/١، ٢٦/٤٧/٦.

## العبادات في الهندوسية

**الصلاة:**

بمعنى العبادة وهي عندهم على نوعين:

**الأول**: يسمى «ياك» أو «يجيا» وهو إشعال النار في مكان معين، وقراءة أناشيد خاصة من «الفيدات» و «أبانِشَادْ» لاستجلاب حب الآلهة، وطلب الكفارة للذنوب و «يجيا» له أشكال ومناسبات كثيرة منها: ترسيخ قوائم السلطة. ومنها: تقديم الشكر والامتثال للآلهة، وقد أجريت فيه تعديلات كثيرة، ويجب أن يتم «يجيا» من طريق رجل برهمي، فإنه الواسطة بين الخلق والخالق.

هكذا اتخذ «يجيا» مركزاً هاماً لدى الأثرياء والملوك. وقد بقي البراهمة زمنا طويلا في سحر «يجيا» وألفوا فيه كتبا خاصة في كيفيته[(١)].

**الثاني**: يسمى «بُوجَا» وهو التسبيح والتمجيد للآلهة، وتقديم القرابين لهم من زهور وفواكه وماء مخلوط من زعفران.

ولكل إله من الآلهة طقوس وطريقة خاصة لتقديم القرابين من الزهور والماء وغيرهما، فالبعض يقدم له الماء من كفة اليد، والبعض الآخر يقدم له الماء من ودعة كبيرة[(٢)].

وذكر هذه التفاصيل قد يطول.

---

(١) ذكر الشهرستاني بعض الكيفيات في الملل والنحل ٢/٢٦١.

(٢) القاموس الهندوسي ص٤١٢.

## الصـــوم:

لقد أدرك علماء الهنــدوس أن الصـوم هـو أفضـل وسيلة لتعديـل النفـس وقهرها، وكسر حدة الشهوة الحيوانية، وإضعاف القوى الجسمانية. فـأوجبوا الصيام على رجال الدِّين والنساك والزهاد، وللصوم طرق كثيرة، منـها: تـرك الطعام والشراب ليلا ونهاراً بدون إفطار لأيام غير محـدودة، ومنـها: اجتنـاب الغلات دون الماء واللبن بقـدر الحاجـة، ومنـها: أن يـأكلوا أيامـا في الظـهيرة فقط، ومنها: أن يأكلوا بعد غروب الشمس مرة واحدة فقط.

وقد توجد جماعات مـن الزهـاد والنسـاك في الغابـات وعلـى جبـال هملايـا وهم يصومون ولا يفطرون إلا بنبات خاص يعصر في حلوقهم فيبقون علـى قيـد الحياة شبه الميت، ولا يزالون على هذه الحالة حتى يموتوا[١].

(١) وهنا يؤدي ((اليوجا)) دوره المعهود في الفكر الهندوسي فـاليوجي بممارسته الرياضـة النفسية والذهنية يتغلـب علـى الأسـباب المادية ويدهـش المشـاهدين فـترى يعيـش اليوجي عاريا فوق النهر المتجمد، وينام على شظايا الزجاج دون أن تظهر عليه أية إصابة، ويجب أن يكون الإنسان على حذر، فإن ((اليوجا)) نوع من العقائد الدينية، ووسيلة مـن وسـائل الـترقي الروحـي عنـد الهنـدوس، وهـي أخـذت مـن تعليمـات الفيدات وإن كانت هذه الكلمة لم ترد في الفيدات وأضيـف إليـه تجـارب الرهبـان والنساك فاستكملت جوانبه وبدأ يؤتى ثماره المدهشة.

إلا أن مفهومه كان واضحاً في عهود الفيـدات، لأن هـذه التمـارين اليوجيـة يقـوم عليها رجال الدين لكشف معاني وأسـرار الفيـدات. فـالفكرة اليوجيـة هـي فكـرة هندوسية برهمية خالصة ليتمكنوا من السيطرة على البشرية وتعليم اليوجا يساعدهم على ذلك.

وقد قرأتُ في الصحف العالمية ما أعلن به ((جنـدرا سـوامي)) أن كثـيراً مـن رؤسـاء =

=

الدول وكبار رجال أعمال من تلاميذه، وهم عنده كالعبيد، وهو يتصرف فيهم كيف يشاءُ، وكل هذا بسبب اليوجا.

لقد اشتهر في العصر الحاضر رجلان يعلمان اليوجا أحدهما: ((آجاريا راجنيش)) ، والثاني: ((ماهيش يوجي)) .

ولد الأول وهو ((راجنيش)) في عام ١٩٣١م ومات قبل أعوام، والرجل لا يؤمن بالله، ولا بالكتب المنزلة، ولا بالغيبيات مثل وجود الجنة والنار، ويرى أن في الإنسان قوة ذاتية إذا استغلها فتأتي بالعجائب، ودعوته تقتصر على تعليم ((اليوجا)) والمراقبة النفسية على طريقة الصوفية. وأنه يثني على بابا فريد الصوفي، وفي عام ١٩٥٣م ادعى أنه حصل على المعرفة التامة وهي العلاقة الموجودة بين الروح والجسم، وأنه يستطيع الآن أن يتحد بالكائنات الواسعة.

وفي عام ١٩٧٤م أسس في مدينة ((بونا)) (PUNA) مركزا باسم ((راجنيش آشرم)) وكان يلقي فيه دروسا يوميا عن اليوجا. ثم سافر عام ١٩٨٦م إلى الولايات المتحدة وأسس هناك مراكز كثيرة لتعليم اليوجا.

وقد صدر له مئات من الكتب بالهندية والإنجليزية من محاضراته اليومية في مختلف الموضوعات أهمها اليوجا والمراقبة النفسية، ولم يصدق أتباعه حين مات بل اعتقدوا فيه أنه استتر عن أعين الناس، وأنه اتحد بالكائنات الّتي لا تفنى كما هي تعليمات ((الفيدانت)).

والرجل الثاني: وهو ((ماهيش يوجي)) الّذي سافر إلى الولايات المتحدة في الأربعينات في حدود ١٩٣٥م على ما أذكر، وكان يظهر أمام الناس زاهداً وراهباً، ويطمع في الوقت نفسه في جمع الأموال. فبدأ يعلم الناس طريقة ((اليوجا)) ويدعوهم إلى حركته المهاريشية. وادعى أنه بعثه اللّه لإنقادهم من الهلاك والضلال، ولمنحهم حياة سرمدية لا يطرأ عليها الفناء. فيعيش الإنسان على مدى الدهور في النعيم المستمر. ويكون مسيره في النهاية إلى ((النرفان)) وفي خلال أقل من أربعين سنة =

وأما عامة الناس فعندهم أيام الصوم محدودة مثل أن يعين الشخص لنفسه أن يصوم يوم كذا واليوم العاشر والحادي عشر من كل شهر قمري، وأيام مولد «كرشنا» و «راما» و «برهلاد» ووقت كسوف الشمس والقمر، ويوم النصر على أعدائهم مثل يوم نصر «راما» على «راون» وليس شيئاً واجبا عليهم، وإنما هو من التطوع.

**الحج:**

هو زيارة المواضع المقدسة والأشخاص المعظمين ويسمى «ياترا» ومعناه اللغوي «عبور النهر».

فالقصد من زيارة الأشخاص المعظمين هو الاستماع لمواعظهم، والاستمتاع بصحبتهم.

والمقصود من زيادة الأماكن المقدسة عندهم عبادة الأصنام في هذه الأماكن والغالب هي أربعة أماكن:

١- دواركا (DWARKA)

٢- جكنات بوري (JAGNATH PURI)

٣- بادركا شرم (BADERKASRM)

٤- راميشور (RAMESHWAR)

---

=

احتمع حوله آلاف الأمريكيين وتحمسوا لدعوته.

وفي الآونة الأخير انكشفت الأسرار المحيطة بالرجل. فوجد أنه لص كبير. وطرد من أمريكا. واستولت الحكومة الأمريكية على ثرواته الهائلة. وسافر إلى الهند، ومنها إلى البلاد الأخرى، واختفى خوفاً من الفضيحة.

وكذا يحج الهندوس إلى أحد الأنهار المطهرة فيغتسلون فيه مثل نهري ((كنكا)) و ((جامنا)) في مدينتي ((واراناسي)) و ((الله آباد)).

ومن آداب الحج:

١- يجب على الزائر أن يترك الأهل والأقارب، ولا يتصل بهم فترة حجه أبدا ولا يفكر فيهم.

٢- وعند الميقات وهو مسافة كيلو متر من بيته يتخلى عن لباسه، فيغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميص طويل وإزاربلون أصفر، ويأخذ عصا من القصب الهندي، ويعلق عليها نوعا خاصا من الآنية للماء، ويخرج مرتلا الورد الخاص وهو:

هرى كرشن هرى رام... ...

ومن الأفضل أن يمشي على قدميه

وهو واجب على البرهمي، وتطوع على غيره.

## أهم العقائد الهندوسية

لقد سبق القول بـأن الهندوسـية لا تؤمـن بعقيـدة رئيسـة، ومـع ذلـك فهناك أمور عرفت بين الهنادك جميعاً، وإن كـان فيـها شـيء مـن التنـاقض والتضاد، وهذا يظهر قريباً، ولكنها صارت شـبه الأمـر المجمـع عليـه فيمـا بينهم فما مـن هندوسـي مـن أيـة فرقـة إلا وهـو يؤمـن بـهذه العقـائد، أو بأمثالها ولا مانع أن نذكر أهمها:

١- خلق الكائنات في الفكر الهندوسي.

٢- عقيدة((الأَفْتَارْ)) .

٣- عقيدة((التَنَاسُخْ)) .

٤- عقيدة((كَارَمَا)) .

٥- عقيدة((النرفانا)) .

### ١- خلق الكائنات في الفكر الهندوسي:

يقول ((منو)) في شريعته في الباب الأول وهو خاص بخلق الكائنات.

((كانت الدنيا غامضة، لاتوجـد لها علاقـة، ولا وسيلة للوصـول إليـها، ثـم ظهر ((برميشور)) (الإله الأكبر) بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقا من ذاتـه فخلـق الماء وألقى فيه النطفة، وأصبحت هذه النطفة بيضة، فخرج منـها ((برهمـا)) وكسـر البيضة نصفـين، فخلـق مـن أحدهمـا الجنـة، ومـن الثاني: الأرض والسـماء ومـا بينهما، والجهات الثمانية، والبحور المتموجة، ثم أخرج من فمه طائفـة ((البراهمـة)) ومن عضده طائفة ((الكشتري)) ومن فخـذه طائفـة ((الويشـيا))، ومـن رجلـه طائفـة

«الشودرا» فما دام برهما مستيقظاً فالدنيا باقية، فإذا أخذه النوم تقع القيامة.

يقول «منو»: هكذا خلق اللّٰه الكائنات وخلقني، وهو يعيد هذا العمل بعد حدوث قيامة مرة بعد أخرى، فإذا نام وقعت القيامة، وإذا استيقظ حدث الخلق، هذه هي سنة اللّٰه في الكون[1].

ويؤخذ على هذه الأسطورة ما يأتي:

١ – «برهما» مخلوق خلقه «برميشور» من مادة التكوين مع أنه روح اللّٰه الأزلية في عقيدة الهنادك، وإليها ترجع الأرواح السفلية.

٢– هذا المخلوق انقلب فصار خالقاً، فخلق الجنة، والأرض والسماء وما بينهما.

٣– ثم إن هذا الخالق المخلوق خلق الطبقات الأربع، ولاندري من خلق الباقي من الأجناس البشرية.

٤– إن برهما هذا هو الّذي يدبر الكائنات، فلا ندري ما هو وظيفة «برميشور» الّذي خلق «برهما».

٥– هذه الكائنات يستمر وجودها من أول خلقها إلى حدوث القيامة، ثم يعيد خلقها مرة أخرى. ولاندري منتهاها. اسمعوا ماذا يقول «منو» في هذا الموضوع.

يقول «منو»:: نحن في الدور السابع من الخلق، وقد مضى ستة «منو» من قبلنا، كلهم خلقوا أدوارهم، وقاموا بتدبير الكائنات في زمانهم.

ثم قسم الأيام والليالي، فجعل «كاشتا» من ثمانية عشر «تميش» وجعل

(١) منّو إسمِرتي، الباب الأول: ٥١-٥٢.

«كلا» من ثمانين «كاشتا»، وجعل «ماهورت» من ثلاثين «كلا»، وجعل «أهوراتر» من ثلاثين «ماهورت»، وجعل الشمس حدا فاصلا بين الليل والنهار، وجعل الليل للنوم، والنهار للعمل[1].

ثم يقول «منو» اسمعوا الآن: أيام وليالي «برهما» أربعة آلاف «اهوراتر» تساوي «ستيايج» وأربعة آلاف «ستيايج» تساوي «سندهيايج» وأربعة آلاف «سند هيايج» تساوي «سندهيانش يج»[2].

يعني: ٤٠٠٠×٤٠٠٠×٤٠٠٠×٣٠×٣٠×٣٠×١٨

هذه الأيام والليالي لدور واحد من أدوار الخلق، وهناك أرقام أخرى لذكر الأيام والليالي في شريعة «منو» إلا أن الأرقام الرياضية تعجز عن ضبطها.

وإليكم رواية أخرى في خلق الكائنات.

«إن الروح الكوني تشكل بالشكل الإنساني، ثم نظر حوله، فلم يجد هناك شيئا غير نفسه، فصرخ بملء فيه «هأنذا» فوجدت من هذه الساعة كلمة «أنا» ولذلك فأول ما يقول الإنسان إلى الآن عند كلامه عن نفسه «أنا» وشعر هذا الروح الكوني، أو الإنسان الأول بالخوف من وحدته، ولذلك يخاف الإنسان إلى الآن إذا كان وحيداً، ولكنه سأل نفسه: لماذا أخاف فإنه لا يوجد أحد غيري، وإنما يخاف الإنسان من غيره، ووجد نفسه لا يشعر بالسعادة، ولذلك لا يشعر الإنسان بالسعادة إذا كان

(١) الباب الأول: ٦١-٦٥.

(٢) الباب الأول: ٧٦-٨٦.

وحيداً، فرغب في إيجاد قرين له، فقسم نفسه قسمين: قسم بقى على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، ومن تلك الساعة تسلسل خلق الإنسان[١].

وإليكم رواية أخرى في بدء الخلق.

إن «فشنو» كما هو معلوم يملك شخصية عظيمة في الدِّين الهندوسي، وزوجته «لكشمي» (LAKSHAMI) رمز للقوة له، وإنها تسربت فيه كما يتسرب النور في القمر، ولها حيثيتان مختلفتان:

**إحداهما**: أنها تمثل الإرادة الوجودية لفشنو.

**والثانية**: أنها ضلع الوجود الكوني، ويبدأ الخلق منها، لما أفاق «فشنو» من نومه العميق الَّذي دام مدة غير معلومة، وأيقظ «لكشمي» من نومها، ويتمتع «فشنو» في هذه المرحلة بست صفات ذاتية وهي: العلم، والقدرة، والآفاقية، والحياة، والقوة، والجلال.

ومجموعة هذه الصفات خلقت «فاسوديفا» ومن تضحية فاسوديفا ظهرت ثلاثة أقانيم، وهم «شنكرا» الَّذي يمثل العلم والآفاقية، و «بروين» الَّذي يمثل القدرة والقوة، و «نرودها» الَّذي يمثل الحياة والجلال، وهذه الأقانيم الثلاثة تدير العالم[٢].

---

(١) أنقل هذه الرواية من كتاب الدكتور أحمد شلبي «مقارنة الأديان» ص٥٢، لأن أصل الكتاب لم أعثر عليه وهو: (الأساطير الهندية عن الكون وخلقه ص٣٤).

(٢) قارن الأقانيم الثلاثة لدى النصارى بالأقانيم الهندوسية.

والآن أنقل الخلافات الّتي وقعت بين الكتب الأساسية لدى الهنادك في خلق الكائنات، وهو كاف للدلالة على التناقض والتضاد في مسائل أساسية كهذه في الديانة الهندوسية.

يقول الدكتور «تارا جند» الفيلسوف الهندوسي الشهير في كتابه «تأثير الإسلام على الثقافة الهندية»

(INFLUENCE OF ISLAM ON INDIAN CULTURE)

ما يلي:

«**فكرةُ الفِيدا في الخلق**» (VEDIC THOUGHT):

إن الأضحية (ذبح الحيوان) آية لصلاح العالم، وهي وسيلة لقوة الخالق. فإنه إذا تعب من الخلق، وذهبت قوته، فإن الملائكة تسترد هذه القوة بالأضحية فينزل بها المطر، وتطلع بها الشمس، ويأتي بها الطوفان، لأن هذه هي السبب الوحيد الّذي تتم به إرادة الخالق[١].

ويشرح «فكرة فشنو» (VISHWATHOUGHT) هو الإله الثاني، وهو خالق السموات والأرض وما بينهما، وهو على كل شيء حفيظ، له أعين في جميع الجهات، وله وجه في جميع الجهات، وله أيد وأرجل كثيرة، وهو وحده لا شريك له[٢].

وهو ذات واحدة يسمى «برم برش» (PERAMPURUSH)، له آلاف الرؤوس، وآلاف الأعين، وآلاف الأرجل، وهو محيط بجميع العالم

---

(١) ص ٣٠.

(٢) ريج فيدا ١٠/٨١/٢-٤.

ومنفصل عنه، وكل ما كان ويكون فهو صادر منه، وهو مالك الحياة الأبدية، ولا يعاقب على أي عمل يعمله لأن أعماله كلها خير.

**«فكرة الفِيَدَانْتَ» (VEDANTIC THOUGHT):**

يقول العالم الهندوسي ورِيكانَنْد[1] (WIWEKANAND): (خرج هذا العالم من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق، المادة والروح والخالق كل منها أزلي وقديم، لا يجري عليها زمان ولا يأتي عليها حدوث، تدوم الحياة كما يدوم الخالق، وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن: أما الخالق فهو موجود في كل زمان ومكان، عالم بكل شيء، ليس له صورة حسية، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى عليائه، إذا ادعى أحد لنفسه أنه اللّٰه فقد كفر به)[2].

**فكرة «البران» (PURANIC THOUGHT):**

يعد «البران» عند الهنادك من الكتب المقدسة، وأسفاره أكثر من أن تحصى، ولكن كلها تُنسب إلى «ويدوياس» (WEDWYAS) وقد اختلف أصحاب البران في خلق العالم وجاؤوا بقصص ماجنة بذيئة ودونك بعضا منها.

---

(١) يعد «ورِيكانَنْد» من أشهر تلاميذ «رام كرشنا» . ولد عام ١٨٦٥م، وتوفى عام ١٩٠٤م، اشتهر في أمريكا بمحاضراته عن الهندوسية. وكان يرى أن الدِّين لا يقوم على أساس العقل والنقل فحسب، بل لابد من المشاهدات الروحية عن طريق الرياضة النفسية. وكان ينكر على عقيدة وحدة الوجود.

(٢) ص ٦١-٦٤. (HINDUISM)

يقول أصحاب بران «ديوي بهكفت» (DEVI BHAGAWAT):

خالق هذا العالم امرأة من «شري بـور» (SHRI PUR) اسمـها (SHRI) وهي الّتي خلقت الآلهة الثلاثة المعروفين لديهم وهم: برهما «خالق الحيـاة» وفشنو «الرزاق» وماهيش «قابض الأرواح» ولما أرادت هذه المـرأة أن تخلـق العالم وضعت إحدى يديها على الأخرى فخرج منـها «برهمـا» فأمرتـه أن يتزوجـها، فـأبى لأنـه اعتقـد أنـه ولدُهـا، فغضبـتِ المـرأةُ غضبـا شـديداً فأحرقته، ثم أعادت عملها فخرج منها «فشنو» فأمرته أن يتزوجـها فـأبى، فأحرقته ثم أعادت العمل فخرج منها (ماهيش) فأمرته أن يتزوجها فامتنع إلا بشرط وهو أن تغير صورتها وتأتي بصـورة أخـرى ففعلـت ثـم طلـب منها أن تُحْيِيَ أخويه فأحيتهما، ثم طلـب منـها أن تخلـق امرأتـين ليـتزوج كل من أخويه بواحدة منهما ففعلت، فتزوج الجميع. وهـؤلاء هـم الآلهـة الثلاثة الذين خَلَقُوا العالَمَ وهم الذين يدبرونه»[1].

إن الهنادك ينسبون في كتبهم المقدسة لديهم إلى ربـهم صفـات وأفعـالا يتنزّه البشر أن تنسب إليه -تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا-.

**٢- عقيدة «أفْتَارَ» (AVATAR):**

ومعنى كلمة «أفتار» في اللغة السنسكرتية النزول، وفي الاصطلاح عند الهنادك: نزول الرب إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر كما جاء في كتاب «كيتا».

---

(١) ستيارت بركاش الباب: ١١.

يقول كرشنا: (من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدِّين أهبط بنفسي دورة بعد أخرى).

ويقول أيضاً: (حيثما يوجد انحراف في الممارسات الدينية ويزداد الإلحاد أهبط بنفسي)[١].

ويقول أيضاً: «إذا تزلزل الحق أمام الباطل، وغلب الفساق على الصالحين، نزل «بهكوان» أي الإله إلى الأرض لإحقاق الحق وحفظ الصالحين».

ويعرفه العالم الهندوسي «شري ديال كوبند» بقوله: معنى أفتار الظهور في الصورة الظاهرة من العالم المستور.

وأفتار له أربعة مقاصد في **البكهفت كيتا**:

١- إظهار النساك والرهبان على الفجار.

٢- الفوز في الدنيا بعد إهلاك الدجالين.

٣- رفع ثقل الأرض من المعاصي.

٤- تقديم أسوة حسنة للسائرين.

**وأفتار له أربعة أقسام:**

**١- «بُورَنْ أفتار».**

يعنون به النزول الكامل، ومن شرطه أن تكون قوة الرسل غير متناهية تُساوي قوة برهما، مثل أفتار «راما» وأفتار «كرشنا» لأن أصلهما من الإله نزلا بصورة البشر لإعدام وتدمير الطغاة والعصاة.

---

(١) الكيتا أشلوك ٧.

لقد سبق أن بينت قصة «راما» عند تعريف كتاب «رامايان» وإليكم الآن قصة كرشنا الّتي ترويها الكتب الهندوسية.

يقولون: قبل آلاف السنين كان يحكم منطقة «متزا»[1] ملك ظالم اسمه «كنسا» (KANSA) وكانت له أخت اسمها «ديوكي» فتزوجها رجل يقال له «فاسوديفا» وقد أخبر المنجمون «كنسا» بأن ابن أخته الثامن يقتله ويحتل ملكه، فسجن «كنسا» أخته وزوجَها.

وقد ولد في السجن ستة من أولادها فقتلهم كنسا ونجا السابع بحيلة، فلما ولد الثامن وهو «كرشنا» فكر أبوه في حيلة حرصاً على حياته لأنه هوالذي سينجيه حسب ما أخبره المنجمون، فخرج من السجن ليلاً، ومن معجزة «كرشنا» بقي الباب مفتوحا ونام الحراس، فذهب به أبوه إلى ما وراء نهر «جمنا» (JAMUNA) في مدينة «كوكل» وكان له هناك صديق اسمه «ننـدا» وقد ولدت له في تلك الليلة بنت فغير ابنه ببنته، وجاء بها إلى السجن.

وفي الصباح الباكر أخبر «كنسا» بولادة بنت فغضب على المنجمين ولامهم، لأنهم أخبروه بولادة ولد يقتله، وأخذ البنت المولودة ورمى بها على الأرض، فخرج منها صوت يقول: «إن قاتلك حي لا يموت».

وبقي «كرشنا» عند «ننـدا» يلعب بالفتيات ويرعى البقرة ويشرب من ألبانها.

هذا هو «كرشنا» أفتار «برهما» الّذي قَتَل فيما بعد «كَنْسَا» الظالم ونَجّى أهلَ الأرض من ظلمه.

---

(١) «متزا» (MATHURA) وهي إحدى المدن المقدسة لدى الهندوس.

٢- «أنْشَانْ أفْتار» .

أي الَّذي يرسل لغرض خاص وهو دون الأول مثل أفتار «نرسنغ» (NARSING) الَّذي جاء لقتل «هـَارَنْ كَشَبَ» فقط لساعات معدودة.

والأسطورة الَّتي يذكرونها في قصة أفتار «نرسنغ» هي ما يلي:

لقد كان «هَارَنْ كَشَبَ» ملكاً على «ديتون»، وولد له طفل اسمه «بَرَهْلاَدَ» (PRAHLAD) وهذا الطفل كان عابداً لفشنو، فغضب أبوه «هَارَنْ كَشَبَ» الَّذي كان ينكر الألوهية ويدعيها لنفسه، وأراد أن يقتل ابنه بحيل كثيرة، منها: أنه رماه في البحر، ووضعه تحت أقدام الأفيال، وفي الأخير ألقاه في النار، ولكن الإله «فشنو» حفظه في جميع هذه المحن، حتى خرج سالماً منها. فازداد إيماناً «بفشنو»، وصار يمجده ويثني عليه في الغداة والعشي ولما عجز أبوه عن إرجاعه عن عقيدته سأله غاضباً هل إلهك فشنو موجود في هذه الأسطوانة؟ فأجاب «برهلاد» بنعم، فركل «هارن كشب» الأسطوانة برجله، فانشقت شقين وخرج منها «فشنو» بصورة أفتار «نرسنغ» يعني كان جسمه مثل الإنسان ورأسه كالأسد، لأن كلمة «نر» معناها الإنسان، وكلمة «سنغ» معناها الأسد، فأمسك «هارن كشب» ووضعه فوق ركبته وشق بطنه بأظافيره حتى مات.

هكذا انتهت قصة هذا الظالم، وفي نهاية القصة طلب «نرسنغ» من «برهلاد» أن يسأله ما يشاء، فسأله أن ينقيه من الرغائب والشهوات ويغفر لأبيه فأجاب له، ثم تَوَارى «نرسنغ» عن الأنظار بعد إكمال مهمته.

هذه الأسطورة يعتبرها الهنادك من القصص المثيرة للعواطـف البشـرية، لأن الابن كان بارا لأبيه. كما أن فيها الصراع بين الخير والشر الّذي هو مدار الفلسفة الهندوسية، وبعد مرور الزمن اتخذ الهنادك هذا الرجل العـابد لفشنو إلها كعادتهم في اتخاذ الآلهـة مـن القـوى الطبيعيـة والبشـرية فبـدأوا يعبدونه من دون الله.

هذه القصة مذكورة في الباب السابع من كتاب «بهكوت كيتا».

**٣- «كَلاَ أفْتار»**.

الّذي يكون أدنى من «أنْشَان أفْتَار» مثل أفْتَار «مَنُو كَشِيْبُ».

وقصة هذا الرجل في شريعة «منو» وغيره أن برهما أراد أن يخلق خلقـاً من نفسه على أن يكون همزة وصل بين برهما ومخلوقاته، فأبى هذا الابن إلا أن يشغل نفسه بالعبادة، وهكذا خلق برهما أربعة أبنـاء رفضـوا كلـهم أن يكونوا سببا لخلق البشرية، وكان الخامس اسمه «سنك».

وهذا الخامس بقى دائماً ابن خمس سنوات، وتستمر حياتـه إلى الأبـد ثم خلق ابنا سادساً اسمه «مَنُوكَشِيْبَ» ومنه بدأ الخلق.

**٤- «أذْهَيا كَاري أفْتَار» (ADHYAKARI AVATAR).**

الّذي يعطي قوة كقوة برهمـا ثـم تـزول عنـه كمـا كـان شـأن «ويـد وياس» عند تأليفه «الفيدات» و «البران» ثم سلبت منـه هـذه القـوة وقضـى بقية حياته كالبشر.

وقد بلغ عدد الأفتارات عند الهنادك أربعة وعشـرين. والمشـهور منـها ما ذكرته.

وقد اتجه بعض المحققين الهنادك المُحدثِين في مسألة الأفتار اتجاهاً آخر أشبه بالرسالة والنبوة بعد ماعرفوا استحالة نزول الرب إلى الأرض بصورة البشر، وبدأ هؤلاء يدرسون «الفيدات» و «البران» والكتب الهندوسية الأخرى بنظرية جديدة.

وإليكم مقتطفات من عالم كبير «ستيا بركاش» (SATYA PARAKASH) الّذي كتب عدة مقالات في جريدة «كانتي» الإسلامية الصادرة من دلهي حول عقيدة الرسالة في الكتب الهندوسية.

يقول: لقد جاء في الباب الثاني عشر من «ريج فيدا» ما نصه:

**«أكنن دوتن ورى ما هي»**

ترجمته: نحن ننتخب «أكني» رسولاً.

أكنى – اسم الرسول.

دُوتَنْ – الرسول.

وَري – ننتخب صيغة المتكلم، والجمع للتعظيم.

ولكن يفسر العلماء السابقون هذا النص بأن كلمة «دوتن» معناها الإله، و «أكنى» هو إله النار.

إلا أن هناك نصا آخر في نفس الفيدا يرد هذا التفسير وهو: «منو شياسوا كنمن».

**ترجمته:** إنما أكنى بشر.

بمثل هذه النصوص يستدل بها هذا العالم بأن عقيدة الأفتار محرفة في الهندوسية، والعقيدة الصحيحة هي الرسالة والنبوة كما في الأديان السماوية.

### ٣- عقيدة التناسخ أو جولان الروح:

يقال لها بالهندية: «أواكمن» (AWAGAMAN) أو «بنرجنم» (PUNAR JANM) ويطلق بعض الباحثين على هذه العقيدة (تكرار المولد).

والتناسخ: هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى جسم آخر حسب الأعمال، فروح الإنسان تنتقل من جسمه إلى جسم الحيوان والحشرات، وبالعكس فمن تعاليم «البران» أن الإنسان إذا أخطأ هدف حياته وهو العبودية لله، فإن روحه تختار أربعة وسبعين مائة ألف جسم من أجسام المواشي والطيور والحشرات ثم تنتقل إلى جسم الإنسان.

يقول أحد العلماء: سبب التناسخ أو تكرار المولد هو:

**أولا**: أن الروح إذا خرجت من الجسم فلا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

**ثانياً**: أنها إذا خرجت من الجسم، وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين، فلابد من أدائها، فلا مناص إذا من أن تستوفى شهواتها في حياة أخرى، وتتذوق الروح ثمر أعمالها الّتي قامت بها في حياتها السابقة[١].

وهذه العقيدة تبنى على اعتقاد الهندوس بأن الرب والروح ومادة الخلق أزلية فالروح لا تفني فناء كاملاً فإنها إذا خرجت من جسم، حلت جسما آخر، وهكذا تنتقل من جسم إلى جسم حتى تقوم القيامة.

---

(١) ثقافة الهند ووجهاتها الروحية ص٤٣، نقلا من الدكتور أحمد شلبي ص٦٣.

**مسألة القيامة:**

أعمار الدنيا منقسمة إلى أربعة أدوار:

١- **ست يوج**. عهد الصدق والوفاء.

٢- **ترتيا يوج**. عهد العلم والمعرفة.

٣- **دوابر يوج**. عهد الفوضى.

٤- **كل يوج**. عهد الظُلمة والجهالة.

وكل دور من هذه الأدوار له خصائصه ومميزاته:

**ست يوج**: يولد في هذا الدور من يحب الدِّين فقط.

**ترتيا يوج**: يولد في هذا الدور من يجمع في حبه بين الدِّين والدنيا.

**دوابر يوج**: يولد في هذا الدور من يجمع في حبه الشهوات والرغبات مع الدِّين والدنيا.

**كل يوج**: يولد في هذا الدور من يجري وراء الشهوات والرغبات فقط.

وكل دور من هذه الأدوار يستغرق ملايين من السنين:

**ست يوج**: ٤٨٠٠ سنة إلهية.

**ترتيا يوج**: ٣٦٠٠ سنة إلهية.

**دوابر يوج**: ٢٤٠٠ سنة إلهية.

**كَلْ يوج**: ١٢٠٠ سنة إلهية.

والسنة الإلهية الواحدة تساوي ٣٦٠ سنة إنسانية.

فبعد مضي جميع هذه الأدوار تعيد الدنيا عملها مرة أخرى من «ست يوج» إلى «كَلْ يوج» ملايين المرات ثم تقوم القيامة، وتنجو الروح من

تنقلها وتتصل بالروح العليا، ثم تعيد الدنيا هذه العملية مرة أخرى وثانية وثالثة إلى ما لا نهاية له وهكذا»[1].

والسبب في ذلك كما يقولون: إن الروح لها ثلاث خصائص:

**١- سَتُوكُن:**

ومن علامته أن تكون الروح راغبة في العلم والمعرفة.

**٢- تُمُوكُن:**

ومن علامته أن تكون الروح بعيدة عن العلم والمعرفة، ويتسلط عليها الغباوة والجهل.

**٣- رَجُوكُن:**

ومن علامته أن تكون الروح راغبة في الخير في وقت، ونافرة منه في وقت آخر.

هذه الخصائص هي الّتي تسبب إعادة الروح مرة بعد أخرى لحصول النجاة من أرذل صفاتها لتصل إلى أعلاها، فالروح الناجية هي الّتي تهدف إلى وجودها في «ستوكن» وإلا فتنتقل من جسم إلى جسم حتى تجد مرادها.

وبناء على هذا الأصل وهو أزلية الروح أقام علماء الهنادك الأدلة العقلية على إثبات التناسخ، ولا بأس أن أناقش هنا بعضا منها.

**الدليل الأول:** إن طبيعة الكون تثبت نظرية التناسخ، فالشمس والقمر والكواكب كل منها يطلع ويغرب، يظهر ويختفى، وتكون الكواكب مرة في هذا البرج، ومرة في ذلك، فكذلك الأرواح يجب أن تنتقل.

(١) انظر بعض التفاصيل في ستيارتها بركاش، الباب الثامن، خلق الكائنات.

**الجواب**: لم تكن الشمس يوما من الأيام قمراً، ولا القمر شمساً، ولا الكواكب بحرا، بل كل في فلك يسبحون بأمر الخالق، بخلاف أرواحكم أيها الهندوس فهي مرة تكون في جسم الإنسان، ومرة في جسم الكلب، ومرة في جسم الخنزير وهكذا، فقارنوا بين طبيعة الكون وطبيعة الأرواح.

**الدليل الثاني**: إن القول بعدم التناسخ يستلزم أن يولد كل طفل على صفة واحدة، فلماذا يولد هذا أعمى، وذاك أعرج، والثالث أكمه، والرابع سليما... وهلم جرا وإلا فيجب أن نقول: بأن الخالق غير منصف، إذ ابتلى هذا الطفلَ بغير ذنب وهذا لا يجوز في حق الخالق.

**الجواب**: إذا كان سبب الاختلاف في المولد هو التناسخ فلماذا يكون الرجل صحيح الجسم والبنية عند الشباب، وعند الكهولة ضعيفاً، وعند الشيخوخة مشلول اليدين، وأعمى العينين، وهل خرجت روحه من جسمه وحلت فيه روح أخرى وهو حي يرزق، وأنتم لا تقولون بتنقل الروح إلا بعد الموت. وأما الاختلاف في صفات المولود فهو راجع إلى الوراثة وأنتم تقرون بذلك.

**الدليل الثالث**: يقولون: إن القول بعدم التناسخ يؤدي إلى تعطيل الأرواح مع أنها أزلية.

**الجواب**: هذا الدليل مبني على اعتقادهم الفاسد وهو: أزلية الروح والمادة لأنه يؤدي إلى احتياج الخالق إلى الروح والمادة عند الخلق. وهو غني عن كل شيء، وقادر مطلق حتى في اعتقاد الهندوس: «سروشكتي

مان» أي القادر المطلق.

ويرد على هذا الدليل القرآن الكريم بقوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[(١)].

**الدليل الرابع:** يقولون: إن الذين ينكرون التناسخ ويثبتون الثواب والعقاب الدائمين في الجنة والنار مقابل عمل محدود قليل، فإنه يؤدي إلى عدم الإنصاف من اللّٰه، فلزم الإيمان بالتناسخ «لينفوا عنه» الظلم.

**الجواب:** إن العذاب والثواب لا يقاسان بالزمان والمكان فقط بل العامل الأساسي في ذلك هو التأثير سواء كان جميلاً أم قبيحاً، كما نراه في حياتنا الدنيوية، فكم من خدمات عظيمة يقدمها الإنسان بدون أجر أو تشجيع بينما عمل ضئيل له تأثير كبير على المجتمع البشري فيجازى العامل بأعظم أجر.

ومن ناحية أخرى نقول: الذين يؤمنون بالتناسخ ويقولون: إن الروح الناجية هي الّتي تتحد بالروح العليا، وتنعم إلى الأبد، ولا ترجع مرة أخرى إلى العالم الأرضي. أليس هذا من الثواب الدائم مقابل عمل محدود؟.

هذه هي عقيدة التناسخ لدى جماهير الهندوس والبوذيين.

وقد تسربت هذا العقيدة إلى بعض الفرق المنشقة عن الإسلام.

يقول أبو محمد بن حزم: افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين،

---

(١) سورة الإسراء (٨٥).

فذهبت الفرقة الأولى إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر، وإن لم تكن من نوع الأجساد الّتي فارقت.

وهذا قول أحمد بن حابط، وأحمد بن ناموس تلميذه، وأبي مسلم الخراساني، ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب، صرح بذلك في كتابه الموسوم: بالعلم الإلهي وهو قول القرامطة. وقال الرازي في بعض كتبه: لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح على الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان ألبتة.

وقال ابن حزم: وهذه كما ترى دعاوى وخرافات بلا دليل، وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب، قالوا: فالفاسق المسيء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الأقذار، والمسخرة المؤلمة الممتهنة بالذبح واختلفوا في الّذي كانت أفاعيله كلها شرا لاخير فيها فقال بعضهم: أرواح هذه الطبقة هي الشياطين.

وقال أحمد بن حابط: إنها تنتقل إلى جهنم فتعذب بالنار أبد الأبد، واختلفوا في الّذي كانت أفاعيله كلها خيرا لا شر فيها فقال بعضهم: أرواح هذه الطبقة هي الملائكة، وقال أحمد بن حابط: إنها لاشك تنتقل إلى الجنة فتنعم فيها أبد الأبد.

واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام أعني أحمد بن حابط وأحمد ابن ناموس بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى

خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[1]،
وبقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجًا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ ﴾[2].

وقال: واحتج من هذه الطائفة من لا يقول بالإسلام: بأن النفس لا تتناهي، والعالم لا ينتهي لأمد فالنفس منتقلة أبدا، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها، انتهى[3].

وهذه الأدلة الَّتي ذكرها أصحاب هذه الفرق لا تحتاج إلى الرد لأنها:

**أولاً**: مخالفة للإجماع.

**وثانياً**: إنها محاكاة للهندوس والبراهمة. والإسلامُ بريء من خرافاتهم وأباطيلهم.

ومع انتشار هذه العقيدة بين جماهير الهندوس فإنها لم تكن موضع اتفاق في البداية، كما بدأ الخلاف في صفوفهم من جديد لاستحالة قبول العقل مثل هذه الخرافات والتُّرَّهات.

ففي كتاب «برلوك أور بنرجنم» يعني «**الآخرة ومسألة التناسخ**» قصة يستدل بها المؤلف «كوبندكا جي» على مسألة التناسخ ولكن في القصة نفسها إشارة واضحة بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف شديد بين الملائكة والمقربين.

---

(١) سورة الانفطار: ٦-٨.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٩٠-٩١.

تقول القصة: كان «واج شروش» (WAJ SHARWASH) يتصدق بالأبقار غيرالصالحة لدر الألبان. ويرجو أن يثاب على ذلك فاعترض عليه ابنه «ناجي كيتا» (NACHI KEETA) فغضب الأب وبعثه في عالم الأموات فرحَّب به ملك الموت وسُر بمجيء هذا الابن الذكي وقال له: اسأل ما تشاء، فقال الابن: إن الناس يختلفون في الأرض فيما يحدث للإنسان بعد الموت؟ يقول بعضهم: إن روح الأموات تبقى بعد الموت، والبعض ينكرون ذلك، فما هي حقيقة هذا القول؟ قال ملك الموت: أيها الطفل الذكي: إن هذه المسألة من أصعب المسائل فهما وإدراكا حتى الملائكة والمقربين يقعون في حيرة شديدة من معرفة مصير الأرواح. فاسأل سؤالا آخر، إلا أن الابن أَلَحَّ على ذلك فأجابه ملك الموت...

هذه القصة تدل صراحة بأن مسألة التناسخ لم تكن موضع اتفاق لدى فلاسفة الهندوس في بداية الأمر وإلا لما تهرب ملك الموت من الإجابة عنها في أول الأمر، و لم يقل للابن إن الملائكة والمقربين لا يستطيعون فهم هذه المسألة.

كما أن بعض علماء الهندوس المُحَدَثِين الذين ينكرون هذه العقيدة استخرجوا بعض النصوص من الفيدات للدلالة على البعث والنشور لا على عقيدة التناسخ.

ففي «ريج فيدا»: اجتهدوا في حصول الشمس حتى تعرفوا قدر النار، إن رسلنا «بهرت» و «بكو» و «مات رشو» كلهم يؤمنون بالحياتين[١].

---

(١) ريج فيدا ١/١١/٦٠/١٠.

(أي الحياة الدنيا والآخرة).

وفيه أيضاً: إذا أذِنْتُ لكم في تناول الطعام الأبدي فيا «أكنى» كن من الذين يجتهدون في حصول الحياة الأبدية السرمدية[١].

هذه عقيدة «الفيدا» في جولان الروح خلافا لما ذهب إليه العالم الهندوسي «ديانند»[٢] مؤسس «آريا سماج»، وقلده جماهير الهندوس. وأما الذين أنكروا على «ديانند» وأتباعه فكثيرون منهم عالم كبير «راهول سنسكرتايان» الّذي يعد من أشهر المؤلفين المحدثين في الهند يقول: إن الذين قالوا بقول التناسخ كانوا في زمان (أبا نشاد) ولعلهم ما عرفوا أن هذه المسألة ستكون موضع شك وارتياب فيما بعد، ولا يقبلها العقل السليم».

وتقول الدكتورة/ فريدة جوهان: نعم «الفيدا» يثبت التناسخ، ولكن مرة واحدة فقط لا آلاف المرات[٣] تعنى بذلك البعث بعد الموت.

ويقول «ستيا بركاش»: أنا أتحدى من يقول بالتناسخ فإن هذه العقيدة لا توجد في الفيدا[٤].

ويقول «دركا شنكر» العالم الهندوسي الّذي عرفته من مقالاته في مجلة «كانتي» الإسلامية الّتي تصدر من دلهي. وقد حاول هذا العالم الهندوسي

(١) ريج فيدا ١/٩/٤٤/٥.

(٢) المولود سنة ١٨٢٤م، والمتوفى سنة ١٨٨٣م.

(٣) التناسخ والفيدا ص٩٣.

(٤) أواكمن ص١٠٤.

إثبات تعاليم القرآن الكريم في الفيدات لتقليل المنافرة بين الهندوس والمسلمين، وقد نجح في بعض هذه المحاولات. فكم من شباب هندوسي بدأوا يطالعون القرآن. يقول هذا العالم: إن من الأسئلة الغربية الّتي وجهت إليّ هل في الفيدات مسألة اليوم الآخر؟ يقول: هذا السؤال كمن يسأل: هل في الجسم روح؟، فإن الفيدات مملوءة بمسائل اليوم الآخر.

هذه هي عقيدة التناسخ لدى جماهير الهندوس. ولا أدري ماذا يكون موقفهم بعد هذا؟

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

## ٤- عقيدة الكَارْمَا:

لفظ «كارما» معناها العمل في اللغة الهندية.

وفي الاصطلاح: هو قانون الجزاء الّذي يقرر إن كان الإنسان صالحا في واحدة من دورات حياته الحلولية فإنه سيلقى جزاء ذلك في الدورة الثانية، وإذا كان طالحا فإنه سيلقى جزاءه في الدورة الثانية أيضاً.

جاء في كتاب «اليوجا فاسشتا» ما يلي:

«ليس في الكون مكان -لا الجبال، ولا السماوات، ولاالبحار، ولا الجنات، يفر إليه المرءُ من جزاء أعماله، حسنة كانت أو سيئة».

**والكارما:** هو أساس التناسخ فإن الظالم قد ينتهي دون أن يذوق عقاب ظلمه، فلجأ الهندوس إلى إيجاد عقيدة التناسخ حتى لا يفر المرء من

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

الكارما. وإنه يحدد الحياة الثانية.

**والكارما** لها ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: **بَرارَمْبا كارما**.

الحالة الثانية: **سَانْجيتَ كارما**.

الحالة الثالثة: **كِيرامَان كارما**.

فالحالة الأولى: أنها تُسَيِّر الحياة الحاضرة، وتحتم أنه لا محالة أن يجازى الإنسان على أعماله.

والحالة الثانية: إن نتائج كارما كانت موجودة من قبل، ولكن يمكن دفعها بالعلم.

والحالة الثالثة: أنها تُؤَثِّر في الحال، وتظهر نتائجه في المستقبل.

ومع ذلك فإن بعض علماء الهندوس يعتقدون بأن الكارما قد لا تؤدى دورها المعهود، وإن الأعمال قد تنتهي بدون أثر يذكر.

فلجأ هؤلاء إلى إيجاد أنواع من العبادات والطقوس الدينية، وادعوا أنها وسيلة وحيدة للنجاة من جولان الروح.

**٥- عقيدة النِرفَانَا:**

إن نزعة التشاؤم في الحياة غلبت على الفلسفات الهندية فاحتاج علماؤهم إلى عقيدة «النرفانا» للتخلص من هذا التشاؤم. ومعنى «نرفانا» النجاة. وهي حالة الروح الّتي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد فيحصل له النرفانا (النجاة) من الجولان وتتحد الروح بالخالق.

يقول «كرشنا»:

«من يعرف طبيعة ظهوري وأعمالي التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي»[١].

وهنا نشأ القول بوحدة الوجود في الديانات الهندية، وأثرت هذه العقيدة على أفكار الصوفية في الهند أولاً، ثم انتقلت إلى البلاد المجاورة لها مثل تركستان، ومن هنا انتشرت في البلاد الأخرى، ومن هذا المعين يقول ابن عربي:

فما نظرت عيني إلى غير وجهه ✸ وما سمعت أذني خلاف كلامه

فإن الهدف الأسمى للحياة عند الهندوس هو التحرر من رق الأهواء والشهوات، فإن الروح إذا خرجت من جسم تنتقل إلى جسم آخر وهكذا تظل متنقلة من جسم إلى جسم حتى يحصل لها «النرفانا» وهو العودة إلى أصلها الّذي صدرت عنه، والاتحاد والاتصال به وهو «برهما». وفي تعبير المتصوفين «الفناء».

يقول «ديانند»: «إن الروح بعد أن حصلت على النرفانا وبقيت تنعم في الذات العليا تعود ثانية إلى التجسد (الكارما) وتعيد عملها من جديد، لأنها أزلية لا تفنى».

ومما لا شك فيه أن التصوف تأثر كثيراً بالعقائد الهندية. ففكرة الاتحاد أو وحدة الوجود عند الحلاج وابن عربي وغيرهما من المتصوفين مصدرها «الفيدانت» حيث ترجم في عهد المأمون في دار الحكمة، وبقي ابن عربي

---

(١) الكيتا: أشلوك ٩.

مدة من الزمن في الشرق بعد أن خرج من موطنه بلاد الأندلس، وكان يتلقى مبادئ التصوف من مشايخ الشرق وألف كتابه «الفتوحات المكية» بمكة المكرمة، وهو شبيه بتعليمات التصوف الهندي. وكان يدعي أن الحقيقة المحمدية هي شكل آخر لوحدة الوجود.

أليس قول ابن عربي: الاعتقاد بصحة كل عقيدة حتى ولو كانت عبادة الحجر والشجر. شبيه بفكرة «الفيدانت» القائلة: وفي النهاية كل هذه الأفكار توصل إلى ذات الله».

وقد أكّد بعض المستشرقين أن الطريقة الأكبرية (وهي المنسوبة إلى ابن عربي الّذي لُقّب بالشيخ الأكبر) في الأصل تأسست في الهند على يد صاحبها محيي الدِّين ابن عربي في القرن السادس الهجري، وانتشرت بين مسلمي الهند[1].

ولا يبعد أن يكون ابن عربي أيضاً ممن خرج إلى الهند لتلقي مبادئ الفلسفة الهندية مثل شيخه في وحدة الوجود الحلاج، إلا أن هذه الدعوى تحتاج إلى إثبات.

وقد أكّد «جولد تسيهر» وجود علاقة قوية بين العقائد الهندية وبين الآراء الصوفية الإسلامية.

يقول: «فالأشكال الكثيرة للرياضات الدينية المتعلقة بالذِّكْرِ في الجماعات الصوفية وكذا الوسائط الّتي تستخدم للوصول إلى الانجذاب

---

(١) انظر مقال الطريقة الأكبرية ص٣٠٦، للدكتور أبو الوفاء التفتازاني. الكتاب التذكاري في الذكرى المئوية الثامنة لميلاد ابن عربي.

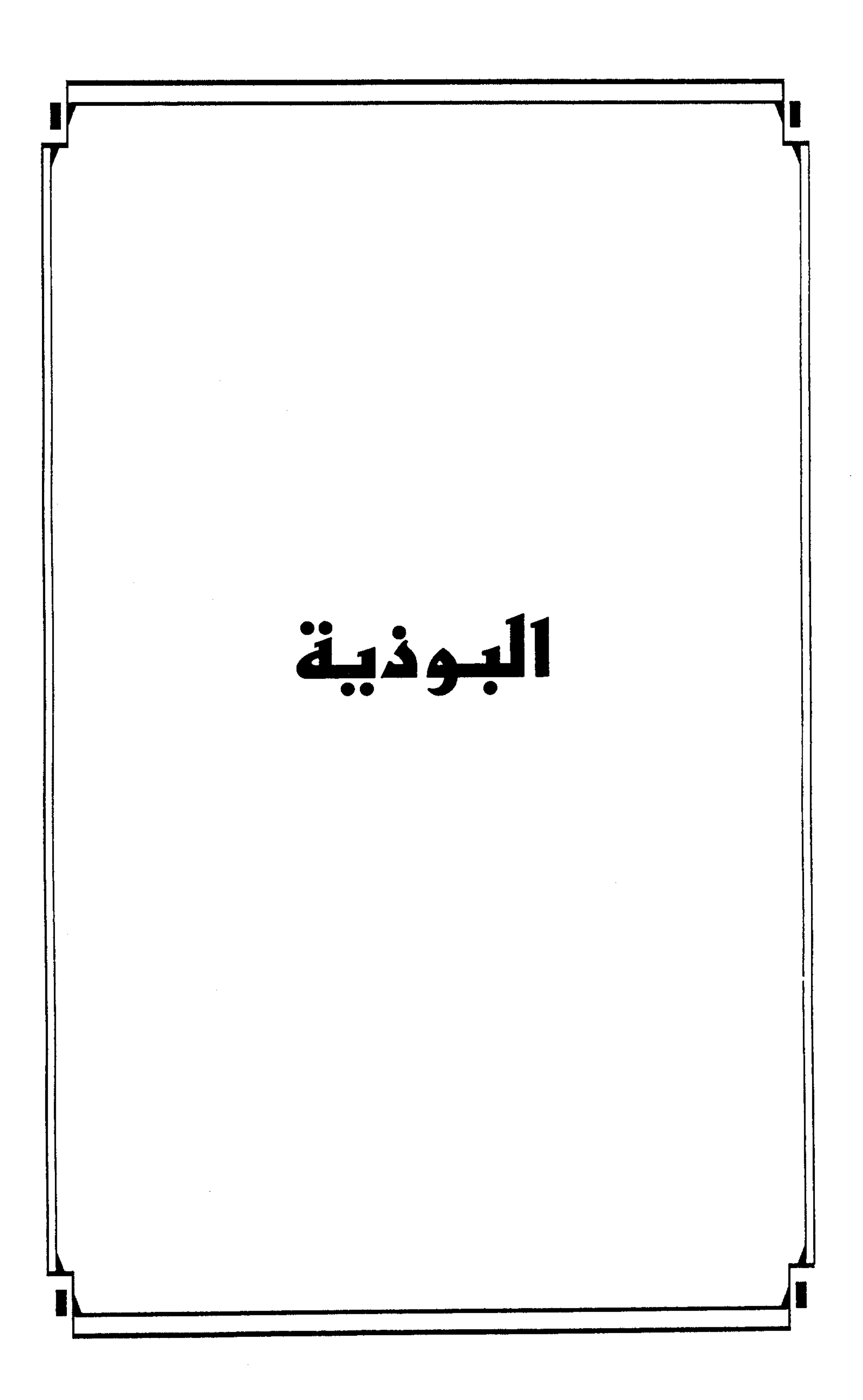
والنشوة -نظام التنفس- أرجعها «كريمـر» إلى أصولها الهندية الَّتي أثبتت صدورها عنها»[١].

ومن ثمرات «النرفانا» فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي «برم آتما» ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصاً من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي. والنار هي إحدى مظاهر الألوهية «أكني» وهي بدورها تقرب إلى «برميشور» الذات العليا.

والخلاصة: أن «النرفانا» هي أعلى درجات وأسمى غايات لكل هندوسي وبوذي، ولا يصل أحد إلى هذه المرتبة إلا بعد أن يقضي على جميع شهواته الحيوانية، ورغباته المادية والجسدية، ويكون في النهاية في مرتبة: «لا شيء أريده» (WANTLESSNESS).

---

(١) انظر العقيدة والشريعة في الإسلام ص١٦١-١٦٤.



# البوذية


http://kotob.has.it

# تاريخ موجز عن نشأة البوذية

إن البوذية حركة فاشلة لا تكفل حاجات البشر، لأنها تعيش في الخيالات والأوهام، ولا تواجه مشاكل الحياة وصعابها، وهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والآلام. وكان مؤسسها قد أحيط بالقصص الغرامية والأساطير الخرافية التي لا يؤيدها العقل والمنطق.

يقال: إنه ولد في مدينة لُمْبِني[١] قريب من «كَبِلْ وَاسْتُو» في جنوب نيبال وكان أبوه «شدودان»[٢] ملك شاكيا، والتاريخ يبين لنا أن ملك شاكيا في عصره هو «بديا» و«دندباني» فوقع المؤرخون في حيرة شديدة لهذا التناقض وحاول كثير منهم دفع هذا التعارض بتأويلات بعيدة عن الواقع منها أن الحكومة كانت جمهورية، ونواب البرلمان كانوا يسمون ملوكا.

هكذا حاول مصنف كتاب «بوذا دَرْشَنْ»[٣] ولكن من الصعب قبول هذا التأويل فإن الهند لاتعرف هذا النظام الجمهوري في العصور القديمة.

(١) وهي في شرق محطة قطار «نوتنوا» بقرب ثمانية أميال.

(٢) يقول غستاف لوبون: «بوذا كعيسى ولد من أم عذراء» (حضارة الهند ٣٤٤) وهذا كذب محض فإن المؤرخين الهنود من الهندوس والبوذيين متفقون على أن بوذا ولد ولادة طبيعية من أم وأب، ومن غستاف لوبون أخذ بعض مؤرخي العرب في أديان الهند.

(٣) ص (١٩) وهو «راهول سنسكراتايان» من أشهر المؤلفين في البوذية.

وهناك اختلاف شديد بين المؤرخين حول بوذا[1] ووجوده التاريخي لأن تعليماته لم تدون إلا بعد أن مضى عليها ثلاثة قرون في زمن الملك «أشوكا»[2] الّذي تولى العرش سنة ٢٧٣ ق.م. وهو من ملوك الهند عاش قبل المسيح بقرنين ونصف قرن تقريباً وكان من الدعاة البوذيين وهو الذي أرسل المبلغين البوذيين إلى الصين واليابان والتبت وسيلان وبورما وغيرها من البلدان، وأمر بكتابة الحكم البوذية وتعاليمها على اللوحات الحجرية التي كانت تنقل في هذه القرون المظلمة مشافهة، فضاع منها شيء كثير في متاحف الزمان، والذي بقي غير موثوق به لعدم تحري الملك «أشوكا» هذه الحكم والتعاليم، وكانت هناك فكرة هندوسية سائدة في البلاد وهي (أن كل فكر صالح مصدره (الفيدانت)[3]» ومن عادة النساك والرهبان التأثر الانفعالي بحكم ونصائح بدون الوثوق بقائلها.

وهذه الفكرة جرتهم إلى الاعتقاد بأمور كثيرة لا برهان عليها من الدين والعقل. والرهبان البوذيون كانوا يتجولون في المدن والقرى مبلغين تعاليم بوذا.

(١) أصل كلمة بوذا «بدها» (BUDHA) ومعناها صاحب العلم والمعرفة واسمه الحقيقي «سدهارتا» (SIDHARTA) واختلفوا في تاريخ ولادته فكل قال بالظن والخرص بعد اتفاقهم بأنه كان قبل المسيح بخمسة قرون.

(٢) أقدم الوثائق الّتي تحتوي على تعاليم «بوذا» هي «البتاكات» باللغة البالية ومعناها القانون، أعدت هذه الوثائق للعرض على المجلس البوذي الّذي انعقد سنة ٢٤١ قبل الميلاد. وقد وافق المجلس على أن ما في هذه الوثائق هو تعاليم «بوذا» ترجم بعضه إلى العربية في كتاب بعنوان «إنجيل بوذا».

(٣) الكتاب المقدس عند الهندوس وقد مضى ذكره في الديانة الهندوسية.

ومن الأساطير التي أحيطت بمؤسسها: قيل إنه لما بلغ أشده خرج ذات يوم من قصره فرأى شيخاً هرماً، وخرج يوما ثانيا فرأى رجلاً مريضاً، وخرج يوما ثالثاً فرأى ميتاً على جنازة فسأل محافظه عن الهرم وسببه، وعن المرض وسببه، وعن الموت وسببه، ولما أخبره بأن كل مولود مصيره الهرم والمرض ثم الموت، كره بوذا هذه الدنيا والبقاء فيها، وخرج ليلاً من قصره يطلب النجاة من الهرم والمرض والموت إلى الصحاري والغابات.

هذه الحكاية ذكرها مصنف كتاب «بوذا درشن» ونسبها إلى بوذا نفسه[1] وينقل بالتواتر في الكتب البوذية.

ولا أدري كيف يَرْوي الناس مثل هذه الحكايات وينسبونها إلى معبودهم الأعظم الذي يبلغ من عمره ثلاثين سنة وهو لا يعرف معنى الهرم والمرض والموت حتى يسأل محافظه ثم يترك الدنيا باحثاً عن النجاة منها.

وأين له ذلك؟ فهل في قدرة البشر أن يخرق القوانين الطبيعية؟.

هكذا يحاول بوذا عبثاً أن يخلص نفسه من الهرم والمرض والموت فبقي يتحمل المشاق في السفر والحضر، ويعذب جسمه بالحر والبرد، ويحرمه من الشراب والطعام ست سنوات مع الرهبان والنساك، يتنقل من غابة إلى غابة حتى يئس من مطلبه، واضمحل جسمه من كثرة التعذيب، فنوى

---

(١) فإنه خاطب الرهبان وقال لهم: كنتم تعلمون فيما كنت فيه من جلال عيش ورفاهية بالغة – قلت لنفسي: «إن رجلاً جاهلا من سواد الناس ستنال منه الكهولة كما نالت من ذلك الشيخ، وليس هو ببعيد عن نطاق الشيخوخة... ثم قال: فبدأت أبحث عن السكينة العليا، سكينة النرفانا.

رجوعه إلى ملكه ليبدأ من جديد حياة رغدة.

يقال: إنه كان على هذه الحالة من القنوط واليأس لما فات حتى تنورت له الدنيا كلها، وحصل له علم كل شيء، ادعى أنه علم إلهي، وكشفت له ظلمات البر والبحر، وظهرت له حقيقة الموت والحياة، فبدأ ينشط من جديد، وألزم نفسه أن يبقى راهباً، ويعيش راهباً، ويدعو الناس إلى دينه، ويموت على ذلك.

وكان من آخر دروسه:

«الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين يحصل له «النرفانا» ولما عرف «آنندا» تلميذه الوفي قرب موته بدأ يبكي فقال له بوذا:

«وإن كل من صار لنفسه -يا آنندا- مصباحا يهدي، وكل من صار لنفسه ملاذاً يُؤوي، سواء في حياتي أو بعد مماتي، فلن يلتمس لنفسه من غير نفسه مأوى. ويتمسك بالحق مصباحاً.. فلا يطلب من غير نفسه ملاذاً. أمثال هؤلاء هم الذين سيبلغون أعلى الذُرى! لكن ينبغي أن يكون بهم شغف بالمعرفة».

ثم قال له: «ولا تبك فكل موجود مصيره الفناء، وعليك أن تجاهد نفسك، وتحصل على «النرفانا» إذا انقلعت عن الذنوب والمعاصي، أنا لست أول بوذا ولا آخره، مادام تلاميذي يقومون بالواجب ينتشر هذا الدين. ولما يختفى نور الحق يأتي «بوذا» الآخر الّذي يجدد ديني ويكون اسمه «ماترا» لا يظن أحدكم أنه ليس له مرشد بعدي، فنظام الجماعة هو مرشده وأستاذه».

وكان آخر كلامه:

«كل موجود مصيره الهلاك والفناء فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على «النرفانا»، ثم فارق الحياة سنة ٤٨٣ق.م[1].

يلاحظ القارئ الكريم أن «بوذا» في آخر لحظة من حياته قبل موته لم يؤمن بالله سبحانه وتعالى، ولم يُوصِ أتباعه «البهكشو» بالإيمان به.

ولذا وصف بعض العلماء بأن «بوذا» كان مُلْحِداً ومات على ذلك. فالعجب لمن يجعله رسولا ونبيا لأهل الهند.

وكان بوذا يؤمن بـ «كارما» ويحارب الطقوس الهندوسية، إلا أن علماء البوذيين لم يستقروا على هذا، فسرعان ما رجعوا إلى الطقوس التي حاربها بوذا لأن الهندوسية لم تقبل البوذية.

**تعليمات بوذا**

إن بوذا لم يؤلف كتاباً، بل كان يلقي الخطب والمواعظ على تلاميذه كما أنهم أيضاً لم يهتموا بتدوين هذه المواعظ، بل هناك بعض النصوص في الكتب البوذية فيها التصريح بأن بوذا كان يمنع أتباعه من كتابة دروسه، وكانت هذه المواعظ تنقل شفويا، ولم يجزم علماء التاريخ بأي لغة تكلم بها بوذا.

ولذا بعد مضي عدة قرون على وجوده حصل التحريف والتبديل في كثير من تعاليمه إلا أن هناك بعض أمور يدعي البوذيون أنها متفق عليها

(١) وشوا دهرم درشن، ص١٥١-١٥٢، انظر أيضاً قصة الحضارة ٨٩/٣-٩٠.

لدى جميع الفرق البوذية وإن كان هناك خلاف كثير في التفسير والتعبير وهي التي تسمى بالحقائق المقدسة الأربعة عندهم.

### الحقيقة الأولى: وجود الحزن:

يقول بوذا: «الولادة حزن، والكهولة حزن، والمرض حزن، والموت حزن، وعدم الوصول إلى المحبوب حزن».

أقول: إن بوذا يريد أن يغمض عينيه عن الواقع، ويعيش عيشة النعومة في الرمال، فإذا كانت هذه الأمور أحزاناً فهل يستطيع البشر أن يبعدوا أنفسهم عنها، وهل ذلك في مقدورهم أم هي من القوانين الطبيعية، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١). والفكرة البوذية إنما تسعى إلى خرق الطبيعة. فبوذا أراد أن ينجي نفسه من الكهولة والمرض والموت ولكن أنى له ذلك؟.

### الحقيقة الثانية: في أسباب وجود الحزن:

يقول: هي الأمنية الكاذبة، والشهوات المهلكة الّتي تؤدي إلى الولادة من جديد.

### الحقيقة الثالثة: في القضاء على الآلام والأحزان:

يقول: هي إماتة الشهوات والرغبات، واجتناب عن الحاجات الزائدة والسعي في قطع العلاقات الدنيوية واختيار العزلة التامة.

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

أقول: هنا أيضاً يفر بوذا من مواجهة واقع الحياة تحت ستار إماتة الشهوات فبدلاً من أن يوجه هذه الشهوات إلى فعل الخير والسعادة، يميتها من أصلها، وبهذا السبب فإن كثيراً من رهبان بوذيين لما لم يستطيعوا الاجتناب الكلي للشهوات اختاروا الاختصاء بقطع أعضائهم، ولا أدري لو استمر هذا الوضع في الجنس البشري جميعاً كيف تبقى هذه الدنيا ومن عليها، فلا شك أن بوذا لم يكن يفهم معنى الشهوة وإلا لما أرشد إلى أمر غير فطري وخارج عن قدرة البشر، والتاريخ يشهد على الأعمال القبيحة التي تعمل في مراكز الرهبان البوذيين في ظلمات الليل، بل وفي وضح النهار تحت الأرض من الخانقاهات.

وهذا يدل صراحة على فشل فكرة بوذا في حصول النجاة عن طريق غير طبيعي لا يتفق مع نظام الكون وقوانين الطبيعة والفطرة الإنسانية.

**الحقيقة الرابعة: الأعمال التي تساعد على القضاء على الآلام والأحزان:**

يقول العلماء البوذيون: هي ثمانية أصول:

١ – الاعتقاد الصحيح: ويقصدون به الاعتقاد بالحقائق الأربعة المذكورة.

٢– النية الصالحة: ويقصدون بها نفي الذات والسعي في إفادة الخلق ثم يقولون:

هذا يحصل بثلاثة طرق:

أ – بترك الدنيا ولَذَّاتها.

ب – وبترك العداوة.

جـ– وبترك القتال.

٣– القول السديد: ويقصدون به ترك ما لا يعنيه، والاشتغال بما يفيده.

٤- الفعل الحسن: ويقصدون به التذكر بالأجسام المركبة من أجزاء نجسة.

٥- الكسب الصحيح: لا أدري من أين أدخل العلماء البوذيون هذا الأصل. والرهبان يعيشون على التسول ويحرم عليهم الاشتغال في حصول الرزق إلا أن يقال: إنهم يقصدون به القدر الكافي من القوت اليومي.

٦- السعي المشكور: ويقصدون به القيام بالأعمال النافعة.

٧- الذكرى الصالحة: ويقصدون بها ذكر بوذا وأحواله وسيرته.

٨- المراقبة الصحيحة: ويقصدون بها مراقبة بوذا وتذكره وإحضاره في القلب، وتركيز العينين على تمثاله.

وهذه هي الأعمال التي تساعدهم على القضاء على الآلام والأحزان.

وبناء على هذا رتبوا الأصول العشرة المعروفة عند الرهبان وهي:

تحريم قتل النفس، وتحريم السرقة، وتحريم الكذب، وتحريم شرب الخمر، وتحريم الأكل بعد الظهر، وتحريم الرقص والموسيقى، وتحريم التطييب، وتحريم الجلوس في الشارع والمكان المرتفع، وتحريم قبول الهدايا من الذهب والفضة.

هذه هي المحرمات العشرة المعروفة للرهبان البوذيين.

ومن تعليمات بوذا: إنه لايُقِرُّ بوجود الطبقات الموجودة في الهندوسية، بل سَوَّى بين الناس جميعاً. وإن التفريق العنصري الذي دعا إليه الهندوس ليس هو الأساس، بل الأساس في التفريق صلاحية الفرد وعدمه، وأعماله في الحياة الماضية ويضيف إلى هذا بأن النجاة قد تحصل لفرد من أدنى الطبقات إذا سلك طريق العشق والمحبة والمراقبة.

وهذا التعليم من بوذا من أعظم المرغبات للمنبوذين المضطهدين في الطبقات الهندوسية للدخول في البوذية.

**سبب الآلام والمصائب:**

يقول بوذا: «تبدأ الآلام والمصائب إذا أراد أحد أن يميز نفسه عن الآخرين، لأن كل شيء في الكون مربوط بوحدة لا انفكاك فيها، فإبراز شخصية ما يدعو إلى تغيير العالم، والإنسان يجهد نفسه إلا أنه غير قادر على تغيير الكون، فتفتح له أبواب المصائب». ويضيف بوذا فيقول: «والجاهل لا يعذر في هذا الكون المحكم».

وباختصار فإن من عقيدة بوذا أن الألم أرجح كفة من اللذة، فخير للإنسان ألا يولد، كما استنتج بعض العلماء من تعاليم بوذا أنه يُجِيز الانتحار، لأن البقاء سبب للآلام.

والبوذيون لايرغبون في التناسل ولذا يحرم على الرهبان أن يتزوجوا حتى لا يكونوا سببا للولادة. ولعل أبا العَلاء المعرّي تأثر بالبوذية؛ لذا أوصى أن يكتب على قبره بعد موته:

هذا ما جناه أبي عَلَيَّ ... وما جنيت على أحد

والبوذي لا يحصل على «النرفانا» إلا بعد اقتلاع شهواته الجسدية اقتلاعاً تاماً فيقولون: إن من مُكَوِّنات النرفانا: السيطرة الكاملة على النفس، والبحث عن الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركز، وعلو النفس[1].

---

(١) قارن بما في قصة الحضارة ٣/٨٥.

## الألوهية في البوذية

كان بوذا في أول الأمر يتحاشى الدخول في مباحث الألوهية خوفاً من أن يقع في المتناقضات، ويترك الناس حيارى، ولا أدري كيف يدعي بوذا أنه حصل له «النرفانا» والعلم الإلهي، وهو لا يعرف ربه، وخالقه، وإلهه، ويضاف إلى ذلك أنه يدعو الناس إلى دينه ليخرجهم من المصائب والآلام، ومن هنا تشكك الناس كثيراً في البوذية وكونها ديناً. فإن معرفة الرب والخالق أساس الأديان والملل في العالم.

فقال جمع من المحققين: إن البوذية ليست بدين، بل هي حركة عكسية قامت تعاند الأفكار الهندوسية، بما طرأ عليها من الخرافات والبدع. وخاصة لمحاربة الطبقات المعروفة في الهندوسية، فأراد بوذا أن يجذب هؤلاء المنبوذين إلى جماعته.

وفعلاً لقد انتشرت البوذية في الطبقات المضطهدة في الهند أكثر من غيرها. ولكن السؤال هو: هل حصل لهؤلاء الضعفاء والمساكين ما أرادوا؟ ألا وهو معرفة الرب وذكره لاطمئنان القلوب. لا شك أن الجواب يكون بالنفي. فإن هؤلاء وإن ترفعوا قليلاً في المجتمع الهندي إلا أنهم لم ينور لهم طريق الحق والهدى.

وهنا يستطيع الإسلام أن يملأ هذا الفراغ الروحاني بتعاليمه السامية التي شملت الحياتين الدنيا والآخرة. فالإسلام لا يُقِرُّ بالطبقات (أقصد بها الطبقات الهندوسية الأربعة المعروفة) ولا ينظر إلى الأجناس، فكل

بني آدم من تراب وخير الناس أتقاهم لله عز وجل.

وأعود إلى موضوعي حول المباحث الألوهية في البوذية فأقول:

إن المسألة لا يزال فيها نزاع شديد بين المحققين. وهم تحزبوا إلى فرقتين؛ كل منهما بأدلة لا قيمة لها في ميزان النقد. ومع هذا فأثبت أدلة الفرقتين لتوضيح المسألة.

**أدلة المنكرين:**

قالوا: إن بوذا لا يؤمن بالإله الخالق. وكان يمنع أتباعه من الخوض في ذلك.

يُنقل عن بوذا: «إن راهبين من الهندوس جاءا إلى بوذا وهما يريدان الحلول «ببرهما» فوقع بينهما خصومة شديدة في تعيين الطريق فتحاكما إلى بوذا».

فقال بوذا: هل تعرفان مسكن برهما؟

قالا: لا.

قال بوذا: هل رأيتما برهما؟

قالا: لا.

قال بوذا: هل تعرفان طبيعة برهما؟

قالا: لا.

قال بوذا: هل ترضيان أن تتحدا بالشمس؟

قالا: لا. لأنها بعيدة عنا وهي محرقة.

قال بوذا: إذا لم يمكن لكما أن تتحدا بالشمس وهي مخلوقة فكيف بخالقها؟

ثم قال لهما: هل برهما حاسد ومتكبر؟

قالا: لا.

قال بوذا: وهل يوجد فيكم الحسد والكبر والبغض؟

قالا: نعم.

قال بوذا: إذاً كيف يمكن لكما أن تتحدا ببرهما وطبيعتكما تختلف عن طبيعته؟[1]

ومرة حصل الكلام بين بوذا وبين عالم هندوسي «واششتا» فقال بوذا: هل رأيت «برهما» بعينك؟ بل هل من أسلافك أحد رآه بعينه؟ فسكت العالم الهندوسي.

وقالوا أيضاً: لقد وقع الإجماع من العلماء المتقدمين على أن بوذا كان ينكر الألوهية وهؤلاء هم:

«تَانْ سِيْنَ» سنة ١٥٠ ق.م، و«نَاجَا أَرْجُن» سنة ١٧٥م، و«آسَنْكَ» سنة ٣٦٠ م، و«بَسُويَنْدَ» سنة ٤٠٠م، و«دَجْنَاج» سنة ٤٢٠م، و«شَانْتَ» سنة ٧٥٠م، و«شاكيا شري بدر» سنة ١٢٠٠م وغيرهم.

وقالوا أيضا: إن بوذا لم يذكر وجود الإله في الحقائق المقدسة، كما لم يُوصِ تلميذه البار «آنندا» بالإيمان بالله وإنما أوصى له أن يتخذ من نفسه ملاذا.

هذه بعض أدلة المنكرين فمن يريد الإيضاح أكثر من هذا فليرجع إلى كتاب «راهول» المسمى «بوذا درشن»[2].

---

(١) بُوذَا دَرْشَنْ ص١١٤.

(٢) ص ١، ٤١، ٥٣، ١٧١.

**أدلة المثبتين:**

إن بوذا كان يؤمن بالإله الأكبر، إلا أنه لم يهتم بهذا، لأنه كان أمراً معلوماً لدى المجتمع الهندي وأدلتهم على ذلك ما يلي:

**الدليل الأول:**

قالوا: العقل والنقل.

أما العقل فلا يتصور الدين بدون الإقرار بالرب لأنه أساس مشترك بين جميع الأديان، ولهذا يتحاشى المنكرون أن يسموا البوذية ديناً.

وأما النقل: فقد جاء لفظ (إيشور) معناه (إله) في كتاب «انكرنكاي»[1] وفي كتاب «منجم نكاي»[2] ويجيب المنكرون على هذا بأن مفهوم الإله بدون صفات هو فكر مجرد لا يفي بالغرض المنشود فإن بوذا لا يصفه بوصف يجعله موجوداً.

**الدليل الثاني:**

إن البوذيين لا يعتقدون اعتقاد البراهمة في ألوهية برهما (الخالق) بل يفضلون بوذا عليه.

وهذا التفضيل هو سلاح قوي بأيدي المنكرين للرد على بوذا وأتباعه الذين يؤلهون بوذا ويعبدونه من دون الله وهو مخلوق مثلهم.

ثم يقول المثبتون إن الشبهة حصلت لأسباب منها:

١- كان «سدهارتا» سابع سبعة كلهم يدعون بـ«بوذا» وهم:

---

(١) الباب ٤١.

(٢) الباب ١٠١، وهما من الكتب الأساسية لتعليمات بوذا.

«سكها بوذا» ، و«بسا بوذا» ، و«بسهاد بوذا» ، و«كوسنكا بوذا» ، و«كرنا كُنا بُوذا» و«سبا بوذا» ، فاختلط الأمر فذكروا هذا بدلاً من ذاك، وذاك بدلاً من هذا.

٢- إن بوذا قد أغار على «برهما» ولم يحترم تعاليم «الفيدا» فاتهمه الهندوس بالإلحاد. وأشاعوا هذا القول في المجتمع الهندي فَفَسَّقُوه وكفروه حتى صارت البوذية غريبة في وطنها ومسقط رأسها.

٣- كيف يتصور أن تكون التعاليم البوذية خالية من مسائل ما بعد الطبيعة، مع أنها غرقت في بحر الشرك وظلمات البدعة، وجعلت «بوذا» مقام الإله الأكبر. فظل البوذيون يعبدونه من دون الله[1].

ومهما كان الأمر فإن هذا الخلاف الأساسي يهدم أصل هذه النحلة المنتشرة في آسيا وأفريقيا وبعض الدول الأوروبية. فإن الفكر المتدين لا يقبل أبداً أي دين من الأديان وفيه خلاف شديد في وجود الله وصفاته، وكيف يقبل الإنسان ذو عقيدة وإيمان آراء بوذا في تخليص الإنسان من المصائب والآلام، وهو لا يعترف في أي مرحلة من مراحل التخليص بوجود الله وقدرته، ثم يدعي لنفسه أنه حصل له «النِرْفانا».

فالرجل المفكر يرى بين الأمرين تناقضاً وتضارباً. وهذا التناقض من أحد الأسباب الأساسية لفشل هذه الحركة في مولدها ونشأتها. فإن سكان الهند لم يقتنعوا بأفكار بوذا كما اقتنعوا بتعاليم الإسلام السامية وهذا الذي حدث في الديار الأوربية البعيدة عن التعاليم الإلهية عندما

(١) لقد ثبت لدى البوذيين أن بوذا لما دنت حياتُه الطويلة من ختامها راح أتباعه يؤلهونه، ولم ينتظروا موته.

وصل إليها دعاةُ النصرانية، فإن أوربا قبلتها مع تحريفها وتبديلها مع أن مجيئ عيسى عليه السلام تأخر خمسة قرون عن بوذا ولكن لم تنتشر دعوته في أوربا.

والآن بدأ الأوربيون مرة أخرى يبحثون عن دين يتمشى مع منطق العقل، ويفرق بين الخالق والمخلوق، وبين عيسى وربه، ولا شك أن هذا الفراغ لا يملؤه إلا الإسلام وتعاليمه الصافية النقية من التحريف والتبديل، ومن الغواية والزيغ، فكما أدَّى الإسلام دوراً مهماً في العصور القديمة فيما بين أفغانستان واندونيسيا -وهي الأرض الشاسعة المنتشرة فيها الأفكار البوذية- فدخل معظم هؤلاء في الإسلام، كذلك يستطيع أن يؤدي هذا الدور في أوربا الآن.

وأما البوذية فإن كانت تسحر الناس بتعاليمها التقشفية، فإنه إذا أفاق المرء من سُكرها وسِحرها عرف حقيقتها وغايتها.

## المجالس البوذية الأربعة

**المجلس الأول:** انعقد المجلس الأول فور وفاة بوذا وأَمِرَ تلميذه المشهور: «آنندا» أن يجمع معتقدات بوذا كما أَمِرَ غيره بتدوين نظام الحياة للرهبان.

**المجلس الثاني:** انعقد المجلس الثاني بعد مائة سنة من وفاة بوذا وكان الغرض الأساسي لهذا المجلس تنقية تعليمات بوذا من الطقوس والرسومات الَّتي سيطرت على البوذيين.

**المجلس الثالث:** انعقد هذا المجلس في حدود سنة ٢٢٤ ق.م في عهد الملك «أشوكا» وكان الغرض منه إزالة الاختلافات الَّتي وقعت بين البوذيين في كثير من المسائل. وبعد انتهاء المجلس أرْسَل الدعاةَ والمبلغين في أرجاء الهند وخارجها.

**المجلس الرابع:** انعقد المجلس الرابع في نهاية القرن الأول الميلادي في عهد الملك «كنشك» وكان الغرض لهذا المجلس تفسير تعليمات بوذا تفسيراً بعيداً عن التأويلات.

## الفِرَق البوذية

لم يأت عهد الملك «أشوكا» حتى انقسم البوذيون إلى ثماني عشرة فرقة. وأشهرها فرقتان هما:

**الفرقة الأولى: هنايان** (يعني العربة الصغيرة).

تنكر هذه الفرقة وجود الله تعالى والروح والإلهام، كما تؤمن هذه الفرقة بناسوتية بوذا وأنه إنسان ولد من أب وأم وعاش كغيره من الناس ومات، إلا أنه حصل له صفات عالية. وهو وصل إلى مرتبة قديس واستحق أن يلقب بـ«آجاريا منش».

واتخذت هذه الفرقة قول بوذا:

«لا تطلب من غير نفسك ملاذاً» قاعدة أساسية لحصول «النرفانا».

هذه الفرقة تعتمد على قرارات المجلس الثالث.

وانتشرت هذه الفرقة في جنوب الهند وجزيرة سيلان. وكُتُبُ هذه الفرقة كُتِبَتْ باللغة البالية. وأشهرها «تري بتاكا» (TREPITAK) وهي مجموعة من ثلاثة كتب، وقد تأخر تدوين هذه الكتب أربعة قرون تقريباً بعد بوذا.

**الفرقة الثانية: ماهايان** (يعني العربة الكبيرة).

ويقصدون بها أن من انضم إلى عقيدة هذه الفرقة وركب على العربة الكبيرة مع جماعة «البهكشو» يحصل على «النرفانا»، وتؤمن هذه الفرقة بأن بوذا ليس له جسم، بل إنه نور مجسم، وظلّ ظهر في الدنيا وهو الإله

الأكبر، وهو الإله الأزلي، وهذه الفرقة غرقت في بحور الشرك. فاتخذت من كل راهب إلهاً من دون الله، واخترعت كثيراً من الرسوم والطقوس، وتفلسفت في العبادات وطريق النجاة.

الغالبُ أن هذه الفرقة أُسِّسَت في عهد الملك «كنشك» ووَضَعَت ضوابطها في المجلس الرابع.

انتشرت هذه الفرقة في الأرجاء الشمالية من الهند والتِّبّت ومنغوليا والصين واليابان. وأخذت كثيراً من معتقدات هذه البلدان، وأكثر كتب هذه الفرقة كتبت باللغة السنسكرتية والصينية والتبتية واليابانية ومن أشهر هذه الكتب:

«ديموندا سوترا» (DIMOND SUTRA) و«لنكا وتار سوترا» (LANKA VATARA SUTRA).

**العبادة عند البوذية**

إن البوذية لا تعرف طريقة العبادات بالحركات فكل ما عندها هو:

١- الإكثار من الحمد والثناء على بوذا لحسنه وجماله وكماله على حد زعمهم.

٢- التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة والمجتمع، والدعاء بصيرورة نفسه مثله في الحياة الثانية.

وتَذَكُّر اسم بوذا وتصوره من أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين.

وقد أدت هذه العقيدة إلى تعظيم الرهبان وعبادتهم، وفي اعتقاد

البوذيين أن النجاة لا تحصل بمطالعة الكتب والتدبر فيها، بل لابد من الأخذ عن الراهب الكامل الذي يبلغ درجة بوذا في التخلي عن الشهوات والرغبات. وهو الوحيد الذي يتولى كشف الأسرار(١).

وفي المرحلة الثانية يقوم هذا العابد مقام المعبود، والمعتقِد مقام المعتقَد، والمخلوق مقام الخالق، فلم يبق بينه وبين خالقه أدنى فرق. ومن هنا يدعي الألوهية لنفسه.

قارن بين هذه العقيدة عند البوذيين وبين عقيدة تصور الشيخ عند الصوفية. فإن السالك في التصوف يتصور شيخه غائباً أو ميتاً، ويرسم صورته على قلبه فلا يعمل شيئاً إلا بإذنه فكأنه يعيش معه.

وفي المرحلة الثانية يتصور النبي صلى الله عليه وسلم، ويرسم صورته. وفي المرحلة النهائية يدعي وصوله إلى درجة إحسان.

**ترانيم البوذيين عند العبادة:**

أسجد للبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.

أسجد للبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.

أسجد للبوذا الإله الكامل، الذي انكشف له العالم.

أعوذ بالبوذا الإله.

أعوذ بالدين.

---

(١) يعبر بعض العلماء عن هذه الحالة بقولهم: WANTLESSNESS يعني: المرحلة التي يصل الإنسان إلى الاستغناء الكامل عن الموجودات.

أعوذ بجماعة البهكشو[١].

أعوذ بالبوذا الإله مرة أخرى.

أعوذ بالدين مرة أخرى.

أعوذ بجماعة البهكشو مرة أخرى.

أعوذ بالبوذا الإله مرة ثالثة.

أعوذ بالدين مرة ثالثة.

أعوذ بجماعة البهكشو مرة ثالثة.

أتقبل حكماً لا إيذاء فيه.

أتقبل حكماً لا سرقة فيه.

أتقبل حكماً لا شهوة فيه.

أتقبل حكماً لا كذب فيه.

أتقبل حكماً لا سكر فيه.

**إشاعة البوذية**

لم تكن الديانة البوذية قاصرة على أعلى طبقات المجتمع الهندي، بل فتحت أبوابها لكل من أراد الدخول فيها، خلافاً للديانة الهندوسية. فانتشرت البوذية انتشاراً هائلاً، ودخل فيها جمهرة من الهندوس من الطبقة الدنيا. واعتنق الملك «أشوكا» الديانة البوذية وجعلها ديناً رسمياً للبلاد، وأرسل الدعاة والمبلغين في داخل الهند وخارجها. وأرسل ابنه «ماهندرا» إلى جنوب الهند وسيلان، فبلغت البوذية إلى شرق آسيا ووسطها، فانتشرت في بورما، وتايلاند، وكمبوديا، ولاوس، وأجزاء من الصين،

(١) البهكشو: اصطلاح خاص لفقراء البوذيين ورهبانهم.

وكوريا، واليابان، كما انتشرت في بلاد منغوليا وتبّت وسيلان[1].

وكان السبب الأساسي في هذا شخصية بوذا التقشفية الجذابة، وعدم خوضه في الفلسفات السائدة في تلك المناطق، ووجود بعض التعاليم الأخلاقية، ولم يكن آنذاك بين البوذيين والبراهمة خلاف كبير كما يقول السائح الصيني «فاهيانا» الذي زار الهند في القرن الخامس الميلادي يقول: (إن الشعب يكرم الرهبان البوذيين والبراهمة سواء بسواء. والمعابد لكل الطائفتين تبنى جنباً إلى جنب).

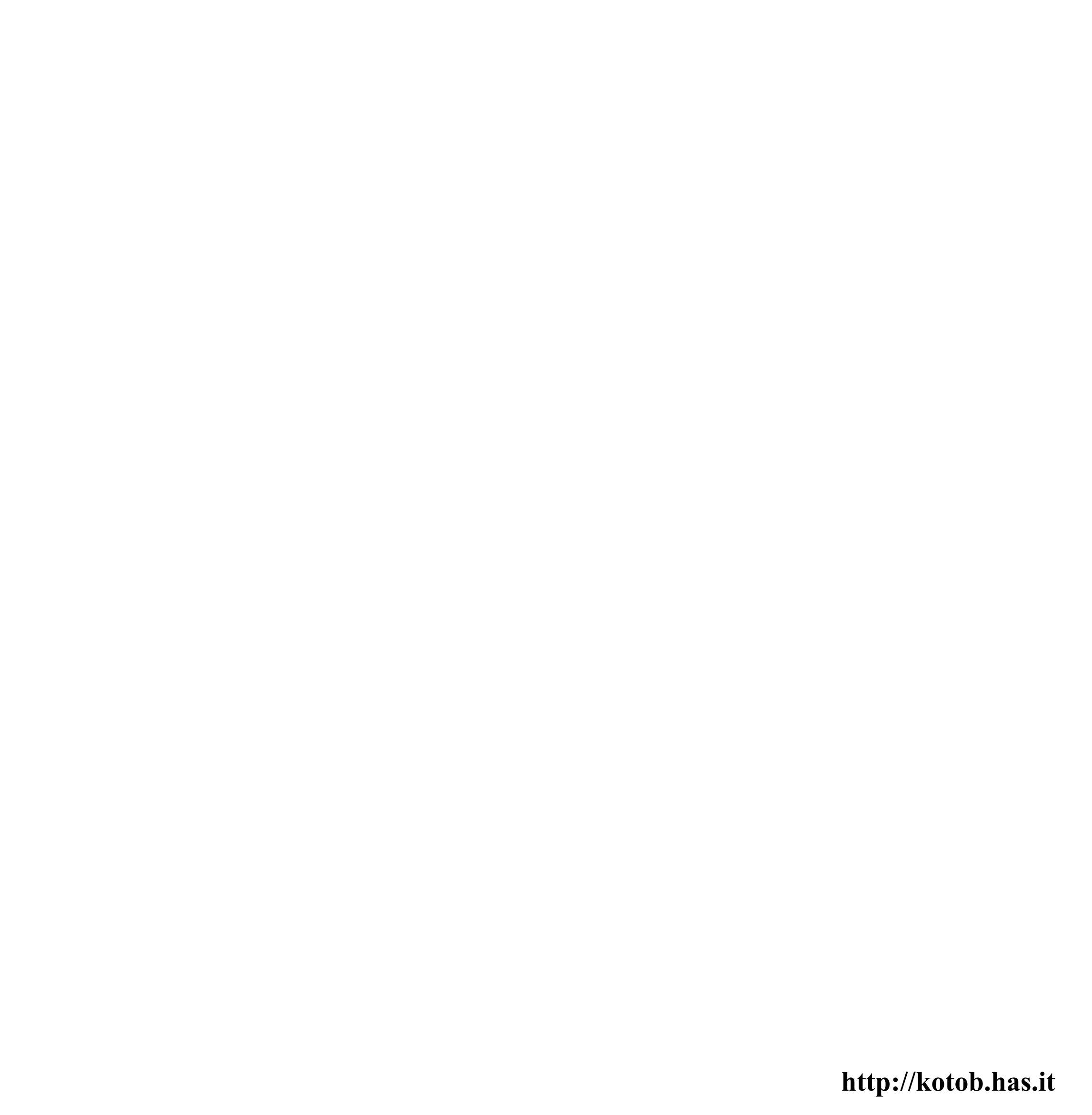
فلما طلع القرن السابع بدأت بعض النزاعات والخلافات؛ فانعقد مجمع «قنوج» سنة ٦٣٤م بين أتباعهما. ففاز البراهمة في هذه المناظرات والمناقشات. وبدأوا يكسرون شوكة البوذية إلى أن جاء «شنكرا جاريا» سنة ٧٨٨-٨٣٠م، وهو من كبار شراح «الفيدانت» ومن كبار دعاة الهندوس، فأخرج البوذية من القارة الهندية. ويقال: إنه عمل بقوة عقله أكثر مما عمل «أشوكا» بقوة سلطته.

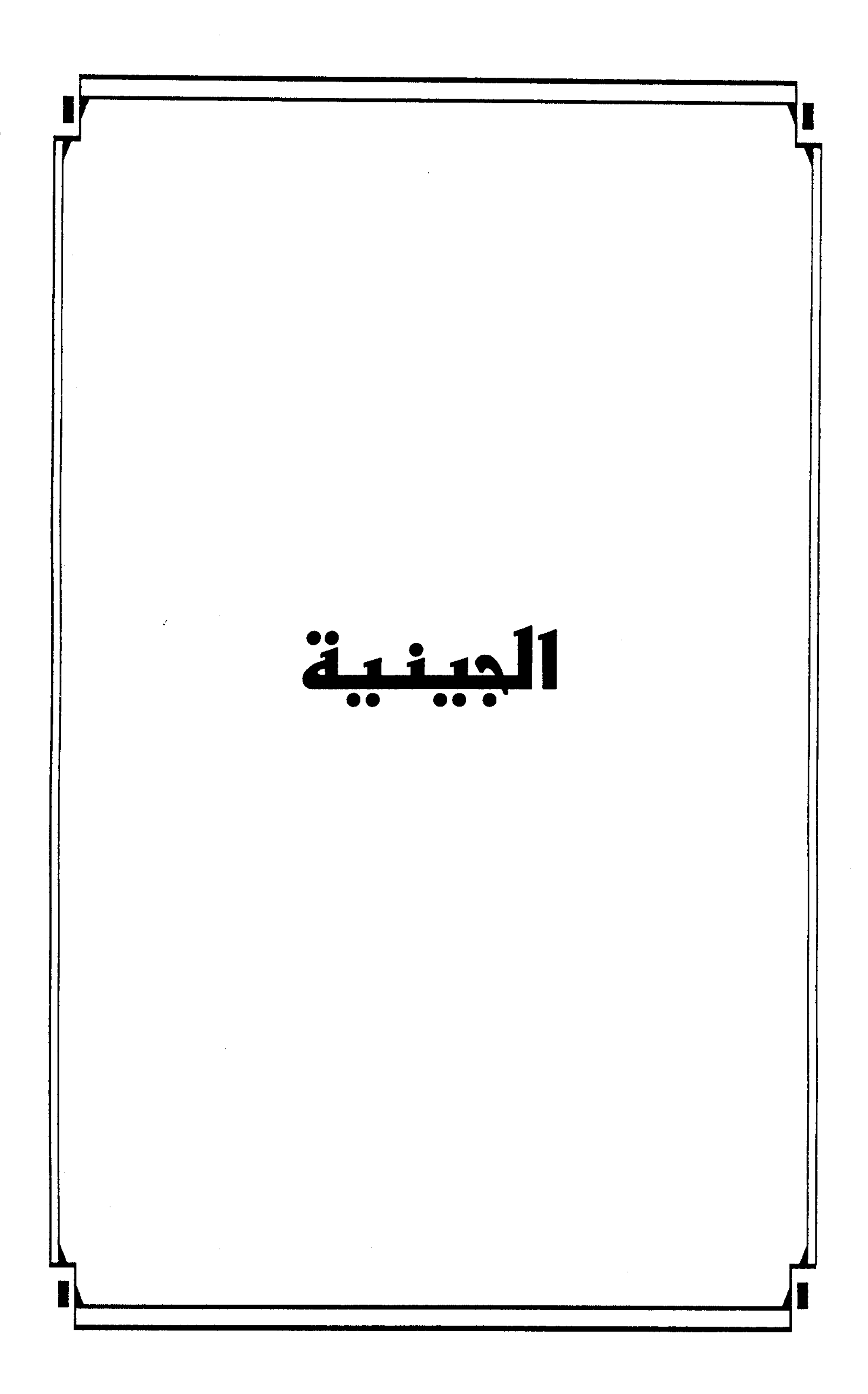
ثم جاء بعده نور الإسلام وتغلب على البقية الباقية فانهارت أمام هذا النور الإلهي الهندوسيةُ والبوذيةُ على حد سواء من السند إلى إندونيسيا، وتايلاند، فاعتنق كثير من البوذيين والهندوس دين الإسلام. ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[2].

---

(١) انظر: البوذية تاريخها وعقائدها ص (٣٦١).

(٢) سورة الإسراء (٨١).




الجينية

# الجَيْنِيَة

لابد لأي باحث في الديانات الهندية من أن يذكر شيئاً عن الجينية مع قلة[1] أتباعها، ولما لها من تأثير كبير في الديانات الأخرى في الهند.

**موجز تاريخها:**

يدعي أتباعها الجينيون أن دينهم قديم، كقِدمِ العالم. والزعيم الأخير الذي جدد أصولها ونشر عقيدتها هو ((مَهَا بِيْر سُوَامي)) (٥٤٠-٤٨٦ق.م) كان معاصراً لبوذا[2]. فحصلت بينهما معارك كثيرة، ونقده بوذا في بعض خطبه ومواعظه وقد تقدم ((مها بير سوامي)) ثلاث وعشرون ((تير شنكر)) (الرسل الذين يعتقد فيهم الجينيون الألوهية)، وكان آخرهم (( مهابير سوامي)) . وهؤلاء كلهم كانوا في فترة واحدة من الزمان وما بين كل اثنين منهم يستغرق ملايين السنين بل قد يعجز الرياضي عن ضبطه.

---

(١) يبلغ عددهم في إحصائيات سنة ١٩٥١م (١٦١٨٤٠٥) نسمة، ولم تنتشر الجَيْنِية في خارج الهند لإلحادها الواضح، وفحشها في نظام الحياة كما سترى، كما أنها لم يكتب لها الشيوع والانتشار في أرجاء الهند، فانحصر الجينيون في منطقة ((كجرات))، لهم فيها معابد ضخمة تعتبر من العجائب. ولفظ ((جين)) معناه الفاتح يعني الّذي غلب على شهواته ورغباته.

(٢) ويرى الدكتور ((موهان لعل)) أنهما وإن كانا متعاصرين إلا أنهما لم يلتقيا أبداً ((جين دهرم درشن)) ص٨.

يقول «لالا ديوان جند» في كتابه «هل الجينية أزلية؟»:

«إن هذه الدنيا قديمة أزلية لا بداية لها ولا نهاية فكذلك الجينية».

أولى الملاحظات على الجينية: أنها لا تعرف بدايتها ولا نهايتها، ولا تحفظ تاريخها، ثم افترقت إلى فرقتين كبيرتين وهما:

«**الفرقة الدجامبرية**»[1].

و«**الفرقة الشوتامبرية**»[2].

ثم انقسمت كل منهما إلى قسمين. قسم يعبد الأصنام، وقسم يحرمها.

فالقسم الّذي يحرم عبادة الأصنام من الدجامبرية يسمى «تاران بنتحص» ومن الشوتامبرية يسمى «داس».

**ملاحظة:**

هذا التقسيم يهدم أصل الدين فإنه يخترق جذر العقيدة.

**تدوين علوم مها بير سوامي:**

بعد وفاة «مهابير سوامي» قام الحفاظ والرهبان يعلمون الناس «داود شانك»[3] من محفوظاتهم لقرب عهدهم بمرشدهم ولكن بعد مرور سبعة قرون، مضى الحفاظ الكاملون ولم يبق فيهم إلا من يحفظ بعض الأجزاء. فلما رأى «كند كند سوامي»[4] هذا الضعف توجه إلى تدوين ما بقي في

---

(١) ومعناها أن لباسهم السماء يعني يفضلون أن يَكُونُوا عُراةً.

(٢) ومعناها الذين يختارون اللباس الأبيض «حَيْنَ دَهْرَمَ دَرْشَنْ» ص١٩.

(٣) التعليمات الّتي ألهمها «مها بير سوامي» حسب زعمهم.

(٤) كان ذلك في سنة ١٥٦م تقريباً.

الحافظة، فدون عدة كتب ثم تلاه تلميذه «أوما سوامي» فصنف كتابا نال مرتبة التوراة والإنجيل عند الجينيين وهو المعروف إلى يومنا هذا باسم «تتوارت سوترا» (TATWARATH SOTRA) والآن يعتبر هذا الكتاب مصدراً وحيداً لتعليمات «مهابير سوامي» (هذه هي رواية الفرقة الدجامبرية).

أما رواية الفرقة الشُوتَامْبَرِية فكما يقول مصنف كتاب «جين ست سار» إن «ديواردي» جمع نحو خمسمائة من علماء الجينيين في بلدة «بلبهي» في سنة ٤٥٣م أي بعد حوالي عشرة قرون، وأمرهم أن يدونوا ما بقي من حافظتهم في كتاب.

**النقد التاريخي:**

بعد إيرادنا هاتين الروايتين يسهل علينا أن نقول:

إن تعليمات «مها بير سوامي» لم تصل إلينا كما هي، بل ضاع منها جزء كبير بمرور الزمن. والذي بقي لا نثق بصحته التاريخية لأن «ديواردي» لم يتأكد من صدق هؤلاء الحفاظ والرهبان الذين جاؤوا من أنحاء البلاد، لأنه كان كلما سمع كلمة من فمهم أمر الكُتَّابَ بكتابتها، والأهم من هذا كيف يثق أحد بسند هذا الكتاب المنسوب إلى «ديواردي» مع أنه خال من أية وثيقة أو مستند تاريخي، فالعجب ممن يؤمن بهذه القصص والأساطير والحكايات.

## الاختلاف الأساسي بين الفرقتين الكبيرتين:

الاختلاف بين هاتين الفرقتين في أربع وثمانين مسألة، ولكن أكثرها جزئي ناشئ عن التفكير فنعرض عن هذا، ولكن هناك اختلاف أساسي في ثلاثة أمور يهدم هذا الدين:

### الأول: العلاقة الدنيوية:

إنه لا تحصل المعرفة الكاملة، والنجاة الدائمة عند الفرقة الدجامبرية إلا بأن يقطع الإنسان علاقته الدنيوية تماماً، بحيث يجتنب اللباس وستر العورات. لأجل هذا نرى نساك الفرقة الدجامبرية يعيشون عراة بخلاف الفرقة السوتامبرية فإنهم لا ينقطعون عن الحوائج الضرورية من اللباس والفراش والعصا وغيرها.

فنساك الفرقة الدجامبرية يكتفون بثلاثة أشياء وهي:

١- شاسترا (الكتاب المقدس عندهم).

٢- ومراح من ريش الطاووس لتكنيس الأرض وطهارتها.

٣- وإبريق للاستنجاء.

فما نرى من الصور العارية في الكتب الدينية، والمراكز الثقافية، والمطارات، والمحطات، والمعابد، والاحتفالات، كلها تعبير عن الفرقة الدجامبرية.

أما نُسّاك الفرقة **الشُوتامْبَرِية** فيرمون على وجوههم ثوباً عند الكلام وفي السفر، بخلاف الفرقة **الدجامبرية** فإن نساكها يجتنبون الثياب كلياً، ويأكلون مرة واحدة في اليوم والليلة، ولا يستعملون الأواني، بل يضعون

الطعام على أيديهم، ثم يأكلونه بخلاف نساك الفرقة **الشوتامبرية فإنهم** يأكلون مرتين في الأواني.

هذا الاختلاف الأساسي في حياتهم الدنيوية وعلاقتهم بها.

**الثاني: الخلاف في حصول النجاة للمرأة:**

إن الفرقة **الشُوتَامْبَرِية** ترى أن المرأة تحصل لها النجاة في **قالبها** النسائي، بينما ترى الفرقة **الدجامبرية** أنها لا تحصل لها النجاة، **لأن في** إبطها جرثومة صغيرة تموت بحركتها، وكذلك أنها تنجس كل شهر بحيض، فلا تقدر على المراقبة التامة مع عدم تجنبها من اللباس كلياً فتلزم عليها ولادتها بقالب الرجل في الحياة الثانية وهكذا...

**الثالث: العارف الكامل:**

إن الفرقة **الدجامبرية** تعتقد أن العارف الكامل لا يلحقه الجوع والعطش والمرض في حياته الدنيوية خلافاً للفرقة **الشوتامبرية**.

هذه هي الفروق الأساسية بين هاتين الفرقتين، أما الجزئيات والفرعيات فهي كثيرة لا تحصى نتركها إيثاراً للإيجاز.

## العقائد الرئيسة عند الجينيين

١- إن الدنيا ثمرات الروح والمادة، وليس لها خالق ومدبر خارج عنها

٢- إن العلاقة الَّتي نجدها بين الروح والمادة هي نتيجة «الكارما» لأن «الكارما» تعيد الروح إلى الدنيا مرة بعد مرة.

٣- لا تتخلص الروح من العودة إلا بالإيمان الصحيح، والعلم الصحيح، والعمل الصحيح، ويسمى هذا الخلاص «المكتي» أي النجاة.

٤- الروح الناجية هي «برماتما» وقد تعود بعد النجاة إلى الدنيا لإضاءة السبل للسائرين، فالواجب على الإنسان أن يجتهد في تخليص روحه من العودة.

٥- الدنيا مركز الأرواح، ومستقر لها، وتسلسل الأرواح في الدنيا غير منقطع.

٦- «أهنسا برمو دهرما» (أفضل الدين ترك الإيذاء).

٧- يجب على الراهب الجيني أن يختار حياة «برما جاريا» يعني البعد عن المرأة والتطيب والتزين.

٨- السيطرة التامة على الحواس الخمسة، لأنها هي الَّتي تجعل الإنسان يعيش حياة شهوة ورغبة في الدنيا وبالتالي لا يحصل له «النرفانا».

### الألوهية عند الجينيين:

إذا فكرنا في العقيدة الأولى نجد أن الجينيين لا يعتقدون بوجود خالق الكون ومدبره، بل يعتقدون أن الدنيا نتيجة للعلاقات الَّتي كانت بين

الروح والمادة. فهي قديمة قدم الروح والمادة، لأنها لم تكن معدومة فأوجدها موجد، بل كانت موجودة من الأزل بشكل آخر فتشكلت بهذا الشكل لأجل العلاقة الجديدة.

وعلى هذا الأساس يقول بعض العلماء: إن الجينية هي رد الفعل للبراهمة.

ولكن الجينيين ينكرون هذا ويقولون: نحن لا ننكر وجود الخالق، بل ننكر صفته الخالقة والمدبرة، لأن وجوده ليس خارجا عن الدنيا.

يقول العالم الجيني «بي آر كين» : «إن الجينيين لا يعتقدون بمعبود أزلي قديم، موجود في كل زمان ومكان، عالم بكل صغيرة وكبيرة، قادر على كل شيء، وخالق الكون والحياة، بل يعتقدون بالأرواح الناجية الّتي خلصت من العودة وحصلت على «النرفانا» فبلغت درجة الإله».

ويفهم من هذا: أن عدد آلهة الجينيين كعدد الأرواح الناجية.

ولذا نرى أن الجينيين يعبدون «تير شنكر» الأرواح الناجية بقولهم: «أنا أسجد أمام «تير شنكر» الّذي هو معبود، وهو الّذي يمنح المخلوقات الأمن والراحة. ياليت لو حصلت على «النرفانا» بمحض التفاته وكرمه».

سبحان اللّه عما يصفون، فروا من إله واحد، فوقعوا في أيدي آلهة كثيرة.

## طبقات الرجال عند الجنيين

إن الجينيين يقسمون رجالهم إلى خمس طبقات:

**الطبقة الأولى: أرهت**: هي الأرواح الناجية الّتي حصل لها علم كامل، ومعرفة تامة، فوصلت إلى درجة المعبود في الحياة الدنيا قبل موتها الطبيعي وهم أربعة وعشرون كما سبق ذكرهم.

**الطبقة الثانية: سدها**: الأرواح الّتي نجت من تكرار العودة إلى الدنيا، ووصلت إلى مقام النجاة بعد موتها الطبيعي وهم أيضاً أربعة وعشرون.

**الطبقة الثالثة: آجاريا**: هو رئيس الرهبان وقرب إلى النجاة.

**الطبقة الرابعة: أباديا**: هو الراهب المرشد يتجول في البلاد ويكون تابعا لـ«**آجاريا**».

**الطبقة الخامسة: سادو**: هو الراهب والناسك العادي الّذي ابتدأ بحياته الجينية.

## فلسفة عبادة الأصنام عند الجينيين

إن المبتدئين الذين بدأوا حياتهم الرهبانية مثل الطبقة الخامسة، لايقدرون على استقرار الفكر، ودوام الذكر والمراقبة، لعدم تمكنهم من تركيز القلوب على تصور المعبود، فاحتاج هؤلاء إلى إله ظاهر. فلما عرف علماء الجينيين مشكلتهم أذنوا لهم في نحت الأصنام الّتي تحمل الأوصاف المطلوبة فتوجهت كل فرقة إلى نحت معبودها وفق اعتقادها.

فالفرقة «الدجامبرية» مثلا تنحت معبوداتها عراة لتصور تخليهم عن الضروريات الدنيوية بخلاف الفرقة «الشوتامبرية». هذه هي بداية عبادة الأصنام في الديانات الهندية، لأننا لا نجد ذكر الأصنام وبناء المعابد في تعليمات «الفيدات» و«بوذا» فكلا المذهبين تأثرا بالجينية.

أما الآن فقد صارت عبادة الأصنام عند الجينيين من الأمور الضرورية المستحسنة. فإن علماءهم يتأسفون على الأجيال الجديدة الّتي تركت عبادة الأصنام، ويوجهون نقدهم إلى الإسلام، لأنه هو الّذي حرم بناء الأصنام، وعبادتها أول مرة في تاريخ الديانات الهندية.

هنا يسأل القارىء: إن الجينيين لا يعتقلون بصفة من صفات اللّه تعالى فعلى أية صورة يصنعون أصنامهم؟ نقول: هم لا يصنعون صورة الإله الّذي ينكرون وجوده بل يصورون حياة الأشخاص الذين نجت أرواحهم من عودتها إلى الدنيا مثل «ديو جي» و«بارش بات جي» ، و«مها بير جي» ، و«سمومنات جي»[1]، وغيرهم من الأشخاص وهؤلاء الآن هم أكبر الآلهة عند الجينيين.

(١) هذا هو الصنم الكبير الّذي هدمه الفاتح المسلم محمود الغزنوي المتوفى سنة ٤٢١هـ.

## أثر الجينية على الهندوسية والبوذية

لقد تأثرت الهندوسية بالجينية في كثير من تشريعاتها وعقائدها، وذلك يرجع إلى عدم وجود العقائد الرئيسة كما بينت من قبل. وأذكر هنا بعض العقائد والطقوس الّتي أخذتها الهندوسية والبوذية من الجينيين:

**١- عبادة الأصنام وبناء المعابد:**

إن الهندوسيين ما كانوا يعرفون عبادة الأصنام وبناء المعابد في عصور «الفيدات» وكذلك البوذيون بل أخذوا ذلك من الجينيين حذواً بحذو.

**٢- أهِنْسَا:**

إن تعليمات «الفيدا» تصرح بذبح الخيل والجاموس والبقر. فجاء الجينيون وحرموا ذبح الحيوان، وقتل الجراثيم الّتي تطير في الهواء، وإلى هذا يشير أبو العلاء المعري تأثراً بالجينيين لا بالبوذيين كما زعم بعض المؤرخين.

فالديانة الهندوسية حرمت على أهلها ذبح الحيوان وخاصة البقرة. والآن هم كذلك يفتخرون بقولهم «أهنسا برمود هرما».

**٣- مسألة التناسخ أو جولان الروح:**

لقد أثبتنا قبل هذا أن «الفيدا» صرح بوجود الجنة والنار، فجاء الجينيون وأثّروا على الهندوسية والبوذية فاستصعب على هؤلاء الخروج من عقيدة التناسخ.

**٤- الرَّهْبَانِيَّة:**

لقد تقدم البحث في أعمار الإنسان في الهندوسية فالقسمان الأولان يتعلقان بالحياة الأهلية.

أما الجينية فتحث على ترك العلاقات الدنيوية، والتمسك بالحياة الرهبانية. فتأثر بها النساك الهندوسيون والبوذيون وتركوا العلائق الدنيوية، واختاروا الحياة الرهبانية.

**٥- العُرْي:**

لا نجد فكرة العري في الهندوسية والبوذية، ولا شك أنها جاءت من الجينية، وأخذها النساك الهندوسيون والبوذيون. والآن هم الذين يحتفلون كل سنة ويتجولون في الشوارع عراة. ولكن الحكومة الهندية منعتهم عن ذلك في القرى والمدن. وبعد احتجاجهم الشديد سمحت لهم أن يحتفلوا في الصحاري والغابات.

هذه هي النحلة الجينية وعقيدتها. أوجزتُها قدر المستطاع مع أن تفصيلها يستغرق آلاف الصفحات. وهذه المباحث سهلة التناول تعود غامضة، فأرجو أن يكون فيها كفاية لطالب الحق الّذي دأب على المقارنة بين الحق والباطل والغث والسمين، والأخذ بما هو نافع له في الدنيا والآخرة.

فسبحان الّذي أنزل آيات بينات في كتابه المبين، يستوي في فهمه الحضري والبدوي، ويستفيد قدر الحاجة العالم والجاهل. وأشكر اللّٰه على نعمة الإسلام وكفى بالله نعمة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.





# السيخية


http://kotob.has.it

# الجو الفكري عند ظهور السِّيخِيَّة

إن أرض الهند أشرقت بنور الإسلام في فجر تاريخه، فلم تزل من ذلك اليوم محط رحال المسلمين من الغزاة والفاتحين والعلماء والدعاة، فتزعزعت العقائد الوثنية المنتشرة في ربوع الهند أمام هذا التعليم الرباني، واللطف الإلهي الَّذي أحاط بأرجائها والزحف المبارك الَّذي قاده الفاتحون المسلمون، فلم تكد أوثانهم وأصنامهم تحفظ معابدهم ومراكزهم الدينية من الهدم والخراب.

فيئس الهنادك والبوذيون والجينيون من مصيرهم، واضطرب كيانهم الديني، وسُلِبَتْ رئاسة الرهبان والنساك، فظهر في هذه الآونة على مطلع الهند بعض المصلحين الهنادك من الشعراء والأدباء، وتوجهوا إلى رفع معنوياتهم بتوجيههم إلى حب «برهما» وعشقه الَّذي لا يتصور، ولا يدرك، ولا يهدم، ولا يكسر، ولكن طبيعة الهنادك لم تقبل هذا التعبير الشعري لكونها اعتادت عبادة الآلهة المنحوتة من الأحجار، وكلتا الفكرتين اتخذتا سبيلين مختلفين.

**أ- طريقة المعرفة:**

هذه الطريقة لا تؤمن بالعمل الصالح، بل كل ما عندها هو الحصول على العلم والمعرفة، لأنها تعتقد أن الحياة غير كافية لمعرفة حقيقة الرب سبحانه وتعالى فضلاً عن عبادته وطاعته.

وكان الشاعر الهندي النساج يدعى «كبير داس» (١٤٤٠-١٥١٨م) وهو من الرسل الاثني عشر التابعين لمدرسة «رامانندا» (١٣٦٠-١٤٥٠م) (RAMANANDA) من أكبر الدعاة إلى هذه الطريقة لسبب ولادته في بيت برهمي، ونشأته في بيت أحد المسلمين، فخالف الجميع في طريقة فكرهم، وكان يدعو إلى التفكر في ذات الله، ويصفه بأنه لا يدرك ولا يتصور، فلماذا هذه العبادات والتقاليد والقرابين.

وأظنه أول من دعا إلى وحدة الأديان في تاريخ الهند وكان يؤمن بعقيدة الحلول والاتحاد الَّتي بلغت أوجها وكمالها بعد «شنكرا جاريا» (٧٨٨-٨٢٠م).

وأنقل هنا قطعة من أشعاره لتوضيح فكرته يقول:

**أيـن تبحث عني وأنا عندك * لا تجدني في الغنم ولا في البقرة**

**ولا في السكين ولا في الكدوم * ولا في جلد الحيوان ولا في لحمه ودمه**

**ولا في العبادات ولا في الرهبانية * فإذا تبحث عني وجدتني في لمحة واحدة**

يقول «كبير داس»: (اسمعوا أيها النساك والرهبان، أنا أجري مع كل تنفس. وأنا موجود في كل مكان).

وكان نقده على الهندوسية إذ يقول:

(إن الدنيا مخبوطة تعبد الصنم المنحوت من الحجر، ولا تعبد حجر الرحى الَّذي يؤكل من طحنه).

وكان يأخذ الشيخ المربي وسيلة للحصول على المعرفة لاعتقاده أن اللّه قد حلّ فيه.

إذ يقول: (رأيت الشيخ والرب واقفين بين يدي، فخررت ساجداً للشيخ الَّذي دلني على الرب).

وقد انتقد تقاليد الهنادك وطقوسهم نقداً شديداً وله أفكار غريبة لا يسع المكان استيعابها.

هذا هو الرجل الَّذي تأثر به مؤسس دين السيخ «نانك» في فكرة وحدة الأديان وهذا يتضح فيما بعد بجلاء.

**ب- طريقة العشق والمحبة:**

هذه الطريقة تتفق مع الطريقة الأولى في حصول العلم والمعرفة إلا أنها لا تقف عند هذا الحد، بل تخطو خطوة يزيد عليها الحب والعشق وكان «الشاعر جائس» من كبار الدعاة إلى هذه الطريقة وله ديوان معروف بـ«بد ماوت».

**جـ- تمثيلية راما:**

وهذه الطريقة لا ترضى بالتصورات المجردة فحسب، بل تنتخب شخصية محبوبة وتجعلها بمثابة الإله المعبود، وذلك لتركيز الذهن والفكر في المراقبة وعدم تشرده منها، وكان من رأيها أن شخصية «راما» هي الَّتي تمثل أسوة حسنة ويعتبر «تلسي داس» (١٥١٧-١٦٤٣م) من أكبر شراح هذه الطريقة فإنه أبرزَ شخصيةَ «راما» بصورة الابن المؤدب، والزوج السعيد، والأخ الكريم، والصديق الحميم، والحاكم العادل -إلى غير ذلك- (وقد أوضحت الكلام في «راما» ووجوده التاريخي في الديانة الهندوسية).

د- تمثيلية كرشنا:

هذه الطريقة تتفق مع الّتي قبلها إلا أنها تخالفها في اختيار الشخصية للأسوة، فـ«تلسي داس» انتخب «راما» و«سورداس» (١٥٠٧-١٥٨٣م) انتخب «كرشنا» ولف حوله من الأساطير والقصص.

هذا هو الجو الاجتماعي والفكري الّذي ولد فيه مؤسس دين السيخ «نَانَك» (١٤٦٩-١٥٣٨م) في إحدى القُرى التابعة بمديرية «لاهور» في منطقة «بنجاب» في بيت هندوسي من طبقة «الكشترى» وكان من صغره محباً للخلوة والعزلة، ولازم بعض المتصوفين من المسلمين مثل حسين درويش، وإسماعيل البخاري، وعلي هجويري، وبابا فريد كنج، (١٤٥٢-١٥١٠م) وجلال الدين البخاري وغيرهم، وأسَّس ديناً مُمتَزِجاً بين الأديان جميعا وكان من مريدي «كبير داس». وينسب إليه كتاب «كرو كرنتها صاحب»[1] الّذي نال مرتبة الاحترام والتقديس لدى جميع السِّيخِيِّين، وهو مملوء بالأمور المتناقضة والعقائد المتضاربة، وفيه مزج غريب بين الإسلام والهندوسية والبوذية وغيرها من أديان الهند.

ويظهر من مطالعة هذا الكتاب أن صاحبه حاول أن يجعل نفسه في درجة رفيعة، ليكون مطاعا من جميع أصحاب الأديان والملل على اختلاف طرقهم ومناهجهم، ولكن هذه المحاولة فشلت في بدايتها، فإن

(١) يقول «كِرْتَار سِنْغ» : (الذي ألف «كروكرنتها صاحب» هو «أرجن» أملاه على «كرداس جي» مابين ١٦٠٦-١٦٨١م وفيه مائة واثنا عشر شعراً لـ«بابا فريد كنج» كما أنه يشتمل على مجموعة كبيرة من أشعار «كبير داس».

السِّيخِيّة ظهرت في المجتمع الهندي كالقوة الثالثة المحاربة من الهندوسية والإسلام في حين واحد.

وهنا أذكر بعض عقائد السيخيين الَّتي اقتبسوها من الهندوسية:

### ١- وحدة الأديان:

لقد سبق إلى «نانك» الكتابُ المقدس عند الهنادك «البهلفت كيتا» بقوله: ( بأية طريقة تعبدونني فأنا أحفظكم بنفس الطريقة، الناس يختارون لعبادتي أشكالا مختلفة فكل طريق يوصلكم إلي).

وفي «الفيدانت»:

(إن «الفيدانت» لا يخالف أي فكر سواء أكان دينيا أو فلسفيا).

وهذه الأفكار لا تزال سائدة في أفكار الهنادك، فهم يقبلون بكل بساطة العقائد المتناقضة بدون حرج ومناقشة، ولهذا نجد فيهم من يؤمن بالتوحيد، ومن يؤمن بالتثليث، ومن يؤمن بالآلهة الكثيرة، وفيهم من يجحد الألوهية أصلاً، وهم جميعا في ربقة الهندوسية، فإن الولادة تحتم عليهم البقاء في ملتهم ونحلتهم، ولا يمكن لشخص أن يخرج من طبقة إلا بتنقل الأرواح من جسم إلى جسم آخر، ومن طبقة إلى طبقة أخرى. هذا هو مبدأ فكرة وحدة الأديان في تاريخ الهند.

وقد استغل «نانك» هذه الفكرة وأراد أن يعيدها إلى أذهان الهنادك مرة أخرى إلا أنه بكمال سياسته ضم إلى فكرته دين الإسلام وأخذ منه بعض العقائد الَّتي رأى أنها تتفق مع الفطرة البشرية، وليس هذا إلا نزعة نفسية جرته إلى ذلك للحصول على الزعامة الروحية من جميع أصحاب المذاهب والأديان.

يقول «نانك»:(إن الهنادك لهم ست مدارس فكرية، وكل مدرسة لها مؤسسها والمنتمون إليها، وجميع المؤسسين ينهلون من معين واحد وإن اختلفت مظاهرها وتقاليدها وعاداتها. فأية مدرسة تؤمن بالخالق وعظمته وقدرته فاقبلها كأنها هي ضالتك المنشودة. فإن في ذلك تطورا ورقيا. ألا ترى أن الشمس واحدة والجو مختلف. أيها نانك: إن اللّٰه واحد، وإن اختلفت أشكال عبادته، وتعددت مظاهر خلقه)[١].

ويقول الزعيم السيخي «كوبند سنغ» :

(لا فرق بين مندر «معبد الهنادك» ومسجد «مصلى المسلمين» وبين عبادة الهنادك وصلاة المسلمين).

ونقول لهذا الزعيم: إن معبد الهنادك ومصلى المسلمين لا يستويان في غايتهما وقصدهما، حتى ولا في مظهرهما فإن المعبد مركز الأصنام والأوثان وتطهر أرضه بروث البقرة وبولها، بخلاف مصلى المسلمين فإنه خصص لعبادة اللّٰه وحده، وتطهر أرضه بالماء والتراب.

وإن اللّٰه تعالى يقول: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[٢].

أما العبادة عند الهنادك فإنما هي عبارة عن الرقص والموسيقى والغناء والسجود للأصنام والأوثان وفعل الأعمال القبيحة مثلا مس النساء ذكر الرجل لطلب الأولاد وهو ما يسمى عندهم بـ«لنك بوجا».

---

(١) باب: راك اسا - كروكرنتها صاحب.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

بخلاف صلاة المسلمين فإنها عبارة عن الذكر والتسبيح، والخشوع والخضوع لله الواحد القهار، بقلب سليم ولسان طاهر ولباس نظيف.

فأنَّى لهذا الزعيم أن يسوي بين «مندر» ومسجد، وبين عبادة الهنادك وصلاة المسلمين؟ ولكنه مشي على فكرة «نانك» الَّذي يحلم أن يرى في كل شيء الوحدة والوفاق.

يقول «نانك»: (من الصعب أن يكون الرجل مسلما حقيقيا، ولكن إن وُجِدَ نُخلي سبيله).

يقصد بهذا أنت لا ترفض أي شخص سواء كان سيخيا أو مسلما إذا قبل أفكارك.

نقول لهذا الزعيم: إن المسلم الحقيقي إذا قبل خرافاتك وترهاتك فقد خرج من الإسلام، فإن الإسلام يرفض بكل قوة الأفكارَ الدخيلةَ بأية صورة تكون.

يقول اللّه تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

## قبسات السِّيخِيّة من الهندوسية

أكثر ما تأثرت به النحلة السِيخِية هي الهندوسية المنتشرة في شبه القارة الهندية، إلا أنها لم تأخذ بها بحذافيرها بل حاولت أن تُهَذِّبَهَا مستعينة بالتطورات الجديدة، والأفكار الشخصية. والديانة الهندوسية كما بينت من قبل خاليةٌ من العقائد الرئيسة، فلم تعارض الأفكار السِّيخيّة الغريبة الواردة عليها، بل قبلتها بكل بساطة وسذاجة، واعتبر الهنادك الفرقة السِّيخيّة جزءاً منهم. وأذكر هنا بعض العقائد الَّتي اقتبستها السِّيخيّة من الهندوسية:

**أ – مقصد الحياة:**

مقصد الحياة عند الهندوسية المعروفة بين الجماهير هو حصول «النرفانا» أي -اتحاد الروح ببرهما والنجاة من جولانها وتنقلها- أخذت السِّيخيّة هذه العقيدة، إلا أنها لما تأثرت بالإسلام وعرفت مشكلة إقامة الحجة عليها أضافت إليها (إلا أن يشاء اللّه العليم القدير فينجيها من هذا التنقل بلطفه وكرمه).

ولا شك أن هذا الاستثناء غير وارد في عقيدة التناسخ، وإلا فيلزم من هذا أن ينجو غير برهمي من التناسخ. وهذا وإن قال به بعض علماء الهندوس إلا أنها ليست عقيدة الجماهير.

**ب– عقيدة الحلول والاتحاد:**

كانت هذه العقيدة سائدة في الهند منذ عهد بعيد. ويعتبر أرقى الناس في الهند وأعمقهم فكرا عند الهندوس من عرف حقيقة

(AIR MEWADWITEA) يعني هو فقط لا ثاني له، وهذه هي غاية الفكر الهندي كما يوضح «الفيدانت».

**الخطوة الأولى:** أن تعرف الخالق بمعرفة مخلوقاته.

**والخطوة الثانية:** أن تميز بين الخالق وطبيعة الكون.

**والخطوة الثالثة:** أن ترى الوحدة بين الخالق وطبيعة الذرة الّتي خلق منها هذا الكون.

**والخطوة الرابعة:** وهي الغاية العظمى عند الهنادك أن ترى أن ذرة التخليق تتلاشى في ذات الخالق، لأنها هي هيولى الكائنات، ومصيرها الاتحاد بعلة العلل.

ولهذا لا يستنكر «الفيدانت» على من يدعو مع اللّه إلهاً آخر.

وقد ظهر على الفكر الهندي رجل فلسفي وهو «شنكر جاريا» (٧٨٨-٨٢٠م) شارح مشهور لـ«الفيدانت» وروج هذه العقيدة في أوساط الناس، وبرهن لها بالدلائل والوجدان، فانتشرت هذه العقيدة في ربوع الهند. وكثر المؤمنون بها من الهنادك والبوذيين والجينيين فما يزال نساك الهنادك ورهبانهم يغالون في صنوف التعذيب الجسدي، ويحتملون المشقات اختيارا وزهدا ويفنون حياتهم في ذلك للحصول على غايتهم وهي الاتحاد والحلول.

وقد كان من أقوال «شنكر جاريا»: (إن «الروح» و«برهما» و«الكون» شيء واحد، ولكن نحن فرقناهم وميزناهم لعدم معرفتنا بهم، فلو نزهنا أنفسنا من الشهوة والغضب، والحرص والتكبر، واشتغلنا

بحصول المعرفة لوجدنا هذه الأشياء الثلاثة متحدة).

ويقول أحد شراح «الفيدانت»: نحن لا نستطيع أن نرى اللّه لا في كنهه، ولا في مخلوقاته، لأننا ابتلينا بـ(مايا) أي الخدعة الّتي تحيطنا من جميع جوانبنا، وهي دائمة تذكرنا بالأنانية (أنا) فلو محونا هذا الفرق، وحركنا أنفسنا بما يحبه اللّه ويرضاه، وجدنا كيف نتلاشى، ونتحد في ذاته العظيمة اتحاد الأمواج في عمق البحار[1].

هذه هي ترهات «شنكراجاريا» وزملائه أخذها «نانك» مؤسس السِّيخِيَّة بحذافيرها يقول في «كروكرنتها صاحب»:

(أنت القلم وأنت الخط، وأنت الحبر وأنت الطاولة).

يقول «نانك»: (فقط أنت لا غيرك).

ويقول في موضع آخر: (أنت السمك، وأنت الشبك، وأنت الصياد، وأنت فقط أنت لا غيرك).

هذه هي عقيدة السيخ في ذات اللّه سبحانه وتعالى.

وإن السِّيخِيِّين قد خدعوا المسلمين بدعواهم أنهم يؤمنون بالتوحيد كما أقره الإسلام، ولكن أين التوحيد النقي الصافي من هذه العقيدة الضالة المضلة الداعية إلى الاتحاد والحلول.

**جـ- أساطير الهنادك:**

يدعي السِّيخيُّون أنهم يؤمنون بالتوحيد ولا يشركون بالله أحدا، بل هم أول من فهموا معنى التوحيد، لأنهم اقتبسوا أجزاءه المبثوثة من

---

(١) انظر هذه التفاصيل وغيرها في شروح «**الفيدانت**».

الأديان المختلفة فنقوه من شوائبه، وأقاموا عليه براهين عقلية، وأدلة وجدانية، لم يسبق إليها أحد. ولكن المتأمل في كتبهم يستغرب لما يرى فيها من خرافات وأساطير تهدم فكرة التوحيد أصلاً.

إليكم بعض ما قال به «نانك» في كتابه «كروكرنتها صاحب»:(إن برهما خرج من سرة «وشْنو»، وبدأ يرتل أشلوك «الفيدا» ولكنه لم يدرك نهاية الرب فبقي في ظلمات الجولان). (راجع راك تجري باب).

ويقول في موضع آخر:

(هو: «وشْنُو» هو: «شِيوَ» هو: «بَرْهَمَا» هو: «بَارَبَتِي» هو: «لكشمي»[1] فالذي يريد أن يعبر عن الرب يصمت ويبكم، لعدم معرفته به، وبهذا يشهد «البران» وكرشنا والبوذيون والرهبان وأن «دهرما ديوا» يحمدك ويُثْنِي عليك...). (باب جب جي).

هذا الباب هو فاتح الكتاب المقدس عند السِّيخِيِّين يرتلونه كل صباح ومساء. وليس فيه شيء من التوحيد، إنما هو عبارة عن أساطير الهنادك، وأسامي أصنامهم، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على استغراقهم في الشرك بالله عز وجل، وأما التوحيد الصحيح فإن السِّيخِيِّين لم يفهموه حق الفهم، فلو رجعوا إلى الإسلام لوجدوا بغيتهم فيه.

**د – الغناء والموسيقى:**

إن الراهبات الهندوسيات يعبرن عن شوقهن وحُبِّهن للإله المعبود بالرقص والغناء والموسيقى، واللآتي اشتهرن بـ«كوبيات» من زمرة

---

(١) هؤلاء من آلهة الهنادك.

عاشقات «كرشنا» ومن بعدهن ممن أظهرن العشق والحب له. «ميرابـائي» المولودة سنة (١٥١٦-١٥٤٦م) الّتي كانت تدور مع الرهبان والنساك في المعـابد والخانقـات، وتُسـحرهم وتُسـكرهم بصوتـها الجميـل، وألحانـها الجذابة، وكانت تضرب «كرتال» (هو نوع مـن آلـة الموسـيقى) وترقـص أمام تمثال «كرشنا» وتنتقل من معابد «برندا» و«داركا» (المدينتان اشتهرتا بتماثيل كرشنا).

هكذا دخل الغناء والموسيقى في تكوين الفكر الهندوسي.

وعلماء الهنادك وفلاسفتهم اتخذوا الموسيقى وسيلة للتعبير عن تخليق الكون ووجوده من عدمه، فهم يسمعون هذه الألحان في جميع أجزاء العالم.

ولم تكن الفكـرة السِّـيخيّة في جـانب مـن هـذه الفلسـفة، فقـد كـان مؤسسها «نانك» يجيد الموسيقى إلى حد الإعجاب، واتخذها وسـيلة لنشـر مبادئه حتى رتب كتابه «كروكرنتها صاحب» على ترتيب الألحان الغنائية الّتي بلغت واحدا وثلاثين لحناً.

ونجد في آخر الكتاب فهرسا طويلا لهذه الألحـان، ولكـل لحـن خمسـة فروع وثمانية أصوات (عبره «نانك» بالزوجات والأولاد) هذا هو الكتاب المقدس عند السِّيخِيِّين.

يقول الدكتور «جُوبَالْ سِنْغَ» أحد رجال السِّيْخَ:

(أكـثر أسـاتذة[١] السيخيين كـانوا يجيـدون الموسيقى، وإن المؤسـس الأول «نَانَكْ» كـان يغـني في المجـامع بصـوت جميـل، ويلازمـه رجـل مـن

---

(١) يقصد بهم المصلحين العشر الذين أكملوا دين السِيخ.

المسلمين يضرب على الطَّبْلَ بالخشب، ورتب كتابه بالشعر والترنم، حتى عرف دين السِّيخ بالموسيقى الَّتي لها تأثير كبير في عباداتهم وأداء واجباتهم الدينية، وهو جزء لا ينفك عن السِّيخِيِّين واشتهر هذا الدين بين الناس بالجمال والحسن. فكل سِيخي أو سِيخِيّةٍ تجري الموسيقى في أجسامهم كما يجري الدم في عروقهم...).

هكذا نجد تأثر دين السِّيخ بالهندوسية، وأخذه فلسفة الموسيقى والترنم منها. وزاد على هذا التفكير الهندوسي أشياء لم تكن معروفة من قبل.

هذه هي بعض الأمور الَّتي تأثر بها دين السيخ بالهندوسية.

وأما الأمور الَّتي خالفها فهي كثيرة، أذكر بعضها:

١ - لا تحصل النجاة عند السِّيخِيِّين من «كرما مارج» (الطقوس وتقديم القرابين) ولا من «كيان مارج» (الاستغراق في حصول العلم والمعرفة) بل من عبادة اللّٰه الواحد واتباع طريقه.

لا شك أن السِّيخية هنا تأثرت بالإسلام أكثر من الهندوسية، فإنها لا تعرف معنى العبادة بل «كرما مارج» و«كيان مارج» هما طريقتان أساسيتان عند الهندوس وعليهما مدار النجاة[1]. والإسلام يدعو إلى العبادة والاتباع. انظر قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[2].

(١) وأما للحصول على «**النرفانا**» فيضاف عليهما الطريق الثالث وهو «**باكتي مارج**» يعني الرياضة والمجاهدة.

(٢) سورة الاسراء الآية (٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) إلى غيرها من الآيات الكثيرة في معنى العبادة.

وفي معنى الاتباع قال عز وجل: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ (٤)، إلى غيرها من الآيات.

٢- السِّيخِيَّةُ تحرم الرهبانية، وتحظر على أتباعها الخروج من الدنيا وتركها كليا، بل تحث الناس على الاشتغال بكسب الرزق بخلاف فقراء الهنادك والبوذيين والجينيين الذين يرون أن الدنيا هي مصدر الشر. ولا شك أن هذه الفكرة أقرب إلى الإسلام من الهندوسية.

يقول اللّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٥٦).

(٣) سورة الأعراف الآية (٣).

(٤) سورة الزمر الآية (٥٥).

(٥) سورة البقرة الآية (٢٦٧).

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

وهناك أحاديث كثيرة تحث المؤمنين على اكتساب الرزق، وتمنعهم من التواكل والتكاسل والتسوُّل من الناس، منها: حديث معروف يرويه أبو هريرة -رضي اللّٰه عنه- قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: **«واللّٰه لأن يأخذ أحدُكم حَبلاً فيحتَطِب على ظهره، فيأكل أو يتصدق، خير له من أن يأتي رجلاً أغناه اللّٰه من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليدَ العُليا خير من اليد السفلى»** متفق عليه.

٣- تنقُّلُ الأَرْوَاحِ مرةً بعد أخرى إلى الدنيا ليس بحتم بل قد ينجو الإنسان من التنقل أحياناً بمحض لطف اللّٰه وكرمه.

لا شك أن النجاة بلطف اللّٰه وكرمه غير معروفة في الهندوسية والبوذية والجينية.

٤- المساواةُ بين الرجال والنساء في العفو والمغفرة بخلاف الهندوسية، فإنها تعتبر المرأة أساس كل شر، والجينيةُ توجِبُ عليها ولادتَها في قالب الرجال لحصول النجاة لها.

والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2].

---

(١) سورة الجمعة الآية (٩).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

فالإسلام لا يفرق بين الرجال والنساء بل يعتبرهما نوعين مختلفين يُكَمِّل أحدُهما الآخر.

٥- السِّيخِيّةُ لا تقدس لغةً من اللغات المختلفة، بل عندها جميع اللغات على سواء. فإن الرب يسمع خواطر القلب بخلاف الهندوسية الّتي تقدس اللغة السنسكرتية وهي لغة «الفيدات» يخاطب بها «بَرْهَما» عبادَه ولا يقبل عبادتَهم إلا بها. وهي الآن من اللغات الميتة في الهند، حتى علماء الهنادك فيما بينهم لا يتخاطبون بها فضلاً عن غيرهم.

والقرآن الكريم يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[1].

وقد أنزل اللّه كتابه الأخير بلسان عربي مبين يقول تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2].

٦- إن الرب لا ينظر إلى قوم دون قوم بل دينه للجميع، فمن أخذ به نجا، والهندوسية لا تقر بذلك فإن البراهمة هم قوم مقدسون عند الرب وهم الذين يقومون بعبادته وتقديم القرابين له.

والقرآن الكريم يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٤).

(٢) سورة الزخرف الآية (٣).

خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

وفي الحديث المشهور يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[٢].

٧- السِّيخِيّةُ تعارض فكرة الأَفْتَار (وهي أن ينزل الرب بصورة البشر لإنقاذ عباده الصالحين) وتؤيد عقيدة الرسالة والنبوة الّتي أقرها الإسلام. يقول اللّه تعالى مخاطباً نبيه أن يعلن في الناس: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٣].

إلا أن السِّيخِيِّين لم يستقروا طويلا على هذه العقيدة بعد وفاة مصلحهم، بل سرعان ما أَلَّهُوا أساتذتَهم، ومُصلحِيهم، فبدأوا يعبدونهم من دون اللّه فوقعوا في شرك وكفر أكثر من غيرهم، فإن مُصْلحهم هو الآمر والناهي، وهو المُشرعُ وكلامه مقدس، وتذكُرُه في المراقبة أفضلُ العبادة.

هذه هي بعض الأمور الّتي خالف فيها السِّيخيُّون عقائد الهندوس.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١).

(٢) رواه البخاري في حديث طويل في كتاب التيمم (رقم ٣٣٥)، وفي كتاب الصلاة (رقم ٤٣٨).

(٣) سورة الكهف الآية (١١٠).

# قبسات السِّيخيَّة من نور الإسلام

## صفات اللّه جل شأنه:

مع وجود التناقض والتضارب فإن السيخية أخذت أشياء كثيرة من الإسلام وضمتها إلى نحلتها.

منها: بعض صفات اللّه جل جلاله. فإن الهندوسية تقسم هذه الأوصاف إلى ذوات كثيرة وتؤمن بأزلية الخالق، والروح، والمادة، ومنذ زمن بعيد يحاول علماء الهنادك إقامة الحجج والبراهين على عقيدتهم، ولكن العقل الحر رفض هذه التأويلات بشدة، ولم يخضع لها، وقد كان المصلحون السيخيون باتصال مستمر مع علماء الإسلام، فلا غَرْوَ إذا أخذوا منهم بعض العقائد الإسلامية. ولكن لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يفهم من هذا أن «نانك» كان مسلما في الباطن وهندوسيا في الظاهر، كما يعتقد البعض في الهند وفي الديار الأوروبية، فإنه يجب على كل مسلم أن يفهم بدقة أن الإسلام لا يقبل التجزئة. فمن أخذ بشيء من الإسلام وبشيء من غيره، وخلط بعضه ببعض فالإسلام منه بريء.

ونعود إلى موضوعنا فنقول: إن السِّيخيَّةَ تؤمن بتوحيد اللّه تعالى وتقول: هو أزلي، وخالق، ومحيط، وهو علة العلل، بعيد عن الحسد، والتنافر، وهو ليس إله قوم دون قوم، عادل، رحيم، كريم، لم يخلق البشر ليعذبهم على ذنوبهم، بل لغايته الحقيقية وهي العبادة له[1].

(١) هكذا يقول الدكتور «جوبال جند سنغ» في مقدمة ترجمة «كروكرنتها صاحب».

ولا شك أننا نجد في هذه العبارة كثيرا من المعاني الّتي دعا إليها الإسلام مثل قوله تعالى:

١- ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

إلا أنه لم ترد كلمة الأزل والقديم في حق اللّه سبحانه وتعالى، وإنما ورد ذلك على لسان الفلاسفة فتركه أولى من استعماله.

٢- **خالق**: قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[٢].

٣- وجاء في حديث مشهور يرويه أبو هريرة يقول: جاءت فاطمة إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم تسأله خادماً فقال لها: «**ما عندي ما أعطيك**» فرجعت فأتاها بعد ذلك فقال: «**الذي سألت أحب إليك...أو ما هو خير منه؟**» فقال لها عليّ قولي: لا، بل ما هو خير منه، فقالت، فقال صلى اللّه عليه وسلم قولي: «**اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**». رواه مسلم[٣].

---

(١) سورة الحديد الآية (٣).

(٢) سورة الفرقان الآية (٢).

(٣) صحيح مسلم (٢٧١٣).

٤- ليس إله قوم دون قوم: يقول اللّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

أما **برهما** (إله الهندوس) فهو رب البراهمة فقط الذين خلقهم من فمه، ويقبل العبادة منهم، والأقوام الآخرون عند الهنادك «جندال» وهؤلاء لا تحصل لهم النجاة حتى يُولَدُوا في قالب براهمة في حياة أخرى.

فالنجاسة عند الهندوسية تحصل من الخلق والولادة بخلاف الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ﴾[2].

فإنها نجاسة الشرك والكفر والظلم، ألا ترى أن المشرك إذا آمن بالله ورسوله وانقاد لأمرهما يدخل في زمرة المؤمنين، والسيخيةُ أخذت هذه العقيدة من الإسلام.

٥- **عادل**: يقول اللّه تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[3].

٦- **رحيم**: يقول اللّه تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١).

(٢) سورة التوبة الآية (٢٨).

(٣) سورة الأنعام الآية (١١٥).

(٤) سورة البقرة الآية (١٦٣).

**٧- كريم:** يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾[(١)].

وفي موضع آخر: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾[(٢)].

**٨- الغاية الحقيقية:** يقول اللّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[(٣)].

بخلاف الهندوسية والبوذية والجينية الّتي تؤمن بعقيدة التناسخ وتنقُّلِ الأرواح من جسم إلى جسم، فما خلق مخلوق على وجه الأرض إلا بما كسب في الحياة السابقة من الخير والشر، فهو يعذب في هذا السجن المستمر حتى يتحد ببرهما (خالقه)، ويحصل «النرفانا».

وهكذا نجد أن السِّيخِيَّة تأثرت بالإسلام أكثر من الهندوسية، وأن الكتاب الأساسي عند السِّيخِيِّين مملوء بلفظ الجلالة وأوصافه الحسنى، والأديانُ الهندية لا تعرف هذه الأسماء الحسنى ولا تنسبها لذات اللّه تعالى.

ويستمر الدكتور «جوبال جند سنغ» في بيان عقيدة السيخيين فيقول: «الناس في العدالة الإلهية كلهم سواء لا يميزهم اللّه بالقوم والجنس فكل يحاسب على أعماله».

---

(١) سورة الانفطار الآية (٦).

(٢) سورة المؤمنون الآية (١١٦).

(٣) سورة الذاريات الآية (٥٦).

قارن بين هذا وبين الطبقات السائدة عند الهنادك، فالطبقة الوضيعة وهي طبقة «شودرا» أحط وأخس من الحيوان وحشرات الأرض، والطبقة العليا وهي طبقة «البراهمة» أفضل على الإطلاق وهي الطبقة الّتي تكاد تكون معبودا عند الهنادك. فهذه العدالة الإلهية قد يسمعها أهل الهند من لسان سيخي من الهنادك أول مرة في تاريخهم. ولا شك أنها قبست من نور الإسلام.

يقول «نَانَك»: (إن الرب هو خالق كل شيء من هذه الكائنات بما فيها الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة).

ويقول القرآن الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

ويقول «نَانَك»: (هو لا يحتاج إلى شيء في التخليق).

ويقول القرآن الكريم: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾[2].

وفي موضع آخر: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[3].

و«برهما» يحتاج إلى الأرواح، ومادة التكوين في التخليق عند الهنادك.

يقول «نَانَك»: (هو لايدرك بالحواس).

---

(١) سورة الصافات الآية (٩٦).

(٢) سورة مريم الآية (٩).

(٣) سورة الإنسان الآية (١).

ويقول القرآن الكريم: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

هذه الاقتباسات وغيرها تدل دلالة واضحة على مدى تأثر «نَانَك» بالإسلام، إلا أنه اختلط عليه بعض العقائد الوثنية فلم يستطع التخلص منها وفشل في محاولته التوفيق بين الملل والنحل، فإن كتابه الّذي نال منزلة التقديس عند السيخيين مجمع للأفكار المتضاربة، والأديان المختلفة، والملل المتفرقة، فإنك تجد فيها ترهات فلاسفة الهنادك من أمثال «كبير داس» و«روي داس» و«سورداس» و«برومانند» وغيرهم، وبعض الحقائق والمعارف الّتي ينقلها من مشايخ الصوفية من المسلمين من أمثال «بابا فريد كنج شكر» و«بابا مردان خان» و«بابا ستا» وغيرهم ولا شك أنه كان بين هؤلاء المتصوفين وبين فلاسفة الهندوس نزاع شديد في الأفكار والآراء والطرق، وإن كان بينهم تلاحم في الغاية.

وأكثر من هذا، أن دعاة السِّيخِيّين يفتخرون بهذا التجميع الفكري بدون أن ينظروا إلى المتناقضات الموجودة فيه وما حدث من أجله من البلايا والمشاكل في فهم أصل الفكرة السِّيخيَّة.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

## القواعد الخمسة عند السِّيخِيّين:

هذه هي القواعد الخمسة الَّتي يلتزم بها كل سِيخي أينما كان:

**الأولى:** «**الكيشو**»: وهو استرسال الشعر من الرأس وإعفاء اللحى فإنه يحرم على سِيخي أن يحلق رأسه ولحيته.

**الثانية:** «**الكانغا**»: وهي عبارة عن الضفائر المجدولة فوق الرأس وذلك تعويضا عن المشط.

**الثالثة:** «**الكانشا**»: يعني اختيار سروال متسع يضيق عند الركبتين. وتحريم لباس «دهوتي» الَّذي يلبسه الهندوس وهو رداء ستة أمتار يُلَفُّ حول الجسد من تحت السرة.

**الرابعة:** «**الكارا**»: وهو سوار من حديد يلف حول المعصم. ويحرم جميع أنواع الحلي والجواهر.

**الخامسة:** «**الكربال**»: وهو عبارة عن نوع من السيوف يتحلى به سِيخي، لأنه يحتاج إليه لمحاربة أعدائه.

## فكرة الرسالة والنبوة:

إن الفكرة المنتشرة بين الهنادك هي عقيدة «أفتار» (ومعناها أن ينزل الرب على الأرض بصورة البشر) -وبينت استحالتها فيما سبق في العقائد الهندوسية-، ولكن هذه هي الفكرة السائدة بين الهنادك. فهم لا يزالون يؤمنون بألوهية كل مصلح ديني بما في ذلك «نَانَك» وغيره إلا أن مؤسس السيخية لم يقتنع بها، وتأثر بعقيدة الإسلام في إرسال الرسُل والأنبياء من بني آدم وبقيت هذه العقيدة معروفة عند السِّيخِيّين إلى زعيمهم الخامس

وهو «أرجن داس» المولود في سنة ١٥٦٣م، والمتوفى ١٦٠١م، ولما تولى رئاسة السِّيخِيّين هذا المصلحُ أعلن بألوهية جميع المصلحين السابقين، وأدخل في السِّيخيَّة عقيدة «أفتار» وإليكم فهرس هؤلاء المصلحين:

١- نَانَك: ١٤٦٩-١٥٣٨م هو مؤسس النحلة السِّيخِيَّة.

٢- أنكد: ١٥٠٤-١٥٥٢م.

٣- امرداس: ١٤٧٩-١٥٧٤م.

٤- رام داس: ١٥٣٤-١٥٨١م.

٥- رجن داس: ١٥٦٣-١٦٠٦م.

٦- هر كوبند: ١٥٩٥-١٦٦٤م.

٧- هري رأي: ١٦٣٠-١٦٦١م.

٨- هري كرشنا: ١٦٥٦-١٦٦٤م.

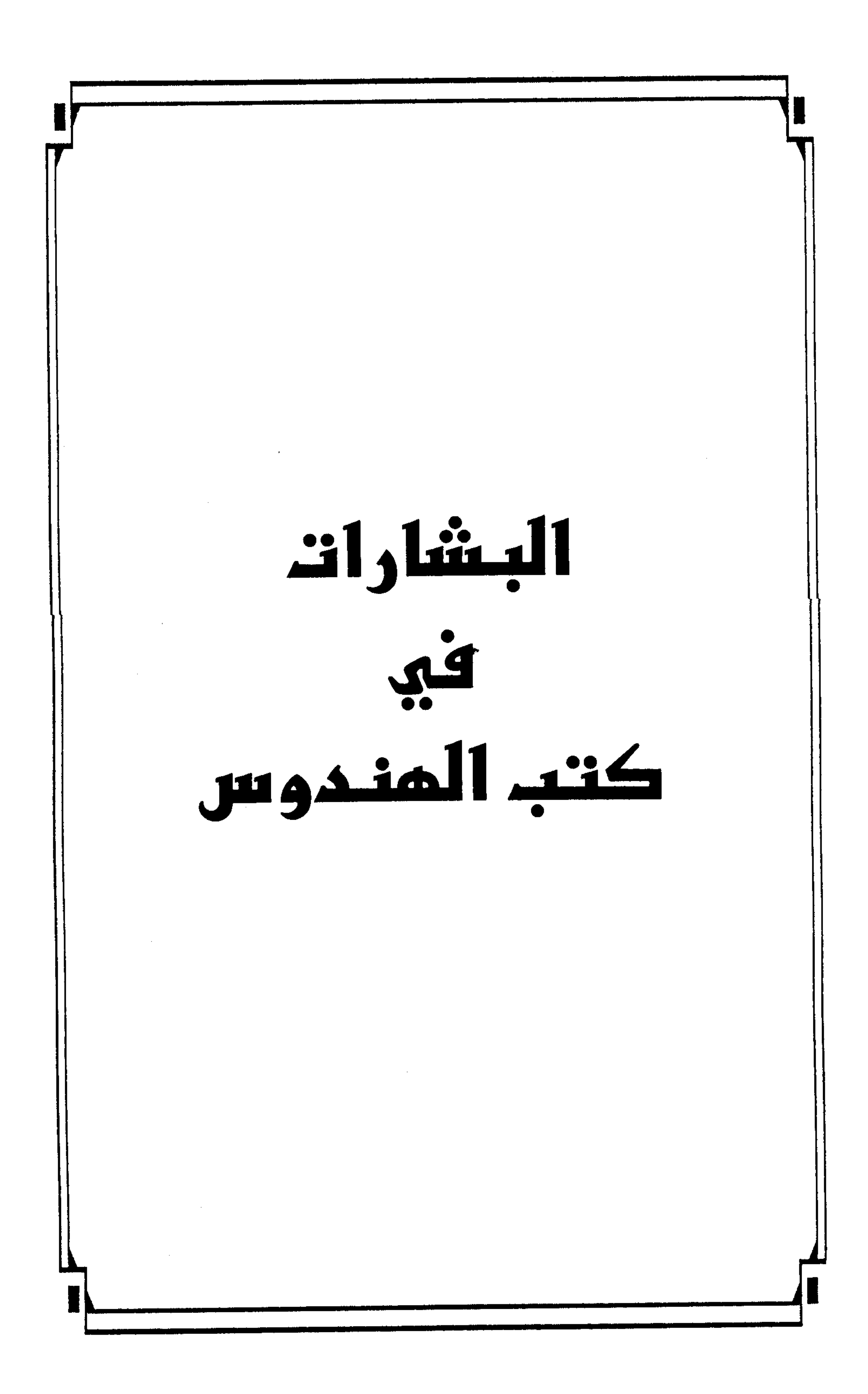
٩- تيغ بهادر: ١٦٢١ -١٦٧٥م.

١٠- كوبند سنغ: ١٦٦٦-١٧٠٨م.

هذه هي سلسلة عباقرة السِّيخِيّين تبدأ من «نَانَك» وتنتهي إلى «كوبند سنغ»، وهناك خلاف شديد بين الفرق السِّيخِيّة في بعض هؤلاء فإن المستخلف أحيانا يموت بدون تعيين من يخلف، ثم هل فكرة السيخية تطورت واستكملت وهي لا تحتاج إلى المصلحين الجدد؟ وكذلك انقسمت السِّيخِيّة إلى حزبين، حزب يرى أنه لا حاجة إلى مصلح جديد، «وكوبند سنغ» هو خاتم المصلحين، وحزب يرى ضرورة استمرار هذه السلسلة الّتي لا نهاية لها. فهذا الحزب ينتخب في كل عصر مصلحا

جديدا يشرح لهم أحكام الشريعة، ويفسر لهم الكتاب حسب حاجة الزمن واقتضائه.

هكذا ترى أن الفكرة السيخية الّتي بدأت بوحدة الأديان، وتقليل المنافرة بين الفرق والمذاهب، فشلت في بغيتها. وظهرت بفكرة جديدة، وقوة ثالثة تحارب في وقت واحد الهندوسية والإسلام. وقد دارت بين السِّيخِيّين والمسلمين معارك كثيرة في داخل الهند. وكانت هذه الفرقة سببا رئيساً لفشل الجهاد الإسلامي الّذي قاده شهيد الإسلام الشيخ أحمد ابن عرفان المعروف بالبريلوي والشاه إسماعيل الشهيد. وانهزم المسلمون على يد هذه الفرقة في ميدان «بالاكوت» وانتهت بانتهائهم دولة إسلامية قوية ظلت ثمانية قرون تحكم بلاد الهند، فاستولى عليها المستعمر البريطاني ومن ذلك اليوم إلى يومنا هذا لم يعد لهذه البلاد حكم الإسلام والله المستعان.



# البشارات
# في
# كتب الهندوس


http://kotob.has.it

# موضوع البشارات في كتب الهندوس

إن موضوع البشارات في كتب الهندوس شغل بالَ علماء الهند مع اعترافهم بأن كتبهم غير منزلة.

فقد ألّف الشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي المتوفى سنة (١٣٧٦هـ) وهو أحد كبار علماء أهل الحديث في الهند رسالة باسم «بشارات محمدية» واختصرها العلامة المناظر الشيخ ثناء اللّه الأمرتسري المتوفى سنة (١٣٦٧هـ) رئيس جمعية أهل الحديث في الهند باسم «محمد رشِي» ونشره الشيخ محمد داود راز سنة (١٣٧٧هـ).

كما ألّف الأستاذ محمد مطيع الرحمن الجاتر فيدي باسم «خاتم النبيين».

وقد ظهر كتاب جديد بقلم شمس نويد العثماني في الموضوع نفسه إلا أنه توسع فيه بما لا تُقرِّه كُتُب القَوم كل هولاء أرادوا إقامة الحجة على الهندوس من كتبهم.

كما أن غير المسلمين من الهندوس والقاديانيين أيضاً اهتموا بهذا الموضوع. فألّف «عبد الحق الوديارتهي» (VIDHYARTHI) القادياني كتاباً باسم «ميثاق النبيين» استقصى فيه جميع البشارات الواردة في كتب غير المسلمين من اليهود والنصارى والهندوس والبوذيين والزردشتيين. وطبع هذا الكتاب في عام ١٩٣٦م، وترجم إلى عدة لغات عالمية.

كما ألَّف في الموضوع نفسه بعض الهندوس منهم: الدكتور «ويد بركاش» رسالتين عن البشارات بالنبي ﷺ في كتب الهندوس.

كما أن الدكتور «راميش برساد» كتب مقدمة لكتاب سلام اللّه صديقي في الموضوع نفسه، واعترف فيها بأن معنى «نراشنس» بالعربية «محمد» وهو الّذي جاء ذكره في «آتور فيدا».

وكلمة «نراشنس» مركبة من «نر» ومعناها الإنسان و«شنس» ومعناها الممدوح من الناس (PRAISED) يعني الإنسان الّذي مدحه الناس. وادعى فقال: من هو هذا؟ غير «محمد» صلى اللّه عليه وسلم.

كما أن القاديانيين في تراجمهم لمعاني القرآن الكريم وتفسيره أشاروا إلى هذا الموضوع بإسهاب.

وقد اشتهر في الأوساط العلمية في الهند السيد «أديار» (ADDYAR) المولود سنة ١٩٣٥م في منطقة «تامل نادو» رئيس تحرير صحيفة يومية «نِرُوتَام» بكتابه «الإسلام الّذي أحِبُّه» وفيه فصل كامل عن البشارات في كتب الهندوس(١).

ولكن السؤال الّذي يدور في أذهان كثير من الناس هو: كيف تسربتْ هذه البشارات إلى كتب الهندوس مع أنها غير منزلة.

وما هو موقف الهندوس أنفسهم تجاه هذه البشارات؟.

---

(١) وقد بلغني أنه أسلم.

وللإجابة عليه أقول:

١- لعل «الآريين» اقتبسوا هذه البشارات من تعليمات سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأنه دعا الله سبحانه وتعالى أن يبعث من ذرية إسماعيل عليه السلام رسولاً كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

لأنه قد ثبت أن هجرات «الآريين» كانت في الفترة الّتي ظهرت فيها دعوة إبراهيم عليه السلام في العراق وما حولها. وهي من المناطق الّتي مَرَّ بها «الآريون» في هجرتهم حتى وصلوا إلى السند. وحملوا معهم بعض الأفكار الكلدانية والبابلية تمّ انكشافها في الأمهار الّتي وجدت في حفريات «موهان جودار» في وادي السند.

وقد كنت أرى أن «البراهمة» نسبةٌ إلى إبراهيم عليه السلام، ثم وقفت على كلام أبي الفضل السَّكْسَكِي الحَنْبلي (ت٧٨٣هـ) في كتابه: «البرهان في معرفة الأديان» يقول فيه:

«وسُموا براهمة لإقرارهم بالله تعالى، وتكذيبهم بالوسائط وهم الرسل، إلا إبراهيم عليه السلام، فإنهم يقولون برسالته فسُموا لذلك براهمة»[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٩).

(٢) البرهان في معرفة الأديان، ص (٨٧).

بل وقد ادعى الدكتور «بُران نات» الأستاذ بالجامعة الهندوسية ببنارس في مقال نشر في صحيفة «تائمس آف إنديا» (TIMES OF INDIA) في شهري يوليو وأغسطس عام ١٩٣٥م: «أن جزءا كبيراً من تعليمات «ريج فيدا» أخذت من التوراة وصحف إبراهيم»[1].

ولكن أين لهذا الباحث الهندوسي أن يطلع على صحف إبراهيم إلا أن يقصد به كتاب «جيمس» المنسوب إلى إبراهيم باسم: (THE BOOK OF ABRAHAMAN) الّذي ترجمه من اليونانية وطُبع عام ١٨٩٢م، أو كتاب «جي -إيج- بوكس» الّذي ترجمه من العبرية إلى اليونانية، ثم تُرجم منها إلى الإنجليزية باسم: (THE TESTAMENT OF ABRAHAMAN).

ولا أعتقد صحة نسبة هذه الكتب إلى إبراهيم عليه السلام.

وأما قوله تعالى: ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[2] فلا نعرف مصير هذه الصحف والغالب أنها فقدت.

٢- إن الهندوس أدخلوا تعديلات كثيرة في كتبهم فمن الممكن أنهم ألحقوا هذه البشارات في كتبهم في العصور الإسلامية إرضاءً للمسلمين.

وقد أفادني الأستاذ «سلطان مبين» رحمه اللّه تعالى أستاذ اللغة السنسكرتية بكلية شِبلي بمدينة أعظم كره، المختص في أديان الهند، في رسالة بعث بها إلي بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٥م جواباً عن سؤال وجهت إليه

---

(١) ميثاق النبيين ص (٩٦).

(٢) سورة الأعلى: الآية (١٩).

عن البشارات فقال:

«إنها موضوعة، أدخلها الهندوس في كتبهم في العصور المتأخرة، كما أنهم ألفوا كتباً في العهد الإسلامي وجعلوها مقدسة ومنزلة، مثل كتاب «بهاوشيا بران» وكتاب «كلكي بران»[(١)].

وهذا الرأي له وجه، لأن معظم كتب الهندوس قد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية في عهد المأمون بن الرشيد بدار الحكمة في بغداد، ولكن لم أجد أحداً من المؤلفين السابقين أشار إلى وجود البشارات في هذه الكتب. وهنا أخص بالذكر أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ الّذي أتقن اللغة السنسكرتية، وترجم كتابين إلى العربية[(٢)]، وألّف كتابه الشهير «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» ولم يشر إلى وجود البشارات في كتب الهندوس.

ولذا يجب الحذر والاحتياط من قبول هذه البشارات، وأما موقف

(١) ويُوجد في هذين الكتابين كثير من البشارات.

(٢) يقول البيروني في مقدمة كتابه «تحقيق ما للهند» (ص٤): «وكنت نقلت إلى العربية كتابين أحدهما في المبادئ، وصفة الموجودات، واسمه: «سانك» والآخر من تخليص النفس من رباط البدن، ويعرف بـ «باتنجل» وفيها أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم» ولا يعرف مصير الكتاب الأول، وأما الثاني فوجدت نسخة عتيقة في مكتبة كوبرولو في استانبول. وباتانجل: هو اسم مؤلف هندوسي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد. واسم كتابه: «يوجا سوترا» واليوجا عندهم نوع من التصوف والرياضة تظهر منه الأعمال العجيبة المشهورة في المراكز اليوجية في الهند لاستجلاب السواح الغافلين.

علماء الهندوس تجاه هذه البشارات فبعد تتبع أقوالهم تبين لي ما يلي:

١- منهم من طبق هذه البشارات على زعمائهم وأبطالهم.

٢- ومنهم من ينتظر ظهور صاحب هذه البشارات في آخر الزمان.

٣- ومنهم من اعترف بوضعها مثل «ديانند» وأتباعه.

٤- ومنهم من اعترف بصدقها، ولكنه لم يدخل في الإسلام مثل الدكتور «ويد بركاش» والدكتور «راميش برشاد».

٥- ومنهم من اعترف بصدقها وأحب أن يدخل في الإسلام ولكنه خاف على نفسه وعلى رئاسته.

وأما من اختار الإسلام وأعلن به فقد تحمل أنواعاً من العذاب من الضرب والشتم والتشريد. فمن تمكن منهم أن يهرب من أيديهم فقد نجا، ومن بقي في أيديهم فالله أعلم بمصيره.

٦- ومنهم من اختار الصمت، فإني كتبت إلى بعضهم في الهند، وأرسلت إليه بعض بطاقات البشارات، وطلبت منه عرضها على أساتذة الجامعات الهندوسيات فردّ عليّ المُرسَل إليه: بأن الأساتذة الذين عرضت عليهم هذه البطاقات اختاروا الصمت.

فقلت: صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ

كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(١).

ولكن أقول: مهما يكن الأمر فالقضية هي قضية الهندوس أنفسهم، وقد وُجدتْ مجموعةٌ من البشارات في كتبهم، وهم مسئولون عنها، ويجب عليهم أن يبينوا موقفهم تجاهها.

وبعد هذه المقدمة أذكر بعض هذه البشارات التي وجدتها في كتب الهندوس، وأطبقها على نبينا محمد ﷺ وإن كان في بعضها تكلف فالله المستعان.

وأبدأ بذكر قصة آدم وحواء، والغرض من بعثة الأنبياء كما جاء في كتب الهندوس.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٥).

## قصة وجود آدم وحواء

«خُلق رجل اسمه أدمو، وامرأة اسمها حيوورتي»[١] .

* * *

وردت كلمة «آدمو» في «بَهاوِشيا بُران» ولم ترد هذه الكلمة في كتب الهندوس الأخرى، و«آدم» كلمة عبرية معناها (إنسان) وقد جاء في الأصل الآشوري «أدامو» أي يعمل وينتج.

لقد اتفقت الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام على أن أول إنسان خلقه الله تبارك أسماؤه هو «آدم» ففي الإصحاح الثاني من سفر التكوين:« وجبل الربُ الإلهُ آدمَ تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمةَ حياةٍ فصار آدم نفساً حيةً »[٢].

وأما القرآن الكريم فيشير إلى خلق آدم في أكثر من آية، منها: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣].

---

(١) بهاوشيا بران (٤/١٨-١٩).

(٢) (٦/٢).

(٣) سورة الحِجْر: الآية (٢٨-٣١) .

ووردت كلمة آدم في القرآن الكريم في أربعة وعشرين موضعا.

وكلمة «حيووتي» لعلها من «حواء» [1]، وهي كلمة عبرية ومعناها (حياة) وهي زوجة آدم، وسميت بحواء لأنها أم كل حي من البشر، والله أعلم.

## عصيان آدم ربه

«في شرق قرية «بردان» وفي حديقتها الجميلة التي بناها الله، ذهب آدم لرؤية زوجته، ففي تحت شجرة الذنوب جاء الشيطان بصورة ثعبان بحكم من الله، فأكلت المرأة الثمرة من الشجرة التي أخرجتهما من الجنة إلى الدنيا» [2].

* * *

والقرآن الكريم يشير إلى عصيان آدم ربه بقوله: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [3].

---

(١) جاء ذكرها في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة رقم (٣٣٣٠).

(٢) بهاوشيا بران (٤/٣١-٣٣) .

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥، ٣٦ .

## بعثة الأنبياء والرسل

يقول «كِرِشْنَا» :

**«يا أرْجُنْ من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدين، أهبط بنفسي دورة بعد أخرى»** (١).

و «كرشنا» هو بطل من أبطال الهندوس، وهم يعتقدون فيه الألوهية، وأنه مظهر من مظاهر الإله، وأنه هبط بنفسه إلى الأرض. وهى عقيدة محرفة من النبوة والرسالة. وقد تأثرت النصرانية بشخصية «كرشنا» فجعلبوا المسيح عليه الصلاة والسلام مظهراً من مظاهر الألوهية، وإنه إله تجسم بصورة البشر، وهذه العقيدة تعرف عند الهندوس باسم «أفتار» وهى كلمة سنسكريتية معناها- النزول.

وفي اصطلاح الهندوس: نزول الرب إلى الأرض بصورة البشر لأداء رسالة خاصة -كما سبق شرحه.

وإذا كانت عقيدة «أفتار» عند الهندوس هي صورة محرفة من النبوة والرسالة. فالقرآن الكريم يشير إلى أن الله تبارك وتعالى بعث لكل أمة رسولاً ونبياً.

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّـةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٢).

---

(١) البهكفت كيتا (٤/٨).

(٢) سورة فاطر الآية (٢٤).

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

وبناء على هذا بدأ المسلمون يدرسون الأديان الأخرى في فجر تاريخهم بعد أن وضعوا أمام أعينهم بأنه وقع التحريف والتبديل في جميع الأديان السابقة على الإسلام. يقول الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

وإن الإسلام هو آخر الأديان وخاتمها، وهو دين الحق عند الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3].

والكتب الهندوسية تنص على بعثة أربعة وعشرين رسولا. ظهر منهم الجميعُ إلا الرابع والعشرين. وهم ينتظرون ظهوره. وقد سموا هذا النبي المنتظر بأسماء منها:

١- «**كَلْكي**» يعني الذي يطهر الناس من الذنوب والآثام.

٢- و«**نراشنس**» : يعني الإنسان المحمود.

٣- و«**جكت كرو**» : يعني معلم العالمين.

وقد حددوا فترة ظهور هذا النبي المنتظر بأن يكون في زمن«كَلْ يُوج».

---

(١) سورة يونس الآية (٤٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (٧٩) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩).

وعلى هذا الأساس فالنبي المنتظر يظهر في الفترة الأخيرة وهي «كل يوج» التي بدأت منذ آلاف السنين، وتاريخ العالم يشهد بأنه لم يظهر بعد المسيح عليه الصلاة والسلام من يستحق أن يكون نبياً ومنجياً غير سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهذا الأمر يدعو علماء الهندوس إلى التفكير الجدي في النبي الذي ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة.

وأما البشارات الواردة في كتب الهندوس فمنها صريحة ومنها مجملة، يحتاج إلى التفسير مع التأكيد بأن وجود هذه البشارات في كتبهم لا ترفع منزلتها لما سبق أن بيّنا بأن تاريخها في ظلام، إنما المراد بهذا البحث وهو إقامة الحجة عليهم بكتبهم. وأما المسلمون فليسوا في حاجة إلى اثبات نبوة محمد رسول الله ﷺ من كتب الهندوس، لأن نبوته ﷺ ثابتة بالدلائل العقلية والحسية.

وبعد هذا فأنقل ماورد من البشارات في كتب هؤلاء القوم، وأشرحها على ضوء الروايات الإسلامية، فإذا رأيت بعض الإختلاف، فمعنى ذلك أنه وقع شيء من التحريف في هذه البشارات مثل غيرها من النصوص الأخرى.

* * *

**١- «في ذلك الوقت في قرية «شامبهل» عند رجل اسمه «وشنوياش» صاحب قلب رقيق يولد في بيته «كالكي»** [1].

## شرح الكلمات:

لفظ «شمبهل» مركب من كلمتين «شم» معناه: الأمن، و «بهال» معناه: القرية أو البلد، يعني به: قرية الأمن، أو البلد الأمين.

---

(١) البهكفت بران (١٨/٢).

## شرح الكلمات:

لفظ «شمبهل» مركب من كلمتين «شم» معناه: الأمن، و «بهال» معناه: القرية أو البلد، يعني به: قرية الأمن، أو البلد الأمين.

و «وشنوياش» مركب من كلمتين -أيضاً- «وشنو» معناه: الله، و«ياش» معناه: العبد، يعني اسم أبيه: عبدالله. و «كالكي» معناه: مُطَهِّر من الذنوب والآثام.

والقرآن الكريم يشير إلى أن الله تعالى بعث محمداً رسول الله ﷺ مطهراً ومعلماً. قال تعالى مخاطباً لنبيه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3].

والنبي ﷺ كان سبباً للتطهير، فمن آمن به وصدقه وعمل بما جاء به يكون طاهرا بإذن الله، ومن أسمائه ﷺ كما أخبر أنه: الماحي ومعناه: الذي يمحو به الكفر، والكفر من أغلظ النجاسات.

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٣).

(٣) سورة المائدة الآية (٦).

عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**» والعاقب الذي ليس بعده نبي [(١)].

* * *

**٢- «يولد «مَهَارشى كَلْكِي» في بيت «وشنوياش» من زوجته «سومتي»»**[(٢)].

كلمة «سُومْتِي» معناها: صاحبة السلامة والأمن، ولعلنا نرى ربطا بين هذا المعنى وبين اسم أم النبي ﷺ (آمنة).

و «وشنوياش» معناه: عبدالله كما سبق.

* * *

**٣- «إنه يولد في الثاني عشر من ظهور القمر في شهر اسمهُ «مادوه»»**[(٣)].

معنى «**مادوه**» الشهر المرغوب فيه، والمحبب إلى النفوس، وهو شهر الربيع. وقد اتفق أهل السير والتاريخ بأن النبي ﷺ ولد في شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق: (إنه ولد لإثنتي عشرة خلت من ربيع الأول).

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس أنهما قالا: (ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثامن عشر من ربيع الأول، وفيه

(١) أخرجه البخاري ٦/٥٥٤، والترمذي ٢٨٤٢، وأحمد ٤/٨٠٠، ٨٤٥، والدارمي ٢/٢١٧، وابن سعد ١/١٠٤ كلهم من طرق عن جبير بن مطعم، قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) كلكي بران (٢/١١).

(٣) كلكي بران (٢/١٥).

بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: والصواب: الثاني عشر.

وهو يوافق الثالث والعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١م جزم به محمود باشا فلكي.

*　*　*

**٤- «إن «مهَارشي كلكي» يكون متصفاً بصفات ثمانية»**[1].

ونحاول الآن تطبيق هذه الصفات على النبي ﷺ علما بأنه لم يوجد أحد من أبطال الهندوس من اتصف بهذه الصفات. وبخاصة في فترة «كل يوج» التي يرتقب فيها ظهور هذا النبي.

**والصفات الثمانية هي:**

**الأولى:** (PRAGYA) ومعناه: الإخبار عن المستقبل، وفيه إشـارة إلى المعجزات التي وهبها الله تعالى لنبيه ﷺ مايدل على صدق نبوته، وقد ألف العلماء كتباً كثيرة باسم دلائل النبوة وأشهرها كتاب البيهقي -رحمه الله تعالى-، وفيه مئات الآثار لبيان المعجزات.

**الثانية:** (CULINATA) يعني يكون هذا النبي من أشرف قومه.

روى الإمام أحمد عن المطلب بن أبي وَدَاعة قال: قال العباس رضي الله عنه بلغه ﷺ بعضُ مايقولُ الناسُ: فَصَعِد المِنْبَر فقال: «**من أنا ؟**» قالوا: أنت رسول الله، قال: «**أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إن الله خلق الخَلْقَ فجعلني في خير خَلْقِه، وجعلهم فِرقتين، فجعلني في خير فِرقة، وخلق القبائل، فجعلني في**

(١) البهكفت بران (١٢/٢-١٩).

**خير قَبيلة، وجعلهم بُيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيرُكم بيتا، وخيركم نَفْسًا**»[١].

وعن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**»[٣].

وقد شهد أبو سفيان وهو كان على كفر أمام هرقل حين سأله عن نسبه فقال: هو فينا ذو نسب، قال هرقل: كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها، يعني في أكرمها أحسابا وأكثرها قبيلة.

**الثالثة:** (INDRIDAMAN) يعني:الغالب على نفسه.

فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ كان أملك لنفسه من غيره، فإن كل إنسان معه قرينة من الشيطان يأمره بالسوء، ويُزَيّن له المحارم، فيقع الإنسان

(١) الإمام أحمد في المسند ١/٢١٠، ورواه أيضاً الترمذي ٣٦٠٨، والبيهقي في الدلائل ١/١٦٩ كلهم من طريق سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة عنه، وقال الترمذي: حسن.

قلت: والمطلب بن أبي وداعة صحابي أسلم يوم الفتح، ويزيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم الكوفي ضعيف، كبر فتغير وصار يلقن وكان شيعياً. ولكن مثل هذا لا بأس في المتابعات والشواهد. فمن شواهده حديث واثلة بن الأسقع الذي بعده.

(٢) رواه مسلم ٤/١٧٨٢، والترمذي ٣٦٠٥، وقال الترمذي:حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم ٤/١٧٨٢، وأبو داود ٥/٥٤ .

في المخطرات إلا أن الله تبارك وتعالى جعل نبيه محفوظاً من كيد الشيطان ومكره.

كما روى أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن عفريتا من الجن تفلت علّ البارحة ليقطع عليّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان:** ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ «**فرده الله خاسئا**»[1].

وقد شهدت عائشة رضي الله عنها بقولها: (أيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه)[2].

وقد أشار النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة إلى «**أن الشديد ليس بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[3].

**الرابعة:** (SHRUT) بمعنى: عنده العلم الإلهي، ويراد به الوحي، يعني أن كلامه وحي من الله، والقرآن الكريم يشير إلى هذا بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[4].

---

(١) رواه البخاري ١/٥٥٤، ومسلم ١/٣٨٤ .

(٢) رواه البخاري ١/٤٠٣ .

(٣) رواه البخاري ١٠/٥٦٦، معلقا، ومسلم ٤/٢٠١٤، وأحمد ٢/٢٦٨ كلهم عن أبي هريرة.

(٤) سورة النجم: الآية (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

**الخامسة:** (PRAKRAM) معناه: رجل قوي البنية الذي لا يُغْلَب.

يعني أنه في خَلْقِه رجل تام مُهيب لا نقص فيه، وليس المراد به أنه ضخيم.

وقد وُصِفَ رسول الله ﷺ بأنه «**كان رجلاً مربوعاً، بعيد مابين المنكبين**» كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه(٣).

ووصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: (**لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولابالقصير، شثن الكفين والقدمين،ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويل المسربة، إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ**») (٤).

---

(١) سورة الحاقة: الآية (٤٤) .

(٢) سورة الشورى: الآية (٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٦/٥٦٥)، ومسلم (٤/١٨١٨)، والنسائي (٨/١٨٣)، وأحمد (٤/٢٨١) .

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب، برقم ٣٦٣٧، وقال: حسن صحيح، وأخرجه أيضاً الحاكم ٢/٦٠٤، وصححه ووافقه الذهبي.

=

وشثن الكفين: غليظ الأصابع والراحة.

وضخم الكراديس: وهي رؤوس العظام.

والمسربة: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.

والصبب: ما انحط من الأرض.

هذه من أوصاف رجل صحيح البنية والجسم، وهي ممدوحة في الذكور دون الإناث.

وقد أُعْطِي النبي ﷺ المهابةَ والجلالةَ يخاف منه العدوُ.

ففي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطِيتُ خَمْساً لم يُعطَهُن أحدٌ قبلي، نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلتْ لي الأرض مسجدا وطهورا، فإيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحِلّتْ لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبي يُبعَثُ إلى قومه خاصةً وبُعِثْتُ إلى الناس عامة**» (١).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**بُعِثتُ بجوامع الكلِم، ونُصِرتُ الرعب**» (٢).

---

=

وقال الشيخ الألباني في تعليقه على مختصر الشمائل: (سنده ضعيف لكن له طرق أخرى يتقوى بها عند أحمد ) (٢/٨٨، ٩٦، ١٠١، ١٠٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٥١)، وابن سعد في الطبقات (١/٤١٠-٤١٢).

وجملة «شثن الكفين والقدمين» مع الجملة الأخيرة منه في صحيح البخاري (كتاب اللباس) من حديث أنس بن مالك. انتهى.

(١) رواه البخاري (١/٤٣٦-٤٣٧)، ومسلم (١/٣٧١) .

(٢) رواه مسلم (١/٣٧١) .

وروى أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه ﷺ (١).

**السادسة:** (ABHU BHASHITA) يعني: قليل الكلام.

والنبي ﷺ أُعْطِي جَوامِعَ الكَلِمِ كما ثبت في الأحاديث الكثيرة.

منها: ماروواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بُعثتُ بجوامع الكلم...**» (٢).

وقد أخبرت عائشة رضي الله عنها عن تحديث رسول الله ﷺ فقالت: **(ماكان رسول الله ﷺ يَسْرُدُ كَسَرْدِكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بَيّنٍ**

(١) رواه أبو داود ٤/٣٤٠-٣٤١، والترمذي ٤/٢٤٧-٢٤٨ كلاهما من طريق محمد ابن ربيعة، عن أبي الحسن العسقلاني، عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة، عن أبيه فذكر الحديث وزادا من قول النبي ﷺ : «**فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس**».

قال الترمذي: حسن غريب، إسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني، ولا ابن رُكانه.

كذا حسن غريب في النسخة المطبوعة، بينما ذكر المزي عنه في تحفته، غريب، فقط. إلا أن أبا داود ذكر في إسناده فقال: عن أبي جعفر بن محمد بن علي ابن ركانة.

ورواه ابن قانع في معجمه من طريق أبي الحسن، عن محمد بن يزيد بن ركانة، عن أبيه فذكر الحديث كذا قال المزي.

ورواه ابن سعد في طبقاته ١/٣٧٤ من طريق أبي الحسن العسقلاني، عن أبي جعفر محمد بن ركانة، عن أبيه، فجعل أبا جعفر كنية محمد بن ركانة والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (١٢/٤٠١) ومسلم (١/٣٧١) .

فصل، يحفظه من جلس إليه) [١].

**السابعة:** (DAN) معناه: السخي الكريم الذي لايبخل بما عنده.

وفي هذا الوصف بلغ النبي ﷺ منزلة لايضاهيه فيها أحد.

عن جابر بن عبد الله ﷺ يقول: **(ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا)** [٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس بالخير، وكان أجود مايكون في شهر رمضان حتى ينسلخ، فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)** [٣].

وعن أنس ﷺ قال: **(كان النبي ﷺ لا يَدَّخِرُ شيئاً لغد)** [٤].

---

(١) رواه الترمذي في السنن ٥/٦٠٠، وفي الشمائل رقم ٢٢٤، وأحمد ٦/٢٥٧، وابن سعد ١/٣٧٥ وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/٤٥٥)، ومسلم (٤/١٨٠٥)، والدارمي (١/٣٤)، وابن سعد (١/٣١٨)، وأبو الشيخ (٤٧)، والترمذي في الشمائل رقم (٣٠٢)، والبغوي في شرح السنة (١٣/٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في بدأ الخلق (٦/٣٠٥) وفي صفة النبي ﷺ (٦/٥٦٥)، وفي فضائل القرآن (٩/٤٣)، ومسلم (٤/١٨٠٣)، والنسائي (٤/١٢٥)، وأحمد ١/٢٣١، ٢٨٨، ٣٤٦، ٣٦٣، والترمذي في الشمائل رقم (٣٠٣)، وابن سعد (١/٣٦٨-٣٦٩)، وأبو الشيخ (٤٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣/٢٥٠).

(٤) أخرجه الترمذي رقم ٢٣٦٢، وابن حبان ٢١٣٩،٢٥٥٥، والبغوي ١٣/٢٥٣ وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن أنس ﷺ أيضا: (**أن رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله فأعطاه غنما بين جبلين، فأتى الرجلُ قومَه فقال: أسلِمُوا فإن محمداً يُعطي عَطاءَ رجلٍ ما يخاف فاقة**) [(١)].

وهذا قليل من الكثير من جوده وكرمه ﷺ.

**الثامنة:** (KRITAGYATA) ومعناه: المعترف بالجميل.

ولقد كان النبيﷺ كثيراً مايذكر الأنصار لمساندتهم ومناصرتهم له، وتمنى أن يكون منهم.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرء من الأنصار**» [(٢)].

ويقول ﷺ عن أبي بكر الصديق ﷺ «**ومانفعني مال قط مانفعني مال أبي بكر**» [(٣)].

ويغني عن كل هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [(٤)].

---

(١) رواه مسلم ١٨٠٦/٤، وعنه البغوي ٢٥٣/١٣، وأبو الشيخ ص٤٧ .

(٢) رواه البخاري ١١٢/٧ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢٥٣/٢، ٣٦٦، وابن ماجه ٣٦/١، وابن أبي شيبة ٦/١٢، وابن عاصم في السنة رقم ١٢٢٩ كلهم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ. وإسناده صحيح.

(٤) سورة القلم: الآية ٤ .

* * *

**٥- «وهو يركب على الحصان، ويخرج منه النور، ولايضاهيه أحد في رعبه وجماله، ويكون مختونا، ويعدم مئات الألوف من الظلمة والكفرة»[١].**

ما ألصق هذه الصفات بنبينا ﷺ وإليكم بيان ذلك:

١- عن جابر بن سمرة ﷺ قال: (**رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فهو عندي أحسن من القمر**)[٢].

---

(١) البهكفت بران ١٢-٢-٢٠ .

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٩١١، والدارمي ١/٣٠، والحاكم ٤/١٨٦، والطبراني في المعجم الكبير ١٨٤٢، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، كلهم من طريق الأشعث ابن سوار، عن أبي إسحاق، عن جابر بن سمرة، إلا أبا الشيخ فقد رواه من شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث الأشعث، وروى شعبة والثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء، ثم ساق إسناده وقال: وفي الحديث كلام أكثر من هذا، وسألت محمداً -يعني البخاري- قلت له: حديث أبي إسحاق، عن البراء أصح، أو حديث جابر بن سمرة ؟ فرأى كلا الحديثين صحيحاً.اهـ.

قلت: أشعث بن سوار ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر، وقد خالفه شعبة والثوري، وهما من أمراء المؤمنين في الحديث إلا أن الحاكم صححه ووافقه الذهبي، فلعل أبا إسحاق روى من وجهين، عن جابر بن سمرة، وعن البراء، ولذلك صَحَّح البخاري الطريقين، وليست المخالفة في نفي شيء أو إثبات شيء، إنما المخالفة في سوق الإسناد.

٢- وعن أبي إسحاق قال: (سأل رجل البراء بن عازب أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ قال: لا. بل مثل القمر) [١].

٣- وعن ابن عباس قال: (**كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيين، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه**)[٢].

وأما الختان فلا يعمل به عند الهندوس لا قديما ولا حديثاً.

وأما ركوب الحصان فلا يعرف من زعماء الهندوس من ركب الخيل، إلا أنهم تخيلوا أن النبي الخاتم يركب الخيل، ولذا نجد أنهم في بعض كتبهم المقدسة عندهم يصورون زعماءهم بأشكال مختلفة؛ فمثلاً صوروا «راما» أنه يرمي بالسهم، وصوروا حلف «كرشنا» الدائرة المتحركة، وصوروا النبي الخاتم «كلكي» أنه راكب على الخيل ذي أربع جناح، فمن هذا الراكب؟

* * *

**٦- «إنه بمساعدة أربعة من أصحابه يهلك الشيطان، وأن الملائكة تنزل على الأرض لمساعدته في حروبه»** [٣].

فيه إشارة إلى أصحابه الأربعة من الخلفاء الراشدين الذين كانوا مثل

---

(١) رواه البخاري ٦/٥٦٥، والترمذي ٣٦٤٠، والدارمي ١/٣٢، والطيالسي ٢٤١١، وأحمد ٤/٢٨١، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في شمائله رقم ١٣، وصححه السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني والبيهقي، وفي إسناده عبدالعزيز بن أبي ثابت الزهري قال الحافظ: متروك، لقد احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه وكان عارفاً بالأنساب.

(٣) كلكي بران ٢/٥-٧ .

الوزراء في حياة رسول الله ﷺ، وأما نزول الملائكة إلى الأرض لمساعدته وأصحابه فهو إشارة إلى قصة بدر. قال تعالى:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾ (١)

* * *

**٧- «إنه بعد ولادته يتوجه إلى الجبال ليتعلم من «برش رام» ثم يذهب إلى الشمال، ثم يعود إلى مولده»** (٢).

«برش رام» : معناه: المعلم الأكبر. ولعلنا نرى في هذه البشارة بوضوح ثلاثة أحداث مهمة في حياة النبي ﷺ:

(١) سورة الأنفال الآية ٩-١٣

(٢) كلكي بران.

١- تحنثه في غار حراء قبل البعثة، ومجيء جبريل إليه بالوحي الأول قائلاً له (إقرأ).

٢- وهجرته إلي المدينة الواقعة إلى شمال مكة.

٣- وعودته إلى مكة مكان ولادته عند فتحها.

* * *

٨- «إن الناس يسحرون من عبقه الذي يخرج من جسمه، وأن عبق جسمه الطاهر يختلط بالهواء، ويُلَطِّفُ الأرواحَ والنفوس» [١].

ومما هو معلوم في شمائل النبيﷺ تضوع رائحة ذكية من جسمهﷺ. ووردت في ذلك آثار كثيرة أذكر منها البعض.

عن أنس قال: (مامَسَستُ بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألينَ من كف رسول الله ﷺ، ولا شَمِمتُ رائحةً قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ ) [٢].

وعن جابر بن سمرة قال: (صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم رجع إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحدا قال: وأما أنا فمسح خدي قال: فوجدت يده برداً أو ريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة عطار) [٣].

---

(١) البهكفت بران ٢/٢/٢١ .

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦/٦، ومسلم ١٨١٤/٤، وأحمد ١٠٧/٣، ٢٠٠، والبيهقي في دلائل النبوة ٢٥٤/١ .

(٣) رواه مسلم ١٨١٤/٤، وعنه البيهقي في الدلائل ٢٥٦/١ .

وعن أنس قال: (دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا (أي نام للقيلولة) فعَرِق. وجاءت أمي بقارورة فجعلتْ تَسْلِتُ العَرَقَ فيها. فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «**ياأم سُليم ماهذا الذي تصنعين ؟** » قالت: هذا عَرَقُك نجعله في طيبنا، وهو من أطيَب الطيب).

وفي رواية: (إن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، فتَبْسُط له نِطْعاً فيقَيِلُ عليه، وكان كثير العَرَق. فكانت تجمع عَرَقَهُ فتجعله في الطيب والقوارير فقال النبي ﷺ: «**ياأم سليم ماهذا ؟**» قالت: عَرَقُك أدوفُ به طيبي» [(١)].

وعن جابر بن عبدالله قال: «**كان في رسول الله ﷺ خصال، لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه، أو ريح عرقه**» [(٢)].

وأما رهبان الهندوس وعلماؤهم فيحرم عليهم استعمال الطيب، وعليهم أن يلطخوا أجسامهم بالتراب لإذلالها فتخرج منهم روائح كريهة.

* * *

٩- «**أول من ذبح وضَحى هو أحمدو فصار كالشمس**» [(٣)].

يعني ذبح لله، وقد جعل أهلُ الجاهلية الذبح لغير الله. فأعاده النبي ﷺ كما كان قبل ذلك منذ عهد إبراهيم خليل الله، فعظمت منزلته عند الله. وصار كالشمس في انتشار دينه، وسمو تعاليمه.

---

(١) رواه مسلم ١٨١٦/٤، وأحمد ١٧٧/٣، ٢٩٠، والبيهقي في الدلائل ٢٥٧/١-٢٥٨، وأدوف من داف- يدُوف دَوْفا: خلطه.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٦٩/٦ .

(٣) سام فيدا (٨/٦/٣).

وأما كلمة «أحْمِدُو» في اللغة السنسكريتية فلم يستطع أحد علماء الهندوس أن يعرفوا معناها. لأنها ليست من لغتهم، فتخبطوا في تفسيرها بما لا نهاية له.

وقد تجاهل «ماكرونيل» و«كيت» مؤلفا «معجم الفيدا» فلم يذكرا الكلمة في معجمهما أصلاً.

* * *

**١٠- «سوف يأتي معلم رَوحاني مع رفقائه الكرام، ويشتهر بين الناس باسم «محامد» ، ويستقبله الأمير قائلاً: ياساكن الصحراء، هازم الشيطان، صاحب المعجزات، بريئاً من كل شر، قائماً على الحق، خبيراً ومجسماً في معرفة الله، ومحباً له، سلام عليك، أنا عبدك أعيش تحت قدميك»** (١).

كلمة «محامد» لا توجد في اللغة السنسكريتية، وهى محرفة من لفظ «محمد»، ثم هذه الصفات المذكورة في «محامد» لم توجد في بطل من أبطال الهندوس، وقد وجدت بأتم صورها في نبينا محمد ﷺ.

* * *

**١١- «وفي هذه الأدوار إذا جاء وقت ظهور الخير الجماعي للإنسان فإنه يعرف الحق، وبظهور «محمد» تنتهي الظلمات، ويطلع نور الفهم والحكمة»** (٢).

والفترة التي كانت قبل بعثة النبي ﷺ اشتهرت بالجاهلية، والفترة بعد البعثة عُرِفتْ بالإسلام، والعلم، والخير الإجتماعي، فببعثة النبي ﷺ انتهت الظلمات.

---

(١) بهاوشيا بران ٣/٣/٥-٨.

(٢) البهكفت بران ٢/٧٦ .

*　　*　　*

**١٢- ((أكنى ديوي ((صاحب الشريعة الغراء)) جعلناك فوق سرة الأرض لتقديم القرابين))** (١).

يقول علماء الجغرافيا: إن مكة تقع في سرة الأرض، وفيه إشارة إلى أن النبي المنتظر سيظهر في مكة (٢).

وعلماء الهندوس لم يُعَيِّنوا سرة الأرض، ويبدو أنهم لم يعرفوا موقعها من بلادهم فسكتوا عن هذا.

وأمامي الآن تفسير ((ريج فيدا)) للعالم الهندوسي ((شري شرما آجاريا)) إلا أنه لم يقل شيئاً في تفسير هذه الفقرة من ((ريج فيدا)) (٣).

ويَرْوي العالِمُ المصري الدكتور حسين كمال الدين قصةَ الاكتشاف الغريب فيذكر: (أنه بدأ البحث، وكان هدفُه مختلفاً تماماً حيث كان يجري بحثاً ليعد وسيلةً تُساعد كل شخص في أي مكان من العالم على معرفة وتحديد مكان القبلة، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كلِ مسلمٍ عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة، أو يكون في بلاد غربية، كما يحدث لمئات طلاب البعثات في الخارج... لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها.

---

(١) ريج فيدا ٣/٢٩/٤ .

(٢) انظر: رحمة للعالمين (٣١/١) للشيخ محمد سليمان المنصور فورى.

(٣) تفسير ريج فيدا ٤٩٢/٢ .

وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة، ورسم عليها القارات الخمس، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته... فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم... وأمسك بيده «برْجَلاً» وضع طرفه على مدينة مكة، ومر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات، فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظماً.. ووجد مكة -في هذه الحالة- هي مركز الأرض اليابسة.

وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف أمريكان واستراليا -وكرر المحاولة- فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضاً مركز الأرض اليابسة، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام (١).

**١٣ - «ركب «إندر» المهيب نوعاً من الفرس يقال له «آشو» أول مرة، وعرج به إلى السماء، وقطع ثلاثة منازل» (٢).**

في هذه الفقرات من «ريج فيدا» ذكر الفرس، والخاتم، ورسول يظهر في العرب «عَرْبَن».

ولفظ «إندر» هو في الأصل إله الرعْد عندهم، ولكن المعنى الوصفي له بأنه «مُهيب» وأن هذا الرسول قطعه ثلاثة منازل على فرسه «آشو».

يمكن تطبيق بعض هذه الفقرات على رسول الله ﷺ .

---

(١) مكة المكرمة مركز العالم: مجلة العلم والإيمان عدد ٢٠ عام ١٩٧٧م (بتصرف).

(٢) ريج فيدا (٣/١/١٦٣).

قال الله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ ﴾ (١).

والفرس المذكور هو «البراق» ففي صحيح البخاري في حديث المعراج «**ثم أتيتُ بدابة دون البغل وفوق الحمار**».

قال الجارود: وهو البراق ياأبا حمزة ؟ قال أنس: نعم، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**يضع خطوه عند أقصى طرفه**».

وفي رواية ابن إسحاق، من طريق الحسن البصري مرسلاً: (**إن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق، وهو دابة أبيض بين البغل والحمار، وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته**) (٢).

وفي الحديث عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق (**إن رسول الله ﷺ قال: لما دنوت منه لأركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته (٣) ثم قال: ألا تستحي يابراق مما تصنع، فوالله ماركبك عبدٌ لله قبل محمد أكرم عليه منه، قال: فاستحى حتى أرفض عرقاً ثم قرَّ حتى ركبته**)(٤).

---

(١) سورة النجم: آية (٩-١٤ ).

(٢) انظر ابن هشام، القسم الأول ص (٣٩٧) .

(٣) المعرفة: اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف.

(٤) انظر ابن هشام، القسم الأول ص ٣٩٨ وقوله: أرفض - سال.

## التبشير بـ«نراشسنس»

كلمة «**نراشنس**» مركبةً من كلمتين «**نر**» يعني: الإنسان و«**أشنس**» معناها: الممدوح من الناس (PRAISED) ومعنى الكلمتين: الإنسان الممدوح، أو الذي حمده الناس. يقول الدكتور «راميش برشاد» في مقدمة لكتاب سلام الله صديقي:«معنى نراشنس بالعربية «محمد» وهو الذي جاء ذكره في آتور فيدا» .

وإليكم فقرات من الكتب الهندوسية عن أوصاف «نراشنس».

* * *

**١٤- «إنه جميل، ويكون أجمل من في الأرض»** (١).

* * *

**١٥- «إن نوره يدخل بيتا بيتا»** (٢).

يعني ينتشر الإسلام بسرعة، ويُسمعُ صوتُ الحق في كل بيت.

* * *

**١٦- «إنه يطهر الناس من الذنوب والآثام»** (٣).

* * *

**١٧- «إنه يركب الإبل»** (٤).

(١) ريج فيدا ٢/٣/٢ .

(٢) ريج فيدا ٢/٣/٢ .

(٣) ريج فيدا ٤/١٠٦/٢ .

(٤) آتور فيدا ٢٠/١٢٧/٢٠ .

وركوب الإبل شيء غير معروف في الهند، كما أنه لم يثبت من ركب الإبل من أبطال الهندوس.

* * *

١٨- «إن له اثنتي عشرة زوجة» (١).

الهندوسية لا تُقِرّ بتعدد الزوجات كما أنه لم يوجد بطل من أبطالهم له أكثر من زوجة، إلا ما حُكي عن إلههم «كرشنا» بأن له عدداً من الجواري يلاعبهن، وهُنّ معروفات بـ«جوبي» (GOPI) ولكن زوجته الحقيقية واحدة وهي «رادها» (RADHA) (٢).

وأما أزواجُ النبي ﷺ فَبَلَغَ عددهُن هذا العددَ:

١- أول أزواجه ﷺ : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزي. تزوجها عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي ابنة خمس وأربعين سنة، فولدت له عليه السلام القاسم والطيب والطاهر وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة(٣) وماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي رواية: بسنة، وكانت قبله عند عتيق بن عايذ ابن عبدالله بن عمر ابن مخزوم، ثم خلف عليها أبو هالة هند بن زرارة ابن النباس.

---

(١) آتور فيدا ٢٠/١٢٧/٢ .

(٢) القاموس الهندوسي ص ٢٤٤-٢٤٦ .

(٣) ومن العلماء من يقول: الذكور اثنان -القاسم وعبدالله، وأما الطيب والطاهر فلقبان لعبدالله.

٢- فلما ماتت خديجة تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ابن قيس بن عبدشمس، وكانت قبله عند ابن عمها السكران بن عمرو بن عبدشمس فمات عنها.

٣- ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد سودة، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ولم يتزوج بكراً غيرها، وتزوجها بمكة وهي بنت ست سنين، وبني بها بعد الهجرة بسبعة أشهر في شوال وهي بنت تسع سنين، وبقيت معه تسع سنين وخمسة أشهر، وماتت سنة ثمان وخمسين.

٤- ثم تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد الهجرة بسنتين وأشهر. وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي فمات عنها بجروح أصابته يوم أحد[1]، وتوفيت سنة خمس وأربعين.

٥- ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث، وكانت قبله عند عُبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبدمناف، قتل يوم بدر، ويقال: عند الطفيل ابن الحارث، وقيل: إن الطفيل طلقها فتزوجها عُبيدة، وتوفيت زينب في حياته عليه السلام بعد ضمه لها بثمانية أشهر. وفي رواية: بشهرين.

٦- وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية، وكانت قبله عند أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي، فولدت له عمر وسلمة ودرة وزينب، وماتت أم سلمة سنة تسع وخمسين آخر نساء النبي ﷺ وفاة.

٧- وتزوج زينب بنت جحش بن رئاب، وكانت قبله عند زيد ابن حارثة مولاه، ماتت في أول خلافة عمر، وهى التي زوجها الله تعالى

(١) الإصابة ١/٤٥٦ .

منه[1]، ولما فتحت البلاد، وأتاها عمر مافرض لها بكت، ودعت الله ﷻ أن لا يريها عاماً قابلا حتى تلقي رسول الله ﷺ على مافارقته من التقلل في الدنيا، فماتت قبل تمام العام.

٨- وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وكانت قبله عند رجل من بني عمها اسمه: صفوان بن ذي شقر، وماتت سنة ست وخمسين في ربيع الأول.

٩- وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بعد الحديبية، وجاءت من بلاد الحبشة، وكانت هنالك مهاجرة مسلمة، وكانت قبله تحت عبيدالله بن جحش الأسدي فارتد إلى النصرانية ثم مات، قيل إن النجاشي ملك الحبشة زوج النبي ﷺ أم حبيبة وأصدقها أربعمائة دينار ذهباً، وماتت في خلافة أخيها معاوية رضي الله عنهما سنة أربع وأربعين.

١٠- وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، وهو من أولاد هارون بن عمران نبي الله، وكانت قبله تحت كنانة ابن أبي الحقيق، وماتت سنة خمسين.

١١- وتزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن، وهي خالة خالد بن الوليد وعبدالله بن عباس، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند أبي رهم بن عبدالعزى، وقيل: تحت حويطب أخي أبي رهم، وقيل: تحت مسعود

---

(١) وهي تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: الله ﷻ أنكحني من السماء. تقصد به قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾ (سورة الأحزاب ٣٧).

انظر: صحيح البخاري (فتح الباري) (١٣/٤٠٣-٤٠٤) .

ابن عمرو، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد إحرامه، وبنى بها بسرف، وماتت بها أيام معاوية رضي الله عنه وذلك سنة إحدى وخمسين وقبرت هناك [1].

١٢- مارية بنت شمعون القبطية المصرية، وهي أم ولده إبراهيم، أهداها له صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين، وغلاما خصيا اسمه مابور، وبغلة يقال لها الدلدل، فقبل هديته واختار لنفسه مارية، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حفن، وقد وضع عن أهل هذه البلدة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في أيام إمارته الخراجَ إكراما لها، ومن أجل أنها حملت من رسول الله ﷺ بولد ذكر وهو إبراهيم، وقالوا: وكانت مارية جميلة بيضاء، أعجب بها رسول الله ﷺ وأحبها، وحظيت عنده لاسيما بعدما وضعت إبراهيم ولده.

وأما أختها سرين فوهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، وأما الغلام الخصي وهو مابور، فقد كان يدخل على مارية وسرين بلا إذن كما جرت به عادته بمصر، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك ولم يشعروا بأنه خصي، وأما البغلة فكان عليه الصلاة والسلام يركبها.

هؤلاء الاثنتا عشرة عِشن حياة زوجية مع النبي ﷺ لمدة قصيرة أو طويلة وله ﷺ زوجات أخر، غير أنهن متن أو طلقن قبل الدخول بهن ومن هولاء:

١- العالية بنت ظبيان بن عمرو، فتزوجها ولم يدخل بها وطلقها. قال الزهري: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني عمرو، فأنبيء أن بها

(١) ورجح الحافظ أن تكون ماتت سنة تسع وأربعين. الإصابة ٤/٤١٣ .

بياضاً فطلقها و لم يدخل بها.

٢- وأخت ابن الجون الكندي، فاستعاذت منه وقالت: لقد عُذْتُ بعظيم. فقال عليه الصلاة والسلام: «**الحقي بأهلك**» وطلقها و لم يدخل بها، واسمها: أمية بنت النعمان بن شراحبيل.

٣- وخولة بنت الهذيل بن هبيرة التغلبي، فحملت إليه من الشام. فماتت في الطريق، فتزوج خالتها: شراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فماتت في الطريق أيضاً.

٤- وعَمْرةُ بنت زيد، إحدى نساء بني كلاب، وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبدالمطلب، فطلقها و لم يدخل بها.

٥- وأما ريحانة بنت زيد من بني النضير، ويقال من بني قريظة التي أخذها لنفسه صفيا، وكانت جميلة، فعرض عليها رسول اللهﷺ أن تسلم، فأبت أولاً ثم أسلمت، فسر به رسول اللهﷺ واصطفاها لنفسه وذلك سنة ست من الهجرة فكانت عنده حتى توفى عنها وهي في ملكه.

* * *

**١٩- «إن المئات من أصحابه يقومون بدعوته»** [(١)].

وفيه إشارة إلى بعث النبي ﷺ أصحابه إلى الآفاق بدعوة الإسلام، فقد بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، ودحية ابن خليفة الكلبي إلي قيصر، وعبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم

(١) آتور فيدا ٣٠/١٢٧/٢٠ .

القبط، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، وهما من الأزد والملك منهما جيفر، وجرير ابن عبدالله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك ابن حسان بن تبع، وإلى ذي عمرو.

كما أن أصحابه حملوا الرسائل منه ﷺ وهم جميعاً يدعون إلى الإسلام وإن عدد أصحابه ﷺ بلغ في حياته أكثر من مائة ألف، وقد سأل رجل أبا زرعة الرازي فقال له: ياأبا زرعة ! أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث ؟ قال: ومن قال ذا ؟ قلقل الله أنيابه، وهذا قول الزنادقة، ومن يُحصى حديث رسول الله ﷺ، قُبِضَ رسولُ الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة، روى عنه، وسمع منه، قيل له: يا أبا زرعة! هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه ؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة ومن بينهما، والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع [1].

ولم يحصل هذا لأي نبي، أو زعيم، أو بطل، في تاريخ العالم أجمع إلا لنبينا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر ص١٠٣، ومقدمة ابن الصلاح ص٢٦٨ .

* * *

**٢٠- «إنه صاحب عشرة عقود»**[1].

فيه إشارة إلى أصحابه العشرة المبشرين، فإن منزلة هؤلاء عند النبي ﷺ مثل العقد في العنق وهم:

١- أبوبكر الصديق ﷺ الخليفة الأول.

٢- وعمر بن الخطاب ﷺ الخليفة الثاني.

٣- وعثمان بن عفان ﷺ الخليفة الثالث.

٤- وعلي بن أبي طالب ﷺ الخليفة الرابع.

٥- وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ،ولقبَّه رسول الله ﷺ بأمين هذه الأمة.

٦- طلحة بن عبيدالله بن عثمان القرشي، وهو ممن شهد له النبي ﷺ بالشهادة وهو حيّ كما في صحيح مسلم[2] من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على غار حِراءَ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيدالله والزبير. فتحركت الصخرة. فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**».

ومات شهيداً سنة ست وثلاثين في جمادي الآخرة وقيل: رجب.

٧- والزبير بن العوام بن خويلد حواري رسول الله ﷺ هو أول من سلَّ سيفه في سبيل الله.

٨- وعبدالرحمن بن عوف، وهو من أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.

---

(١) آتور فيدا ٣/١٢٧/٢٠ ، والعقود: جمع عِقْد.

(٢) مسلم ١٨٨٠/٤ .

٩- وسعد بن أبي وقاص ﷺ.

١٠- وسعيد بن زيد ﷺ.

وهؤلاء الصحابة العشرة لهم فضائل ومناقب كثيرة، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

* * *

**٢١- «اسمعوا أيها الناس أن «نراشنس» يرتفع ذكره»**[2].

ولعل في هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾[3].

فقد كان النبي ﷺ محموداً في الأرض، ومحموداً في السماء. ويظهر ذلك جليا في قصة المعراج بأنه لم يأت سماءً من السماوات إلا وكان الملائكة يرحبون به[4].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٤٥ .

(٢) آتور فيدا ٢٠/١٢٧/١.

(٣) سورة الشرح: آية ٤ .

(٤) ابن هشام (القسم الأول: ص٤٠٧) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ. قال ابن إسحاق فيما بلغني: «أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السماوات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا ياجبريل ؟ فيقول: محمد، فيقولون: أو قد بعث ؟ فيقول: نعم، فيقولون: حيَّاه الله من أخ وصاحب ! حتى انتهى به إلى السماء السابعة».

وفي الباب العشرين من «آتور فيدا» يوجد جملة مـن الفقـرات تسـمى «كُنْتَابَ» ومعناها: المستور. يعني أن الزمن الآتي سوف يكشف سر هـذه الفقرات. ومن هذه الفقرات المستورة.

* * *

**٢٢- «ياأيها الناس اسمعوا: إن «نراشنس» يحمد، وأنه يهاجر من بين ستين ألف وتسعين، وإني لأحفظه من أعدائه، وهـو يركـب الإبـل، ولـه اثنتـا عشـرة زوجة، ومنزلته مثل السماء، وقد أعطيتُ «مامح» مائـة دينـار خـالص، وعشر تسبيحات، وثلاثمائة فرس»** [1].

<u>الشـــــرح:</u>

١- فيه إشارة إلى بعض صفات النبي ﷺ.

٢- وفيه إشارة إلى هجرته من مكة إلى المدينة.

٣- وفيه إشارة إلى عدد سكان مكة من ستين ألف إلى تسعين.

٤- وفيه إشارة إلى حفظه من الأعداء ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [2].

٥- و«مامح» مركب من لفظـين: «مـا» يعـني «مـها» ومعنـاه عظيـم، و«مح» الذي حمد -ومعني اللفظين- الذي كثر حمده وثناؤه في العالمين.

ومن يكون هذا غير نبينا محمد ﷺ ؟

٦- ومائة دينار خالص: إشارة إلى أصحابه المخلصين الذيـن هـاجروا إلى الحبشة.

---

(١) آتور فيدا ٢٠/١٢٧/١ .

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧ .

٧- وعشر تسبيحات: إشارة إلى العشرة المُبشَّرِين بالجنة.

٨- وثلاثمائة فرس: إشارة إلى أصحاب غزوة بدر الذين كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشرة، والله تعالى أعلم.

هذه الفقرات من ((آتور فيدا)) لايزال يقرأها الهندوس في المناسبات الدينية. ولكن لم يثبت في التاريخ من يصدق عليه هذه البشارات إلا على نبينا محمد ﷺ، والهندوس ينتظرون ظهور هذا النبي منذ آلاف السنين، ويتجاهلون أن النبي الموصوف بهذه الصفات قد تم ظهوره قبل ألف وأربعمائة سنة.

* * *

**٢٣- ((إن رجلاً ذا سيرة طيبة جاء إلى الملك ((بهوج)) ملك السند في ظلمات الليل وقال له: أيها الملك إن دينك ((آريا دهرم)) يفوق جميع الأديان (في الهند)، ولكن بحكم الإله الأكبر، أني أظهِرُ دين رجل يأكل كل شيء من الطيبات، وهو مختون (خلافاً لعادة الهندوس) ولا يكون على رأسه ضفيرة مدلاة ولا معقوصة (مثل مايكون على رؤوس نساك الهندوس) وله لحية طويلة، ويُحدث انقلاباً عظيماً، ويؤذّن في الناس، ويأكل من كل شيء من الطيبات ماعدا لحم الخنزير، ودينه ينسخ جميع الأديان وسميناهم المُسْلِي، (والإله الأكبر هو الذي أوحى) إليه هذا الدين))[1].**

(١) بهاوشيا بران ٣/٣/٣/٢٣-٢٧.

٢٤- وقد تواترت الروايات عن بوذا أنه عند موته قال لتلميذه «آنندا»:

**«أي آنندا لا تحزن فأنا لست أول بوذا، ولا آخره، بل سيأتي بعدي من يكون قلبه خالياً عن الحقد والحسد، وهو ذو عقل سليم، يقود الناس إلى الخير، وينير لهم الطريق، ويبقى تعليمه إلى الأبد»** (١).

باعتراف علماء الهندوس توجد في «ريج فيدا» بشارات كثيرة تشير إلى بعثة النبي ﷺ في آخر الزمان.

**٢٥- وقد سئل «راماجندرا»: كم عدد المنازل إذا قطعها الإنسان يلقى الله سبحانه وتعالى؟ فقال: أربعة عشر منزلاً. فقيل له: هل وصل إليها أحد؟ فقال: لا، قيل: ولا أنت؟ قال: لا. قيل له: وهل يصل إليها أحد؟ قال: نعم. قيل: ما اسمه؟ قال: محامد. قيل له: أين يولد؟ قال: إنه يولد في أرض صخرية، ويعيش في أرض النخيل، ومن هنا ينتشر دينه في العالم كله، الذي يقوله يتحقق، الذي يقبل دينه يدخل الجنة، والذي يكفر به يدخل النار، يأكل اللحم ويشرب اللبن، ويحارب أعداءه بالسيف، ويفتح ملكهم** (٢).

هذه بعض أوصاف النبي الذي يظهر في آخر الزمان في كتب الهندوس، وهم لايزالون يقرؤونها ليلاً ونهاراً، وينتظرون ظهور هذا النبي المرسل في الهند حتى الآن. ولا يدرون أن نبيهم ونبي العالمين قد ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة، إلا أن العصبية الجاهلية التي ورثوها ضد الإسلام،

---

(١) نبي آخر الزمان في الفيدا ص (٦٩).

(٢) البشارات المحمدية ص (١١٨-١١٩) للمؤلف: عبد العزيز جمال الدين، مطبع يوسفي بدلهي.

ونبي الإسلام ﷺ، قد أعمتْ قلوبهم، وأصمَّتْ آذانهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩ ﴾ [1] إلا من رحمه الله فآمن به وصدقه، ودخل في زمرة المؤمنين.

هذا ما وجدت في كتب القوم والله تعالى أعلم بصحته، لأن كتب الهندوس أُلِّفتْ في الظلام، فمن الصعب جداً إثباتُ هذه الكتب إلى مؤلِّفيها كما فصلت القول من قبل.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وصلى الله على نبينا نبي الرحمة والسلام، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الحساب.

---

(١) سورة الأعراف (١٧٩).

## خاتمة البحث

وفي نهاية هذا البحث عن أديان الهند أقول وبالله التوفيق:

إن من أكبر أسباب عداوة الهندوس للمسلمين هو عدم فهمهم لطبيعة الرسالة الإسلامية وبخاصة عقيدة التوحيد. لأن المتصوفين من المسلمين الهنود شوَّهوا العقيدة الإسلامية الصحيحة الَّتي دعا إليها القرآن والسنة، وكان عليها خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وجاهد لأجلها إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وسار على نهجه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن بعده من أئمة أهل السنة.

ولكن هؤلاء المتصوفين خلَّطوا بين العقيدة الإسلامية وبين العقيدة الوثنية. وأوضح دليل على ذلك كثرة الأضرحة على القبور في الهند وأعمال الشرك فيها بكل معانيه، كالطواف والسجود والاستغاثة والنذر وما إلى ذلك وكل هذا ما يفعله الهندوس لأصنامهم في معابدهم.

وهذه الأعمال الشركية أساءت كثيراً إلى عقيدة الإسلام الصافية القائمة على توحيد الله وعبادته وحده.

ومن جملة أسباب عداوة الهندوس للإسلام والمسلمين أن كُتَّاب الهندوس قد نشروا أكاذيب وأباطيل حول الإسلام وعقيدته، وحول رسولنا الكريم وتاريخنا العظيم. والطالب الهندوسي في بداية مراحل تعليمه يُسيئ الظن بالإسلام والمسلمين وبتعاليمه السامية. فوجب على

مسلمي الهند أن ينقلوا أمهات الكتب الإسلامية إلى الهندية[١].

وزد على ذلك أن المسلمين حكموا الهند قرابة ثمانية قرون، ولكن لم نر فيهم من اهتم بنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة عقيدةً وسلوكاً إلا من رحمه الله تعالى بين رعاياه الهندوس، بل زاد الطين بلة أن المسلمين اهتموا بترجمة الكتب الهندوسية، مثل: «الفيدات»، و«الكيتا»، و«الرامايان» إلى اللغتين العربية والفارسية، ولم يهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والسيرة الطيبة، وسير الخلفاء الراشدين، والصحابة الآخرين، ومن بعدهم من التابعين، وكتب العقيدة الصحيحة إلى اللغة السنسكرتية، والبراكرتية وهي لغة الشعب.

وإنه لمفخرة عظيمة لحكومتنا المملكة العربية السعودية -أدامها الله وحفظها من حسد الأعداء- أن تقوم بخدمة كتاب الله العزيز. فقد يَسَّر الله إنشاء مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية لنشر كتاب الله وترجمة معانيه وتفسيره باللغات المختلفة.

وإنه لموضع اعتزاز وفخر لكل مسلم على وجه الأرض أن يرى ترجمة معاني كتاب الله وتفسيره باللغات المختلفة تنشر على هذا النطاق الواسع لأوّل مرة في تاريخ الإسلام الطويل. فللّه الحمد أولاً وآخراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) ولما رأيتُ ذلك عزمتُ على تأليف موسوعة القرآن الكريم باللغة الهندية التي تشمل على معظم مطالب القرآن من عقيدة وسلوك وقصص الأنبياء ودعوتهم، وسير الأشخاص، وتاريخ الشعوب والأقوام وغيرها، أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

# الفهارس

١- فهرس المصادر والمراجع
٢- فهرس الموضوعات

# فهرس أهم المصادر والمراجع

## ١- فهرس المراجع العربية

- القرآن الكريم.

١- إبراهيم أبو الأنبياء لعباس محمود العقاد. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٦٧م.

٢- الآثار الباقية في القرون الخالية. للبيروني (ت ٤٤٠هـ).

٣- إثبات نبوة النبي ﷺ. لأبي الحسن أحمد بن الحسين بن هارون الهاروني الزيدي المتوفى سنة (٤٢١هـ). دار التراث العربي. القاهرة ١٩٧٩م.

٤- أديان العالم الكبرى. لحبيب سعيد. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، بالقاهرة.

٥- أديان الهند الكبرى: للدكتور أحمد شلبي.

٦- الأديان في كفة الميزان. لمحمد فؤاد الهاشمي. دار الكتاب العربي بالقاهرة.

٧- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. للشيخ عبد القادر شيبة الحمد. من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٨- أسطورة تجسد الإله. للشيخ عبد الصمد شرف الدين. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ. جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

٩- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. للدكتور علي

عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة.

١٠- إظهار الحق. للشيخ رحمت الله الهندي (ت ١٣٠٨هـ). تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا. دار التراث العربي لطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٧م.

١١- أقانيم النصارى. للدكتور أحمد حجازي السقا. دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧م.

١٢- إنجيل برنابا مزيف. لعوض سمعان. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ١٩٧٩م.

١٣- إنجيل برنابا. تحقيق سيف الله أحمد فاضل. دار القلم. كويت ١٩٧٣.

١٤- إنجيل برنابا. ترجمة الدكتور خليل سعادة. مطبعة المنار ١٩٥٨م.

١٥- الإنسان في ظل الأديان. للدكتور عمارة نجيب. المكتبة التوفيقة بالقاهرة ١٩٧٧م.

١٦- الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام. للدكتور توفيق الطويل.

١٧- البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ). دار الفكر بيروت لبنان.

١٨- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: لأبي الفضل السكسكي الحنبلي (ت ٦٨٣هـ).

١٩- بستان الأزهار في تفسير الشعار. للمطران ثاوفيلس المرقصي. مخطوط في مكتبة الدير تحت رقم ١٠٣.

٢٠- بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي (ت ٥٨٢هـ) تحقيق الدكتور محمد شامة. مكتبة وهبة ١٩٧٩م.

٢١- تاريخ الأقباط والمسيحية لزكي شنودة. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٤م.

٢٢- تاريخ التمدن الإسلامي. لجرجي زيدان. دار الهلال.

٢٣- تاريخ الفلسفة. للدكتور إبراهيم مدكور.

٢٤- تاريخ اللغات السامية. لإسرائيل ولفنسون. الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٢٩م.

٢٥- تاريخ المسيحية في العصور الوسطى. لجاد المنفلوطي. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

٢٦- تاريخ المسيحية في فجر المسيحية. لحبيب سعيد. درا التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

٢٧- تاريخ اليعقوبي. دار صادر بيروت.

٢٨- تحقيق ما للهند: لأبي الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ).

٢٩- الترجمة العربية لكتاب «الكيتا».

٣٠- الترجمة العربية لكتاب «منو إسمرتي» يعني «شريعة منو».

٣١- تفسير ابن جرير الطبري. المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٨هـ.

٣٢- تفسير ابن كثير. دار الشعب بالقاهرة.

٣٣- التلمود تاريخه وتعاليمه. لظفر الإسلام خان. دار النفائس. الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٣٤- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث. لسعد بن منصور كمونة اليهودي. من رجال القرن السابع الهجري. دار الأنصار بالقاهرة.

٣٥- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. لابن مسكويه (ت٤٢١هـ). المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة.

٣٦- التوراة السامرية. ترجمة أبي الحسن إسحاق الصوري الكاهن السامري. دراسة وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا. دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م.

٣٧- التوراة تاريخها وغاياتها. ترجمة وتعليق سهيل ديب. دار النفائس بيروت ١٩٧٧م.

٣٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) مطابع المجد التجارية.

٣٩- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. تأليف: آدم متز. ترجمة: محمد عبد الهادي. دار الكتاب العربي بيروت.

٤٠- حضارة الهند: لغوستاف لوبون.

٤١- حكمة الأديان الحية. لجوزيف كاير. ترجمة المحامي حسين الكيلاني. دار مكتبة الحياة بيروت.

٤٢- حياة برنابا. للقمس بيشوي عبد المسيح. مكتبة المحبة.

٤٣- حياة بولس. للمؤلف ف. ب. ماير. ترجمة القمس مرقس داود. مكتبة المحبة بالقاهرة.

٤٤- حياة قسطنطين العظيم. تأليف: يوسابيوس القيصري.

ترجمة: القمص مرقس داود. مكتبة المحبة بالقاهرة.

٤٥- الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة: محمد خليفة التونسي. دار التراث بالقاهرة ١٩٧٧م.

٤٦- دائرة معارف القرن العشرين. لمحمد فريد وجدي. المكتبة العلمية الجديدة. بيروت.

٤٧- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. للمؤلف موريس بوكاي. دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٧م.

٤٨- ديانات قديمة. للشيخ أبو زهرة.

٤٩- الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. للدكتور محمد عبد الله دراز. مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٩م.

٥٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي بيروت.

٥١- سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ). دار الحديث بحمص. الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٥٢- العرب واليهود في التاريخ. للدكتور أحمد سوسة. الفكر العربي للإعلان والطباعة والنشر بدمشق.

٥٣- العقيدة والشريعة: لجولدتسيهر . المترجم بالعربية. مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٥٤- فتح الباري. للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). المطبعة السلفية بالقاهرة.

٥٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم (ت٤٥٦هـ). دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٥٦- فصوص الحكم. لابن عربي (ت٦٣٨هـ). تحقيق أبي العلاء عفيفي. دار الكتاب العربي بيروت.

٥٧- الفهرست. لابن النديم. مكتبة خياط بيروت.

٥٨- في موكب الشمس. للدكتور أحمد بدوي. الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٥٠م.

٥٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير. للمناوي (ت١٠٣٠هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٦٠- قاموس الكتاب المقدس. تأليف جماعة من المسيحيين. مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧١م.

٦١- قصة الحضارة. ول ديورانت. ترجمة محمد بدران. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. الطبعة الثالثة ١٩٧٣م.

٦٢- قيامة المسيح. لعوض سمعان. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

٦٣- الكتاب المقدس. من إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٠م.

٦٤- كتب السير والمغازي.

٦٥- الكنز المرصود في قواعد التلمود. تأليف الدكتور وهلنج. ترجمة: يوسف حنا نصر الله. الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٨م.

٦٦- لمحات من التاريخ في الإنجيل. لحبيب سعيد. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ١٩٧٤م.

٦٧- محاضرات في النصرانية. للشيخ محمد أبي زهرة. دار الفكر العربي ١٩٧٧م.

٦٨- محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن. لإبراهيم خليل أحمد. مكتبة الوعي العربي بالقاهرة.

٦٩- المستدرك. لأبي عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٧٠- مسند أحمد. للإمام أحمد بن حنبل. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٧٨م.

٧١- المسيح في مصادر العقائد المسيحية. للمهندس أحمد عبد الوهاب. مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٧٨م.

٧٢- المسيحية نشأتها وتطورها. تأليف: شارل جنيبر. ترجمة: عبد الحليم محمود. المطبعة المصرية صيدا بيروت.

٧٣- مشكلة الألوهية. للدكتور محمد غلاب. مطبعة عيسى البابي الحلبي. الطبعة الثانية ١٩٥١م.

٧٤- مقارنة الأديان. للدكتور أحمد شلبي. مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م.

٧٥- مقالات عن الهندوسية للمؤلف في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة.

٧٦- الملل والنحل. للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ). مطبعة مصطفى البابي

الحلبي بالقاهرة ١٩٦١م.

٧٧- المنقذ من الضلال. لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ). دار الأندلس بيروت. الطبعة السادسة ١٩٦٧م.

٧٨- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. للمهندس أحمد عبد الوهاب. مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٧٩م.

٧٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٨٠- الهند والعرب في عهد الرسالة: للقاضي أطهر المباركفوري.

٨١- يسوع المسيح. للأب بولس إلياس.

٨٢- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. للدكتور غستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. عيسى البابي الحلبي ١٩٧٠م.

٨٣- يوحنا المعمدان النبي يحيى عليه السلام. لعبد الرزاق نوفل. مطابع دار السعادة بالقاهرة. المطبعة الثالثة.

## ٢- فهرس المراجع الأردية

٨٤-أديان العالم. للشودري غلام رسول. لاهور. الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٨٥-آريا سماج كي تاريخ. لاله لاَجَبَتْ رائ. دلهي.

٨٦-آريا سماجي عقيدة نجات: الرام نكري. بنارس.

٨٧-أزلية الأناجيل الأربعة وقدامتها. للقس بركت الله. لاهور ١٩٦٠م.

٨٨-أكَر أب بهي نه جاكي تو: شمس نويد عثماني. رام فور.
٨٩-أواكمن كا تحقيقي جائزة: الرام نكري. بنارس.
٩٠-البهكفت كيتا: ترجمة حسن الدِّين أحمد. دلهي.
٩١-تاريخ أرض القرآن. لسيد سليمان الندوي. دار الإشاعة. كراتشي ١٩٧٥م.
٩٢-تاريخ الصحف السماوية. لسيد نواب علي. مكتبة أفكار. كراتشي. الطبعة الخامسة ١٩٧٣م.
٩٣-تاريخ كنائس آسيا والهند في القرون الوسطى. للقس بركت الله. لاهور. ١٩٦٢م.
٩٤-تاريخ كنيسة روما. للقس خورشيد عالم. لاهور ١٩٦١م.
٩٥-جديد هندوستان مين ذات بات: سري نواس. دلهي.
٩٦-حضارات وادي السند. لمحمد إدريس صديقي. إدارة الآثار القديمة في باكستان ١٩٥٩م.
٩٧-حضارة وادي السند والحضارات بعدها. تأليف: مورتيمر وهيلر. ترجمة: زبير رضوي. دلهي.
٩٨-حق بركاش: الشيخ ثناء اللّٰه الأمرتسري.
٩٩-خلاصة تاريخ بايبل. تأليف: بي. ايس. دين. ترجمة: بي. ايم. مشتاق ومحمد دين باجوه. لاهور.
١٠٠-دلائل القرآن بجواب افتراء ديانند وبهتان: الرام نكري. بنارس.
١٠١-سِيخ مذهب. محمد رفيق خان، الجامعة السلفية. بنارس.

١٠٢-السِّيْخَ والعَلْمَانِية. لكرتار سيغ.
١٠٣-عشق أو بهكتي: عماد الحسن الفاروقي. دلهي.
١٠٤-فجر المسيحية (طلوع مسيحيت). ايف. ايف. بروس. ترجمة: دي. خليل. لاهور. ١٩٧٩م.
١٠٥-فلسفة الإسلام. للمؤلف: دي. أوليري. ترجمة: إحسان أحمد. كراتشي.
١٠٦-قاموس الكتاب المقدس. تأليف: يس. ايم. آر. كرين فيلد. و أر. ايج. ويترن. لاهور.
١٠٧-قديم هندوستان كي ثقافت وتهذيب: كوسمبي. دلهي.
١٠٨-قديم هندي فلسفة: راي شيو موهن لعل. دلهي.
١٠٩-الكتاب المقدس. بايبل سوسائتي. لاهور.
١١٠-كتبنا المقدسة. تأليف: جي. تي. مينلي. ترجمة: ج. ايس. إمام الدين، ومسز/ سح. ايل. ناصر. لاهور ١٩٨١م.
١١١-ما هي المسيحية؟ للشيخ تقي العثماني. كراتشي ١٩٧٢م.
١١٢-محمد رشي: الشيخ ثناء الله الأمرتسري. بمبائ.
١١٣-المسيحية في باكستان. للدكتور محمد نادر رضا صديقي. لاهور ١٩٧٩م.
١١٤-المسيحية في ضوء القرآن والإنجيل. لعبد الوحيد خان. لاهور ١٩٧٥م.
١١٥-هندو دهرم كي جديد شخصيتين. محمد فاروق خان. دلهي.

١١٦-هندوستاني تهذيب كا مسلمانون بر أثر. الدكتور محمد عمر. عليكره.
١١٧-هندوستاني مذاهب. عدد خاص لصحيفة «الدعوة».
١١٨-وادي سند أور أس كي بعد كي تهذيب: سرمور تيلر. دلهي.
١١٩-وادي سند كي تهذيب: ترجمة محمد إدريس الصديقي.
١٢٠-ويد كي قدامت: سيد حامد علي.
١٢١-اليهودية والمسيحية. للدكتور إحسان الحق رانا. لاهور ١٩٨١م.
١٢٢-اليهودية والنصرانية. للمودودي أبي الأعلى (ت ١٣٩٩هـ).
ترتيب: نعيم الصديقي. إسلامك بك ببلشر. لاهور ١٩٧٦م.

## ٣- فهرس المراجع الهندية

١٢٣-أُبانِشَادْ: تفسير جمن لال غوتام-مدينة بريلي.
١٢٤-أَنْتِمْ أَفْتَارَ: الأستاذ مطيع الرحمن الجاترفيدي-مدينة مظفر فور.
١٢٥-أَهِنْسَا أُورُسَتْيا: رام نات سمن.
١٢٦-بَها وشَيَا بُورَانْ: ترجمة هندية لرام شرما-مدينة بريلي.
١٢٧-البَهكْفَتَ دَرْشَنْ: رام شرما-مدينة بريلي.
١٢٨-بُوذَا دَرْشَنْ: راهول سنسكرتايان.
١٢٩-رَامَايَانْ. (ملحمة راما) إلا أني لم أقف على الترجمة العربية.
١٣٠-سَتَّيارَتْ بَرْكَاشْ: ديانند.
١٣١-سَنْسَكِرِتْ كِي جَارْ أَدهِّياي: رام دهاري سنغ-مدينة دالي.
١٣٢-الفَيْدَاتْ الأربعة: ريج فيدا، سام فيدا، آتور فيدا، ياجور فيدا.
١٣٣-فَيدِكْ إِنْدِكْسَ: ترجمة رام كمار-مدينة بنارس.

١٣٤-فَيدِكْ دَهَرَمْ دَرْشَنْ: نريندر ديو-مدينة بتنه.

١٣٥-كَلْكِي أَفْتَار أوْرَ مُحمد صلى اللّه عليه وسلم: ويدَ بَرْكَاشْ-مدينة إله آباد.

١٣٦-مجلة «كَانْتِي» الأسبوعية بالهندية.

١٣٧-مَنُو إسْمِرتِي: ترجمة الدكتور جمن لال غوتام-مدينة بريلي.

١٣٨-مَها بَهارَتْ بَهاشاَ: جوكيش-مدينة دلهي.

١٣٩-مَهَا بَهارَتْ: ترجمة هندية.

١٤٠-مُوَهانْ جُودَارْ: ستيش جندر-مدينة كاشي.

١٤١-نَرَاشَنْسَ أوْرَ أَنْتِم رشِي: ويد بركاش-مدينة إله آباد.

١٤٢-هِنْدُو دَهْرَمَ كُوشْ: للدكتور راج بلي باندت-مدينة لكنؤ.

١٤٣-وشْيَا دَهَرَمْ دَرْشَنْ: بهاري لال نندا-مدينة بتنه.

## ٤- فهرس المراجع الإنجليزية

١٤٤- A SHORT HISTORY OF THE WORLD. WELLS.

١٤٥- DISCOVERY OF BIBLE. A. A. ABID. KARACHI. ١٩٧٣.

١٤٦- ENCYCLOPADIYA BRITANNICA.

١٤٧- FROM CHRIST TO CHOSTSNTINE. JEMS. MCKINON. LONDON ١٩٣٦.

١٤٨- RELIGION OF THE WORLD. BERRY.

١٤٩- PRINCIPLES OF CHISTIANITY TRANSLATED THOMAS NEW YORK ١٩١٢.

١٥٠- WORLD CHRISTIAN HAND BOOK. CRUBB. ١٩٥٢ LOITDOY.

# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية ـــــــ ٣
تقديم الشيخ أبي الحسن علي الندوي ـــــــ ٥
قصة هذا الكتاب ـــــــ ١٣
مقدمة الطبعة الأولى ـــــــ ١٥
علم الأديان ـــــــ ١٨
التصنيف في الأديان ـــــــ ٢٠
مصادر الأديان ـــــــ ٢٣
دراسات الأديان عند المسلمين ـــــــ ٢٨

## اليهودية

تاريخ اليهود ـــــــ ٣٩
الكنعانيون وأصلهم ـــــــ ٣٩
إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء ـــــــ ٤٦
آل إبراهيم ـــــــ ٥٠
من هم الهكسوسيون الذين في عهدهم هاجر إبراهيم إلى مصر؟ ـــــــ ٥٤
الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ـــــــ ٥٦
من هم العبريون؟ ـــــــ ٦٢
هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر ـــــــ ٦٧
بعثة موسى عليه السلام لإنقاذ بني إسرائيل من ظلم فرعون ـــــــ ٧٤
قصة خروج موسى وجماعته من مصر ـــــــ ٨٢
تاريخ الخروج ـــــــ ٨٩

مدة قيام بني إسرائيل في مصر ـــــــ ٩٠
يوشع بن نون ـــــــ ٩٢
دور القضاة ـــــــ ١٠٤
دور الملوك ـــــــ ١٠٧

## حالة اليهود عند نزول القرآن كما يصوره القرآن

١- كفرهم بالله واليوم الآخر ـــــــ ١١٧
٢- إنكارهم الإيمان بالتوراة ـــــــ ١١٧
٣- استهزاؤهم بالله ـــــــ ١١٧
٤- كفرهم بالنبي المنتظر ـــــــ ١١٨
٥- لبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق ـــــــ ١١٨
٦- نفاقهم ـــــــ ١١٨
٧- تركهم النهي عن المنكر ـــــــ ١٢٠
٨- موالاتهم للكفار والمشركين ـــــــ ١٢٠
٩- تحريفهم لكتاب الله ـــــــ ١٢٠
١٠- نبذهم للعهود ـــــــ ١٢١
١١- ادعاؤهم بأنهم أبناء الله ـــــــ ١٢٢
١٢- أكلهم أموال الناس بالباطل ـــــــ ١٢٣
١٣- جبنهم في الحروب ـــــــ ١٢٣
١٤- حبهم للدنيا ـــــــ ١٢٤

## كتب العهد القديم

مجموعة العهد القديم ـــــــ ١٢٦

## (القسم الأول) أسفار موسى

السفر الأول ـــــــ ١٣٤

(السفر الثاني) الخروج ـــــــ ١٤٠
الوصايا العشر ـــــــ ١٤١
ومن أعيادهم ـــــــ ١٤٤
(السفر الثالث) اللاويون ـــــــ ١٤٥
(السفر الرابع) العدد ـــــــ ١٤٦
(السفر الخامس) التثنية ـــــــ ١٤٩

## (القسم الثاني) الأسفار التاريخية

١) سفر يوشع بن نون ـــــــ ١٥٠
٢) سفر القضاة. ـــــــ ١٥٣
أهم ما يشتمل عليه هذا السفر ـــــــ ١٥٤
٣) سفر راعوت ـــــــ ١٥٤
٤،٥) سفر صموئيل ـــــــ ١٥٦
٦،٧) سفر الملاك ـــــــ ١٥٦
٨) أخبار الأيام الأول ـــــــ ١٥٨
٩) أخبار الأيام الثاني ـــــــ ١٥٨
١٠) سفر عزرا ـــــــ ١٥٩
١١) سفر نحميا ـــــــ ١٥٩
١٢) سفر أستير ـــــــ ١٦٠

## (القسم الثالث) أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية

١) سفر أيوب ـــــــ ١٦٢
٢) مزامير داود ـــــــ ١٦٥
(٣،٤،٥) أخبار سليمان ـــــــ ١٦٧

## (القسم الرابع) أسفار الأنبياء


١) أسفار إشعياء ـــــ ١٦٨
٢) إرميا ـــــ ١٦٩
٣) مراثي إرميا ـــــ ١٧٠
٤) حَزْقِيال ـــــ ١٧١
٥) دانِيال ـــــ ١٧١
٦) هوشع ـــــ ١٧٣
٧) يُوئيل ـــــ ١٧٣
٨) عاموس ـــــ ١٧٣
٩) عوبديا ـــــ ١٧٤
١٠) يونان ـــــ ١٧٤
١١) ميخا ـــــ ١٧٧
١٢) ناحوم ـــــ ١٧٧
١٣) حَبَقُوم ـــــ ١٧٧
١٤) صَفَنْيا ـــــ ١٧٧
١٥) حَجَّي ـــــ ١٧٨
١٦) زَكَرِيّا ـــــ ١٧٨
١٧) مَلاخِي ـــــ ١٧٨


## الدراسة التاريخية للعهد القديم


١- اللغة العبرية ـــــ ١٨٣
٢- اللغة الآرامية ـــــ ١٨٣
٣- اللغة اليونانية ـــــ ١٨٤

التوراة ـــــــ ١٨٥
الأدوار التي مرت فيها كتابة التوراة ـــــــ ١٨٦
نظرة عامة في التوراة ومراحل تدوينها ـــــــ ١٩٤

## نسخ العهد القديم

١ - العبرية ـــــــ ٢٠١
٢ - السامرية ـــــــ ٢٠٢
موقف الإسلام من العهد القديم ـــــــ ٢٠٣

## التراجم القديمة للعهد القديم

١ - الترجمة السبعينية ـــــــ ٢٠٧
٢ - الترجمة الكلدانية ـــــــ ٢٠٩
٣ - الترجمة اللاتينية ـــــــ ٢٠٩
٤ - الترجمة الحبشية ـــــــ ٢١٠
٥ - الترجمة الغوطية ـــــــ ٢١٠
٦ - الترجمة الأرمنية ـــــــ ٢١٠
٧ - الترجمة العربية ـــــــ ٢١٠
**خلاصة البحث ـــــــ ٢١٢**

## الفرق اليهودية

١ - شاسديم (CHASIDIM) ـــــــ ٢١٧
(الأول) المصادر اليهودية ـــــــ ٢١٨
(الثاني) عقيدة هذه الفرقة ـــــــ ٢١٩
٢ - الصدوقيون ـــــــ ٢٢٢
أهم مميزات هذه الفرقة (من ناحية العقيدة) ـــــــ ٢٢٢

مميزاتها من حيث المصادر ـــــ ٢٢٣
الصدوقيون والمسيح ـــــ ٢٢٣
٣- فرقة القُرائين أو العنانيين ـــــ ٢٢٥
أهم مميزات هذه الفرقة ـــــ ٢٢٦
٤- السامرة ـــــ ٢٢٧

## التلمود وتعاليمه ـــــ ٢٣١

التلمود (TALMUD) ـــــ ٢٣٣
الوحي المكتوب ـــــ ٢٣٣
الوحي الشفوي ـــــ ٢٣٣
أقسام التلمود ـــــ ٢٣٧
سرية التلمود ـــــ ٢٣٧

## نماذج من نصوص التلمود

العزة الإلهية في التلمود ـــــ ٢٤٠
أرواح اليهود في التلمود ـــــ ٢٤١
ممنوع رد الأشياء المفقودة لغير اليهود ـــــ ٢٤١
جواز الغش مع غير اليهودي ـــــ ٢٤١
غير اليهود في نظر التلمود ـــــ ٢٤٢
التلمود والمسيح ـــــ ٢٤٤
الأيمان في التلمود ـــــ ٢٤٥
المرأة غير اليهودية في التلمود ـــــ ٢٤٥
دراسة تحليلية لنفسية اليهود ـــــ ٢٤٩
اللغات التي استعملت في تأليف التلمود ـــــ ٢٥١

**بروتوكولات صهيون ومقتطفات منها ـــــــ ٢٥٣**

من البروتوكول الأول ـــــــــــــــ ٢٥٦

من البروتوكول الثاني ـــــــــــــــ ٢٥٧

ومن البروتوكول الثالث ـــــــــــــــ ٢٥٧

ومن البروتوكول الرابع ـــــــــــــــ ٢٥٨

ومن البروتوكول الخامس ـــــــــــــــ ٢٥٨

ومن البروتوكول السابع ـــــــــــــــ ٢٥٨

ومن البروتوكول الحادي عشر ـــــــــــــــ ٢٥٩

ومن البروتوكول الرابع عشر ـــــــــــــــ ٢٥٩

ومن البروتوكول السابع عشر ـــــــــــــــ ٢٥٩

ومن البروتوكول التاسع عشر ـــــــــــــــ ٢٥٩

ومن البروتوكول الرابع والعشرين ـــــــــــــــ ٢٥٩

# المسيحية

المسيح عليه السلام ـــــ ٢٦٥
شجرة نسب المسيح ـــــ ٢٦٦
الملاحظة الأولى ـــــ ٢٧٠
الملاحظة الثانية ـــــ ٢٧٠
الملاحظة الثالثة ـــــ ٢٧٠
الملاحظة الرابعة ـــــ ٢٧٠
الملاحظة الخامسة ـــــ ٢٧١
الملاحظة السادسة ـــــ ٢٧١
الملاحظة السابعة ـــــ ٢٧١
الملاحظة الثامنة ـــــ ٢٧١
الملاحظة التاسعة ـــــ ٢٧١
الملاحظة العاشرة ـــــ ٢٧١
الملاحظة الحادية عشرة ـــــ ٢٧٢
الملاحظات ـــــ ٢٨٥
أساب مناوأة اليهود لدعوة المسيح عليه السلام ـــــ ٢٨٦

## النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام

القرن الأول ـــــ ٣١٥
القرن الثاني ـــــ ٣١٩
القرن الثالث ـــــ ٣٢١
القرن الرابع ـــــ ٣٢٤

## المسيح في القرآن الكريم

أم عيسى مريم وحياتها ـــــ ٣٢٧
ولادة المسيح عليه السلام ـــــ ٣٢٨
من معجزات المسيح عليه السلام ـــــ ٣٢٩
عيسى نبي من أنبياء بني إسرائيل ـــــ ٣٣٠
دعوة عيسى عليه السلام ـــــ ٣٣١
ليس المسيح إلا عبداً لله ورسولاً من رسله ـــــ ٣٣٢
نزول الإنجيل على المسيح ـــــ ٣٣٣
تبشير المسيح بمحمد رسول الله بعده ـــــ ٣٣٣
تكفير من تأله المسيح ـــــ ٣٣٤
إنكار القرآن على الغلاة من أهل الكتاب ـــــ ٣٣٥
ما صلبوا المسيح بل رفعه الله إليه ـــــ ٣٣٦
نزول المسيح قبل القيامة ـــــ ٣٣٦
تأثير بولس اليهودي في المسيحية وانتقالها من التوحيد إلى الوثنية ـــــ ٣٣٧
مصادر معارف بولس ـــــ ٣٤٣
خلاصة ما أحدثه بولس في المسيحية ـــــ ٣٥٤

## المصادر النصرانية ـــــ ٣٦٠

## (النوع الأول) الأناجيل الأربعة

١- إنجيل متى ـــــ ٣٦٧
٢- إنجيل مرقس ـــــ ٣٧٠
٣- إنجيل لوقا ـــــ ٣٧٤
٤- إنجيل يوحنا ـــــ ٣٧٥

## محتويات الأناجيل

١- القصص ـــــــ ٣٧٩
٢- العقيدة ـــــــ ٣٨٠
٣- الشريعة المسيحية ـــــــ ٣٨١
٤- الزواج وتكوين الأسرة ـــــــ ٣٨٤

## (النوع الثاني): الأسفار المقدسة

## القسم الأول: رسائل بولس

١- رسالة إلى أهل رومية ـــــــ ٣٨٥
٢-٣ رسالتان إلى أهل كورنثوس ـــــــ ٣٨٥
٤- رسالة إلى أهل غلاطية ـــــــ ٣٨٥
٥- رسالة إلى أهل أفسس ـــــــ ٣٨٦
٦- رسالة إلى أهل فيلبي ـــــــ ٣٨٦
٧- رسالة إلى أهل كولوس ـــــــ ٣٨٦
٨-٩- رسالتان إلى أهل تسالونيكي ـــــــ ٣٨٦
١٠-١١- رسالتان إلى تيموثاوس ـــــــ ٣٨٧
١٢- رسالة إلى تيطس ـــــــ ٣٨٧
١٣- رسالة إلى فيلمون ـــــــ ٣٨٧
١٤- رسالة إلى العبرانيين ـــــــ ٣٨٧

## القسم الثاني: الرسائل الكاثوليكية

١- رسالة يعقوب ـــــــ ٣٨٨
٢-٦ رسائل بطرس ويوحنا ـــــــ ٣٨٩
٧- رسالة يهوذا ـــــــ ٣٨٩

## القسم الثالث: سفر أعمال الرسل، وسفر رؤيا يوحنا ٣٩٠

سفر رؤيا يوحنا ـــــــ ٣٩١
قانونية العهد الجديد ـــــــ ٣٩٢
الأناجيل المرفوضة ـــــــ ٣٩٣
**بولس وأفكاره في هذه المصادر ـــــــ ٣٩٧**

## نسخ العهد القديم والجديد

الأولى: نسخة فاتيكان ـــــــ ٣٩٨
النسخة الثانية: النص السكندري ـــــــ ٣٩٩
النسخة الثالثة: نسخة سيناء ـــــــ ٣٩٩
أبوكرفيا (الأسفار الخفية). ـــــــ ٤٠٠
إنجيل عيسى عليه السلام ـــــــ ٤٠٢

## برنابا وإنجيله ـــــــ ٤٠٥

إنجيل برنابا في الوثائق القديمة ـــــــ ٤٠٨
متى عثر على إنجيل برنابا؟ ـــــــ ٤٠٩
هل يشترط في كاتب الإنجيل أن يكون حوارياً؟ ـــــــ ٤١١
إنكار النصارى نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا ـــــــ ٤١٤

## البشارات في العهد القديم ـــــــ ٤٢١

## البشارات في العهد الجديد ـــــــ ٤٣٧

مقتطفات من إنجيل برنابا ـــــــ ٤٤٨
١ - البشارات بمحمد رسول الله ﷺ. ـــــــ ٤٤٨
براءة عيسى من الذين اتخذوه إلها ـــــــ ٤٥٦
صلب يهوذا الخائن بدلاً من عيسى ـــــــ ٤٥٩

## الفرق المسيحية


١- فرقة المرقيونيين ـــــــ ٤٦١
٢- فرقة البربرانية ـــــــ ٤٦١
٣- فرقة اليان ـــــــ ٤٦٢
٤- فرقة التثليث ـــــــ ٤٦٢
١- فرقة أبيون ـــــــ ٤٦٣
٢- فرقة الشمشاطي ـــــــ ٤٦٣
٣- فرقة الأريسيون ـــــــ ٤٦٣


## أشهر الطوائف المسيحية


**١- الكاثوليك** ـــــــ **٤٦٤**
أهم عقائد هذه الفرقة ـــــــ ٤٦٩
**٢- فرقة الأرثوذكسية** ـــــــ **٤٧٣**
أهم مبادئ الكنيسة الأرثوذكسية ـــــــ ٤٧٤
**٣- البروتستانت المعارضون** ـــــــ **٤٧٤**
أهم مبادئ الفرقة البروتستانية ـــــــ ٤٧٦
عقيدة التثليث وإبطالها ـــــــ ٤٧٩
عقيدة التثليث (TRINITARIAN, DOCTRINE) ـــــــ ٤٧٩
معنى التثليث عند المسيحيين؟ ـــــــ ٤٨٦
عقيدة الكاثوليك في ذات الله سبحانه وتعالى ـــــــ ٤٨٩
عقيدة الأرثوذكس في الله تعالى ـــــــ ٤٩٤
عقيدة الكفارة وأثرها في عقيدة التثليث ـــــــ ٥٠٢
المقارنة بين الإسلام والنصرانية ـــــــ ٥٠٧

# فصول في أديان الهند


مقدمة الطبعة الأولى ـــــــ ٥١٥

المنهج الّذي سرت عليه في هذا الكتاب ـــــــ ٥١٦


## الهندوسية


لمحة تاريخية عن جغرافية الهند ـــــــ ٥١٩

أصل سكان الهند ـــــــ ٥١٩

هجرات الآريين إلى بلاد الهند ـــــــ ٥٢١

انضمام أهل الهند إلى المجتمع الهندوسي ـــــــ ٥٢٨

غارة الأفكار الجديدة ـــــــ ٥٢٨

مؤسس الهندوسية ـــــــ ٥٢٨

مشكلة العقيدة في الهندوسية ـــــــ ٥٢٩

اسم الهندوسية ـــــــ ٥٣٠


### مراحل تدوين الكتب الهندوسية


الدور الأول ـــــــ ٥٣١

الدور الثاني ـــــــ ٥٣٢

الدور الثالث ـــــــ ٥٣٢

الدور الرابع ـــــــ ٥٣٢

الدور الخامس ـــــــ ٥٣٣

**دراسة المصادر الأساسية لدى الهندوس ـــــــ ٥٣٣**

١- ريج فيدا (RIG VEDA) ومعناه الدعاء والثناء. ـــــــ ٥٣٦

٢- ياجُور فِيدا (YAJUR VEDA). ـــــــ ٥٣٧

٣- سام فيدا (SAM VEDA) ومعناه الأمن والراحة. ـــــــ ٥٣٨

٤- أثور فِيدا (ATHER VEDA) يعني رقى السحر. ـــــــ ٥٣٨
الاتجاهات التفسيرية للفيدات ـــــــ ٥٣٨
٥- مها بهارت (MAHA BHARAT) ـــــــ ٥٤٨
سبب تأليف هذا الكتاب ـــــــ ٥٤٩
٦- الكيتا (GEETA) ـــــــ ٥٥٠
٧- رامايان (RAMAYAN) ـــــــ ٥٥٢
٨- الفِيدَانْتَ (VEDANT) ((معناه زبدة الفيدا)). ـــــــ ٥٥٦
اتجاهات مفسري الفِيدَانْتَ ـــــــ ٥٥٨
٩- اليُوجَا فَاسِشْتَا (YOGAVASISHTA). ـــــــ ٥٦٠
١٠- دَهَرمْ شَاسْتَرا (DHARAM SHASTRA) ـــــــ ٥٦٢
محتويات دهرم شاسترا ـــــــ ٥٦٣

## الطبقات في المجتمع الهندوسي ـــــــ ٥٦٥

الطبقة الأولى: البراهمة ـــــــ ٥٦٨
الطبقة الثانية: الكَشْتَرِي ـــــــ ٥٦٩
الطبقة الثالثة: الوَيْشَ ـــــــ ٥٧١
الطبقة الرابعة: الشُوَدَرا ـــــــ ٥٧٢
قضية دخول المنبوذين في الإسلام ـــــــ ٥٧٥
موقع تَامِل نادو ـــــــ ٥٧٥
١- الصحف التاملية ـــــــ ٥٧٦
٢- الصحف الأردية ـــــــ ٥٧٨
٣- الصحف الإنجليزية ـــــــ ٥٧٩

## الفقـه الهندوسي (أحكام الأدوار الأربعة للحياة الهندوسية)

الدور الأول: برهما جاريا آشرم (مرحلة طلب العلم) ـــــــــ ٥٨٣
الدور الثاني: كِرْهَسْتَا آشَرَمْ، (الحياة العائلية) ـــــــــ ٥٨٧
الدور الثالث: بَانَ بَرَسْتَ آشَرَمْ. (دور التربية الجسدية والروحية) ـــــــــ ٥٨٨
الدور الرابع: سَنَّيَاسَ آشَرَمْ - (الحياة الرهبانية) ـــــــــ ٥٨٩

## أحكام الأسرة

النكاح ـــــــــ ٥٩١
تعدد الزوجات ـــــــــ ٥٩١
نكاح الأرامل ـــــــــ ٥٩٢
الحرمة بالمصاهرة ـــــــــ ٥٩٤
الزواج في السن المبكر ـــــــــ ٥٩٤
المتعـــة ـــــــــ ٥٩٤
الحجاب ـــــــــ ٥٩٥
الاعتزال في حالة الحيض ـــــــــ ٥٩٥

## الفرق الهندوسية

فرقة فشنو ـــــــــ ٥٩٦
فرقة سيفا ـــــــــ ٥٩٧
عبادة الأصنام ـــــــــ ٥٩٨
عبادة الأبقار ـــــــــ ٦٠٠

## العبادات في الهندوسية

الصلاة ـــــــــ ٦٠٣
الصـــوم ـــــــــ ٦٠٤

الحـــج ـــــــــــــــــــــــــــــ ٦٠٦

## أهم العقائد الهندوسية

**١- خلق الكائنات في الفكر الهندوسي ـــــــــــــــــــــــ ٦٠٨**
فكرةُ الفِيدا في الخلق (VEDIC THOUGHT) ـــــــــــــــ ٦١٢
فكرة الفِيَدَانْتَ (VEDANTIC THOUGHT) ـــــــــــــــ ٦١٣
فكرة البران (PURANIC THOUGHT) ـــــــــــــــ ٦١٣
**٢- عقيدة (أفْتَارَ) (AVATAR) ـــــــــــــــ ٦١٤**
وأفتار له أربعة أقسام ـــــــــــــــ ٦١٥
١- (بُورَنْ أفتار) . ـــــــــــــــ ٦١٥
٢- (أنْشَانْ أفْتار) . ـــــــــــــــ ٦١٧
٣- (كَلاَ أفْتار) . ـــــــــــــــ ٦١٨
٤- (أذْهَيا كَاري أفْتَار) (ADHYAKARI AVATAR). ـــــ ٦١٨
**٣- عقيدة التناسخ أو جولان الروح ـــــــــــــــ ٦٢٠**
مسألة القيامة ـــــــــــــــ ٦٢١
**٤- عقيدة الكَارْمَا ـــــــــــــــ ٦٢٩**
**٥- عقيدة النِرفَانَا ـــــــــــــــ ٦٣٠**

## البوذية

تاريخ موجز عن نشأة البوذية ـــــــ ٦٣٧
تعليمات بوذا ـــــــ ٦٤١
الحقيقة الأولى: وجود الحزن ـــــــ ٦٤٢
الحقيقة الثانية: في أسباب وجود الحزن ـــــــ ٦٤٢
الحقيقة الثالثة: في القضاء على الآلام والأحزان ـــــــ ٦٤٢
الحقيقة الرابعة: الأعمال التي تساعد على القضاء على الآلام والأحزان ـــــــ ٦٤٣
سبب الآلام والمصائب ـــــــ ٦٤٥

## الألوهية في البوذية ـــــــ ٦٤٦

أدلة المنكرين ـــــــ ٦٤٧
أدلة المثبتين ـــــــ ٦٤٩
الدليل الأول ـــــــ ٦٤٩
الدليل الثاني ـــــــ ٦٤٩
**المجالس البوذية الأربعة** ـــــــ ٦٥٢

## الفِرَق البوذية

الفرقة الأولى: هنايان (يعني العربة الصغيرة). ـــــــ ٦٥٣
الفرقة الثانية: ماهايان (يعني العربة الكبيرة). ـــــــ ٦٥٣
العبادة عند البوذية ـــــــ ٦٥٤
ترانيم البوذيين عند العبادة ـــــــ ٦٥٥
إشاعة البوذية ـــــــ ٦٥٦

# الجَيْنِيَة

موجز تاريخها ـــــــــــ ٦٦١
ملاحظـــة ـــــــــــ ٦٦٢
تدوين علوم مها بير سوامي ـــــــــــ ٦٦٢
النقد التاريخي ـــــــــــ ٦٦٣
الاختلاف الأساسي بين الفرقتين الكبيرتين ـــــــــــ ٦٦٤
الأول: العلاقة الدنيوية ـــــــــــ ٦٦٤
الثاني: الخلاف في حصول النجاة للمرأة ـــــــــــ ٦٦٥
الثالث: العارف الكامل ـــــــــــ ٦٦٥
**العقائد الرئيسة عند الجينيين ـــــــــــ ٦٦٦**
الألوهية عند الجينيين ـــــــــــ ٦٦٦
**طبقات الرجال عند الجنيين ـــــــــــ ٦٦٨**
**فلسفة عبادة الأصنام عند الجينيين ـــــــــــ ٦٦٩**

## أثر الجينية على الهندوسية والبوذية

١- عبادة الأصنام وبناء المعابد ـــــــــــ ٦٧٠
٢- أهِنْسَا ـــــــــــ ٦٧٠
٣- مسألة التناسخ أو جولان الروح ـــــــــــ ٦٧٠
٤- الرَّهْبَانِيَّة ـــــــــــ ٦٧١
٥- العُرْي ـــــــــــ ٦٧١

## السيخية

قبسات السِّيخِيّة من الهندوسية ـــــ ٦٨٢
أ - مقصد الحياة ـــــ ٦٨٢
ب- عقيدة الحلول والاتحاد ـــــ ٦٨٢
جـ- أساطير الهنادك ـــــ ٦٨٤
د - الغناء والموسيقى ـــــ ٦٨٥
قبسات السِّيخيَّة من نور الإسلام ـــــ ٦٩٢
القواعد الخمسة عند السِّيخِيّين ـــــ ٦٩٨
فكرة الرسالة والنبوة ـــــ ٦٩٨

## البشارات في كتب الهندوس ـــــ ٧٠٣

قصة وجود آدم وحواء ـــــ ٧١٠
عصيان آدم ربه ـــــ ٧١١
بعثة الأنبياء والرسل ـــــ ٧١٢
البشارة الأولى ـــــ ٧١٤
البشارة الثانية ـــــ ٧١٦
البشارة الثالثة ـــــ ٧١٦
البشارة الرابعة ـــــ ٧١٧
البشارة الخامسة ـــــ ٧٢٥
البشارة السادسة ـــــ ٧٢٦
البشارة السابعة ـــــ ٧٢٧
البشارة الثامنة ـــــ ٧٢٨
البشارة التاسعة ـــــ ٧٢٩

البشارة العاشرة ـــــــ ٧٣٠
البشارة الحادية عشرة ـــــــ ٧٣٠
البشارة الثانية عشرة ـــــــ ٧٣١
البشارة الثالثة عشر ـــــــ ٧٣٢
البشارة الرابعة عشر ـــــــ ٧٣٤
البشارة الخامسة عشر ـــــــ ٧٣٤
البشارة السادسة عشر ـــــــ ٧٣٤
البشارة السابعة عشر ـــــــ ٧٣٤
البشارة الثامنة عشر ـــــــ ٧٣٥
البشارة التاسعة عشر ـــــــ ٧٣٩
البشارة العشرون ـــــــ ٧٤١
البشارة الحادية والعشرون ـــــــ ٧٤٢
البشارة الثانية والعشرون ـــــــ ٧٤٣
البشارة الثالثة والعشرون ـــــــ ٧٤٤
البشارة الرابعة والعشرون ـــــــ ٧٤٥
البشارة الخامسة والعشرون ـــــــ ٧٤٥
**خاتمة البحث** ـــــــ ٧٤٧
**فهرس المصادر والمراجع** ـــــــ ٧٥١
١ - فهرس المراجع العربية ـــــــ ٧٥١
٢ - فهرس المراجع الأردية ـــــــ ٧٥٨
٣ - فهرس المراجع الهندية ـــــــ ٧٦١
٤ - فهرس المراجع الإنجليزية ـــــــ ٧٦٢
**فهرس الموضوعات** ـــــــ ٧٦٣

## إنتاج المؤلف العلمي والدعوي:-

**١- أقضية رسول الله ﷺ لابن الطلاع القرطبي.**

دراسة وتحقيق والاستدراك عليه. الطبعة الثانية. وتعاد الطبعة الثالثة مع مزيد من التحقيق والاستدراك، وقد ترجم إلى الأردية لحاجة القضاة والمحامين الإسلاميين في باكستان. وطبع بمدينة لاهور عام ١٩٨٧م.

**٢- المدخل إلى السنن الكبرى للإمام البيهقي.**

دراسة وتحقيق. الطبعة الثانية عام ١٤٢٠هـ، وقد ترجم الكتاب إلى الأردية، وطبع بمدينة لاهور في باكستان.

**٣- أمالي ابن مردويه.**

دراسة وتحقيق. الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

**٤- فتح الغفور في وضع الأيدي على الصدور.**

للعلامة الشيخ محمد حياة السندي المتوفى سنة (١١٦٣هـ). دراسة وتحقيق. الطبعة الثالثة عام ١٤١٩هـ.

**٥- دراسات في الجرح والتعديل.**

تأليف. الطبعة الرابعة عام ١٤١٩هـ.

**٦- التمسك بالسنة في العقائد والأحكام.**

تأليف. الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ. وقد ترجم إلى الأردية.

**٧- دعوة القرآن.** (باللغة الهندية).

طبع أكثر من خمس مرات. ولقد هدى الله به إلى الإسلام خلقاً كثيراً من غير المسلمين. فالحمد والثناء كله لله عز وجل. وترجم إلى بعض اللغات الهندية الأخرى.

**٨- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الإسناد.**

تأليف. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. والطبعة الثانية تحت الطبع.

**٩- بحوث متنوعة في فقه السنة .**

منشورة في مجلات الجامعة الإسلامية، وترجم أكثرها إلى اللغة التركية.

**١٠- أبو هريرة في ضوء مروياته.**

دراسة تحليلية لمائة حديث من مروياته لبيان المنهج الذي سار عليه المؤلف في الدفاع عن هذا الصحابي الجليل الذي اتهمه أهل الأهواء، ولقد لقي هذا المنهج قبولاً عاماً في الأوساط العلمية، ونوّهَ به كثير من أهل العلم في دراساتهم، وألّفوا حوله مؤلفات، وأعيد طبعه ملخصاً عام ١٤١٨هـ. وهو جزء من رسالة الماجستير البالغ عدد أحاديثه ألفاً وخمسمائة حديث من الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.

**١١- معجم موسوعة القرآن الكريم باللغات الأجنبية.**

تحت الإعداد. وهذا يشتمل على مجالين:-

أحدهما: العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والأسرة والمجتمع.

وثانيهما: الأعلام والأسماء: أعلام الأنبياء ودعوتهم، وأعلام الملوك

والأشخاص، وأعلام الأماكن والبلـدان، وأسمـاء الحيوانـات والنباتـات والفواكه، وهذا يشتمل على خمسمائة عنـوان في موضوعـات مختلفـة، ويكمل في ثلاثة آلاف صفحة تقريباً إن شاء الله تعالى بعدة لغات.

**١٢- المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي.**

في تسعة أجزاء، وهي تحت الطبع. والحمد لله على ذلك.

**١٣- اليهودية والمسيحية.**

تأليف. الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.

**١٤- فصول في أديان الهند. (الهندوسية، والبوذية، والجينية، والسيخية).**

تأليف. الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

هذا والذي قبله هما الآن بأيديكم في مجلد واحد. ولله الحمد.